سلسلة «الحقيقة الصعبة» (١٦)

المسيحية في ردود المسلمين

(الجزء الاول)

أ. جوزف قزي

دار لأجل المعرفة
ديار عقل ـ لبنان
٢٠٠٢

سلسلة "الحقيقة الصعبة".

دار لأجل المعرفة، ديارعقل-لبنان. قياس (١٧×٢٤)

١. **قسّ ونبيّ،** بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢. **نبيّ الرحمة** ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣. **عالم المعجزات**، بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص

٤. **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص

٥. **العلويّون النُّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص

٦. **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧. **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ صفحة.

٨. **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.

٩. **السلوك الدرزي** أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.

١٠. **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.

١١. **المسيحيّة في ميزان المسلمين**، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢. **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص

١٣. **رغبات النفس والجسد.** (ألحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤. **موازين «الحقيقة الصعبة»**، (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة.

١٥. **نصارى القرآن ومسيحيّوه**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ صفحة.

١٦. **المسيحيّة في ردود المسلمين**، أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ صفحة.

مقدمة

نحـاول الكشفَ، في كتـابنا هذا، عن الفكر الإســلامي في الردّ على النّصـارى[١]، منذ بدء الإسـلام حتّى اليوم. ولن نكون غـيرَ دقيقين إنْ قلنا بأنّ هناك خطّاً واحداً مستـمرّاً، وموقفاً صريحاً ثابتـاً، يعتمده المسلمون في مـفهومهم للمـسيحيّة، وفـي فهمهم لعقـائدها. وإذا ما استعرضنا كـبريات المؤلّفات الإسلاميّة لكبـراء المؤلّفين المسلمين عبر التـاريخ، لن نكون مـجحـفين بحقّ أحـدٍ من الذين لم نذكـرهم، لأنّهم جميعهم، في فهمهم للمسيحيّة سواء.

يؤيّد كلامَـنا هذا عبدُ المجـيد الشـرفي، أحدُ أكثـر من اهتمّ بـ «**الفكر الإســلامي في الـردّ على النّصــارى**»[٢]، الذي جـمع مــئـات

(١) نادراً ما تسـتعمل المصادر الإسـلاميّة لفظة "مسـيحيّين". فالكلمـة المألوفة هي "النصارى". والنّصـارى، في تاريخ الكنيسة، هم اليهـود- المتنصّرون، الذين اعتـبروا المسيحَ نبيّاً جـاء يكمّل شريعة موسـى. فيما المسيح، بالـنسبة إلى "المسيحـيّين"، هو إلهٌ جاء يخلّص الإنسانَ ويفتـديه. هذا في الأصل. أمّا، في بدء الفتـوحات، فقد تـعرّف المسلمون إلى هؤلاء المسـيحيّين، واعتـبروهم مـشـركين، مـثلهم مـثل سـائر المشـركين. ولكنّ اسـمهـم بقي هو هو، رغم اختلافهم اختلافاً جوهرياً في عقيدتهم الدينيّة.

(٢) عـبد المجـيد الشـرفي؛ **الفكر الإسلامي في الـرّدّ على النّصارى**، إلى نهاية القـرن الرّابع/العـاشـر؛ تونس والجزائـر؛ ١٩٨٦؛ قيـاس (١٧×٢٤)؛ ٥٨٠ صفحة.

العناوين في هذا البـاب. قال: «وهكذا أدّت بنا مـقارنةُ كـتبِ الرّدّ على النّصارى إلى نتيـجة لم نكنْ نتوقّعهـا في البداية، وهي أنّ هذا الجدل قد **اكتملتْ معالمه** في نهاية القرن الرابع الهجري، وأنّ الردود المؤلّفة في القـرون المواليـة إنّما كـانت **تُرَدِّد ما كُـتب** في القـرون الأربعة الأولى»(٣).

وقال أيضاً: إنّ ردود القـرون الموالية كانت «**إجتـراراً كلّياً**، أو جـزئياً، للـمؤلّفـات السـابقة». ويردّد: «تبـيّن لنا، بعـد طول تفكيـر ومقـارنة، أنّ مواضيع الجـدل قد تحدّدتْ، بصفـةٍ شبه نهـائيّة... في أواخر القـرن الرابع/العاشر، واسـتقرّتْ أغـراضه الكبرى وسـماته المميّزة على نحـوٍ يغنينا، فيما نعـتقد، عن تتبّع مـا كُتب في هذا المجال بعد هذا التّاريخ»(٤).

وإذا كان ثمّـة من جديد، بين الأمس واليوم، فـهو في الأسلوب والمنهج. أسلوب الأقدمين كـان أكثر رصـانةً، ومتوجّـهاً إلى معـالجة الموضـوعات بمنطقٍ صـارم، وبموضـوعيّـة عـالية، ومن أجل غـايةٍ واضحـة، هي إقناع المسـيحـيّين في ضلالهم، من جـهة، وفي إظـهار حقيقة الإسـلام، من جهة ثانية. أمّا أسلوب اليوم فيتـميّز، بشكلٍ عامّ، بعنفـه وقساوتـه. ويتميّـز المنهج أيضـاً بنقدٍ لاذعٍ، ليس للمـعتـقدات المسيحيّة فحسب، بل للمسيح نفسه، وللمسيحيّين ورجالات الكنيسة، وملاحقتهم في سلوكهم ونواحي حياتهم الخاصّة.

ومع ذلك، سنسيـر مع المسلمين عبـر التاريخ، وننقل ردودَهم على المسيحـيّة، ونشير إلى مـواقفهم منها. والقـاعدة، عندهم، واحدة،

(٣) المرجع المذكور، ص ٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٥.

هي القرآن. ونأمل ألاّ يملّ القارئ من نقلنا الكثير لهذه الردود، مع ما فيها من تكرار وترداد و "اجترار". فهدفنا، في كتابنا، هو، حصراً، نقل هذه الردود، كما هي، دون أيّ مداخلة من قِبلنا؛ تاركين ملاحظاتنا ومداخلاتنا إلى أبحاثٍ أخرى.

***

وفيما نجد القرآنَ يتكلّم على موقفَين من المسيحيّة واضحين: موقف، فيه المسيحيّون (أي النّصارى) هم أهل مودّة وإحسان؛ وموقف، فيه هم أهل كفر وشرك؛ نجد أصحابَ الردود أخذوا عن القرآن موقفَه الثاني؛ باعتبار أنّ نصارى الموقف الأوّل أصبحوا مسلمين، ومسيحيّي الموقف الثاني استمرّوا على كفرهم وشركهم حتّى اليوم. وذلك لقولهم: «إنّ اللّه هو المسيح ابن مريم»[٥]. و«إنّ اللّه ثالث ثلاثة»[٦]. وإنّ المسيح صلب وقتل[٧]... إلى ما هنالك.

لا يخفى على أحدٍ بأنّ تيّاراً فكريّاً شاملاً عالج المعتقدات المسيحيّة وسلوك المسيحيّين. فكان «الرّد على النّصارى» عنواناً واحداً لكتبٍ كثيرة لمؤلّفين مسلمين عديدين، عبر عصورٍ طويلة[٨]. وكثرة

---

(٥) سورة المائدة ٥/ ١٧.

(٦) سورة المائدة ٥/ ٧٣؛ وسورة النساء ٤/ ١٧١.

(٧) سورة النساء ٤/ ١٥٧.

(٨) **الرّدّ على النّصارى**، لمدرار بن عمرو (+٨٠٦م)، و بشر بن المعتمر (+٨٤٠م)، وعيسى بن صبيح المردار (+٨٤٠م)، والعلاّف (+٨٤٩م)، والإسكافي (+٨٥٤)، وحفص الفرد (+٨٥٠؟)، وعلي بن ربّن الطبري (+٨٥٥م)، وترجمان (+٨٦٠م)، ويعقوب الكندي (+٨٦٦م)، والجاحظ (+٨٦٩م)، ومحمد بن سحنون (+٨٦٩م)، والورّاق (+٩١٠م)، وأحمد القحطبي (+٩١٢م)، وأبو علي الجبائي (+٩١٥)، وابن جزلة (+١١٠٠م)؛

الردود على النصارى لا تعني، بالضرورة، أنّ هؤلاء النّصارى هاجموا الإسلام والمسلمين. بل هي باب من أبواب "التوحيد"، والدفاع عن الإسلام تجاه الضلالات المسيحيّة، وتحذير المسلمين من هذه الضلالات، ودعوة النصارى إلى اعتناق الإسلام.

ولتيسير الأمور سنعالج الموضوعات المسيحيّة التي تعرّض لها أصحاب الردود. وهي موضوعات لاهوتيّة نظريّة وعمليّة، عقائديّة ومسلكيّة. مبتدئين بالكشف عن أبرز الكتب التي عالجت هذا الموضوع؛ ثمّ بنقل ردود المسلمين، منذ القديم حتّى اليوم، بحسب تسلسلهم الزمني في كلّ موضوع من الموضوعات المسيحيّة التي عالجوها.

لذلك، سنرى موقفهم، في **القسم الأوّل**، من كلّ موضوع من الموضوعات المسيحيّة: من الثالوث ، والوحي، وألوهيّة المسيح، والصلب، والروح القدس، ومريم العذراء، والقديس بولس، والكنيسة، وتحريف الإنجيل، ومجمع نيقية، والعبادات والطقوس المسيحيّة، والسلوك والأخلاق، والمرأة والزواج، والحياة الرّهبانيّة، وما إلى ذلك..؛ وفي **القسم الثاني**، موقفهم من مسيحيّي اليوم، أهو حقًّا حوارٌ وقَبول، أم مسايرة وسياسة من أجل مواطنيّة سليمة؟!

والغزالي (+١١١١م)؛ والرّهاوي (+١٢١٥)؛ ويوسف اللبناني (+١٢٢٦)؛ والبغدادي المعروف بان اللباد (+١٢٣٢)؛ والقفطي (+١٢٤٨)، وغازي بن الواسطي (+١٢٩٢)، البوصيري (+١٢٩٦)، والديريني (+١٢٩٧)، الخطيب الإسكندري (ق ١٣)، والدمياطي (+١٣٠٦)، والباجي (+١٣١٥)، وابن تيميّة (+١٣٢٨)، وابن عبد الرافع (+١٣٣٣)، وابن قيّم الجوزيّة (+ ١٣٥٠)... إلخ.

القسم الأوّل

ردود المسلمين على المسيحيّة

بحسب الموضوعات

الفصل الأوّل

الردود الإسلامية

مصـادر الردود الإسلاميّـة على المسيـحيّة» نعني بـها الكتب الإسلاميّة، القديمة والحديثة، التي وضعها مسلمون، وردّوا فيها على المسيحيّة[1]، على تعاليمها العقائديّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، وتناولوا تاريخهـا، وفِرَقَها، ونزاعـاتها، واقفين منهـا مواقف نقديّة ورفضـيّة، حاكمين عليها أحكاماً صارمة، معتبرين القرآن المرجعَ الأساس لهم.

نذكـر من هذه المصادر الموجـود منها والمفـقود، للتـدليل على سعـة هذا الموضوع وأهمّيتـه في الفكر الإسلامي. ما هو فقـود، ذكره المؤرِّخون وأصحـاب الفهارس، أمثال ابن النديم وحاجي خليـفه؛ وما هو مطبوع، بعـضه متيسّـر وبعضه غير مـتيسّر الحـصول عليه في المكتبات ودُور النشر. .

(١) ثمّة تمييـز بين «النّصرانيّة» و«المسيـحيّة». تلك تؤمن بالمسيح نبـيّاً جاء يكمّل نبوّة مـوسى والنّبيّين السـابقين؛ وهذه تؤمن بالمسيح ابناً لله، وأحـد الأقانيم الإلهيّة الثلاثة. تلك عـرفها النبيّ محمّد، وبشّر بها، وكـمّل رسالتها؛ وهذه لم يعرفْها إلاّ لماماً في آخر حياته. تلك عاملها النّبيّ بمودّة؛ وهذه اعتبرها مُشركةً مـصيـرها النار والعـذاب... غـيـر أنّ المسلمين، بعـد الفتـوحـات، اعـتبـروا «النصرانيّة» و«المسيـحيّة» سواء بسواء. وهم حتّى اليـوم لا يميّزون بينهما؛ بل يعتبرونهما في الشِّرك والضـلال سواء. لهذا آثرنا الكلام على «المسيحيّة» باعتبارها، بالنسبة إلى المسلمين، هي نفسها «النصرانيّة».

بعض هذه الكتب وضعـها مفكّرون مسلمـون كبار، وبعـضـها كتبه مسلمون مؤمنون اتُّخذوا بحـماسـهم لإسلامهم. بعضـها كان ردّاً هادئاً من دون أن يكون في المقابل نزاع وجدال، وبعضـها كان ردّاً على جدال وخصام بأسلوب عنيف فظّ.

وما نُدرجه هنا في هذا السرد من المصادر هو :

١. من أجل جمْع أكـبر عـددٍ من الردود على المسيـحيّة، عـبر التاريخ الإسلامي؛

٢. ومن أجل أن يعرف المسلمـون والمسيحيّـون، على السواء، بأنّ الردود على المسيحيّة كانت ولا تزال أمينةً لما ورد في القرآن؛

٣. ومن أجل أن يعـرف المسـيـحـيّـون، بنـوعٍ خـاصّ، أنّ مسيحيّـتهم، في حقيقتها، تخـتلف عمّا تناوله المسلمون في ردودهم؛ ولهذا ميّزنا بـين «نصارى» و«مسيحيّين»، و سمّـينا كتابنا «**نصارى المسلمين ومسيحيُّوهم**».

***

في هذا السرد لمعـظم الكتب التي نعالجهـا، نذكر القـديمة منها بحسب ترتيـبها الزمني؛ والحديثـة بحسب ترتيب مؤلّفيـها الأبجدي. وهي التالية :

١) نصارى الـقرآن (٦١٠-٦٣٢م)، **بتفـسيـر الطبري** (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م). ألقرآن هو المـصدر الأساسي لمواقف الإسـلام والمسلمين من المسيحيّة والمسيحيّين. مرّ في مراحل متطوّرة بالنسبة إلى فهم المسـيحيّـة: ففي مـرحلته المـكيّة (٦١٠-٦٢٢)، كـان موقفـه من نصرانيّة مكّة موقـفاً متطابقاً منسجمـاً وإيجابيّاً... أمّا في المرحلة

المدنيّة (٦٢٢-٦٣٢)، وبنوع خـاصّ في عام الوفود (٦٣١)، ومع وفد نجران، فقد كان بين محمّد والمسيحيّين قطيعة وتكفير.

٢) **نصارى الحـديث النّبويّ.** يمكن اعـتبار كـتب الأحاديث النـبويّة مصدراً آخر لفهم مواقف الإسلام من المسيحيّة. وهي تعكس، على مدى ثلاثة قـرون، على الأقلّ، موقف المسلمين مـن النصارى. من ناقلي الحديث: ألبخاري، مـسلم، أبن باجة، الترمذي، الدارمي، أبو داود، ألدارقطني...

٣) ضرار بن عمرو أبو عمر القـاضي، معتزلي من البصرة (ت ١٩٠/ ٨٠٦). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرد على النصارى..**

٤) وله أيضاً : كتاب يحتوي على عشرة كتب في **الردّ على أهل الملل.**

٥) أبو الرّبيع مـحمّـد بن اللّيث الخطيب الـكاتب القرشي (+؟). كـتب ليـحـيى بن خـالد البـرمكي (ت ١٩٠/٨٠٦). له: **كـتاب جـواب قسطنطين عن الرّشيد.**

٦) **الهاشـمي**، عـبدالـلّه بن إسمـاعـيل (ت ٢٠٥/ ٨٢٠). له: **رسالة عبداللّه بن إسـماعيل الهاشمي إلى عبـد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام.** ورسالة الكندي إلى الهاشمي يردّ بها عليه ويدعوه إلى النصرانيّة. طبعت مراراً. ألرسالة والردّ، كلاهما، كما يُظنّ مـن يد الكندي. غـيـر أنّه لا يعنيـنا، في هذه السلـسلة، إلاّ الرسالة دون الردّ.

٧) أبو سهل بشر بن المعتمر (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠ م). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرّد على النصارى.**

٨) ألمردار أبو مـوسى عيـسى بن صُـبيح، مـعـتزلي من بغـداد، لقّب

«براهب المعترلة»، (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠ م). يذكر له ابن النديم: **كتاب الرّد على النصارى.**

٩) وله أيضاً : **كتاب على أبي قُرّه النصراني.**

١٠) حفص الفرد (ت منتصف ق ٩). كان من المعتزلة ثم انفصل عنهم. له بحسب ابن النديم: **كتاب الردّ على النصارى.**

١١) أبو جعغر الإسكافي (ت ٢٤٠/ ٨٥٥). من رؤساء المعتزلة. له، بحسب القاضي عبد الجبّار : **كتاب في للنصارى والردّ عليهم.**

١٢) علي بن ربّن الطبري (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١ م)، نصراني نسطوري، اعتنق الإسلام بعمر ٧٠ سنة. وهو من أوّل من أشار إلى تنبّؤات التوراة والإنجيل على محمّد. ومَن جاء بعده عيالٌ عليه. له: **الردّ على النّصارى**، نُشر في بيروت سنة ١٩٥٩ بدون تحقيق. من ٣٠ صفحة في Mélanges de l'Université Saint Joseph, Tome XXXVI, Fasc.4 . وهو أقدم أثر في باب «الرد على النصارى». فيه بيان وجيز لشريعة الإسلام.. ومسائل نصرانيّة في التثليث، وألوهيّة المسيح، وتناقض شريعة الإيمان... ثمّ يبيّن التناقض في أمانة النصارى، أي «قانون الإيمان النيقاوي»...

١٣) وله أيضاً : **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبي محمّد**، حقّقه وقدّم له عادل نويهض، بيروت، ١٩٧٧؛ (١٧×٢٤)؛٢٤٠ ص

١٤) الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠ م). من أركان المدرسة الزّيديّة. له : **الردّ على النّصارى.** فيه ثلاثة أقسام: قسم في التوحيد وإنكار أن يكون المسيح إلهاً أو إبن اللّه؛ وقسم في عقيدة الثالوث والتجسّد؛ وقسم في الردّ على هذه العقائد.

١٥) أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٢٥٢/٨٦٦). فيلسوف شهير. له: **مقالة في الردّ على النّصارى**. لم يصلنا منها إلاّ مقتطفات أثبتها يحيى بن عدي ليردّ عليها.

١٦) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م). من أبرز أدباء العرب. له : **كتاب الردّ على النّصارى**.

١٧) وله أيضاً: **الرسالة العسلية في المسألة للنصارى والردّ عليهم**. مفقودة، ذكرها القاضي عبد الجبّار.

١٨) محمّد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م). من فقهاء أفريقيا. له بحسب القاضي عياد : **كتاب الحجّة على النصارى**.

١٩) أبو العياض الإيرانْشَهْري (ت بعد ٢٥٩هـ/٨٧٣ م). له : كتاب بدون عنوان، ذكر فيه، بحسب البيروني، عقائد اليهود والنصارى وما جاء في التوراة والإنجيل.

٢٠-٢٢) أبو الهذيل العلاّف (ت ٢٦٦هـ/ ٨٧٩ م). شيخ معتزلة البصرة. ذكر له ابن النديم ثلاثة كتب: **كتاب الرد على النّصارى**، و **كتاب على عمار البصري في الردّ على النصارى**، و **كتاب الردّ على أهل الأديان**.

٢٣-٢٦) إبن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٩٩ م). له كتب : "**المعارف**"، و "**مختلف الحديث**" و "**عيون الأخبار**" تدل على معرفة بكتب النصارى المقدّسة. وله أيضاً : كتاب " **البشارات بمحمد في التوراة**"، أو "**كتاب دلائل النبوّة**" الذي لم يصلنا.

٢٧) مجهول من أواخر القرن التاسع. له : **المنتقى من كتاب الرهبان**. نشره صالح الدين المنجّد، في كتابه: مختارات من كتاب الرهبان، سنة ١٩٥٦، ص ٣٤٩-٣٥٨.

بحسب عبد الجبّار: **البغداديّات**. وفيها كلام على النصارى.

٤٣) أبو إسحاق إبراهيم بن حماد بن إسحاق (ت ٣٢٣/ ٩٣٥). من فقهاء المالكيّة. ذكر له ابن النديم : **كتاب دلائل النبوّة**.

٤٤–٤٨) أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤/ ٩٣٥). مؤسّس الأشعريّة. له، كما ذكر ابن تيميّة: **مقالات غير الإسلاميّين**. "وهو كتاب أكبر من مقالات الإسلاميّين. وله أيضاً ما ذكره إبن عساكر: **كتاب الفصول**، و **كتاب فيه بيان مذهب النصارى**، و **كتاب فيه الكلام على النصارى**، و **كتاب في دلائل النبوّة**.

٤٩) أبو بكر أحمد بن علي بن الإخشيد (ت بين ٣٢٠و٣٢٧/ ٩٣٢و٩٣٨). متكلّم معتزلي. له : **كتاب المعونة**.

٥٠) أبو الحسن أحمد بن المنجم، المعروف بابن النديم (ت ٣٢٧/ ٩٣٨)، صاحب **كتاب الفهرست**. له : **كتاب إثبات نبوّة محمّد**.

٥١) عيسى بن داود ابن الجراح (ق ٤/ ١٠). وزير وكاتب. له : **جواب عن كتاب ملك الروم إلى المسلمين**.

٥٢) أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣/ ٩٤٤). مؤسّس مدرسة عرفت باسمه. نازعت الأشعريّة في الانتساب إلى أهل السنّة. سلكت منهجاً وسطاً بين العقل والنقل. له : **كتاب التوحيد**. "تتلخّص آراؤه في أنّ المسيح لا يختصّ بالبنوّة دون سائرالبشر، وأنّ أفعاله ومعجزاته لا تدلّ على أنّه أتى بما يختلف به عن بقيّة الأنبياء. يقبل الماتريدي أن يكون المسيح ابنا "على الإكرام"، و"من جهة المحبّة والولاية"، لا من جهة الولاد. "وله بعض الملاحظات الظريفة، مثل تعجّبه من أنّ النصارى «لم يكونوا في حياته (عيسى) ومقامه في الأرض يرضون له رتبة الرسالة، مع ما له من البراهين؛ ثمّ بعد

رفعه، أو موتـه عند عامّتهم، لم يرضوا بالعبـوديّة والرسالة حتى جعلوا له رتبة الربوبيّة».

٥٣–٥٦) المسعـودي، أبو الحسن علي بـن الحسين (+٣٤٥/٩٥٦). رحّالة، مـؤرّخ وأديب. اهتمّ بالنصرانيّـة في العديد من كتـبه. له : **أخـبار الـزمان ومَن أباده من الأمم المـاضيـة والأجـيال الخـاليـة والممالك الدائرة.** وله أيضاً: **مـروج الذهب ومـعادن الجـوهر**، و **التنبيه والإشراف**، و **أخبار الأمم من العرب والعجم.**

٥٧–٦٠) وله أيضاً : **خزائن الدين وسرّ العالمين**، و**مقالات في أصول الديانات**، و **المسائل والعلل في مذاهب الملل**، و **تقلّب الدول وتغاير الآراء والملل.**

٦١–٦٢) السـجسـتانـي، أبو سليمـان (+٣٧٥/٩٨٥). له : **كتـاب التوحـيد والكثـرة والجوهريّة والأقنومـيّة.** وله أيضاً : **كتاب في مبادئ الموجودات.**

٦٣) الحسن بن أيّوب (ت ٣٧٨/٩٨٨). له : **رسالة إلى أخيه عليّ**، في ٤٩ صفحة في كتاب "الجواب الصحيح"، لابن تيميّة (٢/٣٢٣–٣٧٢). يذكر فـيها سببَ إسـلامه، ويطعن بمن قال بثـلاثة أقانيم؛ وبمن جـحد نبـوّة محـمّد؛ ثمّ فـصّل "شريعـة النصارى". وقـد خصّص الجـزء الأوفر من رسالته لإنكار ألوهيّـة المسيح، معتـمداً على شواهد من العهدَين .

٦٤) أبو الحـسن الـعـامـري (ت ٣٨١/٩٩٢). له: **الإعـلام بمناقب الإسلام.** وهو محاولة في التوفيق بين العقل والدين، والمقارنة بين الإسلام واليهوديّة والمسيحيّـة والزرادشـتيّة. بيّن فضيلة الإسلام عليها. نشره عبد الحميد غراب في القاهرة، سنة ١٩٦٧.

٦٥) وله أيضاً : **الإبانة عن علل الديانة.**

٦٦) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤/ ٩٩٤). من لغويّي البصرة. ذكر له القفطي : **نقض التثليث على يحيى بن عدي.**

٦٧) أبو عبد اللّه أحمد بن محمّد الجيهاني الكاتب (ق ٤/ ١٠). ذكر له ابن النديم : **كتاب الزيادات في كتاب الناشئ في المقالات.**

٦٨) حميد بن سعيد بن بختيار المتكلّم (ق ٤/ ١٠). ذكر له ابن النديم: **كتاب على النصارى في النعيم والأكل والشرب في الآخرة وعلى جميع من قال بضد ذلك.**

٦٩) اليمان بن رباب (ق ٤/ ١٠). يذكر له ابن النديم : **كتاب المقالات.**

٧٠) أبو بكر الزهيري الكاتب (ق ٤/ ١٠). له بحسب عبد الجبار كتاب مفرد في **التبشير بمحمّد في التوراة.**

٧١) أبو سليمان المنطقي (ت ٣٩١/ ١٠٠٠). له: **كلام في مبادئ الموجودات ومراتب قواها والأوصاف التي توصف الذات الأولى بها وعلى أي وجه وصفتها النصارى بالتوحيد والكثرة والجوهريّة والأقنوميّة.** نشرها G. Troupeau وترجمها إلى الفرنسيّة بعنوان: Un traité sur le principe des êtres, attribué à Abu Sulayman al-Sigistani

٧٢) ألإمام ألقاضي أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلاني (ت ٤٠٣/ ١٠١٢). يعتبر من دعائم المدرسة الأشعريّة. كان فقيهاً مالكيّاً مشهوراً بمناظراته. له : **كتاب التمهيد**، عني بتصحيحه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، منشورات جامعة الحكمة في بغداد، سلسلة علم الكلام، ١؛ ألمكتبة الشرقيّة، بيروت ١٩٥٧. ألباب الثامن من ص ٧٥-١٠٣.

٧٣) ألشيخ المفيد إبن المعلّم، أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان (ت ٤١٣/ ١٠٢٢). شيعي. له : **رسالة في ذبائح أهل الكتاب.**

٧٤) ألقاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني (+٤١٥/ ١٠٢٤). له : **المغني في أبواب التوحيد والعدل.** الجزء الخامس: الفرق غير الإسلاميّة. في حوالي ٧٠ صفحة عن النصارى.

٧٥) وله أيضاً : **شرح الأصول الخمسة.**

٧٦) وله أيضاً : **تثبيت دلائل النبوّة**، حيث «ركّز على فكرة أساسيّة عنده، وهي أنّ دين النصارى مخالف لدين المسيح في الأصول والفروع معاً. فهم، في نظره، أعداء المسيح من حيث لا يشعرون»[٣]. ويتّهم بولس في إدخال عناصر وثنيّة روميّة إلى المسيحيّة. ويقول بتأثر العقائد المسيحيّة بالوثنيّة ويأخذ على الملك قسطنطين دورَه في إثبات العقائد المسيحيّة، وفشوّ الزنا، وعدم الختان، والخصاء، وسلوك "الديرانيّات". ويأخذ على القسّيسين مغفرتهم للخطايا، وأكلهم الخنزير.. ثم تذمّر عبد الجبار من اتّخاذ ملوك المسلمين للنصارى كتّاباً ووزراء... إلخ.

٧٧) رسائل الحكمة (٤١١-٤٢٧/ ١٠٢٠-١٠٣٥). في سلسلة "الحقيقة الصعبة"، رقم ٧؛ دار لأجل المعرفة، ديارعقل ١٩٨٥. فيها : **خبر اليهود والنصارى** (رقم ٣؛ ص ٣٧-٤٥)؛ **ألرسالة الموسومة بالقسطنطينيّة المنفذة إلى قسطنطين متملّك النصرانيّة** (رقم ٥٣؛ ص ٣٨٢-٣٩٩)؛ **ألموسومة بالمسيحيّة وأمّ القلائد النسكيّة، وقامعة العقائد الشركيّة** (رقم ٥٤؛ ص ٤٠٠-٤١٦)؛

---

(٣) ألشرفي، المرجع المذكور، ص ١٥٨.

الرسالة الموسومة بالتعقّب والافتقاد لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد، (رقم ٥٥؛ ص ٤١٧-٤٣٢).

٧٨) ألمسبّحي، محمّد بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠/١٠٢٩). أمير مؤرّخ في بلاط الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. له كتاب مفقود : **كتاب دَرك البُغية**.

٧٩-٨١) أبو الريحان البيروني (ت بعد ٤٤١/١٠٥٠). له: **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، و**كتاب تاريخ الهند. تحقيق ما للهند من مقولة..**، و **تذكرة في إرشاد إلى صوم النصارى والأعياد.**

٨٢) أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩/١٠٥٧). شاعر فيلسوف له : **رسالة المسيحيّة**. أهداها إلى الأمير عبد القاسم الحسين المغربي. مفقودة.

٨٣) أبو الحسن علي بن محمّد **الماوردي** (ت ٤٥٠/١٠٥٨)، **تفسير الماوردي.**

٨٤-٨٥) ألمصري، أبو الحسن علي بن جعفر (ت ٤٥٣-٤٦١/ ١٠٦١-١٠٦٨). طيب منجّم مصري، خصم حنين بن إسحق. طبيب الحاكم بأمر الله الخاصّ. له، بحسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة : **مقالة في الردّ على أفرانيم (أفرائيم) وابن زُرعة في اختلاف الملل.** وله أيضاً : **مقالة في بعث نبوّة محمّد من التوراة والفلسفة.**

٨٦) إبن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد (ت ٤٥٧/١٠٦٤). شاعر، مؤرّخ، فقيه، فيلسوف، متكلّم أندلسي. له : **الفِصل في الملل والأهواء والنحل.** خمسة أجزاء. ما يعود إلى النصارى موجود في الجزء الأوّل، ص ٤٨-٦٥؛ ٩٨-١١٧؛ وفي الثاني ٢-٩١.

٨٧) له أيضاً : **كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم ممّا لا يَحتمل التأويل.** مخطوط

٨٨) ألباجي، أبو الوليد (ت ٤٧٤/ ١٠٨١). فقيه أندلسي شهير. له: **ردّ على راهب من فرنسا إلى المقتدر بالله ملك سرغوسا. La lettre du "moine de France" à al-Muqtadir billah, roi de Saragosse, et la Réponse d'Albayi, le Faqqih Andalou,** (Présentation, Texte arabe, Traduction); in Al-Andalus, 1966; Vol.XXXI, Fasc.1y2; 73-153 pp. تحقيق Abdelmagid Turki. وعنوانها: **رسالة الراهب من إفْرَنسَه** –دمّرها اللّه– **إلى المقتدر بالله صاحب سرقسطة** (ص ٨٤–٨٧). ويليه: **جواب الفقيه القاضي الجليل الفاضل أبي الوليد الباجي** –رحمة اللّه عليه– **على هذه الرسالة.** الترجمة إلى الفرنسيّة من 116–153.

٨٩) الجويني، أبو المعالي عبد المالك بن عبداللّه، إمام الحرمَين (ت ٤٧٨/ ١٠٨٥). من أشهر متكلّمي الأشعريّة. إستاذ الغزالي. له : **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل.**

٩٠) إبن جزلة، أبو علي يحيى بن عيسى (ت ٤٩٣/ ١١٠٠). طبيب نصراني كان في خدمة المقتدر الخليفة العباسي، اعتنق الإسلام سنة ٤٦٦/ ١٠٧٤. له : **رسالة في الردّ على النصارى.**

٩١) ألغزالي، أبو حامد محمّد (ت ٥٠٥/ ١١١١). من أشهر مفكري الإسلام. من الأشعريّة والصوفيّة: **ألردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل؛** تقديم وتحقيق وتعليق د.محمّد عبداللّه الشرقاوي؛ دار الجيل بيروت، ومكتبة الزهراء القاهرة، ط ٣، ١٩٩٠؛ (١٧×٢٤)؛ ١٨٤ ص.

٩٢) أبو محـمّد الحـسين بن مسـعود المعروف بـالفراء **البـغوي** (ت ٥١٠/١١١٦). فقيـه شافعي محدّث مفـسّر. ملقّب بمحيي السنّة ركن الدين. كان تقـيّاً ورعـاً زاهداً قانعاً. له كـتاب **معالم التنزيل،** وهو كتاب متوسّط، نقل فيه عن مـفسّري الصحابة والتابعين ومَن بعـدهم. وصفـه الخازن فـي مقـدّمة تفـسـيره بأنّه "من أجـمل المصنّفات في علم التفسير، وأعلاها، وأنبلها، وأسناها". وقال فيه إبن تيميّـة: "والبغوي تفسـيره مختصـر من الثعلبي".. طبع هذا التفسير مع تفسير الخازن.

٩٣) محـمود بن عمـر بن محمّـد اللّغوي المعـتزلي، **الزمخـشري** (ت ٥٣٩/ ١١٤٤)، الملقّب بجار اللّه. له: **الكشّاف عن حـقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.** إنّه نموذج للتفسير الاعتزالي، وهو "أحد الكتب الأساسيّة الأصيلة في التفسير"، بحسب ما قال جولدزيهر.

٩٤) أبو علي الفـضل بن الحـسن بن الفـضل **الطبـرسي** (ت ٥٤٨/ ١١٥٣)، **مجمع البيان لعلوم القرآن.** "أثبت في هذا التفسير عقائد الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة"

٩٥) ألشهـرستاني، أبو الفتح مـحمّد بن عـبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨/١١٥٣). باحث عن الشيَع. له : **كتاب الملل والنحل.**

٩٦) ألشيخ محيي الدين مـحمد بن علي الطائي الأندلسي، المعروف بـ **ابن عربي** (ت٥٦٠/ ١١٦٤)، **تفسير ابن عربي.** تفسير على طريق أهل التصوّف، "غالبه يقوم على مذهب وحدة الوجود. ذلك المذهب الذي كان له أثره السيّء في تفسير القرآن الكريم".

٩٧) إبن ظفر، أبو عـبدالله مـحمّد بن أبي مـحمـد الصقلّي (ت ٥٦٥/

١١٦٩). باحث من صقلّية. له : **خير البِشَر بخير البَشَر.**

٩٨) الإستــبي، أبو بكر محمّد (ت ٥٦٦/ ١١٧٠). من أصل إســباني، ولد في مصر. له كتاب نقدي ضد المسيحيّة لم يصلنا.

٩٩) إبن عســاكـر الدمــشــقي، ولــد وتوفي في دمــشق (ت ٥٧١/ ١١٧٥). له : **سيــرة السيّـد المسيح**، تحقـيق سليمــان علي مراد، ألمعــهد الملكي للدراســات الدينيّة، دار الشــروق الاردن، ط ١ سنة ١٩٩٦، (١٤×٢١)، ٣٧٦ ص.

١٠٠) ألخزرجي، أبو جعفر أحمــد بن عبد الصمد (ت ٥٨٢/ ١١٨٦). سنّي. مؤرخ وأديب أندلســي. له : **مقــامع الصلبان** نشره عــبد المجيد الرافــعي سنة ١٩٧٥ تونس. ونشره محمــد شامة، تحت إسم "**بين الإسلام والمسيـحيّة**"، مكتبة وهــبة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٢؛ ط ٢، ١٩٧٥؛ (١٧×٢٤)؛ ٤٣٢ص

١٠١) ألكاتب، محمّد بن عبد الرحمن (ق٦/ ١٢). له : **ألدر الثمين في مناقب المسلمين ومثالب المشركين.**

١٠٢) مــجهــول من (ق ٦/ ١٢)، من أصل مغــربي. له، حسب حــجي خليفة في كشف الظنون، ص ٨٣٨ : **ردّ على النصارى.**

١٠٣) أبو عبد الــلّه محمّد الطبــرستاني **فخر الدين الرازي**، ألمعروف بابن الخطيب الشافعي (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩). له: **مفــاتيح الغيب.** "وهو تفــسير أشــبه مــا يكون بموسوعــة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة. فنّد آراء المعتزلة وردّ عليها.

١٠٤) ألرهاوي، أبو مــحــمّد بن عــبـد اللّه (ت ٦١٢/ ١٢١٥). سنّي. رحّالة. عالم. من الرُّها. له : **ردّ النصارى.** ذكرها ح. خليفه.

١٠٥) يوسف اللّبناني (ت ٦٢٣/١٢٢٦). له : **رسـالة في الردّ على النصارى.**

١٠٦) ألسامـري، يوسف بن أبي سـعيد (ت ٦٢٤/١٢٢٧)، طـبيب، وزير الملِك الأمجد. له بحسب حاجي خليفة: **شرح التوراة.**

١٠٧) مجهول مـن تونس، وضع سنة (٦٢٨/ ١٢٣٠) كتاباً بعنوان : **نقاط لتاريخ الردود ضد النصرانيّة في الغرب الإسلامي.**

١٠٨) ألبغدادي، عبد اللطيف، ألمعروف بابن اللّباد (ت ٦٢٩/ ١٢٣١). عـالم مـوسـوعي المعـرفـة. له : **مـقـالة في الردّ على اليـهـود والنصارى.**

١٠٩) ألجعفري، تقي الدين بن الحسين (ت بعد ٦٣٧/ ١٢٣٩). متكلّم أديب. له : **تخجيل من حرّف الإنجيل.** ٧٤٤ صفحة.

١١٠) له أيضاً : **بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود.**

١١١) ألقفطي، جـمال الدين أبو الحسن، القـاضـي الأكرم (ت ٦٤٦/ ١٢٤٨). مؤرّخ. لغوي وأديب. له : **كتاب الردّ على النصارى.**

١١٢) ألزاهدي، نجم الدين مـختـار بن محـمود (ت ٦٥٩/ ١٢٦٠). فقيه حنفي. له : **الرسالة النّاصريّة**، حققها وعلّق عليـها محمّد المصـري، تحـقـيق التـراث، رقم ١١. منشـورات المخطوطات والتــراث والوثـائق، الكـويت، ط ١، ١٩٩٤، (١٧×٢٤)، ٨٨ صفـحة. سـبب تأليف هذه الرسالة هو، كـما يقـول محـمّد بن إبراهيم الشـيـباني، مـدير عـام مـركـز المخطوطات والتـراث والوثائق، في الكويت: «في الـدلالة علي حقّـيّـة رسالة مـحمـد (ص)، وذكـر شيء من معـجـزاته * في ذكر المخـالِفين لنبـوّته والردّ عليهم * في المنـاظرة بين المسلمين والمسيحـيِّين، ونصرة

من أضحوا للإسلام أنصاراً. ومناظرة بين شيخ مسلم هو الباقلاني وقساوسة النصارى» (ص ٥).

١١٣-١١٤) وله أيضاً في باب "المناظرات" : **رسالة في ذكر المخالفين لنبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، والجواب عن شبههم**. ذكرها حاجي خليفه ص ٨٦٦. وله أيضاً : **رسالة في المناظرة بين المسلمين والنصارى، وذكر أسئلتهم.**

١١٥) زيادة اللّه بن يحيى الرأسي المهتدي (ت ٦٦٢/١٢٦٣). مسيحيٌّ اعتنق الإسلام. له : **كتاب البخت الصريح في أيٍّ دين هو الصحيح.**

١١٦) أبو عبداللّه محمّد بن أحمد الأنصاري، **ألقرطبي**، (ت ٦٧١/ ١٢٧٢)، **ألجامع لأحكام القرآن.**

١١٧) له أيضاً: **ألإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوّة نبيّنا محمّد عليه الصلاة والسلام.** نشره كاملاً د.أحمد حجازي، نسخَه عن مخطوطة واحدة، القاهرة، دار التراث العربي، ١٩٨٠.

١١٨) ألقرطبي، أبو جعفر بن نصر الروادي (كان لا يزال حيّاً سنة ١٢٧٨/٦٧٧). له: **ألأموال**. كتاب فقه في حقوق غير المسلمين.

١١٩) إبن رشيق، أبو علي الحسين بن عتيق بن الحسين التغلبي (ت ٦٨٠/ ١٢٨١)، له : **كتاب الرسائل والوسائل.** نقاش بين المؤلّف و" جماعة من القسّيسين والرهبان" حول إعجاز القرآن.

١٢٠) ألسكسكي، أبو الفضل عبّاس التريمي (ت ٦٨٣/ ١٢٨٤). فقيه متكلّم. له : **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان.**

١٢١) ألقرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥). متكلّم. مفسّر. مالكي له : **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**. وهو ردّ على أسقف صيدون بولس الأنطاكي؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٦؛ (١٧×٢٤)؛ ١٩٦ ص.

١٢٢) وله أيضاً : **عجباً للمسيح بين النصارى**. قصيدة شعريّة على وزن الخفيف. ذكرها حاجي خليفة.

١٢٣) الإمام ناصر الدين أبو سعيد بن عمر **البيضاوي** (ت ٦٩١/ ١٢٩١م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. "وهو كتاب جليل دقيق، جمع بين التفسير والتأويل، على أصول أهل السنّة".

١٢٤) غازي بن الواسطي (ت ٦٩٢/١٢٩٢). له : **الردّ على أهل الذمّة ومَن تبعهم**.

١٢٥) ألبوصيري، شرف الدين أبو عبدالله محمّد الصنهاجي (ت ٦٩٦/١٢٩٦). صوفي شهير بقصيدته "البردى". له: **ألحرج المردود في الردّ على النصارى واليهود**. شعر.

١٢٦) الدميري، عز الدين أبو محمّد (ت ٦٩٧/١٢٩٧). فقيه شافعي. مؤرّخ ومبشّر. له: **إرشاد الحيارى في الردّ على النصارى**.

١٢٧) أبو البركات عبد اللّه بن أحمد بن حمود **النسفي** الحنفي (ت ٧٠١/١٣٠١)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. "اختصره النسفي من تفسير البيضاوي ومن تفسير الكشّاف؛ غير أنّه ترك ما في الكشاف من آرائه الاعتزاليّة، وجرى فيه على مذهب أهل السنّة والجماعة. وهو تفسير وسط، ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ.

١٢٨-١٢٩) إبن الرفعة، نجم الدين أبو العبّاس (ت ٧١٠/ ١٣١٠). فقيه. شافعي. ذكر له خليفة، ص ٨٨٦-٨٨٧ : **رسالة في الكنائس والبيع**. وله أيضاً : **النفائس في هدم الكنائس**.

١٣٠) ألطوفي، نجم الدين أبو الربيع (ت ٧١٦/ ١٣١٦). حنبلي. له: **كتاب الإنتصارات الإسلاميّة وكشف شبْه النصرانيّة**؛ دراسة وتحقيق د. سالم بن محمّد القرْني، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٩؛ جزءان.

١٣١) وله أيضاً: **تعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الإثني عشر**.

١٣٢) أبو علي عمر السّكوني (ت ٧١٧/ ١٣١٧). له : **عيون المناظرات**، تحقيق سعد غراب، كلّيّة الآداب والعلوم التونسيّة، منشورات الجامعة التونسيّة، ١٩٧٦؛ (١٧×٢٤). يحتوي على ١٦٠ مناظرة من القرآن والصحابة والخلفاء والفرق الدينيّة والفلسفيّة وعلماء الكلام. مناظرات حول الإلهيات مع اليهود والمجوس والنصارى والمشركين والمرتدين...

١٣٣) سعيد بن حسن الإسكندراني (ت ٧٢٠/ ١٣٢٠). يهودي اعتنق الإسلام. له : **مسالك النظر في نبوّة سيّد البشر**.

١٣٤) إبن جماعة، بدر الدين محمّد بن إبراهيم (ت ٧٢٢/ ١٣٢٣). فقيه شافعي. عالم في الدين تولّى منصب القضاة في سوريا ومصر. له: **كشف الغمّة في أحكام أهل الذمّة**.

١٣٥) شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله الأنصاري (ت ٧٢٧/ ١٣٢٧). صوفي. له : **جواب رسالة أهل جزيرة قبرس**.

١٣٦) إبن تيميّة، تقي الدين أبو العبّاس أحمد (ت ٧٢٨/ ١٣٢٨)، شيخ الإسلام. حنبلي. له : **الجواب الصحيح لمن بدّل دين**

المسيح. مطبعة المدني بمصر، ١٩٥٩؛ (١٧×٢٤)؛ ٣ أجزاء.

١٣٧) وله أيضاً : **ألتخجيل لمن بدّل التوراة والإنجيل**، أو: **تخجيل أهل الإنجـيل والنهج الصحـيح على من بدّل دين عـيسى بن مـريم المسيح**، أو أيضاً: **تخجيل أهل الإنجيل.**

١٣٨) وله أيضاً : **الرسالة القبرسيّة**

١٣٩) وله أيضاً : **كتاب** (أو مقالة) **في الكنائس.**

١٤٠) وله أيضاً : **كـتاب الصـارم المسلول على شاتم الرّسـول**؛ طبع سنة ١٣٢٢ هـ، في مطبعـة مجلس دائرة المعارف، بحـيدرأباد؛ وأعادت طـباعتـه دار الجيل، بـيروت ١٩٧٥؛ (١٧×٢٤)، ٦٠٠ صفحـة. ألّفه في وقعة عسـاق النصراني حين سبّ النّبي في مِن كشف الظنون وفوات الوفيات وتذكرة الحفاظ ملخصاً.

١٤١) نظام الدين الحسن مـحمّـد **النيـسابوري** (ت ٧٢٨/١٣٢٨)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان.** "وهو مختصر لتـفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير".

١٤٢) ألهـاشمي، أبو علي عـمـر بن عبـد السيّـد (ت ٧٣١/ ١٣٣٠). قاضي تونس. له : **إدراك الصواب في أنكحة أهل الكتاب.**

١٤٣) إبن عـبـد الرافع، أبو إسـحق إبراهيم بن حـسن (ت ٧٣٣/ ١٣٣٢). مالكي وقاض كبير في تونس. له : **الردّ على المتنصّر.**

١٤٤) عـلاء الدين علي بن مـحمّد بن إبراهـيم البغـدادي الصـوفي، المعـروف بـ**الخـازن** (ت ٧٤١/ ١٣٤٠)، **ألّلبـاب فـي مـعـاني التنزيل.** يُعنى بالمأثور، لا يذكـر السند. وله ولوع بالتـوسّع في الروايات والقصص"

١٤٥) أثير الدين أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف **أبو حيّان الأندلسي** الغرناطي (ت ٧٤٥/ ١٣٤٤)، **البحر المحيط**.
"أكثر مؤلّفه من مسائل النحو في كتابه مع توسّعه في مسائل الخلاف بين النحويّين، حتّى أصبح الكتاب أقرب إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير".

١٤٦) إبن قيِّم الجوزيّة، شمس الدين أبو بكر محمّد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١/ ١٣٥٠). متكلّم مجتهد حنبلي تلميذ إبن تيميّة. له : **كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**؛ توزيع الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة؛ المملكة السعوديّة؛ ١٣٩٦هـ؛ (١٧×٢٤)؛ ١٩٤ صفحة.

١٤٧) وله أيضاً : **أحكام أهل الذِّمّة**. وفيها : **الشروط العمريّة**.

١٤٨) ألسُبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦/ ١٣٥٥). شافعي. له : **كشف الدسائس في ترميم الكنائس**.

١٤٩) وله أيضاً : **كشف الغِمّة في ميراث أهل الذِّمّة**.

١٥٠) إبن النقّاش، شمس الدين أبو أُمامة المصري (ت ٧٦٣/ ١٣٦١). فقيه مفسّر. له : **ألمَذمّة في استعمال أهل الذِّمّة**.

١٥١) ألتروحي، أبو بكر بن علي (ت ٧٧٢/ ١٣٧٠). له : **ألجواب بالنفثات الصبوحيّة عن رسالة أهل الملّة النصرانيّة**.

١٥٢) جمال الدين أبو محمّد عبد الرحيم الأسنوي الشافعي (ت ٧٧٢/ ١٣٧٠)؛ ألشيخ الإمام العالم العلاّمة القدوة، جمال الدين، حجّة المناظرين، لسان المتكلّمين، شيخ المدرّسين، مفتي المسلمين، نجل السلف الصالحين، بقيّة المجتهدين؛ **كتاب**

النصيحة الجامعة، أو **رسالة في استخدام أهل الذمّة وتحريم استخدامهم**، أو **الكلمات المهمّة في مباشرة أهل الذمّة**، نشرها وعلّق عليها Moshe Perlmann، (١٧×٢٤)؛ University Brookline, Mass., U.S.A.، بدون تاريخ. لها عنوان آخر: **نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى**. وعنوان آخر أيضاً من حاجي خليفة: : **الإنتصارات الإسلاميّة**؛ وعنوان من السيوطي: **جهد القريحة في تجريد النصيحة**.

١٥٣) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل **بن كثير** القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤/١٣٧٢)، **تفسير القرآن العظيم**. "من أصح التفاسير بالمأثور، إنْ لمْ يكنْ أصحّها جميعاً. وقد التزم صاحبُه تفسيرَ القرآن بالقرآن

١٥٤) إبن العطّار، شهاب الدين أحمد الدُنَيسَري (ت ٧٩٤/١٣٩٢). أديب مصري، وفقيه. ذكر له حاجي خليفة، ص ١١٨٠ : **العهود العُمريّة في اليهود والنصارى**.

١٥٥) **الفيروزابادي** (ت ٨١٧/ ١٤١٤).

١٥٦-١٥٧) **الجلالان**: جلال الدين محمّد **المحلي** (ت ٨٦٤/ ١٤٥٩)، وجلال الدين عبد الرحمن **السيوطي** (ت ٩١١/ ١٥٠٥)، **تفسير الجلالين**، "وهو تفسير قيّم، سهل المأخذ، مختصر العبارة".

١٥٨) محمّد بن عبدالله **الشوكاني**، زيدي (ت ٥٣٨/١١٤٣)، له **فتح القدير**، "الجامع بين فنّي الرواية والدراية في التفسير".. يعتبر الشوكاني عمدة المفسّرين في عصره وإمام المجدّدين في القرن الثالث عشر الهجري.. كسر قيود التقليد وحارب المقلّدين، ونادى بالاجتهاد والرجوع إلى الينابيع الأصليّة للشريعة"

١٥٩) العلاّمــة شهاب الدين الســيّد محــمّد **الألوسي** البغدادي مــفتي بغداد (ت ١٢٧٠/ ١٨٥٤)، **روح المعاني**. "من أجلّ التــفاســير وأوسعها وأجمعها.. لخّص البيضاوي والرازي والسيوطي".

١٦٠) الإمام محمّد عبده (ت ١٣٢٣/ ١٩٠٥)، تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار.

١٦١) علاّمة الشام محمّد جمال الدين **القاسمي** (ت ١٣٣٢/ ١٩١٤)، **محــاسن التنزيل** كان "آيــة في المحافظة على الوقت والمواظبــة على العــمل والقــدرة على المواءمــة بين هدى السلف والارتقــاء المدني الذي يقتــضيه الزمن.. والقاســمي شيعي مســتنير يغلب عليه الطابع العلمي مع رغبة في التجديد".

١٦٢) الشــيخ طنطاوي جــوهري (ت ١٣٥٨/ ١٩٤٠)، **الجــوهر في تفســير القــرآن العظيم**، من ٢٥ مجلّــد، مطبعة البــابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣١.

١٦٣) أحمد مصطفى **المراغي** (ت ١٣٦٣/١٩٤٣)، **تفسير المراغي**.

١٦٤) سيّد قطب، (ت ١٣٨٦/١٩٦٦)، **في ظلال القرآن**.

١٦٥) محمّد حسين **الطباطبائي**، **الميزان في تفــسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١-١٩٨٥.

١٦٦) محــمد حســين فضل الله (...)، **تفســير من وحي الــقرآن، ٢٤ مجلّد**.

***

كتب الردود الحديثة
مرتّبة بحسب حروف الأبجديّة

١٦٧) ابن الخطيب، محـمّد؛ **هذا هو الحقّ!** (ردّ على مـفتريات كـاهن كنيسـة)؛ المطبعة المصريّة؛ القاهرة، ١٩٦٦؛ (١٧×٢٤)؛ ٩٦ ص.

١٦٨) ابن الشريف، د. مـحمود، **الأديان في القرآن**، دار عكاظ، جدّة، ١٩٧٩.

١٦٩) أبو زهرة، ألشيـخ الإمام محـمّد، **محـاضرات في النّصـرانيّة**؛ (بحث في الأدوار التي مرّت عليـها عقائد النّصارى وفي كـتبهم وفي مجامعهم المقدّسة وفرقهم)؛ دار الفكر العربي؛ ألقاهرة، ط ٣؛ ١٩٨٢؛ (١٧×٢٤)؛ ١٩٦ صفحة.

١٧٠) ألأبوصيـري، ألإمام، **ألردّ على النصاري**، قصيـدة لاميّة، ص ٣٤٥–٣٦٠ (في كتاب السيف الصقيل، رقم ١٣).

١٧١) الأطيـر، حـسني يوسف : **عـقـائد النّصـارى الموحّـدين، بين الإسلام والمسيحيّة**، دار الأنصار، عابدين، ١٩٨٥، (١٧×٢٤)، ٢٥٦

١٧٢) آل سعود، محمد، **ألنصرانيّة في القرآن**، مكّة، ١٣٩٨ هـ.

١٧٣) آل كـاشف الغطاء، سمـاحـة الإمام الأكـبـر محـمّد الحـسين؛ **ألتوضـيح في بيـان حال الإنجيل والمـسيح**؛دار الغدير؛ توزيع التوجيه الإسلامي؛ بيروت، ط٢؛١٩٨٠؛ (١٤×١٩)؛ ١١٢ ص.

١٧٤) آل معمر، عبد العزيز، **منحة القريب في الرد على عباد الصليب،** دار ثقيف الطائف ١٣٩٨ هـ.

١٧٥) أيّوب، ألدكتور محمود، **ألحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي،** في كتاب : « **نحو الجدال الأحسن،** محاورات إسلاميّة مسيحيّة، ألمطران جورج خضر والدكتور محمود أيّوب، تحقيق جورج مسّوح وكاترين سرور، مركز الدراسات المسيحيّة الإسلاميّة؛ جامعة البلمند، ١٩٩٧.

١٧٦) وله أيضاً: **دراسات في العلاقات المسيحيّة الإسلاميّة،** جزء أوّل، مركز الدراسات المسيحيّة الإسلاميّة، جامعة البلمند، لبنان، ٢٠٠٠؛ (١٧×٢٤)، ٢٣٦ ص.

١٧٧) باجة زادة،عبد الرحمن بك أفندي،**ألفارق بين المخلوق والخالق.** مطرّز هامشه بكتابَين جليلَين: ألأوّل : **كتاب الأجوبة الفاخرة ،** تأليف الإمام الشيخ القدوة العارف العلاّمة فريد دهره ووحيد عصره، شهاب الدين أحمد بن أدريس المالكي، المعروف بالقرافي؛ ألثاني : **كتاب هداية الحيارى من اليهود والنصارى،** لابن قيّم الجوزيّة. طبع بمطبعة الموسوعات بمصر، ١٣١٨هـ (٢٤×٣٢)؛ ٤٠٨+١٢٠+٣٥ مقدّمات =٥٦٣ صفحة.

١٧٨) البلاغي، ألعلاّمة الشيخ محمّد جواد (ت١٩٣٣)؛ **ألرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة في نهج الهدى؛** بيروت، ط ٢؛ سنة ١٩٨٣؛ (١٧×٢٤)؛ ٥٢٦ ص.

١٧٩) بوكاي، د.موريس، **ألتوراة والإنجيل والقرآن والعلم،** ترجمة نخبة من الدعاة، بإشراف مجلّة الفكر الإسلامي، الصادرة عن دار الفتوى اللبنانيّة، دار الكندي، بيروت ١٣٩٨ هـ.

١٨٠) ألتميمي، ألعلاّمة النبيل والفهّامة الجليل حضرة الأستاذ الشيخ بكر بن السيد عمر الداري الحنفي النابلسي، **كتاب السيف الصقيل في الردّ على رسالة البرهان الجليل** مطبعة المحروسة بمصر ١٣١٣ هـ (١٧×٢٤)؛ ٣٤٥ صفحة. والكتاب ردّ على: **رسالة البرهان الجليل على صحة التوراة والإنجيل**. وهي «رسالة لبعض أذكياءِ المسيحيّين من فرقة بروتستنت في الردّ على أئمّة المسلمين في مسألتَي النسخ والتحريف. عدد صفحاتها ثمانية عشر صحيفة، مطبوعة سنة ١٨٨٣ م بمطبعة الإنكليز في مدينة أورشليم أي القدس... زعم فيها أنّه أقام الحجّة على المسلمين في مسألتي النسخ والتحريف، وأنّه استنبط من الآيات القرآنيّة صحّة التوراة والإنجيل، وأنّ النسختَين الموجودتَين في أيديهم الآن هما عين الموجود ذكرهما في القرآن، وقد أوجب فيها على أهل الإسلام الاهتمام بشأنهما والقيام بما فيهما من الأحكام، لينالوا بذلك السعادة الأبديّة. مع ما في آخرها من الطعن والتكذيب الصريح والاستخفاف بالحضرة النبويّة.

وقد نشرها مبشّروهم في الأقطار من القرى والأمصار، مع أنّ نشر مثل هذه الرسالة وطبعها في بلاد الإسلام اعتداءٌ زائد خارج عن رسوم النظام. لكنّ الباطل كسيح، بل قبيح، ولو غطّى وجهه بكلّ مليح.

ولمّا كان ديننا القويم وصراطنا المستقيم يطالبنا بردّ الشكوك والشبه، ويرخّص لنا بمكافأة المعتدين بمثل ما اعتدوا به، أردت أن أردّ على هذا المفتري، وأبيّن له إفكه وخطأه الجليّ، وأنّ رسالته هذه ما هي إلاّ محض سفسطة، وصرف مغالطة...

وسمّيته: ألسيف الصقيل في الردّ على رسالة البرهان الجليل، ليقطع لسانها، ويمزّق حجّتها وبرهانها» (ص ٢-٣).

١٨١) التنير، عبد الكريم، **تاريخ الفحشاء**، أو تاريخ الأداب العموميّة. وهو كتاب إجتماعي أدبي يبحث عن تاريخ العهارة وأسبابها وامتدادها ونشوئها بين الأمم إلخ.؛ لا دار نشر؛ سنة ١٩١٢؛ (١٥×٢٣)؛ ٢٠٨ ص.

١٨٢) تنير، محمد طاهر، **ألعقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة**، بيروت، سنة ١٣٣٠هجريّة.

١٨٣) ألجامعة التونسيّة، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، **ألملتقى الإسلامي المسيحي** (ألضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتها لتحدّيات النموّ)، سلسلة الدراسات الإسلاميّة، رقم ٥؛ (١٦×٢٣,٥)؛١٩٧٤؛ ٢٩٢ + ٢١٩ صفحة.

١٨٤) الجبهان، إبراهيم سليمان، **معاول الهدم والتدمير في النصرانيّة وفي التبشير؛** مطابع الرياض، ط ٢؛ سنة ١٣٩٨ هـ.

١٨٥) جيجولا، أ.د.، **خرافة الصّليب**، Alhaj A.D. AJIJOLA, **The Myth of the Cross**; Al Riyadh; 1984; (14x21); 212 pp.

١٨٦) جينيبير، شارل، **ألمسيحيّة نشأتها وتطوّرها**، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود؛ دار المعارف بمصر، ١٩٨١؛ (١٣,٥×١٩)؛ ٢٧٦ ص.

١٨٧) ألحَسَني، ألحافظ أبو الفضل عبداللّه بن محمّد بن الصدّيق، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام**، عالم الكتب،

بيروت، ط٢، ١٩٨٦، (١٤×٢٠)، ١٦٨ ص.

١٨٨) الحاج، د. محمّد أحمد ،**ألنصرانيّة من التوحيد إلى التثليث**، دار القلم دمشق، والدّار الشاميّة بيروت؛ ١٩٩٢؛ (١٧×٢٤)؛ ٣١٨.

١٨٩) حَومَد، الدكتور أسعد محمود، **دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب**، ردّاً على كتاب "قسّ ونبيّ"، لا دار نشر، دمشق، ١٩٩٨؛ (١٧×٢٤)، ٣٣٦ صفحة.

١٩٠) خالد، ألشيخ حسن، سماحة مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة؛ **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنّصرانيّة**؛ سلسلة «الدراسات الإسلاميّة»؛ معهد الإنماء العربي؛ بيروت؛ ١٩٨٦؛ قياس (١٧× ٢٤)؛ ٨١٢ صفحة.

١٩١) الخطيب، عبد الكريم، **ألمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**؛ دار الكتب الحديثة؛ ١٣٨٥ هـ.

١٩٢) ديدات، أحمد، **ألمسيح في الإسلام**، ترجمة محمّد مختار، مكتبة ديدات، القاهرة، ألمختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠، (١٢× ١٦,٥)، ١٨٢ ص.

١٩٣) ديدات، أحمد، **محمّد. ألخليفة الطبيعي للمسيح**، ترجمة رمضان الصفناوي، مراجعة محمود غنيم، مكتبة ديدات، ١٥؛ المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩١، (١٢×١٦,٥)، ١٢٠ ص.

١٩٤) ديدات، أحمد، **هل الكتاب المقدّس كلام الله؟** ترجمة نورة أحمد النومان، مكتبة ديدات، ألمختار الإسلامي، القاهرة، بلا ت؛ (١٢× ١٦,٥)، ٨٨ ص.

١٩٥) له أيضاً: **مَن دحرج الحجر؟** تقديم ومراجعة فايزة محمّد

بكري، ترجمة وتحقيق الإستاذ ابراهيم خليل أحمد، سابقاً: القس ابراهيم خليل فيلبّس، راعي الكنيسة الإنجيليّة وإستاذ بكليّة اللاّهوت بأسيوط؛ القاهرة، ١٩٨٨، (١٤×١٩)، ٦٤ ص.

١٩٦) ديدات، أحمد، **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٨٩، (١٧× ٢٤)، ٢٠٨ ص مع الأصل الإنكليزي.

١٩٧) رمضان، محمّد محمّد (الواعظ العام)؛ **عيسى بن مريم وأمّه على إشعاع العلم**، مطبعة الاستقامة، بمصر، ١٩٤٤؛ (١٧× ٢٤)؛ ١٠٤ ص.

١٩٨) الزعبي،محمّد سعيد، **السيّد المسيح يلوح بالأفق**، بيروت ١٩٧٣.

١٩٩) زكي، أحمد، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**؛ توزيع دار الحداثة؛ بيروت؛ ١٩٩٥؛ قياس (١٧×٢٤)؛ ٩٠٨ ص.

٢٠٠) ألسبحاني، ألشيخ جعفر، **أحمد موعود الإنجيل**، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٣؛ (١٧×٢٤)؛ ١٣٢ ص. إنّه تفسير لسورة الصفّ (٦١/١-١٤)، وبنوع خاصّ للآية ٦.

٢٠١) السقا، د.أحمد حجاز، **أقانيم النصارى**، دار الأنصار بمصر ١٣٩٧هـ.

٢٠٢) ألسقّا، د. أحمد حجازي، إستاذ مساعد في كلّيّة أصول الدين، جامعة الإمام محمّد بن سعود بالرياض، **ألبشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل**، دار الجيل بيروت، ١٩٨٩، (١٧× ٢٤)؛ج١=٣٨٢ ص؛ ج٢=٤٣٣.

٢٠٣) سند، الهمام الفاضل والجهبذ الكامل حضرة مَن بالآداب والمعارف تفرّد، العلاّمة الشيخ محمّد زكي الدين، **كتاب تنوير الأذهان في الردّ على مدّعي تحريف القرآن**، ص ١-١٢٧(في كتاب **السيف الصقيل**، رقم ١٤ من هذه اللاّئحة).

٢٠٤) شاهين، د.مصطفى، **ألنصرانيّ**، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب؛ دراسة وتحليل ومناقشة؛ دار الاعتصام ألقاهرة، ١٩٩٢؛ (١٧×٢٤)؛ ٣١٨ ص.

٢٠٥) ألشرفي، عبد المجيد، **ألفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر**، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – تونس، السلسلة السادسة، المجلّد ٢٩؛ الدّار التونسيّة للنشر، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر ١٩٨٦؛ (١٧×٢٤)؛ ٥٨٢.

٢٠٦) شلبي، د. أحمد، **مقارنة الأديان** (المسيحيّة)، مكتبة النهضة المصِريّة، القاهرة، ط ٤؛ ١٩٧٣.

٢٠٧) شلبي، د. أحمد، **مقارنة الأديان** (اليهوديّة)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط ٥؛ ١٩٧٨.

٢٠٨) شلبي، د.رؤوف، **أضواء على المسيحيّة**، ألمكتبة العصريّة، صيدا، ١٩٧٥.

٢٠٩) صبري، ألهمام الفاضل والألمعي الكامل عزّتلو أيوب بك، **كتاب بهجة التفريح بحقيقة السيّد المسيح**، ص ١٢٧-٣٢٤(في كتاب السيف الصقيل، رقم ١٣).

٢١٠) الطهطاوي ،محمّد عزّت، **محمّد نبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن**؛ ١٩٧٢.

٢١١) الطهطاوي، **ألنصرانيّـة والإسلام**، دار الأنصار القاهرة، ط ٢؛ ١٤٠٠ هـ

٢١٢) ألعاملي، ألشـيخ محـمّد علي برّو، **ألكتاب المقـدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة للطباعة، بيروت، ١٩٩٣، (١٧×٢٤)، ٤٥٨ص.

٢١٣) عـبد العـزيز، منضور حـسين، **دعوة الحقّ**، أو **الحقـيقـة بين المسيـحيّـة والإسلام**، مكتبـة علاء الدين، الإسكندريّة، ١٩٧٢ (١٧×٢٤)، ٦٣٢ ص.

٢١٤) عبـد الوهّاب،ألمهندس أحـمد، **ألمسـيح في مـصادر العـقـائد المسيحيّة**، مكتبة وهبة؛ مصر؛ ١٣٩٨ هـ.

٢١٥) عبـدو، ألإمام الشـيخ محـمّد، **ألإسلام والنّصـرانيّة مع العلم والمدنيّة**، دار الحداثة بيروت، ١٩٨٨؛ (١١×١٦,٥)؛ ٢٤٠ ص.

٢١٦) عزيز، ألفات، **محمّـد والمسيح**، دراسة مـقارنة؛ ترجمـة بسام مرتضى، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٦، (١٤×٢١,٥)؛ ١٦٤ ص.

٢١٧) ألعقّاد، عبـاس محمود، **حقائق الإسلام وأباطـيل خُصومه**، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٢؛ (١٧×٢٤)؛ ٢٧٦ صفحة.

٢١٨) ألعلمي، عبـدالله، (الغزّي الدمـشقي)، -إستـاذ تفسيـر القرآن والتهذيب الديني الإسلامي في الجامع الأموي بدمشق-، **كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النّصـرانيّة بين شيخ وقسّيس**؛ قام بتحـضيره وبالإشراف على طبـاعته ابن المؤلّف د. عـبد الحليم العلمي،١٩٧٠ (١٧×٢٤)،٤٠٠ص

٢١٩) الفضل، نـبيل، **هل بشّر المسـيح بمحّمد؟** رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠؛ (١٣,٥×٢١,٥)؛ ٢٠٢ صفحة.

٢٢٠) مجهول، **كتاب الهداية**، وهو ردّ على الكتاب المسمّى **إظهار الحقّ** وعلى الكتاب المسمّى **السّيف الحميدي الصقيل**، (١٧×٢٤)، الجزء الأوّل، مطبعة الأميريكان بمصر، ١٨٩٨؛ ٣٢٠ص.

٢٢١) محمود، د.عبد الحليم، **أوروبا والإسلام**، مطابع الأهرام، ١٩٧٣.

٢٢٢) مرجان، محمّد مجدي (قسيس أسلم)؛ **اَللّٰه واحد أم ثالوث**، دار النهضة العربيّة، القاهرة. لا تاريخ.

٢٢٣) ناصف، عصام الدين حَفني، **ألمسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩؛ (١٤×٢٠)، ١٦٠ صفحة.

٢٢٤) هاشم، شريف محمّد، **ألإسلام والمسيحيّة في الميزان**؛ مؤسّسة الوفاء؛ بيروت؛ ١٩٨٨؛ قياس (١٧×٢٤)؛ ٧١٢ ص. ألكتاب في قسمين: الأوّل في الردّ على كتاب «قسّ ونبيّ» لأبي موسى الحريري؛ والثاني في الردّ على المسيحيّة.

٢٢٥) الهلالي، د.تقي الدين، **البراهين الإنجيليّة على أنّ عيسى داخل في العبوديّة**؛ مطابع دار الثقافة، مكّة المكرّمة، سنة ١٣٩٣ هـ.

٢٢٦) الهندي رحمة اللّه بن خليل الرحمن، **إظهار الحقّ**؛ دار الجيل، بيروت ١٩٨٨، (١٧×٢٤)، جزءان: ٣٥٨ و٢٤٢ ص. وهو مناظرة جرت بين المؤلف والقسيس فندر صاحب كتاب " ميزان الحقّ" في أكبرأباد. دوّنت بلسان أردو، ثمّ ترجمها إلى العربيّة الشيخ رفاعي الخولي. يدور الكتاب حول ستة أبواب: ١. في بيان كتب العهد العتيق والجديد؛ ٢. في إثبات التحريف والتبديل؛ ٣. في إثبات النسخ؛ ٤. في إبطال التثليث؛ ٥. في إثبات كون القرآن كلام اللّه ومعجزاً؛ ٦. في إثبات نبوّة محمّد

٢٢٧) هوفمان، د. مراد، سفير ألمانيا بالرباط، **الإسلام كبديل،** ترجمة د.غريب محمّد غريب؛ مجلّة النّور الكويتيّة، مؤسسة بافاريا للنشر، سلسلة نافذة على الغرب ١؛ (١٧×٢٤)؛ ٢٥٤ صفحة.

الفصل الثاني

أسلوب الردّ

لم يكن أسلوب الردّ، في معظم الأحيان، أسلوباً لائقاً مقبولاً. ولا ندري لماذا كان معظم المسلمين، في ردودهم على المسيحيّة والمسيحيّين، عنيفين قساة حتّى الفظاظة.. علماً بأنّ معظم الردود لم تكن ردّاً على هجوم من الطرف المسيحي، كما لم يكن لها مناسبات تستدعي ذلك.

والمسلمون، بقساوتهم هذه، ينفّذون، على ما يبدو، ما جاء في تفاسير **القرآن الكريم** لآية التوبة، وهو أن يُعطي المسيحيّون "الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون"[1]، أي، بحسب **الطبرسي**، منقادون، مقهورون، مُهانون، مذمومون، حقيرون، أذلاّء... « يُجَرّون إلى الموضع الذي يُقبض منهم فيه بالعنف حتّى يؤدّوها »[2]؛ يدفعون ما عليهم مباشرةً، يداً بيد، بدون وكلاء، علامة الذلّ والقهر.

وهذا إنعام من المسلمين على النصارى، كما يقول **القرطبي**: « "عن يدٍ"، أي: عن إنعامٍ منكم عليهم، لأنّهم إذا أُخِذتْ منهم الجزية

---

(١) سورة التوبة ٩/ ٢٩.

(٢) تفسير الطبرسي على التوبة ٩/ ٢٩؛ ج ٥؛ ص ٣٧-٣٨.

فقد أُنعم عليهم بذلك»[٣]. وبعد أن يدفع النصراني الجزيةَ صاغراً، «تُوطأ عنقُه، ويُصفع قفاه، ويُؤخذ بلحيته، ويُضرب في لِهزِمَتَيه، ويقال له: "أدِّ حقَّ اللّهِ يا عدوَّ اللّهِ"[٤].

وعلى سؤال: «هل يكفي في حقن الدم دفع الجزية أم لا؟»، يجيب **فخر الدين الرازي**: «إنّه لا بدّ معه من إلحاق الذلّ والصغار للكفر. والسبب فيه أنّ طبعَ العاقل ينفر عن تحمّل الذلّ والصغار. فإذا أُمهِل الكافرُ مدّةً وهو يشاهد عزّ الإسلام ويَسمع دلائل صحّته ويشاهد الذلّ والصغار في الكفر، فالظاهر أنّه يحمله ذلك على الانتقال إلى الإسلام. فهذا هو المقصود من شرع الجزية»[٥].

و« ليس المقصود من أخذ الجزية، كما يردّد الرازي، تقريره على الكفر؛ بل المقصود منها حقن دمه وإمهاله مدّة، رجاءَ أنّه ربّما وقف في هذه المدّة على محاسن الإسلام وقوّة دلائله، فينتقل من الكفر إلى الإيمان»[٦]. فالجزية إذاً مرحليّة، ولمدّة، يعقبها الإيمان بالإسلام، أو النفي، أو القتال.

وثمّة ذلّ آخر، عبّر عنه **الطباطبائي** بقوله: «المراد بصغارهم خضوعهم للسنّة الإسلاميّة والحكومة الدينيّة العادلة في المجتمع الإسلامي. فلا يكافِؤوا المسلمين، ولا يبارزوهم بشخصيّة حرّة في

---

(٣) تفسير القرطبي على سورة التوبة ٩/ ٢٩؛ ج ٨؛ ص ٧٤.

(٤) أنظر ما جاء في تفاسير ابن الخازن، والطبري، والرازي، والقرطبي، والطبرسي، وابن كثير، والطباطبائي، وسيد قطب، وغيرهم... **اللَّهْزَمَة**، جمع لهازم: عَظْمٌ ناتئٌ في اللّحى تحت الأذن، وهما لِهزِمَتان.

(٥) تفسير الرازي، مجلّد ٨، جزء ١٦؛ ص ٣٤.

(٦) تفسير الرازي على سورة التوبة ٩/ ٢٩.

بثّ ما تهواه أنفسهم وإشاعة ما اختلقته هوساتهم من العقائد والأعمال المفسدة للمجتمع الإنساني مع ما في إعطاء الحال بأيديهم من الهوان»[٧].

والمعنى بالإجمال: «قاتلوهم ودوموا على قتالهم حتى يصغروا عندكم ويخضعوا لحكومتكم، ويعطوا في ذلك عطيّة ماليّة مضروبة عليهم بمثل صغارهم، ويصرف في حفظ ذمّتهم وحقن دمائهم وحاجة إدارة أمورهم»[٨].

ما جاء في القرآن والتفاسير يدعمه ما جاء في **الأحاديث** النبويّة. ينقل إبن كثير ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هُريرة أنّ النّبيّ قال: "لا تَبْدَؤا اليَهُودَ والنّصَارى بالسلام. إذا لَقِيتم أحدَهم في طريقٍ فاضْطَرُّوهم إلى أضْيَقِه"[٩]. ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم»[١٠].

وتشبّهاً بالقرآن الكريم، في موقفه من النّصارى، يعمد مسلمون إلى إهانة النصارى، في أسلوبهم، للذلّ والتحقير.

***

فـ **ابن حزم الأندلسي** (+١٠٦٤م)، مثلاً، كان جريئاً جداً في إسلوبه. فهو يعلّق على إيمان النصارى بالتثليث، فيقول: «هذا القول

---

(٧) ألطباطبائي تفسيره للتوبة ٩/ ٢٩؛ ج٢؛ ص ٢٥٠.
(٨) ألمرجع السابق نفسه.
(٩) صحيح مسلم ٧/ ٥؛ عن تفسير ابن كثير، ج ٢؛ ص ٣٩٠.
(١٠) تفسير إبن كثير، ج ٢؛ ص ٣٩٠. وفيه نصّ الشروط العمريّة المعروفة.

هؤلاء النّصــارى، «أكثــرهم جــهّال بمنزلــة الدواب السائمــة» (٢٢). إنّهم «أمّــة الضـــلال وعــبّــاد الصليب والصـــور المزوّقــة في الحيطان، وإخوان الخــنازير، وشاتمو خالقهم ورازقهــم أقبح شتم... فــلا إلهَ إلاّ اللّه الّذي أبرز للوجــود مــثل هذه الأمّــة التي هي أضلّ من الحمير ومن جميع الأنعام السائمة» (١١٥).

ويردّد الإمام العــلاّمة قوله عن النّصارى بأنّهم «أمّــة الضلال وعــبّــاد الصليب والصــور المدهــونة في الحــيطان والســقــوف... ألا يستحي (الــنّصراني) الّذي يعتقد أنّ ربّاً الــسموات والأرض نزل عن كرسي عظمــته وعرشــه، ودخل في فرجِ امرأةٍ تأكل وتشــرب وتبول وتتغوّط وتحيض، فالتحم ببطنها!» (١٣٩؛ أنظر أيضاً: ١٤٧-١٤٨).

***

أمّا عبداللّه **الترجمــان الميورَقي** (+١٨٢٤)[١٤] فقد كان هدفه، كما قــال: أن «أبيّن فيه باطلَ نواميــسهم، وإصْمات نواقيــسهم، وما أسّــسوه من القــول بالتــثليث، والأخــذ بذلك المذهب الخــبيث. وأذكــر أناجيلهم ومن ألّفها، وشرائعهم، ومَن صنّفها، وفساد عقولهم، وإبطال كفرهم في منقولهم، وافتــرائهم على عيسى المسيح، وكذبَهم على اللّه في أمره بالتصريح. وأذكــر مقال القسّيسين واعتقــادهم، واحتيالهم، وفــسادهم، وتركــهم للإنجيل المنــزّل على عيــسى عليه الســلام (ص ٥٧)... أبعدهم اللّهُ تعالى وأخزاهم...

---

(١٤)**تحفة الأريب في الردّ على أهل الصلب**، دراسة وتحقيق وتعلــيق عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت ١٩٨٨.

وعن عقيدة التثليث يقول الترجمان: «ولا يشكّ ذو عقل سليم أنّ كلّ مَن آتاه مسكة من العقل يجب عليه أن يرغبَ بنفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل الفاسد الذي تتنزّه عنه عقول الصبيان ويضحك منه ذوو الأفهام والأذهان. فالحمد للّه الذي أخرجني من زمرتهم وعافاني من بليّتهم» (ص ١٤١).

***

أمّا سماحة الإمام الأكبر **محمّد الحسين آل كاشف الغطاء**، العالِم الشيعيّ[١٥] فيتميّز بأسلوبِه في ردّه على النّصارى. وهو لا يردّ على كاتب مسيحيّ معيّن، ولا على كتاب يطعن في الإسلام. بل يتناول شخصَ المسيح، والأناجيل عامّة.

هذه الأناجيل، بنظره، «هي أساطير، تصوّر لك المسيحَ رجلاً، دجّالاً، محتالاً، خائناً، جبّاراً، عاقّاً، قاطعاً، مفرِّقاً، سكّيراً، شرّيبَ خمر. يغازل الغلامَ في حضنه؛ ويتّكئ والفتاةُ تمسح بشعرها رجلَيه، ويحابي الزانية في درء حدود الناموس عنها» (ص ٢٦).

ثمّ يقول: «إنّنا معاشر المسلمين، لا نعترف بالمسيح الّذي تعبده النّصارى اليوم. وندلّ بالحجج القاطعة: إنّه رجلٌ كاذبٌ دجّالٌ. خمّيرٌ سكّيرٌ. جبّارٌ شقيٌّ. خوّارٌ جبانٌ. إلى آخر ما نصّت عليه أناجيلهم من وصفهم. والعجب كلّه: كيف غفل علماء المسلمين منذ ثلاثة عشر قرناً عن هذه الحقيقة الرّاهنة» (ص ٢٨). ألمسيح «ابن زنا وولد سفاح» (ص٣٩). «يسوع تلك الأناجيل، الذي يعبده النّصارى، هو مجموعة

(١٥) **ألتوضيح في بيان حال الإنجيل**، دار الغدير، توزيع التوجيه الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، ١١٢ صفحة.

خطايا وآثام، تجعله أحوج ما يكون إلى مخلّص وشفيع» (ص٥٥).

ويفصّل الإمام ويشرح في فصول مستقلّة من كتابه شخصيّةَ المسيح الذي يعبده النّصارى. ويضفي عليه أوصافاً قد لا تخطر ببال.

جاء في عناوين سماحته ما يلي :

١. يسوع الأناجيل كاذب مفتري (٥٦-٥٧)؛

٢. يسوع الأناجيل كاذب مغيّر للناموس ومبدّل لأحكام اللّه (٥٧-٥٩)؛

٣. مسيح الأناجيل كاذب محتال مخادع (٥٩-٦٠)؛

٤. مسيح الأناجيل معطّل لحدود الناموس ومبطل لها من غير سبب ولا علّة (٦٠-٦١)؛

٥. مسيح الأناجيل قاطع الرّحم، عاقّ لأمّه وإخوته، مفرِّق ين الأقارب (٦١-٦٢)؛

٦. مسيح الأناجيل مخبط ومخلط، متناقض الأفعال والأقوال (٦٣)؛

٧. مسيح الأناجيل ملعون (٦٣)؛

٨. نعم يسوع الأناجيل كان يرتكب الجرائم يقترف المآثم، فكان يأخذ أموالَ النّاس ظلماً (٦٤-٦٥)؛

٩. مسيح الأناجيل جبّار متكبّر مسرف مبذر (٦٦-٧٦)؛

١٠. مسيح الأناجيل لا قداسة فيه، ولا كرامة ولا أمانة (٦٧-٦٨)؛

١١. مسيح الأناجيل يغازل النسوان ويُجلس في حضنه الغلمان (٦٨)؛

١٢. يسوع الأناجيل يستعمل الظلم والعدوان، فيُدخل الشيطانَ

في الإنســـان، وفي الحـيـوان، بل يُدخـل الظلمَ والبـوار حـــتّى على الأشجار (٦٨-٧١).

وبالنتـيـجة، « إنّ يـسـوع، كـان مـجمـوعـة خطايا وجـرائم، وجـرثومة فـساد ومـآثم... فحـقّـاً إنّه هو بذاته أحوج مـا يكون إلى مـخلّص يخلّصـه وشفـيع يشـفع له. وظنّي أنّه لا ينال الخـلاص من القصـاص إلاّ بالتمسّك بطهـارة أذيال حبيب اللّه مـحَمّد وأهل بيـته » (٧١-٧٢).

أمّا المسيـحيّون فليســوا بأقلّ شراً من مسيـحهم. إنّهم يمثّلون «دعاة الـسوء، ومبـشّري الشـؤم، المنتشـرين في الآفاق... يحـملون بضاعة الصلف والقحة وعـدم الحياء. داعين إلى دين الخمر والخنزير وترويج سلعة المكر والتزوير» (١١٠). يتـعرّضون «لبسطاء المسلمين بالإغواء والإضلال والتمويه والتعميـة. وإنّهم يعيثون الفسـاد... حتّى بلغت بهم القحة والصلف والجـرأة والاستهوان أنّهم دخلوا في بلدان الإسلام... عـلى حين أن ليس عند أولئك السود الغـرابيب من بضــاعة سوى الأكاذيب والأعاجيب والقحة والصلف والخداع والمكاشرة... إنّ أولئك السفـالة مستأجـرون على تلك الأعمال... تلك الشرذمـة الرعام بمقامٍ من رداءة الجوهر وخباثـة العنصر بحيث كأنّ اللّهَ لم يخلق في طباعهم ذرّة من الحياء والإنصاف... أناجيلهم... لا يليق أن تصدر من الصـبيـة والمجـانين... أولئك الرعـانفة... الذئاب الـعادية، وشـرورها السارية...» (ص٣٤-٣٨).

***

وابن الخطيب يقول في ردّه[١٦] على كاهن كنيسة قبطيّة، هذا الذي حاول كتابةَ كتابٍ في حقّ الإسلام، كيف تحدّثه نفسُه أن «يعتدي على مقدّسات قوم يعيش في كنفهم... كيف تسوّل له نفسه الآثمة... وكيف يرتضي لنفسه مركبَ الهوان بعد أن أعزّه الدين الذي يطعنه!..»؛ إنّه «منطق المحارب الموتور الأعمى» (ص ٦-٧).

حظّ كتابِ هذا الكاهن «أن يُلقى في سلّة المهملات...، ولكن، يقول ابن الخطيب، شرعتُ في الردّ عليه لأردَّ كيدَه في نحره، وأسقيه، محقاً، بالكأس التي أراد أن يسقيناه، مبطلاً» (٨). هذا الكاهن، «كم في نفسه من البغض والحقد والسمّ الدفين!.. والنفاق والرياء والكذب والطعن طعناً مريراً حقيراً، بلفظٍ مزخرف يقطر سمّاً، وقولٍ معسول يسيل علقماً!!! وكم فيه من بهتانٍ تشتعل القلوب غيظاً وكمداً!» (٩).

«لقد طعن هذا الأفّاكُ بخير دينٍ، وقذف خيرَ نبيٍّ وعاب خيرَ كتابٍ. فلا يجوز أن يلومني إنسان على سبق لسان، أو على شدّة في قولي. فإنّ مثله -وقد فعل ما فعل- لا يخاطب إلاّ بمثل ذلك» (١٠). أقواله خبيثة (٢٨)؛ نفسه خسيسة، وكرامته منحطّة (٣٣). إنّه الرجل الأوكس[١٧] (٤٠). «أجزاه اللّه تعالى وزاده جهلاً، ولو انّ جهله لا يقبل المزيد» (٥٩). «فيا أيّها الكاهن! إسمح لي أن أقول: إنّ منطقك أعرج، وفهمك أعوج! ومهما قلت فإنّ قولكَ مشوبٌ بالحقد، ورأيك مليء بالجهل» (٧٥). «انطلق بقذارة علمه -لا بغزارته- يلوّث كلّ ما يلمسه من مقدّسات... ويا ليته تكلّم عالِماً!.. أمّا وقد تكلّم جاهلاً،

(١٦) **هذا هو الحقّ! ردّ على مفتريات كاهن كنيسة**، المطبعة المصريّة ومكتبتها، القاهرة، ١٩٦٦؛ ٩٦ صفحة.

(١٧) يشرحها الاستاذ في الحاشية: الخسيس.

متكبّراً، معتوهاً، فليس لدينا سوى التقويم باللّسان، فإن لم يقوّمْه المنطق، فليقوّمه السجن الذي أُعدّ لأمثاله» (٥٤-٥٥).

***

أسلوب **الشيخ محمّد أبي زهره** أكثر أصحاب الردود رصانة[١٨]. ومع ذلك، لا يخلو من بعض التهجّم والعنف. فحكمه على الأناجيل، مثلاً، لا يمكن أن يصدر عن رجلٍ حوار. يقول: «وإذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة، يلحق الكذبُ كلَّها، في جملتها وأجزائها، عند مناقشتها، فهي إذن ليست بإلهام. ويكفي هذا بطلاناً لدعواهم في الإلهام» (ص٨٩).

ويتّهم النّصارى بالجنون، وبأنّهم لا عقل لهم ولا حجّة ولا برهان. ومع هذا، يجتهدون في إقناع الصبية بمنطقهم اللاّعقلي. يقول: ألنّصارى، مع عقائدهم، «نجدُهم يجتهدون في تصويرها، ويشعرون بعظم المشقّة في ذلك، حتّى إذا يئسوا قالوا: إنّها فوق العقل، وإنّ العقل لا يستطيع تصويراً كاملاً، وإنّها ستنجلي يومَ القيامة... وهم يلقّنون الصبيةَ بأن يجتهدوا في تصوّرها وتصديقها، لا في البرهنة لها وإثباتها...» (١٢٠).

***

(١٨) **محاضرات في النّصرانيّة**، تبحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النّصارى، وفي كتبهم، وفي مجامعهم المقدّسة وفرقهم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٣.

أمّا **أحمد زكي**، الذي استفضنا في إظهار أسلوبه ومنهجه في كتاب «**نزعنا القناع**»[١٩] فيفيض كتابُه بالألفاظ والتعابير غير المستساغة . وبعض العيّنات منها يكفي. لنتذكّر هنا ما قال. ففي كلّ صفحة تقريباً، من كتابه[٢٠]، يتّهم المسيحيّين بـ «التزييف، والتدليس، والتحريف، والتخريف، والخبص، والتزوير، والمسخ، والتضليل، والتحالف مع الشيطان، والكذب المكشوف، والأضاليل، والخرق والتخريق، والغشّ والبهلوانيّات، والهراء، والفضائح، والحيلة العرجاء، والنبوءات الكاذبة، والفبركة المضحكة.. والأناجيل أنّها خبيصة، مشحونة بالكذب والدسائس، والكلام الهذر».

ويتكلّم على «القساوسة الجهلة، السذّج، السطحيّين، المضلّلين المضلّين، آل السكر والعربدة، أصحاب العشيقات والخليلات». وصاحب معجزة عرس قانا الجليل ليس المسيح، بل « قسّيسٌ وثنيٌّ سكّيرٌ مولعٌ بالخمر المعتّق والولائم... قسّيس مترنّح... سكّير تفوح رائحةُ الخمر من فمه ويهذي» (ص ٢٧٢).

ويعلّق على قول المسيح (متى ١١/١٦-١٩): " جاء ابنُ الإنسان يأكلُ ويشربُ " ، بأنّ الإنجيليّين يصفون إلههم « بأنّه خرّيجُ حانات، وأحلاس شهوات. وينسبون له في إنجيل يوحنا تحويلَ الماء إلى خمر، ليزيدَ السكارى سكراً وعربدة. ويكون لهم عوناً على ذهاب عقولهم. ويزيد أمّه طيشاً وخفّةً ورعونةً.. كما نسبوا إليه قبولَ عاهرة بين أتباعه...

---

(١٩) رقم ١٢ من سلسلة "الحقيقة الصعبة".

(٢٠) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ٩٠٨ ص.

من أجل هـذا، نحن ننزّه المسـيـحَ... عن مـثل هذه الألفـاظ السوقيّة... وما هي إلاّ ألفاظُ قسّيسٍ وثنيٍّ، سكّيرٍ، أكّولٍ، عربيدٍ، غارقٍ في براميل النبيذ المعتّق في أقبيـة الكنيسة، يحبُّ الشربَ حتى الثمالة، كما يحـبُّ الطبلَ والزمرَ والرقصَ عندما يكون مخـتلياً مع عشيـقةٍ له في خفيةٍ عن أعين الطائفة..» (٤٩٨-٤٩٩).

وعلى قول المسيح في الذين خَصُـوا أنفسَهم لأجلِ الملكوت في متى(١٩/ ١٢)، يعلّق السيّد زكي: «فلسـفة الخصي هذه... لا شكّ أنّها من دسٍّ قسّـيسٍ لغرضٍ في نفـسه... هو هراء.. الذي حـدث أنّ رجالَ الكنيسـة، الذين يزعمـون أنّهم بلغوا الغايةَ فـي الطهارة الروحيّـة، قد انغـمسـوا في الشهـوات، وارتكبوا الموبقـات... ألأديرة تحتـوي على فساد عميق. وهيهات أن يـوجد بها مَن يصلح للبقاء. إذ أنّها تضمّ بين جدرانها أفّاكين، أولى بهـم غيابات السجون... وقساوسـة قلائل غير معتادين على نجاسة متكاثرة مع النساء، وأنّ أديرة الراهبات متدنّسة مـثل البيـوت المخصّـصة للدعـارة... وأنّ حيـاة الطهر في الصـوامع والأديرة كانت قصيرةً جدّاً، فسرعـانَ ما تطرّقَ إليها الفسادُ، وشملَها الفسوق» (٦٢٩-٦٣٠، ٦٣٢).

وفي مكان آخـر يقول السـيّـد زكي: «لو سألتَ أيَّ راهبـةٍ لماذا ترهبنتْ؟ لأجابتْكَ: حـتّى أكون عروساً للمسـيح. والعروس، لا بدّ من أن تنام مع عريسـها بالروح والجسد» (ص ٦٩٢).

وعلى كـيف يُضـمَّخُ يسـوعُ بالطيب في مـتى (٢٦/٦-١٣)، يعلّق السـيّد زكي: «لقـد ادّعى لنا كتـبةُ الأناجـيل، سابقاً، أنّ المـسيحَ أكّـولٌ، نَهِمٌ، وشـرّيبُ خـمـر؛ والآن جاؤوا لـيصـوّروه لنا مـعـاقـراً للخاطئات، يمســحنَ رأسَه بالطيب، ويُدغدِغْنَ رجلَيه بشعـورِهنّ. فمذ

دخلتْ هذه الخاطئـة وهي لم تزل تُبلّلُ قدمَيه بدموعـِها، ولم تكفّ عن تقبـيلِهمـا، وكانت تمسـحُهـما بشـعرِ رأسـهـا، وهي في الأصل بغيٌّ خاطئ. فـهل نسـيَ عيـسى أقوالَ سليـمان (الحكيم) بأنّ مَن لمسـها لا يتبرّأ! وهل نسي أنّه لا يمكن أن يُخفي رَجلٌ في حجْرِه ناراً ولا تحترق ثيـابُه، أو يمشي على جمـرِ النار ولا تحتـرق رجلاه!.. وكـيفَ تُغفـرُ خطاياها وذنوبُـهـا على هذا الفـعل؟ هل هذا يليقُ بـعـيـسى نبيِّ اللّه ورسولِه الذي يزعمـون أنّه إله!! بل هل يليق هذا، اليومَ، بأحدِ باباوات أو مطارنة النصـارى، إذا كان ضيـفاً في بيتِ أحَـدِ معـارفِه، أن يأذنَ لِقَحْبَـةٍ أنْ تغسلَ رجلَيه بدموعـها، بمحضرٍ من الناس، علمـاً بأنّها لم تنبس ببنت شَـفَـة!! هل نسي المسـيحُ كلَّ ذلك لـيجـعل شـعـرَ المرأة الأجنبيّة يلامسُ جسدَه!؟

ثم، باللّه،... ماذا تفهم عـزيزي القارئ من القول الذي ورد في يوحنّا (١٣/ ٢٣): "وكان مـتّكئاً في حضن يسوع واحـدٌ من تلاميذه كان يسوعُ يحبّه.. فـأتكأ ذلك على صدر يسوع" .. ألأمر الذي جعلني أقول: كـفى لكتبة هذه الأناجـيل... ولكنّ كتبـةَ الأناجيل... يريدون أن يغمزوا بأنّ أختَ (لعازر) كانت عاهـرةً، وأنّ المسيحَ كان يحبُّها... إنّنا لا نرى إلاّ دَساً فـاضحاً من قِبلِ القـساوسة الشـاؤوليّين الكنسيّين... ليكون هذا الدسُّ توطئـة لهم في المسـتقـبل، ليسـتقـبلوا بدورهم من النساء، عـاهرات كنّ، أو عذارى، أو مطلّقـات، وليمسـحوهم بالعطور الغاليـة الثمن، ويمسحـوا رؤوسَهم وأرجلَهم بشـعورهنّ... ونحن لا نرى في هذه الرواية إلاّ تشجـيعا للخـاطئات المعتـرفات بذنوبهنّ إلى ذئاب القساوسة في خلوات الكنائس...» (ص٧٤٩-٧٥٠).

***

وأخيراً : إنْ سأل سائل : لماذا يتّخذ المسلمون عامّةً، وبنوعٍ خاصّ، المسلمون المعاصرون، مثلَ هذا الأسلوب العنيف في الردّ على النّصارى؟! يجيبه **شريف محمّد هاشم**، بما ردّ على أبي موسى الحريري، فقال: إنّ الحريري «يحاول أن يوقد نارَ فتنة كبرى، وعلينا أن نكون إطفائيّين، لكي نخمد نارَه في مهدها، قبل أن تأتي على الأخضر واليابس» (ص ١٧).

***

وكذلك أفتى **النّجاد** بملاحقة الحريري، ودعا المجتمعَ الإسلامي إلى أن «يباشر فوراً بحملةِ تلقيحٍ عامّة يحمي بها نفسه وكيانه».

***

يبدو أنّ عنفَ الأسلوب يأتي من شدّة الغيرة على الإسلام. ولا نعجب من ذلك لأنّ العقيدةَ الدينيّة ألصق ما تكون بالشخصيّة الإنسانيّة. وتناولُها من قِبل الخصم، بشيءٍ من الاستهتار أو التساؤل أو البحث والتحليل، يُقيم الأرضَ ويقعدها عند المؤمنين بها، إذ يرون عقيدتَهم، وبالتالي شخصيّتَهم، عرضةً للاتّهام. فمن الطبيعي إذاً أن ينتفض المسلمُون كلَّ مرّةٍ يرون عقيدتَهم بين أيدي باحثين غير مؤمنين بها.

الفصل الثالث

تحريف الإنجيل

في رأي المسلمين، إنّ لعيسى إنجيلاً واحدًا، نزل عليه من السماء، هو الإنجيل الحقيقي. أخفاه المسيحيون، لغايةٍ في نفس يعقوب. واستعاضوا عنه بأناجيل أخرى كثيرة. كتب بعضَها بعضُ رسل المسيح الذين عاشوا معه، وبعضَها كتبه الذين عاشوا مع رسله، وبعضها كتبه رجالات الكنيسة في عصور لاحقة.

هذه الأناجيل، بنظر المسلمين، غيرُ موحاة، بل محرّفة، ولا تمتّ إلى عيسى بصلة، ولا تصحّ أن تكون مرجعًا لدين. وعلى المسيحية أن تتبرّأ منها، إن هي أرادت الإنتساب إلى عيسى. وتتحمّل الكنيسةُ، بدءاً من القديس بولس، ومجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥)، مسؤوليّة التحريف والتزوير هذه.

وقد يكون إنجيل برنابا المكتشَف حديثاً، في رأي بعض المسلمين، أقرب الأناجيل إلى إنجيل عيسى المنزل عليه من عند اللّه.

***

أشار **القرآن الكريم** بوضوح إلى أنّ اللّه أنزل على عيسى إنجيلاً. قال: "وَآتَينَاهُ الإنْجِيلَ فيه هُدىً ونور"[١]. وقال: "وَقَفّينَا بعيسَى ابنِ مريمَ وآتَيْنَاهُ الإنْجيلَ"[٢].

ولكنّ هذا الإنجيل، في رأي المسلمين، حرّفه النّصارى وبدّلوا فيه، شأنه شأن التوراة التي هي الأخرى حرّفها اليهود وبدّلوها. قال: "مِنَ الّذينَ هادوا يُحرِّفونَ الكَلِمَ عن مَوَاضِعِه ويقولونَ ... وراعِنا لَيّاً بألسِنَتِهِمْ وطَعْناً في الدِّين"[٣]، أي تحريفاً في الإنجيل وقدحاً في الإسلام. هذا **اللَّيّ** بالألسنة نصّت عليه آية أخرى تقول: "وإنّ منهم لَفريقاً **يَلْوُونَ ألسِنَتَهم** بالكتاب لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكتَابِ ومَا هُوَ مِنَ الكتَاب"[٤].

أمّا **التبديل** فذُكر في آيتَين: "فبَدَّلَ الذينَ ظَلَموا قولاً غيرَ الذي قيلَ لهم"[٥].

وكذلك يشير القرآن إلى **كتمان** أهل الكتاب الحقّ ولبسهم إيّاه بالباطل: "ولا تَلْبِسُوا الحقّ بالباطل **وتكتُموا** الحقّ وأنتم تعلمون"[٦]، "ومَن أظلمُ ممَّن **كَتَمَ** شهادةً عندَه من اللّه"[٧]، "وإنّ فريقاً منهم

---

(١) سورة المائدة ٥/٤٦.

(٢) سورة الحديد ٥٧/٢٧.

(٣) سورة النساء ٤/٤٦. ثمّة ثلاث آيات تقرّر أن اليهود حرّفوا كلام اللّه، أو الكلم عن مواضعه، أو من بعض مواضعه، ولكن بدون تحديد: (سورة البقرة ٢/٧٥؛ سورة المائدة ٥/١٣ و٤١).

(٤) آل عمران ٣/٧٨.

(٥) البقرة ٢/٥٩؛ الأعراف ٧/١٦٢.

(٦) البقرة ٢/٤٢.

(٧) البقرة ٢/١٤٠.

لَيَكتُمونَ الحقّ وهم يَعلمون "[٨]، "إنّ الّذينَ **يكتُمون** ما أنزَلْنا من البيِّنات والهُدَى من بَعْدِ ما بيَّنَّاهُ للناسِ في الكتابِ أولئكَ يَلعَنُهم اللّهُ.. "[٩].

ويشير القرآن أيضاً إلى **النسيان** الذي نُسب إلى النصارى: " ومِنَ الذينَ قالوا إنّا نصارَى أخَذْنا ميثاقَهم **فَنَسُوا** حظّاً ممّا ذُكِّروا به "[١٠].

«وتندرج في نفس السياق الآيات التي يؤاخَذ فيها أهل الكتاب على **الكذب على اللّه**[١١]، **والاختلاف في الكتاب**[١٢]، **وإخفاء ما فيه**[١٣]، ممّا يتعلّق، حسب المرجّح، بالتبشير بمحمّد»[١٤].

***

ولكن، والحقّ يُقال : ليس من آيةٍ صريحةٍ في القرآن تتّهم النّصارى بالتحريف، كما هو حال اليهود. إلاّ أنّ المفسّرين، على حسب عادتهم، يلصقون بالنصارى كلّ ما يعود إلى اليهود. والسبب معروف.

---

(٨) البقرة ٢/ ١٤٦.
(٩) البقرة ٢/ ١٥٩؛ وانظر كذلك البقرة ٢/ ١٧٤، وآل عمران ٣/ ٧١ و١٨٧.
(١٠) المائدة ٥/ ١٤؛ وانظر كذلك المائدة ٥/ ١٣، والأعراف ٧/ ٥٣ و١٦٥.
(١١) البقرة ٢/ ٧٩؛ آل عمران ٣/ ٧٨؛ النساء ٤/ ١٧١.
(١٢) هود ١١/ ١١٠؛ فصلت ٤١/ ٤٥.
(١٣) المائدة ٥/ ١٥.
(١٤) الشرفي، ص ٤١١-٤١٢. يُراجع فصل في «تحريف التوراة (والإنجيل) في كتاب «**نصارى القرآن ومسيحيّوه**»، لـ أ.ج. قزّي، رقم ١٥ من سلسلة «**الحقيقة الصعبة**»، في جزئَين، سنة ٢٠٠٢.

في ذلك يقول حديثاً **المستشار محمّد سعيد العشماوي** : «ألقرآن لم يذكر شيئاً على الإطلاق عن تحريف الإنجيل (العهد الجديد) بمختلف ما فيه من أناجيل وأعمال ورسائل ورؤى. إنّه لم يتّهم المسيحيّين بأيّ تحريف... إنّ المقصود بالتحريف هو تحريف اليهود في المدينة (أيّام النبيّ) لآيات التوراة تحريفاً معنويًا بتغيير مدلولها، أو بإمالة اللّفظ عن معناه، أي تفسيرها تفسيراً يوافق أهواءهم وأغراضهم، ويخالف التفسير الصحيح المقصود منها»(١٥).

وهو أيضاً رأي **علي بن ربّن الطبري**، قديماً، الذي لا يشير، في ردّه على النّصارى(١٦)، إلى أكثر من ذكر بعض « التناقض والكبائر التي في الإنجيل». فهو، لا يقول، لا هنا ولا في كتاب «الدين والدولة»(١٧)، بأنّ هناك تحريفاً في الأناجيل، كما يقول في ذلك معظم المسلمين. وقد يكون السبب أنّه كان، قبل اعتناقه الإسلام، يؤمن بها ككتب سماويّة.

***

أمّا **الإمام ترجمان الدين الحسني الرّسي** فيقول في تحريف الكتب المقدّسة: «وإنّما أخذت النصارى وقبلت هذه الكتب من اليهود. وليس أحدٌ، من خاصّتهم ولا عامّتهم عند النصارى، بعدلٍ ولا محمود. ولا تُقبل شهادته على يهودي مثله. فكيف تُقبل شهادتهم على اللّه

---

(١٥) **الإسلام والأديان الأخرى، مجلّة الأزمنة**، المجلّد ٣، عدد ١٣، تشرين الثاني– كانون الأوّل، ١٩٨٨، ص١٠–٢٣. وهو أيضاً رأي **بلاشير** في ترجمته للقرآن وتعليقه على سورة النساء ٤ آية ٤٦.

(١٦) علي بن ربّن الطبري (+٨٥٥ م)؛ له : **الردّ على النصارى**.

(١٧) الطبري؛ **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبي محمّد صلى اللّه عليه وسلّم**.

تعالى وعلى رسله؟.. والنصارى تأوّلت تلك الكتب بآرائهم، وعلى قدْر موافقة أهوائها، فضلّتْ في ذلك وما تأوّلت منه بعمى التأويل، وأضلّتْ مَن اتّبعها عليه عن سواء السبيل»[١٨].

***

ويقول **أبو عثمان الجاحظ** عن الإنجيليّين: «هؤلاء الأربعة لا يُؤْمَن عليهم الغلط، ولا النسيان، ولا تعمّد الكذب، ولا التواطؤ على الأمور.. وإنّ اختلاف رواياتهم في الإنجيل، وتضاد معاني كتبهم، واختلافهم في نفس المسيح، مع اختلاف شرائعهم، دليل على صحّة قولنا، وغفلتكم عنهم»[١٩].

***

ويستنتج **عبد الجبّار** بعد طعنه بمصداقيّة الإنجيليّين، فيقول: «لو تأمّل النصارى لعلموا أنّهم ليسوا على شيء من هذه الأناجيل التي معهم، ولا معهم علم ممّا يدّعيه أربابُها والواضعون لها..»[٢٠].

ويقول أيضاً: «واعلمْ -رحمك اللّه- أنّ هذه الطوائف الثلاث من النصارى[٢١] لا تعتقد أنّ اللّه أنزل على المسيح إنجيلاً، ولا كتاباً بوجه من الوجوه... وإنّما معهم أربعة أناجيل لأربعة نفر. كتبَ كلٌّ واحد منهم إنجيلَه في زمانه، وجاء مَن بعدَه فما رضي إنجيلَ غيرِه، وكان

(١٨) الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي (+٨٦٠م)، **الردّ على النّصارى**، ص ١٩. نقلاً عن الشرفي، ص ٤١٧-٤١٨.

(١٩) أبو عثمان عمرو الجاحظ (+٨٦٩ م)، **المختار في الرّدّ على النّصارى**.

(٢٠) القاضي عبد الجبّار الهمذاني (+١٠٢٥م)، **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٥٥.

(٢١) أي الملكانيّة واليعقوبيّة والنسطوريّة.

إنجيلُه أولى. وهم يتّفقون في مواضع ويختلفون في مواضع. وفي بعضها ما ليس في بعض. وهي حكايات قوم، رجال ونساء، من اليهود والرّوم وغيرهم، أنّهم قالوا كذا وفعلوا كذا.

«وفيها من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البيّن شيءٌ كثير... إنجيل منها عمله يوحنّا، وإنجيل منها عمله متّى، ثمّ جاء بعدهما مرقس فما رضي بإنجيلَيهما، ثم جاء بعدهم لوقا فما رضي بتلك الأناجيل، فعمل إنجيلاً آخر. وكان عند كلّ واحدٍ من هؤلاء أنّ صاحبه الذي تقدّم وعمل إنجيلاً أنّه قد ضبط أشياء وأخلّ بأشياء، وغيره أعرف وأضبط. ولو كان مَن قَبْلَه قد ضَبط وأصاب لما احتاج أن يعمل هو إنجيلاً آخر غير إنجيل صاحبه. وليس أحد هذه الأناجيل شرحاً للآخر، كما يشرح من تأخّر كتابَ مَن تقدّم، فيحكي كلامه، ثم يشرحه..»[٢٢].

***

ويقول **إبن حزم الأندلسي** عن مناقضات التوراة وتحريف الأناجيل: «ما في الكتب المذكورة من الكذب ما لا يخفى على أحد، كما لا يخفى ضوء النهار على ذي بصر»[٢٣]. ثم يشير إلى مواضع عديدة من التوراة والأناجيل وما فيها من «الكذب الشنيع، والحمق، والكفر، والفحش..»، و«فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات» (١/ ١٣٧).. وكلّها «من تلاعب زنديق متلاعب بالديانات» (١/ ١٤٠).

---

(٢٢) **تثبيت دلائل النبوّة**،ص ١٥٤-١٥٥؛ رَ:ص ٢٠١؛ والمغني ١٥/ ٣٦١-٣٦٧.

(٢٣) إبن حزم الأندلسي (+١٠٦٤)، **الفِصَل في الملل والأهواء والنِحل**.

أمّا الإنجيليّون فـ «هؤلاء كلّهم كذّابون. قد وضح عليهم الكذب جهاراً.. ومَن رآهم لا يشكّ في أنّهم لا عـقول لهم..» (٢/١). ثمّ ينتقد ابن حزم كلّ مـا جاء في الإناجيل بالتفـصيل، فصلاً فـصلاً وآيةً آية، وبأسلوب فظّ يصف فـيـه الإنجيلـيّين بـ «الأنذال السـخفـاء الكلاب الحمـير، الملاعين، الأقـذار، الخسـيسين.. وإنجـيل يوحنّا، وهو أعظم الأناجيل كفراً، وأشدّها تناقضاً، وأتمّها رعونة» (٢/٦١).

***

والتحريف والتناقض في الإنجيل، بالنسبة إلى **الخزرجي**، أمرٌ مؤكّد.

يقول: «وفي الأنجيل الذي بأيديكم كثير من المتناقضات... وها أنا أسرد عليك من تـناقضها، لـتعلم تغيـيرها وتبديلهـا وعدم الوثوق بشيء منها»[٢٤].

ثمّ يختم بقـوله: «وأقتصـر على هذا من تهافت أناجـيلكم، وما اشتملت عـليه من الزلل والأباطيل. ومَن طالع كتبكم وأناجـيلكم وجد فيـها من العجائب مـا يقضي له بأنّ شرائعكم وأحكامكم ونقـولكم قد تفرّقت تفرّق أيدي سبأ، وأنكم لا تلزمون مذهباً.

«وليس هذا بغـريب فـأناجـيلكـم ما هـي إلاّ حكايات وتواريخ وكلام كهـنة وتلاميذ وغيـرهم. حتّى إنّي أحلف بالذي لا إله إلاّ هو أنّ تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر..

---

(٢٤) الخزرجي، أبو جـعفر أحـمد بن عبد الصـمد بن أبي عَبِـيدة (+١١٨٦). له: **مقامع الصلبان**، أو: "**بين الإسلام والمسيحيّة**".

وتقولون مع ذلك: إنّ الإنجيل كتاب اللّه، أنزله إلينا، وأمر المسيح باتّباعه. فليت شعري! أين هذا الإنجيل المنزل من عند اللّه! وأين كلماته من بين هذه الكلمات!..»[٢٥].

***

أمّا **الإمام شهاب الدين المعروف بالقرافي** فيستفيض في الكلام على تحريف التوراة والأناجيل[٢٦]. يقول: «وأمّا تصديق القرآن لما بين يديه فمعناه: أنّ الكتب المتقدّمة عند نزولها قبل تغييرها وتخبيطها كانت حقّاً موافقة القرآن، والقرآن موافق لها. وليس المراد الكتب الموجودة اليوم. فإنّ لفظ التوراة والإنجيل إنّما ينصرفان إلى المنزلين» (ص ٢٠).

«.. ونحن ننازعهم في ما بأيديهم منزلة، بل هي مبدلة مغيّرة في غاية الوهن والضعف وسقم الحفظ والرواية والسند، بحيث لا يوثق بشيء منها. وبيانه أنّ الأناجيل خمسة، يعرف النصارى منها أربعة مشهورة، والخامس لا يعرفه إلاّ القليل منهم... ألإنجيل الخامس يسمّى إنجيل الصبوة...» (ص٢١).

«وفي هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها لبعض أمر عظيم، حتّى إنّ مَن وقف عليها يشهد بصريح عقله أنّها ليست الإنجيل المنزل من عند اللّه تعالى، وإنّ أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وإنّ نقلَتَه أفسدوه بما ألحقوا فيه من حكايات وأمور غير مسموعة من المسيح، ولا من أصحابه، مثال

---

(٢٥) ألمرجع السابق، ص ١٩١؛ أنظر ص ١٧٢–١٩٠.
(٢٦) **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة.**

حكاية صورة الصلب والقتل واسوداد الشمس وتغيير لون القمر وانشقاق الهياكل.

«وهذه الأمور إنّما جرت في زعمهم بعد المسيح بسبب قتله، فكيف تُجعل من الإنجيل، والإنجيل الحقّ إنّما هو الذي نطق به المسيح، وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل لا سيّما وهو أربعة، والمنزل واحد. وهذه الأربعة أمليت في أقطار متباعدة، بلغات مختلفة، وأقلام متباينة، مع أنّ كلّ واحد منها، أو فيها هو المنزل من عند اللّه، والمنزل واحد بلغة واحدة على نظام واحد. ثمّ إنّ لوقا ومرقس ليسا من الحواريّين.. فلا حجّة في هذين الإنجيلَين البتة» (ص٢٢).

وبعد أن يبيّن ١٥ تناقضاً في الأناجيل (ص ٢٢-٢٧)، يختم:

«والعجب إنّ أناجيلهم حكايات، وتواريخ، ومجريات، وكلام كفرة وكهنة وتلاميذه، وغيرهم، حتّى إنّي أحلف باللّه الذي لا إله إلاّ هو أنّ تاريخ الطبري عند المسلمين أصحّ نقلاً من الإنجيل، ويعتمد العاقل عليه أكثر.. ويقولون، مع ذلك: الإنجيل كتاب اللّه أنزله إلينا، وأمر السيّد المسيح باتباعه. فليت شعري! أين هذا الإنجيل المنزل من عند اللّه، وأين كلماته من بين هذه الكلمات...» (ص٢٧).

ثمّ يقول: «إنّ النصارى، لمّا لعبوا في كتابهم بالتحريف والتخليط، صار ذلك لهم سجيّة، وأصبح الضلال والإضلال لهم طويّة» (ص ٣١).

ويقول أيضاً: «إنّ إنجيلهم ليس شيئاً يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين، ولا يوثق منه بشيء في الدين».

ويقول أيضاً : «والنصارى واليهود إنّما يعتمدون على التوراة والإنجيل. ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة والإنجيل عدلاً عن عدل إلى موسى أو عيسى، عليهما السلام. وإذا تعذّرتْ عليهم رواية العدل عن العدل فأولى أن يتعذّر التواتر؛ ولم يبقَ في الكتابَين إلاّ **أخبار وتواريخ** بعيدة الزمان جدّاً، بحيث أنّ التواريخ الإسلاميّة أصحّ منها لقرب عهدها. مع أنّه لا يجوز الاعتقاد في فروع الديانات على شيء من التواريخ، فضلاً عن أصول الأديان» (ص٥٣).

***

وجاء في أقوال **شيخ الإسلام ابن تيميّة**[٢٧] أنّ بعض النصارى غيّروا بعض الألفاظ والتعابير من بعض نسخ الأناجيل، «وكتبَ الناسُ من تلك النسخ المغيَّرة نسخًا كثيرةً انتشرتْ فصار أكثرُ ما يوجد عند كثيرٍ من أهل الكتاب هو من تلك النسخِ المغيَّرة.

«وفي العالَمِ نسخٌ أخرى لم تُغيّر، فذَكَر كثيرٌ من الناس أنّه رآها وقرأها... ومعلوم أنّه لا يمكن أهلُ الكتاب إقامة حجّةٍ على أنّ جميعَ النسخ، بجميعِ اللغات، في زوايا الأرض، متّفقةٌ على لفظ واحد، في جميع ما هو موجود من جميع النبوّات. والحجّة التي احتجّوا بها على تعذّر تغييرها كلّها تدلّ على تعذّر العلم بتساويها كلّها»[٢٨].

ثمّ يعيّن شيخ الإسلام فصلين كاملين من الجزء الثاني لإظهار التحريف والتبديل في الإنجيل، هما: «فصل فيما حدث في الإنجيل

---

(٢٧) إبن تيميّة (+١٣٢٧م)، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**.

(٢٨) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠-٢١.

من تبـديل» (٢٠-٢٥)، و«فصل في كيـفيـة التغـيير الـذي حدث في الإنجيل» (٢٦-٢٧)... فـيهما يؤكّـد بأن «التبديل أمر لا ريب فـيه... فـإنّا نعلم قطعًا أنّ ذِكـرَ محـمّـد كان مـوجودًا في زمنه في التـوراة والإنجيل، استنادًا إلى قوله تعـالى: "الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوارة والإنجيل"[٢٩]..

وبسبب هـذا التحريف، «لا تجـد النّصارى يتّـفقـون على قولٍ واحد في معبودهم؛ حتّى قـال بعض النّاس: لو اجتمع عشرة نصارى افترقوا على أحد عشر قولاً.. ولو سألتَ قساً من أقسّائهم عن مذهبهم في المسيح، وسألتَ أباه وأمَّه، لاختلفـوا عليك الثلاثة، ولقال كلّ واحد منهم قولاً لا يشبه قول الآخر» (١/ ٢٥٤).

***

ويلاحق الإمـام الـعـلاّمـة شـمس الدين مـحـمـد **ابن قـيِّم الجوزية**[٣٠] المسيـحيين وكتـبهم، ويؤكّد بأنّ «نسَخَ الإنجـيل يخالف بعضـها بعضًا ويناقـضـه» (ص ٤٨-٤٩). ويقول أيضًا: وأمّا الأناجيل فـهي أربعة أناجـيل أخذت عن أربعـة نفـر... وكلّ منهم يزيد وينقص ويخـالف إنجـيلُه إنجيلَ أصـحـابه في أشـياء. وفـيـهـا ذكرُ القـول ونقضُه...» (ص ١١٢).

هذا التناقض وهذا الاضطراب في كـتب الأناجـيل علامـة على تحريف وقع فيها. وبالتالي عـلامة على أنّها ليست من عند الله. يقول:

---

(٢٩) سورة الأعراف ٧/ ١٥٧.

(٣٠) إبن قيِّـم الجوزيّة، (+١٣٥٠)، **كـتاب هداية الحـيارى في أجـوبة اليهـود والنّصارى**.

«والمقصود أنّ هذا الاضطراب في الإنجيل يشهد بأنّ التـغيير وقع فيه قطعًا. ولا يمكن أن يكون ذلـك من عند الله، بل الإختلاف الكثـير الذي فيه يدلّ على أنّ ذلك الإختلاف من عند غير الله» (ص١١٤).

***

أمّا عبد اللّه **الترجمان الميُورَقي**[٣١]، فيقول عن تحريف الإنجيل وتبديـله، وعن الإنجيليّين : «هؤلاء الأربعـة هم الذين جعلوا الأناجـيل الأربعة، وحـرّفوها، وبدّلوها، وكذّبوا فـيها. ومـا كان الذي أنزله اللّه وجـاء به عيـسى إلاّ إنجـيـلاً واحداً، لا تدافع فـيـه ولا اضطراب ولا اختلاف. وهؤلاء الأربعة ظـهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف والكذب على اللّه وعلى نبيّه عيسى ما هو معلوم ومشهور لا يقدر النصارى على إنكاره» (ص ١١٥).

***

ويكاد **الشيخ رحمـة اللّه بن خليل الرحمن الهندي** يقتصر في كتابه[٣٢] على موضوع تحريف الكتب المقدّسة وأباطيلها. يدور الكتاب حول سـتة أبواب، ثلاثة منهـا على ما فـيها من تحـريف واختـلافات وأغلاط وتبديل ونسْخ :

الباب الأوّل، «في بيان كتب العهد العـتيق والجديد». فيه يتكلّم الشيخ الهندي على أنّ الكتب المقدسـة عند اليهود والنصارى «مملوءة

---

(٣١) **تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب**، لأبي محمّد الترجَمَان الميُورَقي، (+ ١٤٢٨م).

(٣٢) **إظهار الحقّ**، ترجمه إلى العربيّة الشيخ رفاعي الخولي. وهو ردّ على " ميزان الحقّ " .

من الاختلافات والأغلاط». يبيّن في القسم الأوّل «الاختلافات» الواردة في العهد القديم؛ والاختلافات الواردة في العهد الجديد، وهي ١٢٤ اختلافاً، منها: ٧٨ في العهد الجديد؛ وفي القسم الثاني يبيّن «الأغلاط» في العهد القديم، وفي العهد الجديد، وهي ١١٠ أغلاط، منها: ٧٢ في العهد الجديد. ثمّ يبيّن «أنّه لا مجال لأهل الكتاب أن يدّعوا أنّ كلّ كتاب من كتب العهد العتيق والجديد كُتب بإلهام، وأنّ كلّ حال من الأحوال المندرجة فيه إلهامي، لأنّ هذا الادّعاء باطل قطعاً». ويدلّ على بطلانه وجوه كثيرة اكتفى منها الشيخ الهندي على ١٧ وجهاً (١/ ٨٥-١٩٤)

الباب الثاني، «في إثبات التحريف والتبديل». فيه يتكلّم الشيخ الهندي على «إثبات التحريف اللّفظي والمعنوي بالتبديل وبالزيادة وبالنقصان» في العهدَين العتيق والجديد (١/ ١٩٥-٣٠٠).

الباب الثالث، «في «إثبات النسخ» (١/ ٣٠١-٣٢٢).

أمّا الأبواب الباقية فتدور حول إبطال التثليث، وإثبات صحّة القرآن والأحاديث النبويّة، وإثبات نبوّة محمّد (١/ ٣٢٣-٢/ ٣٤٠).

***

يجهد **الإمام محمّد أبو زهرة**[٣٣] في القول بأنّ للمسيح إنجيلاً أنزله معه. وكان يتمنّى لو انّ الكنيسة تكشف عنه. قال: «ليتَ هذا الإنجيل كان قائماً، وحرصت الكنيسةُ على بقائه، وقامت بحياطته، ليكون فيصلاً بين المختلفين، وحكماً بين الفِرق والمفترقين، وليكون

---

(٣٣) الإمام محمّد أبو زهرة، **محاضرات في النّصرانيّة**...

قسطاسَ المجامع القديمة والحديثة التي حكمت حين الانشقاق، وليكون مصدراً علميّاً لمن يكتب في المسيحيّة الأولى، ويتبعها في مدارجها في أحقاب الزمن وملابسات التاريخ» (ص ٥٦). ويرجّح الإمام أبو زهرة أن يكون إنجيل برنابا هو الأقرب إلى إنجيل عيسى، كما سنرى بعد حين.

وفي رأي الإمام أنّ كتب النصارى ليست موحاة : «النّصارى لا يزعمون أنّ هذه الكتب كتبها المسيح نفسه، حتّى ننظر في قوّة نسبتها إليه؛ ولكن يزعمون أنّ الذين كتبوها رسلٌ من بعده.. فنبحث، هل هؤلاء رسلٌ حقّاً وصدقاً ... إنّنا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعاً صحيحاً قرّر أنّ هؤلاء ادّعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها.

«وإذا كان سفر الأعمال لم يذكر أسماء العشرين والمائة، ولم يذكر كذلك إنجيل لوقا أسماء، فكيف تؤمن برسالة رسلٍ لم تُعرفْ أسماؤهم؟. وإذا كنّا لا نعرف مَن هم، فكيف نؤمن لهم بمعجزات؟..» (ص ٧٨–٨١). ولوقا نفسه الذي يخبرنا بهذه الأخبار لم يكن ملهماً، لأنّه لا يوجد دليل يثبت إلهامه (ص ٨١). بل هناك «دليل على عدم إلهامه» (ص ٨٥).

«وإذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة يلحق الكذبُ كلَّها في جملتها وأجزائها عند مناقشتها فهي إذن ليستْ بإلهام. ويكفي هذا بطلاناً لمدعاهم في الإلهام» (ص ٨٩).

وعن انقطاع السند في نسبتها لكاتبيها، يقول شيخ الأزهر: «إنّ الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد. فقد أصدر أحدُ أباطرة الروم سنة ٣٠٣ أمراً بهدم الكنائس، وإحراق الكتب، وعدم اجتماع

المسيحيّين لأداء عباداتهم، فنفّذ الولاةُ الأمرَ، فهدموا الكنائس، وحرقوا الكتب، وأتَوا على كلّ ما للمسيحيّين من بيوت عبادة وكتب، هدماً وتحريقاً. ومَن سبق إلى ظنّهم أنّه أخفى كتاباً عذّبوه عذاباً شديداً، حتّى يعلنه فيحرق.. وأبادوا الكتبَ حتّى لا تُحفظ تلك الديانة في الصدور أو السطور» (ص ٩٠).

***

يقول **موريس بوكاي**(٣٤): «لقد كان، بالنسبة إلى الأناجيل، موقف الكنيسة الحاسم في عصورها الأولى في أمر العديد منها، إذ أعلنت اعتمادَ أربعة منها فقط، رغم وجود التناقضات فيما بينها في كثير من النقاط، وأمرتْ بإخفاء الأخرى التي وُصفتْ بأنّها مشكوك فيها» (ص١١).

ويتوقّف بوكاي مطوّلاً عند متناقضات كثيرة بين الأناجيل والعلم الحديث ؛ فيما «اللّقاء بين القرآن والعلم مدهش حقّاً» (ص ١٠٦).

***

ويؤكّد **عصام الدين حفني ناصف**، من جهته(٣٥)، أنّ كلّ ما في الأناجيل أساطير بأساطير. قال: «قد نقّب الباحثون عن أهمّ الأشخاص الذين وردتْ أسماؤهم في الأناجيل فلم يعثروا بينهم على شخص حقيقي. ولم يجدوا بين مَن كانوا يدعون في تلك الأزمنة

---

(٣٤) موريس بوكاي، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**.

(٣٥) **المسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩: ١٦٠ ص.

والأمكنة باسم يسوع إلاّ رجلاً واحداً يصلح أن يكون هو المانِكان الذي ألبسه المسيحيّون ثوبَ المسيح، ذلك هو يسوع بن بندرا Ben Pandira الذي تحدّث عنه التلمود، وبيّن كيف لقي مصرعه قبل الميلاد بقرنٍ من الزمن» (ص١١٢).

***

وفي رأي **الشيخ جعفر السَبحاني**(٣٦) أنّ التعابير "بين يدي"، و"بين يديه" الواردة مراراً في القرآن، تعني أنّ «المسيح مصدّقٌ للتوراة الأصلي والحقيقي. وليس التوراة المحرّف، أو المزيّف» (ص٨٤).. «وكذا بالنسبة لرسول اللّه (ص) محمّد.. إنّه «يصدِّق الكتب الحقيقيّة السليمة، وليس المزيّفة والمحرّفة والمزوّرة، والتي حُرِّفتْ عن حقيقتها الواقعيّة... والمقصود من التصديق هو التأييد الإجمالي للتوراة فقط..، وليس تصديق كلّ ما جاء في النُسَخ التوراتيّة في ذلك الزمان» (ص٨٤-٨٥).

«وبناءً على هذا، فإنّه لا يمكن اعتبار أيٍّ واحدٍ من هذه الأناجيل هو الإنجيل الحقيقي الذي جاء به السيّد المسيح (ع). وحتّى نسبة هذه الكتب الإنجيليّة الأربعة إلى مؤلّفيها أمرٌ يعتريه الشكّ والتردّد في القبول. ولكن، يمكن اعتبار إنجيل متّى هو الكتاب الوحيد الذي يحتوي على مواضيعَ أُخِذَتْ من إنجيل المسيح (ع)(٣٧)...

***

(٣٦) **أحمد موعود الإنجيل**، دار الهادي، بيروت ١٩٩٣؛ ١٣٢ ص.

(٣٧) هذا قول طريف لا يقول به مسلم غير الشيخ السبحاني.

أمّا داعي العصر، **أحمد ديدات** فيأخذ على النصارى الذين «يتباهون بالإنجيل كما دوّنه القديس متّى، وكما دوّنه القديس مرقس، وكما دوّنه القديس لوقا، وكما دوّنه القديس يوحنا، ولكنّنا لا نجد البشارة كما دوّنها القديس عيسى نفسه!»(٣٨) (ص١٦).

وعن طعنه بالأناجيل كوثائق للمسيحيّة، يقول الداعي ديدات: «ألأمر المذهل في ما يتعلّق بشأن تلك الإفادات والشهادات الموثقة (الكتابات المعزوّة إلى متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا) هو أنّ أيّاً منها ليست ظاهرة الصدق. ولا تحمل أي واحدة منها أيّ توقيع أو إمضاء أو علامة لمنشئها... أليس هذا أمراً محيِّراً! ومن الغريب أيضاً أنّ المسيحيّين أنفسهم يمايزون بين أناجيلهم بتدوين عبارة "ألإنجيل **وفقاً** لرواية القديس متّى"، أو "الإنجيل **وفقاً** لرواية القديس لوقا"، إلخ...

«ويمكن أن أقول –بكلّ تواضع– إنّ مثل هذه الوثائق التي لا تثبت لتمحيص تُنحّى جانباً في أيّة محكمة في أيّة دولة متحضّرة خلال دقيقتَين»(٣٩) (ص٢٠–٢٢).

***

وعند **الشيخ محمّد علي برّو العاملي**(٤٠) أنّه «من الحقّ لكلّ إنسان –حتى النصراني– أن يتساءل في نفسه، أي إنجيل يجب

---

(٣٨) أحمد ديدات، **هل الكتاب المقدّس كلام الله؟** ترجمة نورة أحمد النومان.

(٣٩) أحمد ديدات، **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري.

(٤٠) **الكتاب المقدّس في الميزان**، بيروت، ١٩٩٣؛ (١٧×٢٤)؛ ٤٥٨ ص.

اتباعه؟ فهناك أربعة أناجيل وهي مختلفة في كثير من نصوصها التي تتناقض مع بعضها البعض حتى في الحادثة الواحدة؛ مع أننا نعلم علم اليقين أن الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على المسيح هو واحد، وهو مفقود حتى بين التلاميذ أنفسهم، ولم نسمع أنّ أحداً في العالم ادّعى أنّه رأى إنجيل المسيح منذ فجر المسيحيّة حتى يومنا هذا؛ ونحن بكل تواضع نتمنى على الكنيسة وعلى قداسة البابا أن يخرج لنا إنجيل المسيح.

«وأمّا الأناجيل الحالية...(فـ)تتبنّى عقائد الوثنيين والخرافات، وليس لها سند، ولا يعرف تاريخ كتابتها ولا كاتبها. هذا بالإضافة إلى أنّها حرّفت كثيراً عن الصورة الأولى التي كتبت عليها» (ص٢٥).

«وأمّا تفصيل تناقضات الأناجيل من أوّلها إلى آخرها فذلك ما يحتاج إلى مجلّدات كبيرة، وربما لا تفي حياة الباحث بذلك كله» (ص٢٥٢). وبعد مقارنة الأناجيل بعضها ببعض و«كشف التناقضات بين الأناجيل»، قال الشيخ العاملي: «هذا غيض من فيض من التناقضات الواردة في الأناجيل في حادثة واحدة، وقد أنهاها ياركز إلى ثلاثين ألفاً، والقسيس ميل إلى نيّف ومائة ألف، ويقول شولز إنها لا تحصى. وفي دائرة المعارف البريطانيّة والفرنسيّة زهاء مليون. وقد يعترف بهذه الاختلافات والتناقضات الكثير من علماء النصارى... هذا بالإضافة إلى الاختلافات بين النسخ والتراجم والأغلاط والتناقضات. وبيان هذه الأمور يحتاج إلى عدّة مجلّدات ضخمة» (ص٢٧٧-٢٧٩).

***

وعند **نبيل الفضل**[٤١] معضلة اختلاف الأناجيل كبيرة. يقول: «أمّا كتابة العهد الجديد فهذه معضلة. لأنّ المسيح لم يحدث أنّه كتب شيئاً.. (ص١١١)، ولا هو قد طلب في يومٍ ما من شخصٍ ما أن يكتب ما يقوله أو يفعله.. وإنّما كان أمره لأتباعه أن اذهبوا وبشّروا. وكان التبشير والدعوة للمسيح تتم شفاهة. وحتّى بعد المسيح استمرت العمليّة التبشيريّة كعمليّة شفوية. ولا يعتقد بأنّ أحداً ممن نسمّيهم كتبة الأناجيل قد قام فعلاً بكتابة التبشير... وأهمّ ما في الأمر أنّ الكتابات الأصليّة -إن كانت هناك كتابات أصلية فعلاً- لا يوجد لها أثر» (١١٢).

وعن اختلاف الأناجيل بعضها عن بعض، يقول الفضل: «نتساءل: إذا كان افتراض أنّ ما هو مكتوب في الإنجيل الحالي هو بالضبط ما قاله وما كتبه أتباع المسيح. وإنّ ما كتبوه أو قالوه كان موحى من اللّه على يد ملاك أو "الروح القدس"، فلماذا تختلف الروايات الواحدة في الإنجيل. ولماذا يذكر بعض الكتبة أموراً مهمّة، ولا يذكرها بقيّة الكتبة؟ وكيف لنا أن نجزم دعوى الوحي هذه هي دعوى صادقة؟ بل كيف لنا أن نجزم بأنّ أولئك الناس الذين ننسب إليهم تلك الأناجيل قد نطقوا بها فعلاً، أو كتبوها حقاً؟

«ونحن يجب أن لا ننسى أنّ كلّ ما هو مكتوب في العهد الجديد منسوب إلى كاتبه. وليس مؤكّداً لنا أو للغير إنْ كان المنسوب هو ما قال الكاتب فعلاً أو بنفس الدقة والتعبير.

«ألإخوة المسيحيّون ورجال كنائسهم يقولون لنا إنّها مسألة إيمان. فإمّا أن نؤمن بأنّ هذا الكتاب موحى إلى الرسل كما هو، وإمّا

(٤١) نبيل الفضل، **هل بشّر المسيح بمحمّد؟** رياض الرّيس، لندن ١٩٩٠.

الله كلامًا منزلاً، لا شك فيه ولا ريب...».

«ومن أراد أن يستزيد معرفة لها، فما عليه إلاّ دخول النفق باحثًا مفتّشًا مدقّقًا، ليعود بعدها إمّا هارباً إلى أحضان الإسلام، كما فعل الكثير من المسيحيّين، وإمّا ليقضي بقيّة عمره، في دوّامة الشك والحيرة والبلبال؛ وهو حال الكثرة منهم اليوم» (ص٢٠٦-٢١٧).

***

وفي رأي سماحة مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة **الشيخ حسن خالد** إنّ الإنجيل الحقيقي «لا يمكن أن يكون أناجيل، ولا يمكن أن يكون أناجيل مختلفة اختلافًا عرضيًا أحيانًا وجوهريًا أخرى... ولو كان كذلك لما صحّ أن يكون كتابًا واحدًا، بل كتبًا... ولما صحّ أن يكون من عند الله، لأنّ ما يكون من عند الله يستحيل أن يقع فيه الإختلاف والتضاد، وأن يأتيه الباطل...» (ص٧١٣-٧١٤)[٤٤].

وعلى المسيحيّين أن يجلّوا موقف القرآن الكريم الذي يعترف بإنجيلهم ويحترمه، وهو «موقف عظيم، ولا يسع النصارى المنصفين إلاّ أن يحترموه ويقدّروه وينتبهوا إلى ما فيه من الصدق والتجرّد في أداء الشهادة وبراءة الحكم» (ص٧١٣).

ولكن، وأسف المفتي الكبير، أنّ النصارى ضيّعوا إنجيلَ عيسى لغايةٍ في نفس يعقوب. والغاية هي إخفاء كلام عيسى على النبيّ العتيد محمّد. يبدو ذلك إذ «يؤكد علماء المسلمين الأجلاّء أنّ وصف الرسول قد ورد في التوراة بصورة قاطعة لا تحمل الشك»

---

(٤٤) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

(ص٦٣٢).

ولو انّ المسيحيّين احتفظوا بالإنجيل الحقيقي، بحسب مقولة صاحب السماحة، لكان الإنجيل، كما يؤكّد القرآن، «أحد الكتب التي أنزلها الله على أحد رسله لهداية الناس... فالإنجيل، كالتوراة والقرآن، سواء بسواء، من حيث أنّه في الأصل كتاب اللّه ويحوي كلام اللّه، ولا يفترق عنهما إلاّ بأنّه أنزل على عيسى...» (ص٧١١).

وتقوم نظريّة سماحة الشيخ على أنّ اختيار كتب العهد الجديد كان على أساس تعاليم مجمع نيقية القائل بألوهيّة عيسى (ص٧٠٨).

***

وابن الخطيب أيضًا. في ردّه العنيف على «كاهن كنيسة»، يروح يسخر من هذا الكاهن الذي قال بأنّ «الإنجيل كلمة يونانيّة، وهي بمعنى أخبار سارّة». يجيبه ابن الخطيب: يا سيّدي القمّص! إن كنت تفخر علينا بأربعةِ كتب، أو خمسة ، تسمّونها إنجيلاً لما تحمله من الأخبار السارّة، فإنّ لدينا ما يبلغ زهاء الخمسة ملايين، كلّها تحمل الأخبار السارّة..»[٤٥].

والأناجيل، التي بين أيدي الرسل، خاضعة لنزواتهم وأهوائهم ومقدراتهم العقلية. «هذه الكتب تلقّفها مَن أُنزِلَتْ إليهم بالزيادة والنقصان، والتبديل والكتمان؛ وأنشأ كلٌّ زعيمٍ لهم، ومترئّسٍ عليهم كتابًا على هواه، زاعمًا أنّه هو بعينه؛ حتى تباينتْ تلكم الكتب، وتعدّدتْ

(٤٥) **هذا هو الحقّ! ردّ على مفتريات كاهن كنيسة**، القاهرة، ١٩٦٦؛ ص ٤٢.

أسماء منشئيها ومخترعيها؛ فزال عن هذه الكتب رونقُها، وخبا ضوؤها، لنسبتها إلى الأرض، بعد أن كانت منيرة عند نزولها من السماء»! (٤٨).

ويتساءل ابن الخطيب أخيرًا عن الإنجيل الحقيقي، أين هو؟ : «... ولكن، أين الإنجيل الذي عناه القرآن، وأمَرَكم بالحكم بما فيه؟ فيجيب: لقد تفرّق أيدي سبا، وصار شذر مذر» (ص٧٩).

***

أمّا سماحة الإمام الأكبر محمد الحسين **آل كاشف الغطاء** فيتناول الإنجيليّين بالتفصيل[٤٦]، فيقول بأنّ **متى** لم يتّفق عليه النصارى الأوّلون. فهناك «الإختلاف في لغته الأصليّة.. والاختلاف في زمن تأليفه.. واختلفوا في المترجم.. هذا مع ما فيه من التناقضات والمنافيات بينه وبين نفسه، وبينه وبين غيره». ويقول في **مرقس** أنّه ليس من تلاميذ المسيح، بل تتلمذ على يد بولس، ثم على يد بطرس، ولكن بعد مشاجرة قويّة مع بولس. وهو مجهول لا يُعرف شيء حقيقيّ عن حياته (١٠٥). و**لوقا** كان وثنيًا تنصّر على يد بولس، وليس من الإثني عشر، ولا من السبعين. وكفى بذلك موهنًا.. أمّا **يوحنّا** فيشتمل على غرائب عجائب ممّا يوهن الثقة به، «ولذا أنكر جماعةٌ قانونيّةَ هذا الإنجيل وجعلوه كتابًا قَصصيًا لا دينيًا. وقد سبق لهم تشاجر طويل إلى أن قرّرته الكنيسة» (ص١٠٧).

---

(٤٦) **التوضيح في بيان حال الإنجيل الصحيح**، دار الغدير، بيروت؛ ١٩٨٠.

وبالنتيـجة، يقول الإمــام الأكبر: «وأنــت ترى أنّ هذه الأناجيل محفـوفة، من حيث الصحّــة والاعتبار، بشبـهات متراكـمات كظلمات بعضها فـوق بعض. فمن أين يأتي الاعتقاد والاعتماد بأنّ كل مــا فيها وحي من الله منزل على نـبيّ مرسل؟ كـلاّ ثم كـلاّ! فإنّ تناول نجـوم السماء أهون من إثبات هذه الدعوى» (ص١٠٧). .

ويخـتم الإمام الأكـبـر: «هذه مصــادر النصــرانيّة ومـواردها وأصولها وأسانيـدها. ولعلّ حبال الشمس وخيوط الهـباء أقوى منها إحكامًا، وأشدّ إبرامًا» (ص١٠٩).

***

وثمّة عــلاّمة شـيعي آخـر، الشيخ مـحمـد جواد **البلاغي**، قد خـصّص صفـحـات طويلة في كتــابه، لإظهـار، ما سـمّـاه، تناقضـًا واختـلافًا وتزويرًا وتحريفًـا وتبديلاً وزيادة ونقصــانًا وخللاً وغلطًا ونقضًا وتصرّفًـا وانتهابًا... في الأناجيل[٤٧]... ثمّ قال: «عجبًا! كيف يكون الدين الواحـد متناقض الأحكام!.. يا أسـفاه على الديـن إذا كان رسلُه مرائين!» (ص١٨٥).

***

أمّا **أحمد زكي**، الذي أفردنا له كـتاباً خاصّــاً في الردّ عليه[٤٨] فيسأل: «مَن الذي كتـب التوراة التي بين أيدينا اليوم؟»، يجيب: «لا هو اللّه ولا هو موسـى.. إنّ كاتب هذه الأســفار جميعهــا هم اليهود» (٨-

---

(٤٧) **الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة في نهج الهدى**؛ رَ: صفحة ١٢٤-١٨٩.

(٤٨) **نزعنا القناع**، سلسلة الحقيقة الصعبة، رقم ١٢.

٩). ثم يتّضح له أمـران: «ألأوّل: إنّ توراة اللّه الحقيـقيّة قـد ضاعت؛ والثاني: إنّ العبثَ جرى في إعادة تدوينها من الذاكرة من قِبَلِ البشر». لذا فهي «مليئة بالأخطاء والمغالطات والأكـاذيب والفضائح.. خمسون ألف خطأ. ولا تزال تحوي العديد العديد»(٤٩).

ثمّ يقول عـن الأناجيل: «كنّا نتـمنّى لو انّ الفـاتيكان تكلّم عن الإنجيل، ولـيس عن الأناجيل، أي عن إنجـيل عيـسى! لقد اختـفى هذا الإنجيل بطـريقة مريبـة. ولا زال مخـفيّاً عن الأنظار حـتّى يومنا هذا. وحتّى هذه الأناجيل الأربعة مشكوك فـيها، بل وفي مَن نُسبت إليهم.. إنّه اعتراها التحـريف والتبديل والحذف والإضافة، قـبل وبعد إضفاء القداسة والشـرعيّة عليها، وتسمـيتها بالأناجيل القـانونيّة!! علماً بأنّ القداسة والشرعيّـة، في الأديان السماويّة، تأتي من اللّه، وليس بقرار من الكنيسة، أو أي سلطة على الأرض» (ص٣٢).

وقال بأن الفاتيكان يحتفظ بالإنجـيل الحقيقي. ثمّ يسأل: «لماذا يبـقى الفـاتيكان صامـتـاً أمام هذا الـسيل المتـدفق من النقـد اللاذع للأناجـيل في العالم؟! ثم لماذا لا يحـرّك ساكناً أمـام بلايين الطبـعات الجديدة للأناجـيل التي تطبعـها المطابع وتوزّعهـا دور النشر؟! ولماذا يلوذ الفاتيكان بالصمت، ولا يكشف عن الأصل الرسولي للأناجيل؟!» (ص٣٥-٣٦).

لا يعطي السيّد زكـي تفسيراً لصمت الفـاتيكان؛ ولكنّنا نعرف مقصودَه، وهو: إذا ما كشف الفـاتيكان عن النسخة الأصليّة للإنجيل، ستظهر فيه بشارةُ عيسى بأخيه محمّد. وقد يصبح هذا الكشف أعظمَ

---

(٤٩) **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح** ص ٨؛ أنظر أيضاً : ١٠ و٢٩...

شراً من كلّ ما تسبّبه التناقضات والأكاذيب الموجودة في الأناجيل من شرّ وفساد. لهذا يصمت الفاتيكان، وسوف يبقى صامتاً إلى الأبد.

ثمّ إذا ما كانت تبرئة الفاتيكان لليهود لا بدّ منها، فيجب أن تُخفى النسخة الأساسيّة للإنجيل لا محالة، لئلاّ تنفسد مواقف الفاتيكان السياسيّة.

ثمّ إنّ الكنيسة، في رأي السيّد زكي، هي التي أحرقت الأنجيل الحقيقي، وفرضت على الناس الأناجيلَ الأربعة؛ مع ما فيها من «التناقضات والمغالطات ممّا يخجلُ منه أيُّ كاتبٍ عصريٍّ.. إضافةً إلى ما اقتُبسَ فيها من الوثنيّة وأُلصق بالمسيح.. مع الخرافات والخيال والمبالغات واللاّمعقول والمستحيل الذي يعصف بها.. ألأمرُ الذي طُمسَ فيه دين المسيح الحقيقي، ولم يبقَ فيها إلاّ القليل القليل من أقواله الحقّة وتعاليمه الصادقة...

«لذا، وأمام هذه المعطيات، فليس أمامنا إلاّ أن نجمع هذا " القليلَ القليلَ " الذي ورد فيها، ونربطه بمصدر آخر يكون موثوقاً، من أجل معرفة دين المسيح الحقيقي». هذا المصدر الآخر هو القرآن (ص٦١-٦٢).

وثمة دليلٌ آخر على تزوير الأناجيل، عند السيّد زكي. وهو: «إذا كان تلاميذُ المسيح صَيّادي سمك، فمَن، باللّهِ! الذي ألّف الأناجيلَ الأربعة؟ وأنّى لصيّادي السمك أن يعرفوا اللغةَ اليونانيّة؟ ولماذا لم يؤلّفوها بالعبرانيّة أو السريانيّة أو الأراميّة لغة المسيح؟!» (ص٣٨٤).

يبدو أنّ كَتَبَة الأناجيل «ليسوا سارقي نصوص بعضهم البعض فحسب، إنّما سارقو الإنجيل الحقيقي» (ص٣٨٧). يقول

السيّد زكي: «هنا أطلب من كلّ مَن يحبُّ المسيح أن يفـتحَ عينَيه وأذنَيه جيّداً، لأنّ أمـامنا عمليّةَ احـتيال وتزويرٍ كبرى عـلى جميع مسـيحيّي اليوم مرّة أخرى في هذه الأناجيل، التي تزعم الكنيـسة لطوائفها بأنّها مقدّسة!» (ص٤٥٦).

ويقول: هـذا «التلميـذ العشّـار ليس إلاّ كشـاؤول، أو شاؤول نفسه، دخيلاً على تلاميذ المسيح. فها هو يكشف عن حقيقته أنّه كاتبٌ يهوديٌّ، بل وصـهيونيٌّ مزوّر، ذو لـؤم خبيث، وحقـد دفين، ضد دين المسيح الحقيقـي، وإنّه ما ألّفَ هذا الإنجيل إلاّ لينسفَ دينَ المسيح من الداخل، بعـد أن عجـز رئيس الكهنة، وشـاؤول نفسـه من نسفـه من الخارج» (١٦٧).

ويختم السـيّد زكي كلامـه: «نحن لا ندري إلى متى ستُـخفي الكنيسـةُ الحقـيقةَ، وتسـتمرُّ في الضـحك على ذقون طوائفـها» (ص ١٦٨-٦٩).

***

وفي الخـتام نقـول: إنّ موقـف المسلمين عامّـة، من التـوراة والإنجيل، هـو واحد، يعلنون فـيه تحريفًـا في الإنجيل وتبـديلاً. هذا الموقف هو نفسه منذ القـديم حـتى اليوم. وسندهم هو القـرآن الذي يؤكّد في قوله: "يَاْ أَهْلَ الكتابِ! قد جاءَكم رَسُولُنا يُبيّنُ لكم كثيرًا ممّا كنتم تُخْـفُـونَ مِنَ الكِتَابِ، ويَعْـفـو عن كثـيـر" (فلا يبـيّنه خـشيـة افتضاحكم) [٥٠].

(٥٠) سورة المائدة ٥/ ١٥؛ بتفسير الجلالَين.

فالنّبيّ محمّد، بحسب تفسير **سيّد قطب**، هو «رسول الله إليكم (إلى أهل الكتاب) ودوره معكم أن يبيّن لكم ويوضح ويكشف ما تواطأتم على إخفائه من حقائق كتاب اللّه الذي معكم... سواء في ذلك اليهود والنّصارى... وقد أخفى النّصارى الأساسَ الأوّلَ للدّين... التّوحيد... وأخفى اليهود كثيرًا من أحكام الشريعة، كرجم الزاني، وتحريم الربا كافّة، كما أخفوا جميعًا خبرَ بعثةِ النبيّ الأمّيّ «الذي يَجدونه مَكتوبًا عندَهم في التوراةِ والإنْجيل»[٥١].

***

ملحق

إنجيل برنابا

ما أن ظهر إنجيل برنابا، وتُرجم إلى العربيّة، وطبع ونشر، في مصر، سنة ١٩٢٥، على يد **الدكتور خليل سعاده**، وقدّم له مشيراً إلى أنّه هو الإنجيل الحقيقي الوحيد الذي تكلّم عنه القرآن... حتّى استقبله المسلمون، كمفاجأة تاريخيّة دينيّة، لا تقلّ مفاجأة اليهود والمسيحيّين باكتشافات البحر الميت ورأس شمرا بالنسبة إلى التوراة والإنجيل.

عن برنابا وإنجيله يقول **الشيخ محمّد العاملي**: «امتاز برنابا بقوّة التفكير، والحكمة العالية، والدّقة البارعة، والعبارة البليغة. وهو أعظم كتاب تملكه الكنيسة، وتفتخر به لولا أتباع الهوى والبدع في تحريمها لهذا الكتاب العظيم. فهو الكتاب الوحيد الذي يشبع العقل

---

(٥١) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٢؛ ص ٦٨٢.

ويروي الظمآن من الحيرة، ويعصم من الانحراف والتشكيك الذي تزرعه الأناجيل الأربعة في قلب مطالعيها. إنّه الكتاب الذي يروي حياة المسيح، وينقل أقواله وحكمه المضيئة التي تتلألأ نوراً على صفحاته بما لا يدع مجالاً للشكّ في أنّه هذه الحكمة ليست لإنسان عادي، بل هي لرسول اللّه عيسى بن مريم. وهو الكتاب الوحيد الذي يجب أن يعتمد عليه في فهم العقيدة النصرانيّة الحقيقيّة»[٥٢].

عن هذا الإنجيل يقول الإمام **محمّد أبو زهرة**: «وإنجيل برنابا هذا يمتاز بقوّة التصوير، وسموّ التفكير، والحكمة الواسعة، والدّقة البارعة، والعبارة المحكمة، والمعنى المنسجم، حتّى إنّه لو لم يكن كتابَ دينٍ لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى لسموّ العبارة وبراعة التصوير...

«ولقد كنّا نظن أنّ ظهورَ ذلك الإنجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد في مصادر الدين، لتعرف أي الكتب أقرب نسَباً بالمسيحيّة الأولى. أذلك الإنجيل بما خالف، أم الرسائل والأناجيل التي توارثتها؟ ولكنّهم سارعوا في الرفض والإنكار...

«والأمور التي خالف ذلك الإنجيلُ فيها ما عليه المسيحيّون الآن تتلخّص في أربعة أمور:

«أوّلها: إنّه لم يعتبر المسيح ابنَ اللّه، ولم يعتبره إلهاً..

«الأمر الثاني: إنّ الذبيح الذي تقدّم به إبراهيم الخليل للفداء هو إسماعيل وليس بإسحق..

---

(٥٢) **الكتاب المقدّس في الميزان**، ص ٢٨٠.

«الأمر الثالث: إنّ مسـيّا، أو المسيح المنتظر، ليس هو يسوع، بل محـمّد. وقد ذَكَرَ مـحمّداً باللّفظ الصـريح المتكرّر في فصول ضافـية الذيول، وقال إنّ رسـول اللّه، وإنّ آدم، لمّا طُرد من الجنّة، رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرفٍ من نور: "لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه"..

«الأمر الرابع: إنّ هذا الإنجيل يبـيّن أنّ المسيح لم يُصلب، ولكن شبّه لهم، فألقى اللّهُ شبهَـه على يهوذا الإسـخريوطي. ويقول في ذلك برنابا: "ألحقّ أقـول إنّ صوتَ يهـوذا، ووجهَه، وشـخصـه بلغتْ من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذُه والمؤمنون به كافّة أنّه يسوع...»(٥٣).

أمّا **السيّد أحـمد زكي** فقـد كان أكثـر المعتمـدين على إنجيل برنابا. هذا الإنجـيل، "إنجـيل برنابا، الذي أفلت من الحـرق والدمـار، ويعـود الفضل فـي ذلك إلى الأب فرامـينو، الذي سـرقَه مـن مكتبـة الفاتيكان. وبعدها شاع وذاع "(٥٤).

ويقـول: أمّا برنابا فـاسمـه "محذوف، عـن قصد، من قـوائم أسماء التـلاميذ عند الإنجيليّين. مـع أنّه بالكاد نجدُ صفحـةً في أعمال الرسل التي ألّفت قبلَ الأناجيل إلاّ واسمه مذكور فـيها كتلميذ مخلصٍ من تلاميذ المسيح، الذي حاول أن يغشّه شاؤول، فانفصل عنه.

"فهـو الوحيـد المذكـور عنه أنّه باع حقلَه وكلَّ مـا يملك، وتبع المسيح. ولم يفعل ذلك أحدٌ من التلامـيذ، لا بل لم يمُنَّ على المسيح كما مَنَّ بطرس وقال: "ها نحن قـد تركنا كلَّ شيء وتبعناك. فـماذا يكون لنا"، ممّا يؤكّد أنّ الكنيسة الشاؤوليّة حذفت اسـمَه من قائمة التلاميذ

---

(٥٣) **محاضرات في النصرانيّة**، ص ٦٤-٦٦.

(٥٤) **انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، ص ٨٥٥.

هذه، بعد شيوع إنجيله، لأنّه خالف شاؤول في ما ذهب إليه من مسألة ابن الله وصلْب المسيح. لكنّها لم تستطع حذفَ اسمِه من "أعمال الرسل" التي سبقت الأناجيل في التأليف، إذ كانت قد انتشرت وذاعت بين الناس، وانتشر فيها اسمُ برنابا" (٤٧٩-٤٨٠).

وفي مكان آخر يردّد السيّد زكي الشيء نفسَه: «إنّ برنابا التلميذ الحقيقي للمسيح، والذي عملت الكنيسة جاهدةً على شطب اسمه من كلّ الأناجيل، لأنّ إنجيلَه قائم على التوحيد، وعلى عدم صلْب المسيح، أي لا يتمشّى مع الخطّ الشاؤولي الكنسي، والذي اعترفت مخطوطات البحر الميت المكتشفة مؤخّراً بصدق إنجيله، والذي لم تستطع الكنيسة شطبَ اسمِه من "أعمال الرسل"، لأنّ هذه كانت قد انتشرتْ وذاعتْ.

«هذا التلميذ، تخبرنا "أعمال الرسل"، أنّه باع حقله الوحيد الذي كان يمتلكه، وجاء ونثر النقود أمام المسيح، تحت أقدام التلاميذ، دون أن يسأل المسيح "ماذا يكون لنا بعد أن تبعناك". فإذا كان التلميذ العادي لم يسأل، فهل يُعقل أن يسأل بطرس شيخُ التلاميذ!؟» (ص٦٤١).

ويقول أيضاً: «..إنّ حضرات السادة الشاؤوليّين الكنسيّين ما زالوا يسبحون ضدّ التيّار، ولا يعترفون بهذا الإنجيل، رغم أنّ مخطوطات البحر الميت المكتشفة حديثاً أكّدتْ على صحّته.. ورغم أنّه كان معمولاً به في الكنيسة حتّى سنة ٤٩٢ م. إذ حرمه البابا غلاطيوس في تلك السنة بعد أنْ غرقت الكنيسة في الوثنيّة وتعدّد الآلهة. وذلك لأنّه يتكلّم عن الله الواحد، وليس عن ثلاثة آلهة. كما أنّه لا يعترف بصلب المسيح»(ص٢٤٢).

الفصل الرابع

عقيدة التثليث

بالرّغم من اتّفاق المسيحيّين والمسلمين على وحدانيّة اللّه، فإنّ الخلاف كبير في كيفيّة هذه الوحدانيّة. ألمسلمون والمسيحيّون يقولون بأنّ اللّه واحدٌ، أحَدٌ، كلّيُ الكمال، و«ليس كمثله شيء»... إلاّ أنّ المسيحيّين يضيفون إلى هذه الوحدانيّة بُعداً آخر، هو أنّ اللّه الواحد في طبيعته هو نفسه ثلاثة في أقانيمه. إنّه: أب وابن وروح قدس.

وفيما يصرّ المسيحيّون على هذا، يصرّ المسلمون، بالمقابل، على تكفيرهم بسبب هذا. و «باسم هذا المفهوم، أو ذاك، قامتْ حروب، وأُزهقتْ نفوس»[1]. وممّا شجّع المسلمين على الخوض في التكفير والجهاد، وجود فرق مسيحيّة تقول قولهم، تنكر ألوهيّة المسيح، فتعتبره نبيّاً كبيراً، أو عنصراً سماويّاً (إيّوناً) مقرَّباً من اللّه، كالإبيونيّة والأريوسيّة، وغيرهما من شيع اليهوديّة–المتنصّرة.

فقمّة الخلاف بين المسيحيّة والإسلام تبدأ من هنا. وكلّ خلاف بينهما بني على هذا. ويتحمّل ألقديس بولس، مروّج هذه العقيدة، في

(١) عبد المجيد الشرفي، **الفكر الإسلامي في الردّ على النّصارى**، ص ١٩٧.

نظر المسلمين، العبءَ الأكبر من مسؤوليّة انحراف المسيحيّة عن مسارها الحقيقي. والمسلمون يعودون، في كلّ حال، في موقفهم هذا، إلى **القرآن**:

« يا أهلَ الكتاب! لا تَغْلُوا في دِينِكم. ولا تَقُولوا علَى اللّهِ إلاّ الحقَّ: إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ رسولُ اللّه وكلمتُه، ألقاها إلى مريمَ، وروحٌ منه. فآمِنوا باللّهِ ورسلِه. **ولا تقولوا ثلاثةٌ. انْتَهوا خيرًا لكم**. إنّما اللّهُ إلهٌ واحدٌ. **سبحانَه أن يكونَ له وَلَدٌ**. لَه ما في السّمَوات وما في الأرْض. وكفى باللّهِ وكيلاً»[٢].

وقال أيضاً:

« **لَقَد كَفَرَ الّذينَ قَالوا: إنّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثة. ومَا مِنْ إلَهٍ إلاّ إلَهٌ واحد**. وإنْ لمْ يَنْتَهوا عمّا يَقولونَ لَيَمَسَّنَّ الّذينَ كَفَروا منهم عذابٌ أليم... ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسولٌ ... وأمُّه صدّيقة. كانا يأكلانِ الطّعام...»[٣].

وبسبب هذا القول القرآني، نال المسيحيّون ما نالوا من الاتّهام والطعن واللّعن. فهم مغالون بسبب ما يعتقدون. وهم مشركون أيضًا للسبب عينه. وهم كَفرة أيضًا وأيضًا يستحقّون الهلاك الأبدي، إذ «**إنّ اللّه لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ به، ويغفر ما دون ذلك لمَن يشاء**»[٤]. وللسبب نفسه، قام المسلمون على المسيحيّين المشركين بالجهادِ المقدّسِ وقتالِهم أينما كانوا:

---

(٢) سورة النساء ٤/ ١٧١ (مدنيّة).
(٣) سورة المائدة ٥/ ٧٣ و٧٥ (مدنيّة).
(٤) سورة النساء ٤/ ٤٨ و١١٦.

«فَـاقتلوا المشـركينَ حيث وجـدتموهم»[٥]، «وقاتلوا المـشركين كافّـةً»[٦]. فـلا هدنة ولا مـعـاهدة، لا صلح ولا سـلام، بين المسلمين الموحِّدين والمسيحيّين الذين يعتقدون بالثالوث، وبالتالي، بالشرك..

وفي اعتـقاد المسلمين أيضًا أن عـقيدة التـثليث هذه لم تكن من تعاليم المسـيح الحقيـقيّة، ولا هي في إنجـيله الحقيـقي؛ إنّما هي من اختراع المسيحيّين المتأخّرين، من تعاليم بولس الرسول، ومن مخلّفات مجـمع نيقـية والمجامع اللاّحـقة... إلاّ أنّ بولس كـان رأس الكفر. هو الذي نزع عن المسيحيّة صفتها التوحيديّة، وأبعدها عن صفائها الأوّل.

وفي اعتـقادهم أيضًـا أنّ طائفةً من أهل الـكتاب آمنت بمحـمّد واعتقدت بالتوحـيد؛ وطائفةً أخرى لم تؤمن بمحمّد ولم تعتـقد المعتقد الصـحـيح بالله، «فَـأيَّدْنا الّذينَ آمَنُوا علَى عَـدوِّهِم»[٧]. فـالّذين آمنوا هؤلاء هم النّصَارى، أي اليهـود-المتنصّرون؛ والّذين لم يؤمنوا هولاء هم الذين «غلوا فِي دينهم»، واعتبروا اللّه ثالث ثلاثة، وهم أتباع بولس و«مؤتمر نيقية».

فانطلاقًا من هذا المفهوم الإسـلامي الواضح والصريح لعقيدة الثـالوث، يقف المسلمـون، منذ نشأتهم، مـوقف العـداء والتكفيـر من المسيحـيّين. بل، المسيحيّـون، بسبب قولهم بالثالوث، مـشركون يجب قتالهم. والألفاظ التي تُستعـمل في هذا الباب تُنبئُ بشّر. فلنستعرض بعض هذه المواقف.

---

(٥) سورة التوبة ٩/ ٥.
(٦) سورة التوبة ٩/ ٣٦.
(٧) سورة الأنعام ٦/ ١٤.

في أوّل ردّ للمسلمين على المسيحيّين، تساؤلهم عن إيمان المسيحيّين بالتوحيد. كيف يكون توحيد وتثليث في آن معاً! يقول **علي بن ربّن الطبري** : «أوّل المسائل: نسأل النصارى عن هذا التوحيد.. هو هو حقّ أم باطل؟ فإنْ قالوا حقّ، فالذي هم عليه باطل، لأنّهم يؤمنون بثلاثة آلهة، بل بأربعة، وهم: الأب والابن والروح القدس وإنسان أزلي وهو يسوع المسيح». ويستشهد بنصوص عديدة من العهد القديم ومن الإنجيل للتدليل على أنّ المسيح مبعوث مخلوق وليس بخالق(٨).

***

ويخاطب **القاسم بن إبراهيم الحسني** النصارى بقوله : «أخبرونا عن هذه الأسماء التي سمّيتم وادّعيتم من خرافات القول فيها ما ادّعيتم، من أب، وابن، وروح قدس. لم يدلّ على شيء منه قياسٌ ولا حاسّة من الحواس الخمس. ما هذه الأسماء؟ أسماء طبيعيّة ذاتيّة جوهريّة؟ أم هي أسماء شخصيّة أقنوميّة؟ أم تقولون هي أسماء حادثة عرضيّة؟

«فإنّكم إنْ كنتم سمّيتم الأبَ عندكم أباً لأنّه وَلَدَ، بزعمكم، وَلَداً وابناً، فليس هذه الأسماء بأسماء طبيعيّة ذاتيّة، ولا أسماء أيضاً أقنوميّة شخصيّة؛ ولكنّها حادثة عرضيّة، عرضتْ عند حدوث أولاد بين الوالِدين والأولاد؛ وليس بأسماء طبيعيّة، ولا أقنوم، لا في الرّوم(٩)، ولا في غير الرّوم.

---

(٨) مسيحيّ نسطوري اعتنق الإسلام، **الردّ على النصارى**، ص ١٢١–١٢٢.

(٩) أي: الطائفة الملكيّة بمقابل النسطوريّة واليعقوبيّة.

ويقول: «إسم الطبيعة غير اسم الأقنوم، واسم الأقنوم غير اسم الفعل المعلوم. إسم الطبيعة ثابت لا اختلاف فيه ولا تفاوت؛ إنّما يدلّ على أقنوم وعلى فعل مفعول. إنّه اسم الشيء نفسه، يدلّ عليه، كالأرض والسماء والنار والماء، وما أشبه ذلك من الأسماء التي قد تدلّ على أعيان الأشياء. فهذه هي أسماء الذات والطبائع، لا أسماء الأقانيم والصنائع.

«فأمّا أسماء الأقنوميّة التي ليست بطبيعيّة ولا عرضيّة فمثل إبراهيم وموسى وداود وعيسى.

«وليس في الأسماء الطبيعيّة، ولا في الأسماء الشخصيّة الأقنوميّة، أبوّة ولا بنوّة ولا أفعال ولا قوّة. إنّما هي أسماء تدلّ على الأعيان، كالإنسانيّة التي تدلّ على الإنسان»[١٠].

***

وعند **الحسن بن أيّوب** إنّ الأقانيم أشخاص، والقول بأنّ اللّه ثلاثة أقانيم هو الإقرار بثلاثة آلهة. يقول: «نراكم عقدتم شريعة إيمانكم[١١] على أنّ المسيح إله وإنسان متّحدَين، وأنّه يصعد إلى السماء، ويجلس عن يمين أبيه. والجالس على يمين صاحبه أليس هو منفصلاً عنه، مفروزاً عنه؟ فكيف يصحّ على هذا القول قياسٌ، أو يصحّ به عقدُ دِين؟! تقولن مرّةً مجتمع، ومرّة منفصل؟!»[١٢].

---

(١٠) **ردّ الحسني**، ص ١٨-١٩.

(١١) «شريعة الإيمان»، أو «شريعة النصارى» هي نفسها قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني. ترد مراراً في الردود الإسلاميّة، بهاتَين الصيغتَين.

(١٢) **الجواب الصحيح**، ٢/ ٣٥٤.

ويبـــدو أيضـــاً أنّ من أهم الدوافع لـشكّ الحـســن بن أيّوب وارتداده عن النصرانيّة واعتناقه الإسلام هو ما قال عن نفسه لأخيه: «ثمّ أُعلمكَ أنّ ابتـداء أمـري في الشكّ الذي دخلني فـيمـا كنتُ عليـه، والاستبشـاع للقول به من أكثر من عشرين سنة، لمّا كنتُ أقف عليه في المقالة من فســاد التوحيد للّه بما أدخل فيه من القــول بالثلاثة الأقانيم وغيرها ممّا تضـمّنتْه شريعة النصارى، ووضـع الاحتـجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تنوير ذلك. وكنتُ إذا تبحّرتُه وأجلتُ الفكرَ فيه بَانَ لي عوارُه، ونفرتْ نفسي من قبوله. وإذا فكّرتُ في دين الإسلام الذي مَنّ اللّهُ عليّ به وجدتُ أصــولَه ثابتةً، وفروعــه مسـتـقيمة، وشــرائعه جميلة» (٢/٣٢٣-٣٢٤).

ثمّ يتمادى في أسئلته، ويتوجّه إلى النصارى قائلاً: «ونسألكم عن واحدةٍ نحبّ أن تخبـرونا بها. وهي أصل ما وضعتمـوه من عبادة الثلاثة الأقانيم التي ترجع، بزعـمكم، إلى جوهر واحد وهو اللاّهوت. ما هو؟ ومن أين أخـذتموه؟ ومَن أمركم به؟ وفي أي كـتاب نزل؟ وأيّ نبيّ تنبّأ به؟ أو أي قـول للمسيح تدّعـونه فيه؟ وهل بنيـتم أمركم في ذلك إلاّ على قـول "متّى" التلمـيذ عن المســيح، عليه الســلام، أنّه قال لتلامـيذه حـيث أراد أن يفارقهم: "إذهبـوا فعمّـدوا الناسَ باسم الأب والابن وروح القدس؟» (٢/٣٦٢).

***

ويقول **الكندي** (+٨٦٦م) : «إنّ فِرَقَهم جمـيعاً يقرّون أن ثلاثة أقانيم لم تزل جـوهراً واحداً.. وأنّ كلّ واحد منهم مـوجود بخاصّــته. فــإذن معنى الجـوهر مـوجود في كلّ واحـد من الأقـانيم، وهـي فيـه متّـفقة؛ ولكلّ واحد خـاصّة لم تزل بها تخـالف بينه وبين صاحبـيه.

فيجب من هذا أنّ كلّ واحـد منها متركّب من الجوهر الذي عـمّها ومن الخاصّـة التي خصّتـه. وكلّ مركّب معلول. وكلّ مـعلول ليس بأزلي. فإذن لا الأب أزلي، ولا الابن أزلي، ولا الروح القدس أزلي. وهي أزليّة لا أزليّة. وهذا من أشنع المحال»[١٣].

***

وعن مـعنى لفظتَي جـوهر وأقنوم، يقـول **الناشئ الأكـبر** (+ ٩٠٦م): «ليس.. في الإنجيل لفظة تدلّ على جـوهرٍ ولا قنومات. وهذه لفظة فلسفيّة يونانيّة سقطتْ إلى القوم فتكلّموا بها»[١٤].

ويقول أيضاً: «ألا ترى أنّ القوم قالوا: ثلاثة قنومـات متّفقات، متّفقة في الجوهر لا اختـلاف بينهما (أي بين الأب والابن)، متّفقة في القدم، لا يقدم شيءٌ منها شيئاً، وليس فيها خلاف في أنفسها، ولا في شيء منهـا يخالـف به صاحـبَيـه. ثمّ ادّعـوا أنّ هذا أبٌ ليس بابن ولا روح. وهذا روح ليس بأب ولا ابن. وهـذا ابن ليس بأب ولا روح. وأنّ هذا علّة هذيـن ليس بمعلول، وهذين مـعلولان ليسـا بعلّة. ولا هي مختلفة بأنـفسها، فيصحّ أنّ كلّ واحد منهـا ليس هو كالآخر، ولا هي مختلفـة بأمور فيصحّ ذلك أيضاً. فلا شيء أبين من فـساد قولهم في ذلك»[١٥].

***

(١٣) **ردّ الكندي**، ص ٤. عن الشرفي، ص ٢٠٨-٢٠٩.
(١٤) **الكتاب الأوسط في المقالات**، ص ٨٢. عن الشرفي، ص ٢٠٢.
(١٥) المرجع نفسه، ص ٨٤-٨٥. عن الشرفي، ص ٢١١.

ثمّ يتّهم **أبو عيسى الورّاق** (+٩١٠م) النّصارى الذين لا يميّزون بين الأقانيم والأشباح، فيقول: «كيف يجوز للقائل أن يقول "أشخاص"، ولا يجوز لخصمه أن يقول "أشباح"، أو "أجسام"، أو غير ذلك ممّا يقوم هذا المقامَ لفظاً ومعنى؟»(١٦).

والقول بأقانيم ثلاثة يلزم النصارى الإقرار بـ «أن يكون الأبُ ابناً لابنه، وأن يكون الابن أباً لأبيه، وأن يكون الابنُ نطقاً لنطقه، وكلمةً لكلمته، وحياةً لحياته. وكذلك القول في الروح. وهذا ضربٌ من الهوس والتخليط عظيم»(١٧)... وكذلك أيضاً يلزم «أن يكون الابن ابناً للأقنومَين الآخرين، للأب والروح، وأن يكون الروح روحاً للأب والابن، مثلما أنّ الأب أب للابن والروح»(١٨).

و يقدّم الورّاق إفتراضَين إثنين : «أوّلهما : إنّ الأب يستحقّ من صفات القدم والربوبيّة والقدرة الإلهيّة شيئاً لا يستحقّه الابن. والثاني عكسه، وهو : أنّ الأب لا يستحقّ من تلك الصفات شيئاً لا يستحقّه الابن.

في الحالة الأولى يقتضي إلزام الابن النقص؛ وفي الثانية ليس من سببٍ لأن يكون الأبُ أباً دون أن يكون ابناً. أمّا زعم النصارى أنّ لكلّ أقنوم خاصّة فإنّهم يجعلون بذلك مع الأقانيم الثلاثة ثلاث خواص، فتصير ستّة أشياء قديمة»(١٩).

---

(١٦) **ردّ الورّاق**، ١/٩٦ظ.
(١٧) المصدر السابق نفسه.
(١٨) ألمصدر نفسه، ١/٩٤و.
(١٩) عن الشرفي، ص ٢١٩-٢٢٠ شارحاً **ردّ الورّاق** ١/٥٦ظ-٥٧ظ.

ثمّ ينتقل إلى البحث عن الأبوّة، وهل هي من جوهر الأب أو ليست من جوهره. فإنْ كانتْ منْ جوهره وكان جوهر الابن هو جوهر الأب، فالابنُ إذن أب (وكذلك الروح)، وإنْ لمْ تكنْ منْ جوهره فيترتّب عن ذلك إثبات جوهرَين قديمَين في كلّ أقنوم، أو أنّ الجوهر الذي هو غير جوهر الأب حديث، أي أنّ الأب كان قبل حدوث ذلك الجوهر لا أباً ولا مستحقّاً للأبوّة»[٢٠].

ثمّ «لا مناص من أن تكون الأبوّة من صفات الإله، أو ليست من صفاته. فإنْ كانتْ منْ صفاته فقد خرج الابنُ والروحُ من الإلهيّة. وإنْ لم تكن من صفاته فهو ليس أباً قبلَ أن يصير أباً بالفعل. أمّا إنْ لمْ تكنِ الأبوّة من صفات الإله في نفسه ولا في فعله، فإنّ ذلك يعني جواز أن يكون الإله لا أباً ولا ابناً ولا روح قدس. وهذا نقض التثليث؛ ووصفه بما ليس من صفاته. فيجوز إذ ذاك وصفه بالعمومة والخؤولة والأخوة»[٢١].

ثمّ ينتقد الورّاق حجّة النصارى بقوله : إنْ زعم النصارى أن الجوهر إله، عالم، قادر، لأنّه حيّ، ناطق، فيلزمهم أن يكون كلّ ناطق إلهاً، فتكون الملائكة آلهة والنّاس آلهة[٢٢].

وعن المعادلة بين الجوهر والأقانيم، يختصر الشرفي الورّاق في سؤاله : هل الله «هو الجوهر دون الأقانيم؟ أم هو الأقانيم دون الجوهر؟ أم هو الجوهر والأقانيم؟ أم إنّ الجوهر إله والأقانيم إله؟..

---

(٢٠) عن الشرفي، ص ٢٢٠، شارحاً **ردّ الورّاق** ١/ ٥٩و-٦٠و.
(٢١) عن الشرفي، ص ٢٢٠، شارحاً **ردّ الورّاق** ١/ ٦٠ظ-٦٤ظ.
(٢٢) **ردّ الورّاق**، ١/ ٦٩ ظ. قارن بـ **المغني**، ٥/ ١٠٠-١٠١.

في الحالة الأولى يَخـرج الأبُ والابنُ والروحُ من الإلهيّـة. وإنّ الحالة الثانيـة تقتضـي أنّ الجـوهر القديم ليس بإله. والثـالثة أنّ الأب والابن والروح ليس بإله، ومَن عبدها فلم يعـبد إلهاً ما لم يعبد مـعها الجوهر الذي هو غيرها. وإذا كانت الحالة الأخيرة فهم يثبتون إلهين»[٢٣].

وينكر الورّاق علـى اللّه أن يكون مـحـصـوراً في "جـوهر"، فيقول:

أوّلاً – لا يوجد جوهرٌ إلاّ مـتحيّزاً قـابلاً للأعراض. وهو ما لا يمكن أن ينطبق على اللّه.

ثانياً – إنّ اللّه لا يمكن أن يكون جـوهراً، لأنّ الجوهر لا يُعقل إلاّ شـاغلاً مـتحـيِّزاً قـابلاً للحـوادث.. فلمّـا لم يجز أن يكون القـديم سبحانه محدثاً لم يجز أن يكون جوهراً.

***

أمّا **القاضي أبو بكر البـاقلاني** (+١٠١٣م) فيسـأل النصارى عامّة: «لمَ زعمتم أنّ اللّه تعـالى ثلاثة أقانيم دون أن تزعموا أنّه أربعة وعشرة وأكثر من ذلك»؟[٢٤].

ويسـألهم أيضـاً: «خبّرونا عن الجـوهر العامّ الجـامع للأقانيم الذي هذه الأقانيم أقانيم له. أهو عندكم الأقانيم أم غيرها؟» (ص ٨١). ثم يسأل الملكيّـة: «خبّرونا عن الجـوهر الذي هو عندكم غيـر الأقانيم. أهو مع ذلك موافق لها أم مخالف لها؟» (ص ٨٣).

---

(٢٣) **ردّ الورّاق**، ١/١٤١ظ-٢٤٢و.

(٢٤) أنظر، **التمهيد**، ص٧٩.

ثم يقال لهم: «إذا كانت الأقانيم جوهراً واحداً، وكان الأب جوهرَه. وجوهرُ الابن وجوهرَ الروح من جوهرهما. فلمَ كان الابن والروح إبناً وروحاً خاصّين للأب أولى من أن يكون كلّ واحد منهما أباً؟ إذا كان الابن والروح جوهرين لأنفسهما، وكان جوهرهما من جوهر الأب، وكان الأب جوهراً لنفسه. فما الذي جعله بأن يكون أباً لهما أولى من أن يكون كلّ واحد منهما أباً لما جعلتموه أباً له، وأن يكون الأب خاصّاً؟» (ص ٨٦).

ويقول أيضاً: «إذا استحال أن تكون (الأقانيمُ الثلاثة) أقانيمَ وخواصّ لأنفسها، فإنّما تكون صفات وأقانيم لشيء آخر هو غيرها. ولا يقال له إنّه هي. وهذا يوجب إثبات أربعة معانٍ: جوهر وثلاثة خواص. وهذا تركُ التثليث. وإنْ قالوا: هي خواصّ لأنفسها وأقانيم لأنفسها، قيل لهم: فيجب أن يكون الابنُ ابنَ نفسه، والروحُ روحَ نفسه، والصفةُ صفةَ نفسها. وهذا جهلٌ عظيم»[٢٥].

***

أمّا **القاضي عبد الجبّار** (+١٠٢٥م) فيستفيض في نقض الثالوث ومفاهيم الجوهر والأقانيم، وغلط النصارى في الاستناد إلى التوراة والقرآن لاستخراج عقيدتهم في الثالوث، يقول: «قد بلغ الجهل بالنصارى إلى القول: إنّ اللّه ثالث ثلاثة، وإنّ الأرباب جماعة، وإنّ اللّه يصعد وينزل ويُولد ويُقتل، فيقصدون إلى ما في التوراة من أنّ اللّه قال: "نريد أن نخلق بشراً على صورتنا ومثلنا"[٢٦]. فيقولون:

---

(٢٥) **التمهيد**، ص ٨٥-٨٦.

(٢٦) سفر التكوين ١/٢٦.

هذا خطاب من جماعة. أما تسمعونه يقول: "نريد"، ولم يقل: "أريد أن أخلق بشراً مثلي"، لتعلموا أنّ الآلهة جماعة.. حتّى تعدّوا إلى القرآن، فقالوا: "إنّا أنزَلْناه في لَيلةِ القدْر"[٢٧]، قالوا: فهذا خطاب من جماعة لا من واحد. وقالوا في قوله عزّ وجلّ: "فلا أُقْسِمُ بربِّ المشارقِ والمغارب"[٢٨]، قالوا: فهذا أحد الآلهة والأرباب يُقسم بالأرباب. وقالوا في قوله عزّ وجلّ: "وَوَالِدٍ ومَا وَلَدَ"[٢٩]، قالوا: فإنّما الإله يُقسم بنفسه وولده. فيقولون: محمّد قد جاء بالنصرانيّة وبمذهبنا. ولكن أصحابه لم يفهموا عنه»[٣٠].

ثمّ رفض عبد الجبّار كون اللّه جوهراً فقال: «إنّ القديم ليس بجوهر ولا عرض.. وليس بجسم لأنّه لا يحتمل التركيب»[٣١]. وقال في مكان آخر: «على أنّه تعالى ليس بجوهر، إذ لو كان جوهراً لكان محدَثاً. وقد ثبت قدمه»[٣٢]. وقال أيضاً: «إنّ قولكم إنّه تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم مناقضة ظاهرة؛ لأنّ قولنا في الشيء إنّه واحد يقتضي أنّه في الوجه الذي صار واحداً لا يتجزّأ ولا يتبعّض. وقولنا ثلاثة يقتضي أنّه متجزّئ»[٣٣].

---

(٢٧) سورة القدر ٩٧/ ١.

(٢٨) سورة المعارج ٧٠/ ٤٠.

(٢٩) سورة البلد ٩٠/ ٣.

(٣٠) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١١٥-١١٦. أنظر أيضاً، وبالمعنى نفسه، إبن حزم، **الفصل** ١/ ١٣٠-١٣١؛ والخزرجي، **مقامع الصلبان**، ٢٨ و١٢٤، حيث يعتبران سفر التكوين دالاً على التثليث.

(٣١) عبد الجبّار، **المغني**، ٥/ ٩٩.

(٣٢) عبد الجبّار، **الأصول الخمسة**، ص ٢٩٢.

(٣٣) **شرح الأصول الخمسة**، ص ٢٩٢.

وقال أيضاً : إنّ النصارى «يلزمهم أن يقولوا في القديم إنّه مختلف متّفق، لأنّه، من حيث كان أقانيم يجب أن يكون مختلفاً، ومن حيث كان جوهراً واحداً يجب كونُه متّفقاً. وكون الأشياء متّفقة مختلفة مستحيل»[٣٤].

وأيضاً : «هذه الأقانيم، إذا كانت قديمة، فيجب أن لا يصحّ أن يختصّ الأبُ بما يستحيل على الابن والرّوح، ولا يصحّ اختصاصهما بما يستحيل عليه، ولا اختصاص كلّ واحد منهما بما يستحيل على الآخر. وهذا يوجب كون الابن أباً، وكون الأب ابناً، وكون الأب روحاً، والروح أباً.. فما شاركه في كونه قديماً يجب أن تصحّ عليه هذه الصفة على الوجه الذي صحّت عليه..»[٣٥].

وقال أيضاً : «إنّ الذات (الإلهيّة) لا تتعدّد بتعدّد أوصافها. فإنّ الجوهر الواحد، وإنْ كان موصوفاً بكونه جوهراً ومتحيّزاً وموجوداً وكائناً في جهة، فإنّه لا يتعدّد بتعدّد هذه الأوصاف، ولا يخرج عن كونه واحداً. فكيف أوجبتم تعدّدَ اللّه لتعدّد أوصافه؟ ولِمَ جعلتموه واحداً وثلاثة؟»[٣٦].

ولعبد الجبّار، بالنسبة إلى العدد في الأقانيم، رأيٌ. يقول فيه: إذا كان الأب أصلَ الأقنومَين الآخرين، فهو، معهما، إذاً، ثلاثة أقانيم. وإذا كان كلّ أقنوم مساوٍ للأب في الجوهر، فلكلّ واحدٍ منهما، إذاً، أقنومان.. وهكذا يكون في اللّه تسعة أقانيم لا ثلاثة»[٣٧].

---

(٣٤) **المغني** ٥/٩٠-٩١.

(٣٥) **المغني**، ٥/٨٦-٨٧.

(٣٦) **شرح الأصول الخمسة**، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٣٧) **المغني**، ٥/١٠١-١٠٢. قارن بـ **ردّ الورّاق**، ١/٧٦ظ-٧٠ظ.

وينتقد عبد الجبّار مقولة الثالوث موجِّهاً كلامه مباشرة إلى النصارى : «ألا ترون أنّكم تقولون: إله هو أب، والد، حيّ، قادر، قديم، خالق، رازق؛ وإله هو إبن، مولود، حيّ، قديم، خالق، رازق، ليس بأب، ولا والد، ولا يجوز أن يكون والداً، ولا أباً؛ وإله روح قدس، حيّ، عالم، قادر، خالق، رازق... ثمّ قلتم: هي ثلاثة أقانيم. فقلتم في كلّ واحد منها إنّه إله، وربّ، وقديم... وما مثال ذلك إلاّ كمن قال: عبدالله العربي رجلٌ وإنسانٌ وجسمٌ وشخصٌ؛ وخالد الفارسي رجلٌ وإنسانٌ وجسمٌ وشخصٌ؛ وزيد الرومي رجلٌ وإنسانٌ وجسمٌ وشخصٌ. قلنا: فهؤلاء ثلاثة رجال وثلاثة أناس وثلاثة أشخاص وثلاثة أجسام. فقلتم: لا. بل هم رجلٌ واحد. قلنا: لا يؤثر امتناعكم من إطلاق هذه العبارة في شيء قد أُشيعتْ حقيقتُه»[٣٨].

***

أمّا **إبن حزم الأندلسي** (+١٠٦٤م) فينقل عن النصارى قولهم: «إنّ الباري تعالى ثلاثة أشياء: أب وإبن وروح القدس. أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلّها وأنّها مع ذلك شيء واحد. إن كان ذلك كما ذكرتم، فبأي معنى استحقّ أن يكون أحدُها يسمّى أباً، والثاني ابناً! وأنتم تقولون إنّ الثلاثة واحد. وإنّ كلّ واحد منها هو الآخر. فالأب هو الابن، والابن هو الأب. وهذا هو عين التخليط.

«وإنجيلهم يُبطل هذا بقولهم فيه: سأقعد عن يمين أبي. وبقولهم فيه: إنّ القيامة لا يعلمها إلاّ الأب وحده، وإنّ الابن لا يعلمها. فهذا يوجب أنّ الابن ليس هو الأب. وإنْ كانت الثلاثة متغايرة. وهم لا

(٣٨) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ٩٥.

يقولون بهـذا. فليلزمهم أن يكون في الابن مـعنى من الضعف، أو من الحـدوث، أو من النقص، به وجب أن ينحطّ عن درجـة الأب. والنقص ليس من صفة الله، على حسب ما هو في حدوث العالم»(٣٩).

***

ويأخذ **الخزرجي** (+١١٨٦م) على النصـارى في قـوله لهم: «لقـد تأوّلتم في التـوراة، وفي بـعض النبـوّات، لإثبـات التـثليث، بما يخـرج عن منهج الحقّ... تأوّلتم، مثـلاً، في الملائكة الثـلاثة الذين أتوا بالبشارة إلى إبراهيم تحت العـفصة، فقام إليـهم، وبجّلهم، وخاطبهم خطابَ رجلٍ واحدٍ على ما ذُكر في توراة اليهود(٤٠). جعلتم ذلك دليلكم على التثليث... ثمّ احـتال بعضكم لذلك الكفر البشـيع والجهل الشنيع في ما هو أقبح: كالشمس ثلاثة أشيـاء: جرم، ونور، وحرارة، تشبيهاً بالتثليث. وكـالحديدة يحمّيهـا الحدّاد، ثمّ يمدّها. فليمدّ مـا شاء، فإنّه ليس يمدّ النّار وإنّمـا يمدّ جسمَ الحديد، تشـبيهـاً بالله عزّ وجلّ، حين صلب بظنّكم، إلى غير ذلك من الهذيانات» (٤١).

وعن إبطال التـثليث، قال الخزرجـي: «ومن عجيب تنـاقضكم إتفـاقكم على أنّ التثـليث أب وإبن روح قدس. وأنّ كلّ واحـد من هذه الثلاثة لا يُبصَر ولا يلحـقه ما يلحق الخليقة. وأنّ عيـسى كان يُبصَر، ويجوع، ويشبع، ويأكل، وغـير ذلك من صفات الخليقة. ثمّ جـعلتموه الابن من تلك الثلاثة، ويلحقه ما ليس يلحقها!

---

(٣٩) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ١/ ٥٠.

(٤٠) راجع تكوين ١٨/ ١-٢٢.

(٤١) **مقامع الصلبان**، ص ١٧١.

«فـإنْ قلتم: إنّ نصـفَـه هو إله تامّ، والنصفَ الآخـر ليس بإله، فيلزمكم، إذا دعـوتموه، أن تقولوا: يا نصفَ المسيح ارحـمنا! وإذا قيل لكم: مَن إلهكم؟ فقولوا: هو نصف المسيح! وكـيف يكون نصفه خالقاً، ونصفه معـبوداً لنصفـه، وليس بإله تامّ؟.. فإذا جـعلتمـوه كلّه إلهاً، فـأنتم تعبـدون غـير اللّه. ولا فـرق عندكم بين اللّه وبـين مخلوقـاته. وقلتم: "إنّ الابن إله تامّ، وإنّ الآب يسـتحقّ من الألوهيّة القِـدَم، ما لا يسـتحـقّه الابن" . فـإذا كان ذلـك، فالابن، إذاً، إله غـير تام، حـيث لا يستحقّ من الألوهيّة مثل ما يستحقّه الأب» (ص ٢١٧-٢١٨)...

«ثم اتّفقتم أنّ أقانيم الآب والابن والروح القدس غـير مختلفة؛ بل هي أقنوم واحد. فـإذا كان هذا، ألأب هو الابن، وهمـا روح القدس، والكلّ شيء واحد. وهـذا توحيد. فلِمَ خـصصتم المسـيح بالابن، ولم تقولوا إنّه الأب. وقد قلتم: إنّ الأب والابن والروح القدس شـيء واحد؟ ثمّ جعلتم جوهر البـدن شيئاً معبوداً وليس مـن الثلاثة. فهؤلاء، إذن، أربعة. وقد بطل التثليث، وصار تربيعاً. فإنْ أبيتم إلاّ ثلاثاً، فقد جعلتم نفي العبد وإثباتَه سواء. وكابرتم العقول» (ص ٢١٩).

***

أما **الإمام شهـاب الدين المعروف بالقرافي** (+١٢٨٥م) فيردّ على قول النصارى بأنّ المسيح « تجسّم إنساناً من الروح القدس ومن مريم»، ويقول : «هذا موضع الخبط والجـهل والكفر، وعدم الإنسانيّة بالكلّيّة. كيف يتخيّل عاقلٌ أنّ النطق يصيـر جسماً؟ وذلك كقول القائل: ألألوان والطعوم والروايح صـارت جِمالاً وبراذين[٤٢]. فمن قام به لونٌ

---

(٤٢) براذين، مفرد: بِرْذَون، وهي دابّة الحمل الثقيلة.

قام به برذَون. ومَن قام به رائحة قام به جَمَلٌ، أو فرَس. وكيف يتخيّل عاقلٌ أنّ المعاني تنقلب أجساماً، مع أنّ المعاني مفتقرة للمحالّ لذاتها، والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها. فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنياً لذاته، وذلك كانقلاب الممكن واجباً لذاته، والزوج فرداً والفرد زوجاً، السواد بياضاً. فإنْ كنتم تجوّزون هذا كلّه.. سقطت مكالمتكم، لأنّ الكلام مع البهائم عبث وسفه...» (ص٣٧-٣٨).

وعلى قول النّصارى، إنّ «سبب تجسّم الكلمة أنّ اللّطيف لا يظهر إلاّ في الكثيف»، يردّ القرافي: «هذا أيضاً من الجهالات النصرانيّة.. بل يجوز أن يخلق اللّه لنا علماً ضروريّا لكلّ لطيف من غير أن يحلّ في غيره.. ويلزم النصارى في هذا المقام أمور شنيعة: إمّا بطلان مذهبهم إنْ صحّ ظهور اللطيف مع الغنا عن الكثيف؛ أو يكون الأنبياء جميعهم لم يظهر لهم من صفات اللّه شيء قبل عيسى.. لأنّ هذا الاتّحاد شرط للظهور عندهم. وإنْ كان الظهور حاصلاً قبل عيسى كان الاتّحاد الحاصل لعيسى حاصلاً لجميع الخلائق.. حينئذ لا اختصاص لعيسى ولا مزيّة له...» (ص٣٨-٣٩).

ثم إنّ «النّصارى، لغلبة الجهل عليهم، لا يفهمون معنى الإله، ولا أي شيء هو الموجب لاستحقاق العبوديّة، فلذلك عبدوه ثلاثة آلهة، وهم لا يشعرون. فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل ثم يقتل... فينبغي لهذه الطائفة النصرانيّة أن تبكي وتنوح على فقْد العقل قبل أن تبكي على فقْد الدين».

«فتأمّل الفرق بين الإثنين، والبون الذي بين الدينين. هؤلاء المسلمون ضبطوا كلّ شيء. والنصارى أهملوا كلّ شيء. ومع ذلك يعتقدون أنّهم على شيء» (ص٤٠-٤٢).

«هذا كلام مَن لا يعلم الجوهر، ولا يعرف العرض، ولا يضبط علماً من العلوم. كأنّه نصراني» (ص٤٢).

***

أمّا شيخ الإسلام، **إبن تيميّة** (+١٣٢٧م) فله من عقيدة التثليث تفصيل وتوسيع، وانتقاد كبير. فهو يستعرض تعاليم النصارى في معظمها، ابتداءًا من نصوص العهد القديم، مرورًا بالأناجيل والرسائل، حتى «الأمانة»، ويأخذ منها، بعد تفنيدها، موقفًا رافضًا عدائيًا. ولنا أن نأخذ من كتابه عيّنات من موقفه الواضح. يقول:

«وأمّا قولهم: هذه صفات جوهريّة تجري مجرى أسماء.. فهذا كلام ظاهر الفساد، فإنّ الصفة القائمة بغيرها لا تكون جوهراً قائماً بنفسه، ومن ظنّ ذلك فهو إمّا مصاب في عقله، وإمّا مسفسط معاند. والأوّل يستحقّ علاج المجانين. والثاني يستحقّ العقوبة التي تردعه عن العناد»[٤٣].

وعلى هذا الأساس بنى إبن تيميّة انتقادَه، فقال: «معلوم عندهم (أي عند النصارى)، وعند سائر الملل أنّ اللّه موجودٌ، حيٌّ، عليمٌ، قديرٌ، متكلّمٌ، لا تختصّ صفاته بثلاثة، ولا يُعبَّر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدلّ على ذلك، وهو لفظ: الأب، والابن، وروح القدس. فإنّ هذه الألفاظ لا تدلّ على ما فسّروها به في لغةِ أحدٍ من الأمم، ولا يوجد في كلام أحدٍ من الأنبياء أنّه عبّر بهذه الألفاظ عمّا ذكروه من المعاني. بل إثبات ما ادّعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو ممّا ابتدعوه، لم يدلّ عليه شرعٌ ولا عقلٌ..

(٤٣) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ٢/١٤٦.

«وهم زعموا أنّ الكتب الإلهية نطقت بذلك. ثمّ تكلّفوا لما ظنّوه مدلولَ الكتب، فسّروه تفسيرًا ظنّوه جائزاً في العقل... ومن المعلوم أنّه ليس في الكتب الإلهيّة ما يدلّ على ذلك، بل فيها ما يدلّ على نقيضه.. وإنّ النصارى لا يميّزون بين ما يمتنع في العقل وبين ما يعجز عنه العقل» (٢/٩٢-٩٣).

ثمّ إنّ النصارى «ليس معهم بالتثليث لا حجّة سمْعيّة ولا عقْليّة، بل هو باطل شرعًا وعقلاً. وقولهم بالأقانيم باطل من أساسه «مع بطلانه في العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم، ولا في كلام الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها، ويقال إنّها روميّة، وقد قيل: الأقنوم في لغتهم معناه: الأصل، ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم، تارةً يقولون أشخاص، وتارة خواصٍ، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسمًا للذات والصفة معًا، وهذا تفسير حذّاقهم» (٢/١٠٢).

وفي فصل بعنوان «في بطلان كون الثلاثة إله واحد» (٢/ ١١٤-١٢٣)، يعرض شيخ الإسلام قول النصارى بأنّ «الثلاثة أسماء فهي إله واحد، وربّ واحد، وخالق واحد، ومسمّى واحد، لم يزل ولا يزال شيئًا حيًّا ناطقًا، أي الذات، والنطق، والحياة. فالذات: الأب الذي هو ابتداء الإثنين، والنطق: الإبن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل، والحياة: هي الروح القدس».

والجواب عند ابن تيمية على هذا المعتقد من وجوه:

أ - إنّ أسماء الله تعالى متعدّدة كثيرة، أكثر من ثلاثة: «إنّ للّه تسعة وتسعين اسمًا، مَن أحصاها دخل الجنة»... وإذا كانت أسماء

دليل عقلي، بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحمّلونه من أثقال المعاني ما تنوء به العبارات، ولا تحتمله أبعد الإشارات... لم يحاولوا أن يتّجهوا إلى العقل لإثبات قضيّتهم من بدهيّاته. فإنّ ذلك ليس في قدرة أحد، إذ ليس في قدرة أحد من البشر جمع النقيضَين في قرن، والتوفيق بين الأضداد. وقضيّتهم والبدهيّات العقليّة نقيضان لا يجتمعان.

«ونرى أنّ اعتمادهم على النقل لا يُغني من الحقّ شيئًا، لأنّ شروط الإنتاج في استدلالهم غير مستوفاة، إذ ترى أنّ تلك العبارات التي عثروا عليها في كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون... هذا وإنّ الإستدلال بكتبهم يفيد من يصدّقها، وهي ذاتها يعروها النقد العلمي في سندها».

نرى في كلام الشيخ الإمام طعنه في عقيدة الثالوث من خلال طعن النصارى في العقل، وفي الكتب التي يعتمد عليها العقل، وفي البراهين الضعيفة التي يقدّمها، وفي الأسلوب الذي يعالجها به، وفي التعابير التي يحمّلها أكثر ممّا تحتمل، وفي الإستنتاجات التي لا تستوفي شروطها... كل ذلك يدلّ على وهن هذ ه العقيدة المسيحيّة إذا ما خضعت للعقل البشري العادي.

***

والشيخ العلاّمة **محمد جواد البلاغي**، هو الآخر[٤٧]،. يتعامل مع جدول الحساب، من جمعٍ وطرحٍ، فلا يتوصّل إلى حلٍّ لغزِ الثالوث الإله الواحد. فهو يجمع ثلاثةً بعضَها مع بعض فإذا هي ثلاثة..

---

(٤٧) الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة في نهج الهدى.

والواحد هو جزء من ثلاثة. ولا يعقل كيف يكون ثلاثة كواحد وواحد كثلاثة. ألواحد وحده كالثلاثة مجتمعة. والثلاثة مجتمعة لا تزيد عن الواحد بشيء. والواحد لا ينقص عنه شيءٌ البتّة، منفردًا كان أم مجتمعًا مع الثلاثة. إنّها، في رأي الشيخ العلاّمة، «تلوّث» في العقل، و«عمى» في البصيرة والإيمان.

ويتصوّر حوارًا بين رجلين مسيحيّين على الشكل التالي :

عمّانوئيل: «... نعم. ينتقد القرآن على النصارى عقيدةَ التثليث البرهمي البوذي الروماني ويبرّء (كذا) المسيح من التلوّث بهذا التثليث».

أليعازر: «... وأمّا عقيدة التثليث فإنّ وجداني لا يقبلها منذ حداثتي. ولكن ساداتنا القسوس يعلّموننا بأن نؤمن بها إيمانًا أعمى، ولا يرضون لنا أن نراجع وجداننا فيها، ونزنها بالمعقول، فآمنّا بها إيمانًا بسيطًا.

«ألعفو يا سيّدي القسّ! فإنّي لا أتعقّل أن يكون الله واحدًا ذا ثلاث (كذا) أقانيم: الأب في السماء، والابن الإله المتجسّد في الأرض يجوع ويعطش ويحزن ويكتئب ويُقتل، والرّوح القدس يصعد وينزل وينقسم على التلاميذ. إنّ هذه الثلاثة واحد. والواحد ثلاثة. ألعفو يا سيّدي! أنا تاجر أعرف أبواب الحساب: فكيف أذعن بأنّ الواحدَ الحقيقي ثلاثةٌ ، والثلاثةَ المختلفةَ في الصفاتِ والآثار تكون واحدًا حقيقيًا؟!» (ص ٨٢).

***

وعن التثليث والتوحيد، يقول **عصام الدين حفني ناصف**[٤٨]: «هذه العقـيدة القائلة بألوهيّـة الآب والابن تقوم على بعض مـغالطات كمساواة الجزء بالكل:

١ – ليس من المستطاع أن يكون ثمّ كائنان غـيرَ محدودَين في آنٍ واحد. فـإنّ انتفاء المحدوديّة عن أحـدهما يفيـد أنّه يملأ الكون حتى يكظّه فلا يدع فيـه مجالاً للكائن الآخر... وأمّا الـقول باتّحاد الأقنومَين الأوّل والثاني، فهو ينفي الألوهيّة عن كليهما... ولا غناء في القول بأنّ كلّ منهما جزء لا يتم بغير الآخر.

٢ – وليس يتأتّى أن يشغل كائنان إثنان حـيّزَ واحدٍ منهما؛ بل لا بدّ أن يتراجع أحدهما ليفسح للآخر...

٣ – ليس من المتيسّر أن يحتوي الجسد البشري المحدود روحاً غير محدودة. إنّ ذلك أشبه شيء بوضع هذا الكوكب الأرضي في كرّة أرضيّة ممّا يباع عند الورّاقين» (ص ١١–١٢).

ويخلص السيّـد حفني ناصف إلى القـول : «نرى مما تقدّم أنّ المسيحيّة تحوي في أضعافها قدْراً كبيراً من الوثنيّة. وهي ما تزال إلى اليوم موسومة بميسمها. فالمسيحي، في وقتنا هذا، يعبد الثالوث، كما كان أسلافُه من البدائيّين يعبدون الأوثان» (ص١٥٢).

***

و يقول **الشيخ العاملي** في عقـيدة التثليث : إنّهـا هي الأخرى عـقـيدة وثنيّـة، بل إنّ التـثليث «هو مـن أقدم العـبـادات الوثنيّـة في

---

(٤٨) **المسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩.

التـاريخ... وقـد أجـمع علمـاء الآثـار على وجـود هذه العـقـيـدة في الحضـارات السابقـة على ولادة المسيح، وكذلك المحـقّقـون من علماء الغرب» (ص٣٣٤)[٤٩].

ويجد الشـيخ هذا التثليث عند الهنود، والبرهمـيّين، والبوذيّين الصينيّين، والفرس، والمصريّين، والكلدانيّين، والآشوريّين، والفلنديّين والإسكندنافيّين، والدرديّين، والمكسيكيّين (ص٣٣٥-٣٤٣).

وقد «أخذ النّصارى التثليث عن الـوثنيّين بكلّ معانيه، وحاولوا أن يفلسفوه في علم اللاّهوت. ولكنّهم لم يفلحوا، وكانوا كحاطب ليل، وإنّما زادوا المسألة تعقيداً، وكشـفوا عن عدم قدرتهم على تفسير هذه العقيدة بمـا ينسجم مع المنطق والعقل. ولكنّهم أنصفوا حـيث اعترفوا بهذا الجـهل، وإن صبـغوه بقولهم: إنّ الـتثليث فوق مـستـوى العقل البشري» (ص٣٤٣).

ويضيف الشيخ: «وشرح أصحاب هذه العقيدة للتثليث لا يزيد عن الذي فسّر الماء بعد الجهد بالماء».

ويستنتج: «ليس أحد من البشر ملزماً بعـقيدة لا يفهمها الناس حتّى بالوحي. ويجب أن تكون هذه العقيـدة إمّا للمجانين الذين لا عقل لهم حتى ينهـاهم عن قبول المتناقـضات. وإمّا لكائنات أخرى عـقولهم فوق عـقول البشـر؛ وإلاّ كيف يُعـقل أن يكون المسيح إلهـاً والحال أنّه ابنه، ومـعبـوداً والحال أنّه عـبـده، وواحداً والحـال أنّه ثلاثة، وثلاثة والحال أنّه واحد؟!» (ص ٣٤٤).

---

(٤٩) الكتاب المقدّس في الميزان.

ثم يقدّم الشيخ الأدلّة وينبّه القارئ «إلى النصوص الإنجيليّة التي تدل على بطلان هذه العقيدة» (ص ٣٤٧)، ويقول بأنّ بنوّة المسيح للّه ليست إلاّ بالمعنى نفسه الذي فيه يكون الناس جميعهم أبناء اللّه (راجع ص ٣٤٧-٣٥٨).

هذا بالإضافة إلى أنّ الشيخ يجد «موافقة النصوص المسيحيّة للنصوص الوثنيّة المقدّسة» في ما يخصّ بنوّة المسيح للّه، وكونه خالق العالم. يقول: «ربّما يعجب القارئ من هذا العنوان، ولكنّها الحقيقة التي نلمسها في كتب الفريقَين المقدّسة. فمن سبر العهد الجديد وغيره من الكتب المقدّسة عند النصارى يجد أنّ نصوصها في السيّد المسيح هي عين نصوص الوثنيّين في أبناء الآلهة، لفظاً بلفظ، وحرفاً بحرف. وهذا دليل لا يقبل الشكّ على تغلغل الديانات الوثنيّة في الديانة البولسيّة النصرانيّة. والمسيحيّة لم تحارب الوثنيّة قط بل تبنّتها» (ص٣٦٣).

ويتبنّى الشيخ كلام صاحب موسوعة "قصّة الحضارة" ول ديورانت الذي يقول: "وقصارى القول: إنّ المسيحيّة كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم» (ص ٣٦٤).

***

أمّا **الدكتور محمّد أحمد الحاج** فقد انطلق من قوله بأنّ «المسيحيّة الحاضرة تنكّرت لحقيقة التوحيد، وجاءت بعقيدة التثليث المقتبسة من الفلسفة الوثنيّة التي كانت سائدة آنذاك. إنّ المرء لتأخذه الدهشة من هذا الانحراف» (ص ٥-٦)[٥٠].

---

(٥٠) **النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث.**

ويتـوسّـع في هذه المقولة. ويخـتصـر قوله بما يلـي: «... كان للوثنيّة السـائدة في المجتمع الرّومـاني والوثنيّات المنتشـرة حوله أثر بارز أيضـاً في تسرّب الوثـنيّة إلى النصـرانيّـة. ونفهم ذلك جلياً إذا علمنا أنّ هذه الوثنيات قد عرفت عقيدة التثليث» (ص ٩٥).

ثمّ يقـول :«ليس التثليث وحـده من أصول المسـيحـيّة وثنـياً. فأكـثر تـعاليم المسـيحـيّة الحـالية مـسـتـعار من الوثنيّـة. والدارس للمسيـحيّة اليوم، إذا رجع إلى كتب الديانات القـديمة الوثنية، يدهشه ذلك التـماثل الواضح بين الشـعـائر والطقوس والأركـان المسيـحيّـة والوثنيّة...

«ونحن المسلمين. نقـول بأن المسـيـحيّـة الحالـيّة وثنيّـة، لأن مسيحية اليوم هي مسيحيّة بولس. ولا تمت بصلة إلى السيّد المسيح« (ص٩٦).

وينقل عن **الأستـاذ العـقّاد** الذي يقـول: "حتّى تاريخ الميـلاد وتاريخ الآلام قبل الصلب"، هي شعائر وثنيّة استعارتها المسيحية من الوثنيّة.

وعن **الأستاذ أحمد شلبي** القائل: "ولم تكتف المسيحيّة باقتباس الأحـداث، وإنّما اقـتبـست أيضـاً الأيام والتواريـخ، فمـولد عيـسى، وصلبه، وعودته إلى الحياة، تقع في أيـام تتفق تماماً مع أحداث وثنية ترتبط بمثل هذه الأيام". ويعلّق : «وهذا كلّه يوضح أنّ المسـيحيّـة قد اقتـبست كلّ هذه المعتـقدات عن الوثنيّين حتى صـارت ديانة وثنيّة لا تمت إلى الرسالات السماوية بصلة (ص ٩٧).

وينقل عن **محمّـد طاهر تنير** الذي كتب كتاباً بعنوان "**العقائد**

الوثنيّة في الديانة المسيحيّة"، وفيه الفصل الأوّل: عقيدة التثليث عند الوثنيّن وعند النصارى" (ص ٩٨).

وعن **محمد مجدي مرجان**[٥١] الذي يقول: "والمتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعتبر أصلاً من أصولها ومعتقداً من معتقداتها. وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريّين. وقال به الهنود. وقال به غيرهم من الأمم الوثنيّة"[٥٢].

«هذه الأقوال تشهد بصحّة قولنا: إنّ التثليث لم يكن أصيلاً في النصرانيّة منذ بدايتها، وإنّما هو نتاج للأفكار الوثنيّة السائدة في ذلك الوقت. وعندما أرادت النصرانيّة أن تنتشر في تلك المجتمعات الوثنيّة تنازلت في سبيل ذلك عن عقيدتها الأصليّة وذابت في تلك المجتمعات» (ص ١٠٠).

ثمّ يعدّد الدكتور الحاج الوثنيّين الذين قالوا بالثالوث. فيجد «التثليث عند قدماء المصريّين» (ص ١٠٠-١٠٣)، و«الثالوث عند الهنود» (١٠٤-١٠٧)، و«البوذيّة» (١٠٧-١١٠)، وعند «اليونان القدماء...، وقدماء الرومان...، وكذلك الفرس» (١١٠-١١١). و"كان الأشوريّون والفينيقيّون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم"[٥٣].

وعند «الهندوس في المكسيك» وجد قسيس أن الناس "يقولون

---

(٥١) يقول الدكتور الحاج: «الأستاذ مرجان كان نصرانيا فأسلم، وقد درس الثالوث في مدرسة مسيحيّة وكان شمّاساً في إحدى الكاتدرائيات ثم داعياً للثالوث. أنظر: مقدمة كتابه "ألله واحد أم ثالوث؟"، ص ٦. راجع أيضاً حاشية رقم ٣ ص ١٠١.

(٥٢) عن محمد مجدي مرجان، **الله واحد أم ثالوث** ص ٧٨.

(٥٣) نقلاً عن تنير، ص ٣٠.

بإله واحـد في ثـلاثة أقـانيم، وإنّه ثلاثة أقـانـيم في إله واحـد "(٥٤)، فأرسل إلى أسـقفـه يعلمه بذلك. ويعلّق الدكـتور الحـاج: «وكأنّ هذا القسيس يبعث إلى سيّده المطران أنّه لا داعي للتـبشير بالنصرانيّة بين هؤلاء الوثنيّين، فـإنّ ديانتهم تشبـه ديانتنا، وهم متّـفقون مـعنا على جوهر العقيدة» (ص١١١)

«وعقيـدة الهندوس الكنديّين شبيهـة بعقيدة المكسـيكيّين، فهم " يعبدون إلهاً مـثلث الأقانيم ويصوّرونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، ويقـولون: إنّه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة "(٥٥) (ص ١١١-١١٢).

وأخيـراً ينقل الدكتور الحاج عن إسـتاذه **الإستاذ مـرجان** في موضوع التثليث، فيقول:

" إنّ اللّه عـبارة عن عـائلة تتكوّن من ثلاثة كائنات، وكلّ كـائن منها غير الآخر، ولكن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهيّة علاقات وأواصر متينة ظاهرة وخفـيّة، عاطفيّة وحسّيّة أيضـاً. وقد نتج عن العلاقة بين أقنومَي الآب والابن ثمرة هي الأقنوم الروح القدس.

«ويعقّـب الاستاذ مـرجان على هذه النظـريّة بسخريّـة رائعة، فيقـول: " ومَن يدري فقد تعقب هذه الثـمرة ثمراً أخرى، يتزايد فـيها عدد أفراد الأسرة الإلهيّ، فقد يشتاق الآب إلى ابنة أيضاً، يبثّها محبّتَه وحنانه، وتكون أخـتاً حـانية لـلابن، ويمكن أيضاً مع الزمن تصـوّر إضافة أعضاء جدد للأسرة الإلـهـيّة يتمّ بها نموّها، ويكثر عددها. فمع

---

(٥٤) عن محمّد طاهر تنير، ص ٣١.

(٥٥) نقلاً عن المرجع نفسه، تنير، ص ٣٢.

الزمن يصبح الأب جداً والابن أباً والابنة أمّاً، ويُنجبون ثمرات وأحفاداً تتمّ بهم البهجة، ويقتصر الحبّ الإلهي عليهم... أمّا البشر، عبيد اللّه، فلا حبّ ولا حنان لهم، وإنّما حنان اللّه وحبّه مقصوران على أفراد جنسه الإلهي وعلى أعضاء عائلته السماوية "[٥٦] (ص ٢١٣).

***

ولشريف محمّد هاشم أسلوبه ومنطقه في كلامه على الثالوث. المسيحيّة، في رأيه، «قالت بالتوحيد المركّب للّه. وهي نظريّةٌ عجيبةٌ معقّدةٌ، مركّبةٌ، حاكتها المسيحيّة حول نفسها فباتتْ أسيرةَ خيوطها وحبيسةَ أليافها». فيما الإسلام «فالتوحيد فيه هو المنطلق، وهو الأساس، وهو البداية والنهاية، ولولاه لما كان إسلام ولا مسلمون» (ص١٦٥)[٥٧].

عقيدة التثليث المسيحيّة، في رأي السيد هاشم، هي «أصل العقائد المحرّفة عند المسيحيّين». وهي تسرّبت إليهم من الوثنيّين، من الفراعنة والهنود والأشوريّين والإغريق (٢٤٣-٢٤٤). «فلسفة التثليث (هذه) عضو غريب في جسد المسيحيّة المريض... أوقعَتِ العقلَ المسيحي في حَيرة دائمة» (ص٢٤٥).

وفي دهشة من العقل المسيحي المتخلّف يسأل السيّد هاشم: «ألسنا نرى هنا ثلاثة آلهة؟ الآب وحده هو اللّه. والابن وحده هو اللّه. والروح القدس وحده هو اللّه. والثلاثة معًا هم اللّه. ألّله يتفرّق فيكون

---

(٥٦) نقلاً عن محمّد مجدي مرجان، **اللّه واحد أم ثالوث**، ص ١٩.
(٥٧) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**.

ثلاثة. ويجتمع فيكون واحدًا! فأين العقل الذي يَقبل هذا! أو يحتمل هذا؟!» (ص٢٤٩). يحكم السيد هاشم بأنّ « أصحاب عقيدة التثليث عاجزون عن فهمها »(٥٨).

والنتيجة، «لن يتخلّص المسيحيّون من الحيرة والضياع، والصراع مع ذاتهم، والتخاصم مع عقولهم، إلاّ إذا طُردَتْ بدعة التثليث من ديانتهم، وعادتْ وحدانيّة اللّه إليها، لتكون أساس إيمانهم، وركيزته، وعماده، وبدون ذلك،فلا دواء ينفع، ولا شفاء يُرتجى» (ص٢٥١).

بولس هو المسؤول عن إدخال هذه العقيدة الفاسدة في المسيحيّة: «بركان رهيب فجرّته في المسيحيّة عقيدة بولس التثليثية، ولا أحد يعلم إلاّ اللّه متى يخمد، ويهدأ، ويستكين» (ص٢٦٤).

طالما يؤمن المسيحيون بالتثليث فهم إلى الأبد مشركون: «عوامل الشرك في المسيحيّة قائمة واضحة، طالما أنّ عقيدة التثليث فيها قائمة معتمدة» (٢٧١-٢٧٢). هذا يعني «أنّ المسيحيّين والمشركين سواء بسواء. ويجب أن تجرى عليهم، إذاً، حدود القرآن وأحكامه، من قتلٍ وتكفيرٍ وجهادٍ ضدهم واعتبارهم أنجاسًا ظالمين».

***

ويعلّق **الدكتورمحمود أيّوب** على ما جاء في القرآن: "لقد كفر الذين قالوا إنّ اللّه ثالث ثلاثة" (٥/٧٣). ويقول: «ليس ثمّة لاهوت مسيحيّ يقول بالثلاثة الآلهة. والثالوث، كما يراه اللاّهوت المسيحيّ،

(٥٨) عنوان فصل، ص ٢٤٥.

منذ أقدم العصــور وحتى عصرنا الحاضر، هو ســرّ إلهيّ لا يُعبَّر عنه إلاّ ببعض الرموز؛ ولكنّ كلّ هذا السرّ أبعد من فــهمنا نحن. فربّما كان القــرآن يشيــر إلى الذين جعلــوا من هذا السرّ الإلهي، أو هذا الظهــور الإلهي بثــلاثة أقانيم، ثلاثة آلهــة مخــتلفة، والخــلافات والجـدال بين المسيحيّين حول الخريستولوجـيا، أو ماهيّة المسيح، لم تنتهِ بعد» (ص ١٥)[٥٩].

***

أمّا مفتي الجمهورية اللبنانية **الشيخ حسن خالد** فيعترف بأنّ «من أبرز العقائد النصرانيّة الأساسية اعتقادهم بالتثليث» (ص٦٠١). ويعترف أيضًــا بأنّها عقيدة عــامة شاملة جميع الكنائس والمســيحيّين على اختلاف طوائفــهم ومذاهبهم. ومع اتّفاقهــا جميعها تبــقى معاناة المسيحيّين حيال فهمها وإدراكــها مستعصية على العقل. ومع هذا فهم يبذلون جهدهم ليقرّبوها إلى عقول الناس[٦٠].

يقــول سمــاحــة الشــيخ: «ولكي يخــرج النصــارى من عقــدة الإختــلاف مع نزعة التوحــيد الجليّة في التــوراة، وهي كتاب مــقدّس لديهم، فهم يبذلون كل وسعهم للتوفيق بين ما يقولون به من التثليث، وما جــاءت به التوراة من التوحــيد. ولكنّهم، مع كل ما يبــذلون، تبقى محاولاتهم مستــعصية على العقل كل الاستعصاء، لأنّهــا في الحقيقة شبــيهةٌ بمحــاولة الجمع بين النقيــضَين، أو التوفيق بين المتــضادين» (ص٦٩٧).

---

(٥٩) **الحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي.**

(٦٠) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنّصرانيّة.**

ويصرّح سماحةُ المفتي، بعد اكتشافه عجزَ العقل المسيحي عن تفسير ما اخترع على الله من مثلّثات، بأنّ المسيح عيسى، بحسب تأكيد القرآن، هو عبد لله، مثله مثل سائر الأنبياء: «إنّ عيسى ليس ابنًا لله، وليس إلهًا. وهو أيضًا ليس أحد آلهة ثلاثة. وإذا كان القول ببنوّة عيسى لله، أو بألوهيّته، كفرًا، فإنّ القول بتعدّد الآلهة وأنّه أحدُها لا يقلّ عن ذلك جنوحًا في الكفر وإغراقًا في البعد عن الحقّ والصواب» (ص٧٠٢).

وحجّة المفتي في نفي التثليث هي أنّ القول بآلهة يفرض «أنّ كلّ واحد من الآلهة سينفرد بخلقه وملكه وسلطانه، ويحجب عن الآخرين القدرة على التدخّل فيهما. وهو عجز في حقّ المحجوب والممنوع. والعجز والألوهيّة لا يلتقيان، أو سيقع بينهما التحدّي وسيتقاتلان» (ص٧٠٣).

يبدو أنّ سماحة المفتي، في كلامه على عقيدة التثليث، وفي نفيه لها، ينطلق من شفقته على المسيحيّين الذين يحاولون دائمًا فهم عقيدتهم، ولكن دون جدوى. ومع شفقته يريد تبسيط الأمور لهم ليدركوا هذا المثلَ الشائع بإثباتِ وجوبِ فرديّة الرئاسة والقيادة، هو: « " رئيسان في المركب يغرّقانه " . وهو مَثَلٌ لا يُنسى أبدًا. وينبغي الإستفادة منه» (ص٧٠٣).

***

أمّا **أحمد زكي**، في كتابه[٦١] ألذي وضعنا كتاباً خاصاً في هذه السلسلة للردّ عليه، فقد غاصَ في إظهار نيّات شاؤول الفرّيسي،

---

(٦١) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

والمجمّعات الكنسيّة الوثنيّة، والأساقفة والقساوسة، وبيّن الغايةَ من معتقدهم بالثالوث، وتنكّرهم للتوحيد؛ فإذا هي اثنتان:

ألأولى– «لتكسبَ (الكنيسة) أكبرَ عدد ممكن من الوثنيّين في دينها الجديد؛ والثانية – لإضلالهم وحرمانهم من الجنّة، حسب رغبة اليهود وتخطيطهم» (ص ٨٤).

فيكون الثالوث، بالتالي، اختراعاً يهودياً شرّيراً، لتبقى الأمم، أي "الغوئيم" محرومين، كفّاراً، مشركين، بعيدين عن التوحيد الذي هو مفتاح الجنّة.

قال : «... مِن أهمّ أهدافهم (أي اليهود) الرئيسيّة الكبرى، هو تسويق هذه الأسماء الثلاثة (ألأب والابن وروح القدس) بين السذّج والوثنيّين.. ليبقى اللّهُ إلهَ اليهود وحدَهم، وتبقى الجنّةُ لهم» (ص١٨١).

وقال: «إنّ هذا الثالوث ليس من دين المسيح في شيء. وإنّه ليس إلاّ معتقداً شاؤولياً كنسيّاً وثنياً، ابتدعه قساوسةٌ يهود، خَرِبِيُّ الذّمّة، فاسدي الضمير، من أساطين صهيون القدامى، الذين أرادوا أن يضلّوا الأممَ، ويبعدوهم عن شهادة "لا إله إلاّ اللّه"، التي هي مفتاحُ الجنّة ليُبقوا الجنّةَ لأنفسهم» (ص٩٨).

وقال: «ألكنيسة.. تحوّلتْ من التوحيد إلى التثليث.. وقتلتِ الملايين منهم (أي من المسيحيّين الموحِّدين). وفرضتْ معتقدَها الثالوثي بقوّة السيف والإرهاب.. وجنتْ من ذلك أرباحاً لا تحصى.. ونحن لا ندري إلى متى ستخفي الكنيسةُ الحقيقةَ، وتستمرُّ في الضحك على ذقون طوائفها.. وتنشر الثالوثَ لإبعاد المسيحيّين عن

شهادة "لا إله إلاّ اللّه" الواحد، لتبقى الجنّةُ لليهود، لا يزاحمهم عليها المسيحيّون» (ص١٦٨-١٦٩).

وهناك أسئلة عديدة يودّ السيّدُ أحمد زكي طرحَها على المسيحيّين، تتناولُ إلوهيّةَ كلّ واحد من الثالوث.. فهو لا يعرفُ الجواب. ويتمنّى على المسيحيّين أن يوافوه بالجواب.

قال: «من حقّنا أن نسألَ هؤلاء الذين ما زالوا يؤمنون بأنّ الأبَ إله، والابنَ إله، والروحَ القدس إله؟ لَمن الحكمُ فيهم، إن أراد أحدُهم أمراً؟.. كما نسألهم مَن منهم المتّصفُ بالأوّل؟.. ومَن منهم، يا تُرى، الذي خلقَ الشمسَ؟ ومن منهم الذي خلقَ القمر؟ إلخ..

ثمّ «إنّ أحدَ الثلاثة يأكلُ ويشربُ وينامُ. لكنّ اللّهَ الحقيقي لا يأكلُ ولا يشربُ ولا ينام. والثاني، روح القدس، يأخذُ شكلَ حمامة. واللّهُ الحقيقي لا يتجسّد في شكل حمامة لعلّ أحداً تصيّده وقتلَه. واللّه لا يموت. والأب يتغيّر من أب إلى إبن إلى روح قدس. والإلهُ الحقّ لا يتغيّر..

أمّا المجامع التي عقدها الأساقفة والقساوسة من أجل إقرار الثالوث، فهي أوّلا مجمع نيقية، سنة ٣٢٥، الذي كان «من أخطر المجامع على الاطلاق، لخروجه على دين المسيح الحقيقي، حيث، في هذا المجمع، وضعوا نهايةً لدين عيسى الناصري الموحِّد باللّه؛ فأعطَوه تَرْقِيَةً من نبيٍّ إلى إله... إذ قامت حفنةٌ منهم، مائتان وثماني عشر أسقفاً من أصل ٢٠١٨ أو أكثر، لا يدري أحدٌ مدى علمِهم أو ثقافتهم أو مؤهّلاتهم.. ولكن، الثابت، أنّهم جَهَلَةٌ، بدون علم أو ثقافة. ضمائرُهم خَرِبَة. من العملاء الانتهازيّين، والمسْتَعدِّين للتحالف مع الشيطان من أجل كراسيهم ومصالحهم الشخصيّة، متّخذين الدينَ

وسـيلةً للارتـزاق وجـمْع الثـروة، بزعـامـة الأسـقف (الإسكافي) أثناسيوس، أسقف الإسكندريّة.. المنافق» (ص٨٢).

وجاء مـجمع القـسطنطينيّة، والتـحالف مع الشيطـان لم ينته. و«..للأسف، فالمؤامـرة كانتْ مسـتمرّةً، إذ نجـدُهم، بعد ٥٦ سنة من تأليه عيسى (في مـجمع نيقية سنة ٣٢٥)، قد عقدوا مـجمعاً آخَرَ في القسطنطينيّة، سنة ٣٨١، تحت رئاسة تيموثاوس أسقف الأسكندريّة أيضاً. واسمُـه يدلّ عليه. إنّه يهوديٌّ. مندَسٌّ بين القساوسـة. فأضاف هذا للمـجتـمعين إلهـاً آخر لآلهـتهم، هو "روح القـدس"!!! إيْ واللّهِ! يجتمعون ويصنعون آلهتَهم بأيديهم!..

«ونحنُ لا نناقـشـهم في هذا التـخريف الذي ينـاقضُ بعضُـه بعـضـاً. إنّما نسـألهم سـؤالَين مـحـدّدَين: ألأوّل– مِن أين لهم هذا!!!! والثـاني– هل قـال لهم المسـيح إنّ إلهَهُ كـان ناقـصـاً فطلبَ منهم أن يكمّلوه؟!» (ص٨٤).

ألكنيسة، بحسب السـيّد زكي، «تؤمن بثلاثة آلهة. وتزعم أنّهم واحد. محطّمين كلَّ قـواعد الرياضيّات.. ومزعجين أنشْـتَين في قبره. فـمتى كـان الواحد يسـاوي ثلاثة، والثلاثة تسـاوي واحد (كـذا)؟!» (ص٤٣).

ويقـول أيضاً : «ونتـحدّاكم أن تدرّسـوا حسـابَكم هذا في أي مدرسة في العالم. ولو طبّـقت نظريّة الواحد=ثلاثة، أو الثلاثة=واحد في أيِّ شركة أو مؤسّسة لاختلّ ميزانها المالي..» (٣٩٢–٣٩٣).

ويكرّر شفـقَتَه عـلى أنشتاين، فـيقول: «جـمعت الكنيـسة بين الإثنين (أي الواحد والثـالوث)، وخرجتْ بالدين المستحـيل.. قائلةً: إنّ

الواحد = ثلاثة، والثلاثة = واحد، ممّا أغضب أنشتاين في قبره، وأزعج أستاذَ الحساب، والتلميذَ الصغير، ورفضَه الكمبيوتر، وجميعُ الآلات الحاسبة في العالم، مع أنّ مخترعيها من المسيحيّين» (٤٨٢).

ويردّد جدولَ الحساب ويقول: «ألدنيا اليوم تغيّرت، والواحد يساوي واحد (كذا)، ولا يساوي إلاّ واحد، والثلاثة تساوي ثلاثة، ولا تساوي إلاّ ثلاثة. لقد وصل البشرُ إلى القمر والمرّيخ بحسابات ١+١+١=٣، وليس بحسابات ١+١+١=١. ولو اعتمدت "ناسَا" حسابات الكنيسة، لتاهتْ صواريخُها في الفضاء، أو ارتدّتْ عليها، وانفجرتْ محطّمةً قاعدتَها التي انطلقتْ منها، ولقد حطّمَ الكمبيوتر وجميعُ الآلات الحاسبة كلَّ الموازين التي تقول: ١+١+١=٣، فأصبحت هذه الأناجيل متأخرة، بل ومتأخرة جداً، لا تواكب العصر الذي نعيش فيه، ولقد تجاوزها الزمن والأحداث، وخلّفاها وراء..» (ص ٧٥٩).

ولقد استعمل الإنجيليّون، في رأي السيّد زكي، حيلةً ذكيّةً لتمرير نظريّة الثالوث، وجعل الناس يتقبّلونها بسهولة، وذلك، عندما راحوا، من أوّل أناجيلهم، يكررون على مسامعنا الرقم ثلاثة.

فهناك، مثلاً، ثلاث تجارب للمسيح في البرّيّة، سبقها ثلاث هدايا المجوس، وثلاثة أكيال دقيق، وثلاث مرّات أنكر بطرسُ المسيح، وثلاثة أيام دفن خلالها المسيح في القبر، وثلاثة مصلوبين... «يحاول كاتبُ هذا الإنجيل (متّى) أن يغسلَ أدمغتَنا تدريجيّاً بالرقم ثلاثة، ليجرّنا في النهاية إلى فخّ إلهه المثلّث الذي نصبه لنا في آخر إنجيله، حيث قال: "وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"» (ص ٣٦٦).

ويعلّق السيّد زكي على "ثلاثة أكيال دقيق"، في متّى (١٣/ ٣٣-٣٤)، فيقول: «هنا دسٌّ آخَر، يحاول فيه متّى المزعوم أن يدسّ علينا الرقمَ ثلاثة الذي هو رقم الثالوث.. فبالله عزيزي القارئ! ألا تفعلُ الخميرةُ فعلَها لو كانت في كيلٍ واحد؟! أو أربعة!؟ أو سبعة؟! أو عشرة؟!.. لماذا اختار الرقم ثلاثة؟ لا معنى لاستعماله سوى الدسّ والتحريف" (ص ٥٤٦).

وبإسلوب محاكم الجنايات، وإلقاء القبض على المجرمين، يقول: «فيا أعزّائي القرّاء! يا مَن نحاول جهدَنا في تخليص أرواحهم من النار الأبديّة! أمام أعينكم تزوير واضح. ولقد ألقينا لكم القبضَ على هذا الكاتب اليهودي الوثني الذي لا يخافُ اللّهَ، والذي سمّى نفسَه متّى، وهو متلبّس بأكبر جريمتَي تزوير في دين المسيح:

ألأولى دسٌّ فيها لفظ "ابن اللّه"،

والثانية جريمة شطب اسم اللّه الأعظم ودسّ اسم "الأب" مكانه. وكلا اللّفظين غريبَين على دين المسيح الحقيقي. والمسيح ما عرف يوماً إلهاً اسمه الأب. ولا عرف إلهاً إسمه الابن. إنّما عرفَ اللّهَ وحدَه الذي هو في الخفاء دائما..

«فتأمّلوا جيّداً، أعزائي القرّاء! يا مَن تعتقدون أنّكم مسيحيّون! لأنّكم أمام عمليّة من أخطر عمليّات التزوير في تاريخ العقائد على الإطلاق..

«.. مَن من البشر يستطيع أن يشطبَ اسمَ اللّه في كتابٍ يزعمون أنّه مقدّس، ليضعَ مكانَه اسمَ الأب.. أو أيَّ إسمٍ رخيصٍ آخر.. إلاّ الشيطان!» (ص١٦٦).

أمّا لفظة "أقنوم" التي تسمّي الكنيسةُ بها كلَّ واحد من آلهة الثالوث، فهي لفظة دخيلة. لم يقلْها المسيح. ولا هي توجد، في الإنجيل الحقيقي أو في الأناجيل المزيّفة، ولا حتّى عند شاؤول.. فمِن أين جاء بها القساوسة؟

يقول السيّد زكي: «المسيح لم يقلْ ذلك أبداً. بل لم يتلفّظ بلفظة أقنوم في حياته. مع أنّ لفظة أقنوم سريانيّة. فأنت لو بحثتَ عن هذا اللفظ في الأناجيل، أو في العهد القديم، فإنّك لن تجدَه مطلقاً، لأنّه من زعم الكنيسة» (ص٩٥).

ونصيحة السيّد زكي للمسيحيّين، وهم يقرأون أناجيلهم، أن يشطبوا لفظة "الأب" ويعيدوا مكانَها لفظة "اللّه"، فيستقيم لديهم المعنى، ويكونوا قد ساهموا بإلغاء بعض ما أضافته الشاؤوليّة الكنسيّة إلى النصوص المقدّسة.

يقول: «وتمرّ الأيّام، ومؤامرة الشيطان مع بني آدم مستمرّة، إذ، بعد أن أدخلوا لفظة "الابن" في دين المسيح الحقيقي، قاموا بإدخال لفظة "الأب"، ليكمّلوا جَرْفَ المسيحيّة الحقّة إلى هاوية الوثنيّة... ولكن، الذي يجب أن يفهمه.. كلُّ مسيحي عاقل، يؤمن حقّاً بالمسيح، هو أنّ لفظ "اللّه" كان موجوداً في الأساس لغاية؛ ثمّ استُبدلَ بعد ذلك بلفظ "الأب". وعليه يكون لفظ "الأب"، الموجود في الأناجيل حاليّاً، دخيل (كذا) على المسيحيّة الحقّة.. أللّهُ ليسَ أباً لأحد.. بل لم يكن إسمُه أباً في يوم من الأيّام. وعليه فمن حقّنا، وحقّ كلّ مسيحي يقرأ الأناجيل اليوم، أن يشطبَ كلَّ لفظة "أب" تمرّ معه في الأناجيل ويضع مكانَها لفظ "اللّه". وبذا يكون قد أعاد شيئاً من المصداقيّة في أناجيله إلى ما كانت عليه قبل التحريف» (ص٨١-٨٢).

«فكيف تجرؤ أن تقول على اللّه إنّه الأب، أو الابن، أو روح القدس. ولا تتوقّع عقاباً يوازي كفرَك؟!.. إنّ في ذلك أكبر تجديف على اللّه» (ص١٧٩).

ويطبّق السيّد زكي قولَ المسيح: "كلّ مملكة منقسمة على ذاتها تخرب" (متّى١٢/ ٢٥)، فيقول: على اللّه الذي انقسمَ إلى ثلاثة شعب، ثم على المسيحيّين الذين انقسموا، بسبب انقسام إلههم، إلى عشرات الشيَع، أن يخربوا وينتهوا. قال :

«... باللّهِ! كيف يكون الأمرُ إذا كان ربُّهم منقسم (كذا) على ذاته! فتارةً هو أب، وتارةً هو ابن، وتارة أخرى هو روح قدس، ومملكتُه منقسمة على ذاتها بين هذه الأقانيم الثلاثة! لقد وصموا ربَّهم ومملكتَه بانفصام الشخصيّة. والإله المريض بانفصام الشخصيّة ليس إله (كذا).

«ولأنّ قولَ المسيح هذا قولُ حقّ.. لم يثبتِ الدينُ الشاؤولي الكنسي، فانقسمَ على ذاته إلى مئات الطوائف، وانهار في أوروبّا الشرقيّة، عندما تركه الناس واعتنقوا الماديّةَ الشيوعيّةَ..

«وانهار اليومَ كذلك في أوروبّا الغربيّة وأمريكا، فخلتِ الكنائسُ من روّادِها، خلا كبار السنّ. وأصبحتْ تُباعُ بالمزاد العلني. وحلّ محلّه السرقات والجرائم والزنى والخمر والقمار والاغتصاب والمخدّرات والشذوذ الجنسي..الخ..

«وبسبب هذا الدين، فسدتِ القارّتَين (كذا) وخربتا، حسب قول المسيح، ممّا يثبت لكلٍّ معتبر أنّ اللّه واحد، ولا يمكن أن ينقسم على ذاته..

«لهذا نقــول: ويل للعالم لو لم يــرحمْه اللّه، ويُنزل الـقرآنَ على مــحمّــد، الذي، لولا نزوله، مــؤكّداً على وحــدانيّــة اللّه، لفــسد العــالمُ أجمع...» (ص٥١٨).

***

هذا بإختصــار ما يجول في خاطر المسلمين وكـتبهم من نقض لعقــيدة مســيحيّــة أساسيّــة. ولولا هذه العقــيدة لما كانت مــسيحــيّة، ولولاها أيضًا لمــا اختلف الإسلام عن المســيحــيّة؛ بل نستطـيع القول: لولاها لما كان إسلام. أو لكان الإسلام والمسيحيّة دينًا واحدًا مع بعض الفروقــات الشكلية التي لا يُعــتدّ بها ولا يُحــسب لها حســاب... ولـهذا السبب وُجد مَن يقرّب بين الإسلام والنصــرانيّة على أنّهما دين واحدٌ، ووُجـد مَن يقــول بإمكانيّــة الحــوار المســيــحي–الإســلامي، إذ إنّ النصرانيّــة، في نظر هؤلاء، إذا أُلغيتْ منها عــقيدة الثالوث، أصــبحتْ كالإسلام، لا ثالوث فيها، وبالتالي لا مسيح هو عندها أكثر من نبيّ.

الفصل الخامس

ألوهيّة المسيح

لنبدأ بالبداية: مسيح الإنجيل والمسيحيّين غير مسيح القرآن والمسلمين، بحسب رأي القرآن والمسلمين كافّة :

مسيح الإنجيل والمسيحيّين هو: ابن اللّه الآب. صار إنسانًا من أجل خلاص البشر. عاش مثلهم في كلّ شيء. اختار له رسلاً وتلاميذ، اضطهده رؤساء الكهنة والفرّيسيون وأركان الدين اليهودي، بسبب مواقفه من الناموس. عذّبوه، وصلبوه، وقتلوه، فمات. وبعد ثلاثة أيّام قام بقوّته الإلهيّة. صعد إلى أبيه. وأرسل الروح القدس على رسله، فراحوا، بقوّة هذا الرّوح، يكرزون باسمه في العالم كلّه. وأسّسوا له في كل مدينة قَبِلَتْهم، وفي كل شعب انقاد إليهم، كنيسةً، لا تزال مستمرّة، بفعل هذا الروح، تواكب العالَمَ في تطوّره ومسيرته نحو الملكوت.

***

أمّا **مسيح القرآن** والمسلمين، فهو نبيّ كسائر النّبيّين السابقين، ولد بطريقة معجزة، من مريم التي حملت به بعد أن أرسل اللّه إليها

جبـريل، الذي «تمثّل لها بشـرًا سويًا» (١٧,١٩)، وقال لهـا: «إنّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلامًا زكـيًا» (١٩/١٩). فكأنت، هي وابنها «آية للعالمين» (٢١/٩١).

فالقرآن يعتبر الذين يطعنون بنبوّة المسيح، كافرين، كما يعتبر الذين يأخذون المسيحَ بمنزلة إله، مشرِكين. وحدهم المسلمون، وقبلهم نصارى مكّة، كانوا "أمّةً وسطاً" (٢/١٤٣)، بين الكفر والشِرك، "أمّة مقتصدة" (٥/٦٦) في عـقيدتها وفي موقفها من عيـسى، أمّة معتدلة "من قوم موسى يهدون بالحقّ، وبه يعدلون"[١]. أمّة لا تظلم عيسى، كاليهود؛ ولا تغلو فيه، كالمسيحيّين[٢].

ويتوجّه الـقرآن إلى الذين غلوا في إيمانهم بعيسى فـقال: "يا أهلَ الكتـاب! لا تغلُوا فـي دينكم غـيـر الحقّ" (٥/٧٧)، "لا تغلوا في دينكم ولا تقـولوا على اللّه إلاّ الحقّ" (٥/١٧١). هؤلاء الـذين يغلون هم كفّار مشركون، ومصـيرهم إلى عذاب أليم: "لقد كفر الذين قالوا إنّ اللّهَ هو المسيحُ ابنُ مريم"[٣].

وآية عيسى أنّه، مثله مثل سائر الـنّبيّين، أنزل كتاباً من السماء. وهو ليس إلهًـا، ولا ابنًا لـله. ولا هو ثالث ثلاثة، ولا هو وأمّـه إلهـان. توفّاه اللـه كغيـره من الأنبيـاء؛ فهو، إذًا، لم يُقـتل، ولم يُصلب... ومع هذا، فهـو «كلمة اللّه»، و«روح منه» وعـبده، ونبيٌّ يصدِّق مـا جاء في

---

(١) سورة الأعراف ٧/١٥٩ و١٨١.

(٢) نكرّر الفـرقَ بين النّصارى والمسـيحـيّين. ألنصارى يعـتبـرون المسيح نبـيّاً، والمسيحيّين يعتبرونه إلهاً. واليهـود يعتبرونه إنسـاناً عاديّاً. والمسلمون أخذوا إيمانهم عن النصـارى.

(٣) سورة المائدة ٥/١٧، ٧٢.

التــوراة. أجرى الله على يـده معــجزات ، منهــا: أنّه تكلّم في المهـد[٤]، وخَلَقَ من الطين طيـراً[٥]، وأبرأ الأكـمــه والأبرص، وأقــام الموتى[٦]، وأنزل من السمــاء مائدةً[٧]، وبشّر بمجيء نبيٍّ من بــعده إسمه أحــمد (أي محمّد)[٨]...

***

هذه صورة عيسى القرآن. أمّا صورة **عيسى المسلمين**، مع أنّها تعتمد على القرآن، فهي تذهب بعيدًا في التحليل والتفسير والجرأة.

وقبل أن نبـدأ بعرض آراء المسلمين بحـسب تسلسلهم الزمني، لا بدّ من أن نشـير إلى مـا قاله بعضــهم في صعــوبة فهم الـنصارى أنفسهم لعقائدهم جملةً، وبنوع خاص، لعقيدتهم في المسيح.

يقول **الجاحظ** : «لو جهدتَ بكلّ جهـدك، وجمعتَ كلَّ عقلك، أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرتَ عليه.. وكيف تقدر على ذلك وأنت، لو خلوتَ ونصراني نسطوري، فسـألتَـه عن قولهم في المسيح لقال قولاً، ثم إنْ خلوتَ بأخيه لأمّه وأبيه، وهو نسطوري مثله، فسـألتَه عن قولهم في المسيح، لأتـاكَ بخلاف قولِ أخـيه وضدّه. وكـذلك جميع المـلكانيّة واليعقوبيّة»[٩].

---

(٤) أنظر: سورة آل عمران ٣/ ٤٦؛ المائدة ٥/ ١١٠؛ مريم ١٩/ ٢٩.
(٥) أنظر: سورة آل عمران ٣/ ٤٩؛ المائدة ٥/ ١١٠
(٦) أنظر المراجع السابقة نفسها.
(٧) سورة المائدة ٥/ ١١٢-١١٥.
(٨) سورة الصفّ ٦١/ ٦.
(٩) **ردّ الجاحظ**، ٢٢.

ويقول **عبد الجبّار** : «كفى بالمذهب فساداً أن يصعب على العلماء ضبطه»[١٠]. ويقول أيضاً: «إنّ أرباب المقالات وأهل العناية به من المصنِّفين لا يكادون يحصّلون مذهبهم»[١١]. ويعلّل ذلك بـ «كون مقالتهم مبنيّة على أصول غير معقولة وعبارات لا تتحصّل معانيها»[١٢].

ويقول **النوبختي** : إنّ «مذهب النصارى لا يكاد يتحصّل»[١٣].

أمّا **ابن تيميّة** فيقول بما يشبه قولَ الجاحظ : إنّ النّصارى «لا تجدهم يتّفقون على قولٍ واحد في معبودهم، حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى، افترقوا على أحد عشر قولاً.

ويَنقل عن **الربيعي** أنّه قال: "ألنصارى أشدّ الناس اختلافاً في مذاهبهم، وأقلّهم تحصيلاً لها. لا يمكن أن يُعرف لهم مذهب. ولو سألتَ قسّاً من أقسّائهم عن مذهبهم في المسيح، وسألتَ أباه وأمّه، لاختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كلّ واحد منهم قولاً لا يشبه قول الآخر".

وعن **بعض النظار** أنّه قال: " ما من قولٍ يقوله طائفة من العقلاء إلاّ إذا تأمّلتَه تصوّرتَ منه معنىً معقولاً وإنْ كان باطلاً، إلاّ قول النّصارى؛ فإنّك، كلّما تأمّلتَه، لم تتصوّر له حقيقةً تُعقل. لكن غايتهم أن يحفظوا "الأمانة" (أي قانون الإيمان)، أو غيرها. وإذا

---

(١٠) **شرح الأصول الخمسة**، ٢٩١.
(١١) **تثبيت دلائل النبوّة**، ٩٢.
(١٢) **المغني**، ٥ / ٣١.
(١٣) **كتاب الآراء والديانات**.

طولبوا بتفسير ذلك فسّره كلٌّ منهم بتفسيرٍ يكفّر به الآخر..»[١٤].

***

وبعد هذا، لنعد إلى البداية، ونتناول ردودَ المسلمين على النصارى، بحسب تسلسلهم الزمني، في موضوع ألوهيّة المسيح، واتّحاد طبيعتَيه، الإلهيّة والإنسانيّة، بعضهما ببعض:

فـ **علي بن ربّن الطبري**، النصرانيّ المرتدّ، يدلي بمآخذه على ألوهيّة المسيح. يقول سائلاً النّصارى[١٥]: «كيف يكون اللّه واحداً، ثم يكون المسيح إلهاً!» (ص ١٢٣).

و«نسألهم عن المسيح. هل هو الخالق الأزلي، كما في شريعة إيمانهم[١٦]، وهو إنسان مصطفى كما في شريعة إيماننا (أي الإسلام)، أو هو إله وإنسان، كما قالت طائفة منهم!؟ فإن قالوا هو إنسان مخلوق مبعوث، وافقوا المسلمين.. وإنْ قالوا بل هو إله خالق أزلي خالفوا الإنجيل.. فتدبّروا ذلك أيها النصارى..»(ص١٢٤-١٢٦).

و «نسألهم عن المسيح. هل كان في بلدٍ من البلدان، وفي زمن من الأزمنة، أم لا؟. فإنْ قالوا إنّه لم يكن في بلدٍ ولا زمانٍ، فقد خالفوا الإنجيل.. ومَن كان في زمان من الأزمنة وفي مكان من الأمكنة، فالزمان أبداً قبله، والأمكنة كانت محيطة به. وما كان كذلك فهو مخلوق. ومتى ثبت أن المسيح مخلوق بطلتْ شريعة إيمانهم.. لأنّ

(١٤) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ١/ ٢٥٤.

(١٥) **الردّ على النصارى**.

(١٦) تعبير يعني: قانون الإيمان النيقاوي.

الزمان شيء من الأشياء المخلوقة.. فكيف يجوز أن يكون الزمان قبل خالق الزمان، والمكان محيطٌ به! وما كان كذلك فهو مخلوق» (١٢٦).

ويقول: «إنّي وجدت ... مارقس يقول: إنّ المسيح قال عن الساعة: "إنّ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفها أحد. ولا الملائكة ولا الابن. لكن الأب وحده"[١٧].. فهذا إقرار منه بأنّه منقوص العلم، وأنّ اللّه أعرف وأعلم منه..» (ص ١٢٦-١٢٨).

ثمّ يقول: «نطق الإنجيل الأوّل أنّ المسيح قصّ شعره، وقلّم أظافره، وذهب طولاً وعرضاً. وإنْ كان يسوع المسيح خالقاً أزليّاً، وقد بانت منه هذه الأجزاء وتفصّلتْ من جسمه وانقطعت من كلّه وعادت رميماً وتراباً. فالخالق الأزلي قد فسد بعضُه وبقي بعضُه على حاله. وما فسد بعضُه فالفساد واصلٌ إلى كلّه. وما كان له كلٌّ وبعضٌ فهو جسمٌ محدود. وما كان كذلك فهو مفتقر وليس بغنيّ، ومخلوق وليس بخالق» (ص١٣١).

«وقد قال الإنجيل: إنّ المسيح قد أكل وشرب[١٨]، وقام ونام وجاع[١٩]، وذهب وهرب من الموت، وسهر كذلك وعرق عرقاً[٢٠]، كمثل غبيط الدم. فإنْ كان الموصوف بهذه الصفات والأعراض هو الأزلي الخالق، فالأزلي الخالق إذاً قد أكل وشرب وغاط وبال، ويعتريه الفرق، ويستهويه القلق، ويترشح من جبينه العرق. وما كان كذلك فهو ليس بخالق أزلي، بل مخلوق» (ص ١٣١).

---

(١٧) أنظر: مرقس ١٣/٣٢.
(١٨) أنظر مرقس ٢/١٦.
(١٩) أنظر متى ٢٥/٣٥.
(٢٠) أنظر لوقا ٢٢/٤٤

ومن يقـول بالاتّحـاد بين اللّه والمسـيح، فكأنّه يقـول: «ألأزلي الخالق، إذاً، قـد أكل بأكلِ يسوع المسـيح، وجاع بجوعـه، وبكا ببكائه، وهرب بهـربـه، وقُـتل بقـتله. وهـذا من أشنع مـا يكون مـن الفـريّة والافتتان، وأشدّ ما يكون من التصغير..» (ص ١٣١-١٣٢).

«وقد قال قوم من النصارى أعظم من هذا. (قالوا): إنّ انحطاط خالـقِ الدنيا، ونزولَه لمحـاربة الشيطان، وإمكانَه إيّاه مـن نفسه حـتّى قُتل، عارٌ ومنقصةٌ لأهل السموات والأرض» (ص ١٣٢).

«ثمّ زعموا أنّه صار هو نفسه أسيراً، وجاء مغيثاً للناس، فصار مُـستـغـيثـاً باللّه من الشـيطان، وجـاء مُنقـذاً للناس من الشـيطان، واشـتملـتْه الأشـرطة، لأنّ الشـيطان كـرَّ عليـه بعد ذلك، واخـتلسـه وافترسـه ودمدم عليه، ثمّ قـتله. إنّ هذا القول لَمِمّا تكاد الـسموات أنْ تقع على الأرض من قُبحه، وتذهل الأنفس من شناعته» (ص١٣٣).

«وإنّ مِن عجب العجب اضطرارُ الخالق الأزلي إلى أن أنزَل ابنَه الأزلي من السـماء، ثم يُرسله إلى الـشيطان على يدي روحِـه الألـهيّـة القاهرة ليـمتحنه الشيطان، ويُهـينه. ومَن ذا الذي أوجب عليه ذلك!؟.. وما أحسبتُ أنَّ هاجٍ هجا اللّهَ تبـاركَ وتعالى مُذ قامتِ الدنيا، ولا مدَح الشيطانَ مادحٌ أكثر ممّا يقوله النصارى... وما أراد النصارى بذلك إلاّ أنهم «زادوا الشيطانَ تمرّداً» (ص١٣٣).

ثمّ يقول علي بن ربن الطبري في نفي ألألوهيّة عن المسيح: «إنّ جبـريل قال: "الـسلام عليك أيّتـها المـتلئة نعـماً.. ويُسـمّى ابن اللّه العلي "[٢١]. فلم نرَ المَلَك قـال: إنّ الذي تلدين هو خـالقك وخالق الدنيـا

---

(٢١) لوقا ١/٢٨-٣٥.

كلّها، ولا أنّ الأزلي الخالق يصير ساكنَك، ولا قرينَك، ولا نزيلَك... ثمّ ما معنى قول جبريل لمريم: "إنّ اللّه معك"، فقد قال اللّهُ لموسى وغيره من الأنبياء "إنّني معكم"[٢٢]، وقال ليوشع بن نون[٢٣] "إنّي أكون معك كما كنتُ مع موسى عبدي"، وتقول النصارى كلّهم: إنّ اللّه تعالى روح القدس مع كلّ خطيب يوفّقه في خطبته» (ص ٢٨)[٢٤].

ثمّ يرفض الطبري ألوهيّة المسيح بالحجج العقليّة، فيقول:

«وكذلك النّصارى، فإنّهم، لمّا قالوا في أوّل شريعة دينهم: "إنّا نؤمن باللّه، خالق كلّ ما يُرى وما لا يُرى"، ثمّ أتبعوا قولَهم ذلك بأنّ المسيح "خالق غير مخلوق"، فبدأ التناقض في قولهم. وإذا رجعنا إلى كتب دينهم وجدناها مخالفةً لاعتقادهم. فكّلها تثبت أنّ اللّه هو الصانع، وما سواه مصنوع»[٢٥].

وقال أيضاً :

«وقالوا في الأمانة: إنّ يسوع المسيح "بكر الخلائق ليس بمصنوع"، فكأنّهم قالوا إنّه مخلوق وليس بمخلوق، لأنّ بكرَ الخلائق لا يكون إلاّ من الخلائق كما أنّ بكر الإنسان لا يكون إلاّ من الإنسان»[٢٦] .

وقال أيضاً :

---

(٢٢) أنظر سفر التكوين ٢٦/ ٢٤.

(٢٣) سفر يشوع بن نون ١/ ٥.

(٢٤) قارن بابن أيّوب في **الجواب الصحيح** ٢/ ٣٢١-٣٢٢.

(٢٥) **الدين والدولة**، ص ٤٥.

(٢٦) **الردّ على النصارى**، ص ٢٥.

«إنّ المسيح، إنْ كان أزليّاً، خالقاً، كما في شريعة إيمانهم، لزمهم أن يجعلوا بعضَ الربّ خالقاً أزليّاً، وبعضاً ميتاً مخلوقاً، لأنّ المسيح مقرّ بأنّه لحم ودم. فاللّحم والدم، إذن، خالقان أزليّان. وقد علمنا أنّهما يتولّدان عن الأغذية والأشربة، وتلك الأغذية والأشربة أجزاء من أجزاء الدنيا. فخالق الدنيا كلّها جزء من أجزاء الدنيا. وذلك الجزء بعينه هو خالق نفسه أيضاً، لأنّه جزء من الدنيا التي هو خالق كلّها! فهو أشنع ما يكون من البهتان وأبعد ما يكون من المعقول.. ويلزمهم أشنع من هذه، وذلك إنْ كان بعض الدنيا هو خالق جميع الدنيا، وبعض الشيء لا يكون موجوداً إلاّ بعد وجود كلّه. وما ليس بموجود ولا معقول فهو لا شيء. فخالق الدنيا عندهم معدوم غير موجود، ومجهول غير معقول»[٢٧].

وقال أيضاً :

«متى ثبت أنّ المسيح مخلوق بطلتْ شريعة إيمانهم التي تقول إنّه "إله حقّ من إله حقّ، وإنّه خالق كلّ شيء"، لأنّ الزمان شيء من الأشياء المخلوقة، والزمان قبل يسوع المسيح الذي خلق الأشياء كلّها. فكيف يجوز أن يكون الزمان قبل خالق الزمان، والمكان محيط بمبتدع المكان؟»[٢٨].

وقال أيضاً في ما يفنى من جسم المسيح، مثل الشعر والأظافر، وما يزيد عليه طولاً، ويعتريه من تغيير حالات: إنّ «الخالق الأزلي قد فسد بعضه، وبقي بعضه على حاله. وما فسد بعضه

---

(٢٧) **ردّ الطبري**، ص ١٣-١٤.

(٢٨) **ردّ الطبري**، ١٤.

«فهذا نقضُ الحجّة على اليعقـوبيّة. فأمّا على غيرهم ممّن يقول بالحلول فإنّه إنْ صحّ مِن حـلولِ الأزلي الخالق فيَ المسيح لقـد يجوز في قلوبهم أن يكون اللّـه الخالق الأزلي حـالاً في بعض غلمـان دهرنا هذا، فهـو يتردّد معـه كما كـان يتردّد مع يسوع المســيح، ولعلّه اليوم صانع أو أجيـر أو أسير لا يَعرف نفـسَه، ولا أنّ اللّه حالٌّ فيـه كما لم يعلمْه المسيح إلاّ بعد ثلاثين سنة...»(٣٢).

***

أمّا الإمام ترجـمان الدين القاسـم بن إبراهـيم الحسني الرسّي فـيرفـض بنوّةَ المسيـح للّه ويقـول : «وجَدنا ووجـدتم في الأناجـيل الأربعة شـهادات مـختلفـة.. مثل مـا لا تنكرون من قوله فـي أوّل ما وُضـع من إنجيله: "هذا ميلاد يسوع المسيح بن داود". فهذه شهادته، وهو من الحـواريّين، على أنّ أبا المســيح داود، وأنّ المســيح ابنُه، وهو منه مولود. ولهذه الشهادة في الأناجيل الأربعة نظائر كثيرة»(٣٣).

ويقول أيضاً: «ومن تأويل مـا ذَكروا (أي النصارى) من الولد والابن في زمن المـسـيح وكلّ زمن، أنّ الـناس لم يزالوا يَدعُـون ابناً وولداً مَن تبنّـوا وأحـبّـوا... ثم لم يزل ذلك لديهـم مـعـروفـاً قـديماً وحديثاً.. فكان الحكيم منهم يقول: "يـا بُنَي" لمن علَّمه؛ ويدعو المتعلِّمُ، باسم الأبوّة، مـعلِّمَـه، فيـقـول: "قد قلتَ وقلنا يـا أبانا"؛ وربّما قـال أحدهم: "يا أبتِ".. وذلك، والحمد للّه في الأمم كلّها»(٣٤).

---

(٣٢) **رد الطبري**، ٢٧.

(٣٣) **رد الحسني**، ص ٢١. عن الشرفي، ص ٣٢٦.

(٣٤) **ردّ الحسني**، ص ٢٢-٢٣؛ قارن بـ**ـردّ الطبري**، ٣٥.

ويقول عن رفض ألوهيّة المسيح بالحـجج العقليّة: «ألإبن فرعٌ من أصل. وهما شـبيـهان في الذات. ولا يكون واحـداً مَن كان له ولدٌ أبداً. ولا يكون أزليّـاً من كـان والداً أو أباً، لأنّ الابنَ ليس لأبيـه بربّ. وكذلك الـربّ فليس لمربوب بأب.. لأنّ الربوبيّة لا تمكن أبـداً إلاّ لواحدٍ ليس بأصل لشيء، ولا ولد، ولا والد» (ص ٥).

***

ويقول **ابو عثمـان الجاحظ**[٣٥] في نفيه بنـوّة عيسى للّه : «إذا كان تعالى قد اتّخذ عبداً من عبـاده خليلاً، فهل يجوز أن يتّخذ عبداً من عباده ولداً، يريد بذلك إظهار رحمته ومحبّته إيّاه؟؟» (ص ٧٢).

ويقول أيضاً: «إنّا لا نجيز أن يكون للّه ولد، لا من جهة الولادة، ولا من جهة التبنّي. ونرى أنّ تجويز ذلك جهلٌ عظيم، وإثمٌ كبير، لأنّه، لو جاز أن يكون (اللّهُ) أبا يعـقوب، لجاز أن يكون جَـدّاً ليوسف!! ولو جاز أن يكون جدّاً وأباً.. لجاز أيضاً أن يكون عمّاً وخالاً!! لأنّه، إنْ جاز أن نسمّيه –من أجل الرحمة والمحبّة والتأديب– أباً، جاز أن يسمّيه آخر –من جـهة التـعظيم والتفـضيل والتـسويد– أخـاً، ولجاز أن يجـد له صاحباً وصديقاً. وهذا ما لا يجوّزه إلاّ مَن لا يعرف عظمةَ اللّه وصغرَ قدْر الإنسان..

«وبعد. فلا يخلو المولى في رفع عبـدِه وإكرامه من أحد أمرين: إمّا أن يكون لا يقـدر على كرامتـه إلاّ بهوان نفـسه، أو يكون على ذلك قادراً مع وفارة العـظمة وتمام البهاء. وإنْ كان لا يقـدر على رفـع قدر غيره إلاّ بأن ينقص من قدر نفســه فهذا هو العـجز.. وإنْ كان على ذلك

(٣٥) **ردّ الجاحظ على النصارى.**

قادراً، فآثر ابتذال نفسه، والحطَّ من شرفه، فهذا هو الجهل الذي لا يُحتمل. والوجهان على اللّه جلّ جلاله منفيّان» (ص ٧٣-٧٤).

ومختصر الكلام:

إنّ «اللّه تعالى أعظم من أن يكون له أبوّة من صفاته، والإنسان أصغر من أن تكون بنوّة اللّه تعالى من أنسابه» (ص٧٥).

وفي رفضه لانتساب عيسى إلى اللّه بالبنوّة، يقول الجاحظ:

«إنّ إنساناً، لو رحم جروَ كلبٍ فربّاه، لم يجز أن يسمّيَه ولداً، ويسمّي نفسه له أباً. ولو التقط صبيّاً فربّاه، جاز أن يسمّيه ولداً، ويسمّي نفسه له أباً، لأنّه شبيه ولده، وقد يولد لمثله مثله. وليس بين الكلاب والبشر أرحام. فإذا كان شبهُ الإنسان أبعدَ من اللّه تعالى من شبهِ الجرو بالإنسان، كان اللّه أحقّ بأن لا يجعله ولدَه، وينسبه إلى نفسه... ألعبد الصالح لا يشبه اللّه في وجه من الوجوه، والكلب قد يشبه كلاّبَه لوجوه كثيرة» (ص ٧٩-٨٠).

وفي قول النّصارى بألوهيّة عيسى، بسبب أنّه " وُلد بدون أب "، يقول الجاحظ :

«إنْ كان المسيح إنّما صار ابن اللّه لأنّ اللّه خلقه من غير ذكر، فآدم وحواء، إذاً، كانا من غير ذكر وأنثى، أحقّ بذلك، إنْ كانت العلّة في اتّخاذه ولداً أنّه خلقه من غير ذكر. وإنْ كان ذلك لمكان التربية، فهل ربّاه إلاّ كما ربّى موسى وداود وجميع الأنبياء؟! وهل تأويل ربّاه إلاّ غذّاه ورزقه وأطعمه وسقاه؟! فقد فعل ذلك بجميع الناس... والأعجوبة في آدم أبدع، وتربيته أكرم، ومنقلبه أعلى وأشرف، إذ كانت السماءُ دارَه، والجنّةُ منزلَه، والملائكةُ خدّامَه...» (ص ٨٢-٨٣).

وعن شناعة تعليم النصارى في بنوّة المسيح الإلهيّة، يقول الجاحظ:

«ولولا أنّ اللّه.. حكى عن النصارى أنّهم قالوا: "المسيح ابن اللّه".. لكنتُ لأنْ أخرّ من السماء أحبّ إليّ من أن ألفظ بحرفٍ ممّا يقولون» (ص ٢٧).

***

أمّا **الناشي الأكبر** فيقول في موضوع بنوّة المسيح للّه:

«ليس يتهيّأ لمن ذهب إلى لفظ الإنجيل أن يقيم فيه برهاناً أنّ عيسى ابن اللّه دون غيره.. وليس يمكنهم أن يدّعوا أنّ عيسى ابن اللّه من قبل توقيف النبيّ... ولا مع أحد من القوم برهان من كتاب، ولا توقيف على أيّ جهة، هو ابن اللّه..»(٣٦).

ثمّ يلخّص أسبابَ الرفض المبدئي لأن يكون عيسى هو اللّه، فيقول: «إنْ صرنا إلى حجّة العقل لم نجد لقولهم إنّ الإنسان صار أزليّاً، والأزلي صار إنساناً، وجهاً البتة؛ لأنّما، إنْ كانا ثابتَين على ذاتهما غير مستحيلَين فليس يصير هذا هو هذا بجهة من الجهات. وإنْ لمْ يكونا ثابتَين على ذاتهما فقد استحالا. وفاسدٌ في العقل أن يستحيلَ البارئ الأزلي فيصير محدَثاً، لم يكنْ فكان. ويستحيل المحدَث الزمني فيصير أزليّاً لم يحدث»(٣٧).

***

---

(٣٦) **الكتاب الأوسط في المقالات**، ص ٨٢-٨٣. عن الشرفي، ص ٣١٧.

(٣٧) **الكتاب الأوسط في المقالات**، ص ٨٣. عن الشرفي، ص ٣٤٥-٣٤٦.

وينكر **كاتبٌ مجهول**، في حال القول بألوهيّة المسيح، حدوث فراغ في إدارة الكون، فيقول مخاطباً النصارى:

«زعمتم.. أنّ الله تبارك وتعالى نزل من وقاره وملكه وجبروته ونوره وعزّته وسلطانه وعظمته وقدرته حتّى دخل في بطن امرأة.. ومَن كان يدبّر أمرَ السموات والأرض ويمسكها، ويقضي فيها، ويُجري الشمسَ والقمر والنجوم واللّيل والنهار والرّيح، ويخلق، ويُحيي، ويُميت، إذ كان عيسى في بطن أمّه، وبعد ما وُلد؟!»(٣٨).

***

ويعلّق **أبو عيسى الورّاق** على ولادة عيسى من غير ذَكر، يقول: «ومجيئه من غير ذَكر لا يُخرجه عندكم من أن يكون إنساناً مخلوقاً يجري عليه ما يجري على أمثاله»(٣٩).

ويخشى الورّاق أن يكون النصارى، بقولهم بألوهيّة عيسى، قد وقعوا في الشرك. يقول: «وإنْ زعموا أنّ الاتّحاد فعلٌ للكلمة دون الأب ودون الروح أثبتوا للابن فعلاً غير فعل الأب وغير فعل الروح، وخصّوه بصنعٍ صنَعَه لم يصنعْه الأب ولا الروح. وإذا جاز أن ينفرد واحد منها بفعلٍ دون باقيها جاز ذلك في كلّ واحد من الأقنومَين الآخرين. وإذا جاز ذلك جاز أن ينفرد كلٌّ واحد منها بتدبيرِ عالَمٍ دون صاحبَيه، وبخلقِ بريّةٍ دون صاحبيه»(٤٠).

***

---

(٣٨) **الردّ المجهول** المؤلّف والعنوان، ص ٢٧. عن الشرفي، ص ٣٤٦.

(٣٩) **ردّ الورّاق**، ٢/ ٣٩.

(٤٠) **رد الورّاق**، ٢/ ١. قارن بـ **التمهيد**، ٩٣.

ويقول **أبو منصور الماتريدي** برفضه لألوهيّة المسيح في أمرين:

«أحدهما: الربوبيّة. واللّه تعالى جلّ ثناؤه قد بيّن إحالة ذلك بأكله (أي عيسى) وشربه، ودفْعِ الحاجات إلى مكان الأقدار، ووصفِه بالصغر والكهولة، وعبادتِه للّه تعالى، وتضرّعِه له وخضوعِه، ودعائِه الخلقَ إلى عبادة اللّه وتوحيده، وبشارتِه بمحمّد، وإيمانِه بالرسل.. كذلك هو (عيسى) لم يدّع لنفسه سوى العبوديّة والرسالة. فالقول له بالإلهيّ قولٌ لا معنى له. مع ما لو جاز ذلك لجاز لكلٍّ من البشر..

«والثاني: أن يكون ابنَه. وذلك يخرج على وجوه: أحدها الولاد. وذلك محال فاسد لغنى الربّ عن أن تمسَّه الحاجة، أو تغلبَه الشهوة، أو تعتريه الوحشة. وهي أسباب طلبِ الولاد.. وبعد، فإنّ كلّ ذي ولد يحتمل الشرك وزوال ملكه إليه. ومَن هو بذاته ربٌّ ملكٌ قادرٌ لا يحتمل ذلك»[٤١].

***

ويستشهد **الحسن بن أيّوب** بالأناجيل لإنكار ألوهيّة المسيح :

«إذا نَظرَ في الإنجيل وكتبِ بولس وغيره ممّن يحتجّ به النصارى وَجد نحواً من عشرين ألف آية ممّا فيه إسم المسيح، وكلّها تنطق بعبوديّة المسيح، وأنّه مبعوث مربوب، وأنّ اللّه اختصّه بالكرامات..»[٤٢].

---

(٤١) **كتاب التوحيد**، ٢١٣-٢١٤. عن الشرفي، ص ٣٤٥.

(٤٢) **الجواب الصحيح**، ٢/ ٣٦١-٣٦٢.

ويستعرضُ مقالات اليعاقبة والنساطرة والروم في المسيح وطبيعتَيه وصفاته وألوهيّته ومولده، ويبيّن الخلافات بينهم، ويأخذ عليهم جميعاً إيمانَهم بألوهيّة المسيح.

يأخذ على اليعقوبيّة تناقضهم في قولهم: "إنّ المسيح مات، وإنّ اللّه لم يمت". فيقول: "كيفَ يكون ميتٌ لم يمتْ؟ وقائمٌ قاعدٌ في حالٍ واحد؟" (٢/٣٢٦).

وقولهم: "إنّ المسيح، وهو اللاّهوت والناسوت، شخص واحد وأقنوم واحد، مع قولهم إنّهما جوهران بطبيعتَين ومشيئتَين. ثمّ يقولون: إنّ ربّ العالمين إله واحد وجوهر واحد وهو ثلاثة أقانيم، فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وللجوهرين المتّحدين أقنوماً واحداً.. وهذا يقتضي غاية التناقض.. والذين تكلّموا بهذا الكلام كانوا ضلاّلاً جهّالاً.. ابتدعوه بغير سمْع وعقْل. بل ألقوا أقوالاً مخالفة للشرع والعقل" (٢/٣٢٨).

ويأخذ على النسطوريّة قولهم بأنّ مريم ولدت المسيح بناسوته دون لاهوته. فيقول:

"هذه أغلوطة. وإلاّ كيف يولد ولدٌ متّحدٌ بشيءٍ آخر مجامعٌ له دون ذلك الشيء؟ وكيف يكون ذاك وهم يقولون إنّه لم يفارقْه قط؟ وهل يصحّ هذا عند أهل النظر؟ أو ليس يوجب أن تكون الولادة واقعة على اللاّهوت والناسوت معاً؟" (٢/٣٢٩).

ويشمل الجميع في قوله: "يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولُهم عن عبادة إلهٍ ولدتْه مريم، وهي امرأةٌ آدميّة. ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة تجري عليه أحكام الآدميّين من غذاء وتربية،

وصحّة وسقم، وخوف وأمن، وتعلّم وتعليم.. وحبس وضرب وقذف وصلْب وقتل. فهل تقبل العقولُ ما يقولون من أنّ إلهاً نال عبادُه منه مثلَ ما تذكرون أنّه نيل منه؟.." (٢/ ٣٣١).

ويطيل ابن أيوب الاستشهادات بنصوص الأناجيل، ليكتشف منها أنّها لا تعتبر المسيح إلهاً بأيّ حال. ثم يتساءل متعجِّباً عن كيفيّة ألوهيّة المسيح، ويقول:

«إنْ كان المسيح هو الأزلي الخالق، أو كان متّحداً به، فكيف لم ترجفْ بين يديه الجبال، ولم تتصرّف بمشيئته الأنهار والبحار؟ أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجلّ من آيات الأنبياء قبله، مثل المشي على متون الهواء، والاضطجاع على أكناف الرياح، والاستغناء عن المآكل والمشارب، وإحراق مَن قَرُبَ منه من الشياطين والجنّ..، ويمنع الآدميّين من نفسه!!!" (٢/ ٣٣٦).

ثمّ يقول: «وما يشهد بصحّة عبوديّة المسيح أنّ متّى التلميذ، حين بنى كتابه، أوّل ما ابتدأ به أن قال: "كتاب مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم"، فنسبَه إلى مَن كان منه على الصحّة، ولم يقل إنّه ابن الله، ولا إنّه إله من إله، كما يقولون»[٤٣].

ثمّ يقول في ضرورة تأويل ما جاء في الإنجيل عن بنوّة المسيح للّه: «فإنْ قلتم إنّ المسيح قال في الإنجيل: "أنا قبل إبراهيم"[٤٤]، فكيف يكون قبل إبراهيم، وإنّما هو من ولده؟ ولكن، لمّا قال "قبل إبراهيم" علمنا ما أراد أنّه قبل إبراهيم من جهة الإلهيّة.

---

(٤٣) الجواب الصحيح، ٢/ ٣٦٠.

(٤٤) يوحنا ٨/ ٥٨.

قلنا: هذا سليمان بن داود يقول في حكمـته: "أنا قبل الدنيا، وكنتُ مع اللّه حيث بدأ الأرض"(٤٥). فما الفرق بين مَن قـال إنّ سليمان ابن اللّه وإنّه إنّما قال أنا قـبل الدنيا بالإلهيّة؟ وقـد قال داود أيضـاً في الزبور: "ذكرتك من البدء يا ربّ. في البدء وهديت بكلّ أعمالك"(٤٦)، فإنْ قلتم إنّ كلام سليمان وداود متأوّل لأنّهما من وُلد إسرائيل وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيـا، قلنا: وكذلك قول المسيح "أنا قـبل إبراهيم" متأوّل، لأنّه من ولد إبراهيم. ولا يجوز أن يكون كان قبل إبراهيم»(٤٧).

وعن تأويله لما قـال يوحنّا: "إنّي ذاهبٌ إلـى أبي وأبيكم وإلـهي وإلـهكم"(٤٨)، يقول ابن أيّوب: «إنّ اللّغة قد أجازتْ أن يسمّى الولي ابناً. وقد سمّـاكم اللّهُ جميعـاً بنيه، وأنتم لستم في مثل حـاله.. (ثم) سمّى الحـواريّين أبناء اللّه، وأقرّ بأنّ له إلهـاً هو اللّه. ومَن كـان له إله فليس بإله، كما تقولون. فإنْ زعمتم أنّ المسـيح إنّما استحقّ الإلهيّة.. فنلتزم ذلك، ونشهد بالإلهيّة لكلّ مَن سمّاه اللّهُ ابناً. وإلاّ فما الفرق؟ فإنْ قلتم: إنّ إسرائيل وداود ونظراءهم إنّما سمّوا أبناء للّه على جهة الرحمة من اللّه لهم، والمسـيح ابن اللّـه على الحـقيـقـة، قلنا: يجـوز لمعـارض أن يعارضكم فـيقول لكم: ما تنكـرون أن يكون إسرائيل وداود ابنَي اللّه على الحقيقة، والمسيح ابنَ رحمة. وما الفرق؟»(٤٩).

---

(٤٥) سفر الأمثال ٨/٢٢-٢٣.

(٤٦) المزمور ١٤٣/٥.

(٤٧) **الجواب الصـحيح**، ٢/٣٤٢-٣٤٣. أنظر أيضاً: البـاقلاني، **التمهيد**، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤٨) يوحنّا ٢٠/١٧.

(٤٩) **الجـواب الصحـيح**، ٢/٣٤٠-٣٤١. أنظر أيضـاً: ص ٣٢٢ و٣٢٣ و٣٥٦. وقارن بردّ الطـبري، ١٠ و٢٢ و٢٩؛ والناشـئ الأكبـر، ص ٨٢؛ والبلخي، ص

ويعلّق ابن ايّوب على تجارب الشيطان للمسيح، فيقول : «أفلا يعلم مَن كان في عقله مسكة أنّ هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله! ولو كان (المسيح) إلهاً لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه المَلَك من عند ربّه، ولما قال: "أمرنا أن لا نجرّب اللّه وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه". وكيف لم يَربط الشيطانَ عن نفسه قبل أن يربطه عن أمّته؟»[٥٠].

وعند ابن أيّوب: «سبيل المسيح سبيل سائر الأنبياء، فقد كان يدعو ويتضرّع ويعترف بربوبيّة اللّه، ويقرّ له بالعبوديّة. فمن ذلك أنّ الإنجيل يخبر بأنّ المسيح أراد أن يحيي رجلاً يُقال له إلعازر، فقال: "يا أبي! أدعوك كما كنتُ أدعوك من قبل فتستجيب لي، وأنا أدعوك من أجل هؤلاء القوم ليعلموا"[٥١]؛ وقال -بزعمكم- وهو على الخشبة: "إلهي إلهي لِمَ تركتَني؟"[٥٢]؛ وقال: "يا أبي! إغفر لليهود ما يعملون فإنّهم لا يدرون ما يصنعون"[٥٣]؛ وقال في إنجيل متّى: "يا أبي أحمدك"[٥٤]؛ وقال: "يا أبي إنْ كان لا بدّ أن يتعدّاني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا. فلتكن مشيئتك"[٥٥]... فاعترف بأنّه نبيّ، وأنّه مألوه، ومربوب، ومبعوث... فبيَّنَ ههنا وفي غير موضع أنّه نبيّ مرسل، وإنّ سبيله مع اللّه سبيلهم معه» (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).

٦٤؛ التثبيت، ١١١ و١١٩-١٢٠.

(٥٠) **الجواب الصحيح** ٢/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٥١) أنظر يوحنّا ١١/ ٤١-٤٢.

(٥٢) متّى ٢٧/ ٤٦؛ مرقس ١٥/ ٣٤؛ وهو نصّ من المزمور ٢١/ ٢.

(٥٣) متّى ٢٧/ ٤٦؛ مرقس ١٥/ ٣٤؛ وهو نصّ من المزمور ٢١/ ٢.

(٥٤) متى ١١/ ٢٥.

(٥٥) متّى ٢٦/ ٣٩.

ويقول ابن أيّوب في رفض ألوهيّة المسيح بالحجج العقليّة :
«وقالوا: إنّ المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، ولنس بمصنوع؛ فليس يخلو الأبُ من أن يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير موجود. فإنْ كان لم يزل موجوداً فإنّ الأب لم يلد شيئاً. وإنْ كان غير موجود وإنّما هو حادث لم يكن، فهو مخلوق» (٢/ ٣٦١).

***

ويقول **القاضي أبو بكر الباقلاني** سائلاً النصارى عن معنى الاتّحاد بين الكلمة التي هي الابن وجسد المسيح(٥٦):

«قال كثير منهم: إنّ الاتّحاد هو اختلاط وامتزاج. وزعمت اليعقوبيّة أنّ كلمة اللّه انقلبت لحماً ودما بالاتّحاد. وزعم كثير منهم، أعني اليعقوبيّة والنسطوريّة، أنّ اتحاد الكلمة بالناسوت اختلاط وامتزاج كاختلاط الماء وامتزاجه بالخمر واللّبن إذا صُبّ فيهما ومُزج بهما. وزعم قوم منهم أنّ معنى اتّحاد الكلمة بالناسوت، الذي هو الجسد، هو اتّخاذه له هيكلاً ومحلاً...

«وقال قوم منهم: إنّ ظهور الكلمة في الجسد واتّحادها به ليس على معنى المزاج والاختلاط، ولكن على سبيل ظهور صورة الإنسان في المرآة والأجسام الصقيلة النقيّة عند مقابلتها من غير حلول صورة الإنسان في المرآة؛ وكظهور نقش الخاتم وكل طابع في الشمع والطين وكل ذي لين قابل للطبع من الأجسام من غير حلول نقش الخاتم والرشم في الشمع والطين والتراب والدقيق.

---

(٥٦) **كتاب التمهيد**، الباب الثامن

«وقال بعضهم: إنّ الكلمة اتّحدت بجسد المسيح على معنى أنّها حلّته من غير مماسّة ولا ممازجة ولا مخالطة؛ كما أقول إنّ اللّه تعالى حالّ في السماء وليس بمماسّ ولا بمخالط لها؛ وكما أقول إنّ العقل جوهر حالّ في النفس وهو مع ذلك غير مخالط للنفس ولا مماسّ لها.

«وزعمت الرّوم، وهم الملكيّة، أنّ معنى اتّحاد الكلمة بالجسد أنّ الإثنين صارا واحداً، وصارت الكثرة قلّة، وصارت الكلمة وما اتّحدت به واحداً. وكان هذا الواحد بالاتّحاد إثنين قبل ذلك.

«هذا جملة المشهور عنهم في معنى الاتّحاد» (ص ٨٦–٨٨).

ويسأل الباقلاني النصارى عن معنى الاتّحاد وكيفيّته :

« يُقال لهم : خبّرونا كيف اتّحدت الكلمة التي هي الابن بجسد المسيح دون الأب والروح، مع قولكم بأنّه غيرُ مبايِنٍ لهما، ولا منفصل عنهما؟ (ص٩٤).

«ثمّ يقال لهم: خبّرونا كيف ولدتْ مريمُ الابنَ دون الأبِ وروحِ القدس، وهو غير مباين لهما، ولا منفصل عنهما. فيكون المتَّحد بالجسد حملاً في بطن مريم، والأب والرّوح والجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم. وهما مع ذلك غير متابينين ولا منفصلين ممّا هو حالّ في الجسد في بطن مريم؟! فما لا ينفصل ولا يتميّز بالذات، كيف يكون منه مولود ومنه غير مولود، ومنه متَّحد ومنه غير متّحد، لولا الجهل والعجز؟

«ثم يقال لهم: خبّرونا عن مريم، أهي إنسان كليّ أم إنسان جزئي؟ فإنْ قالوا: إنّها كلّي، تجاهلوا... وإنْ قالوا: مريم إنسان جزئي، قيل لهم: فالإنسان الذي ولدتْه أليس هو الذي اتّحد الابنُ به بولادته،

وهو إنسان كليّ، وأمّه التي هي مريم إنسان جزئي؟ وهذا طريف جداً... فكيف يكون الجزئي والداً للكلّي؟.. وإنْ جاز أن يكون الكليّ إبنَ الجزئي، فلِمَ لا يجوز أن تكون مريم ابنةَ عيسى المولود منها، وإن يكون آدم ونوح إبنَي مريم التي هي ابنة لهما؟ وهذا تجاهل عظيم لا يبلغه صاحب تحصيل (ص٩٧).

«ثمّ يقال لهم: خبّرونا عن اتّحاد الابن بالجسد، أكان باقياً موجوداً في حال وقوع القتل والصلب به، أم لا؟

فإنْ قالوا»: كان باقياً موجوداً، قيل لهم: فالذي مات مسيح من طبيعتَين: لاهوت هو الابن، وناسوت هو الجسد. فيجب أن يكون ابن اللّه القديم قد مات، كما قُتل وصلب، لأنّ جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت. وإذا صار الابن عند القتل ميتاً، لم يجز أن يكون في تلك الحال إلهاً، لأنّ الإله لا يكون ميتاً ولا ناقصاً ولا ممّن يجوز عليه الموت. ولو جاز ذلك عليه، لجاز موت الأب والرّوح.

وإنْ قالوا: إنّ الاتّحاد بطُل عند القتل والصلب، قيل لهم: فيجب انتقاض الاتّحاد عند القتل والصلب. ويجب أيضاً ألاّ يكون المقتول مسيحاً، لأنّ الجسد عند انتقاض الاتّحاد ومفارقة المتَّحد به ليس بمسيح. وإنّما يكون الجسد وما اتّحد به مسيحاً مع ثبوت الاتّحاد ووجوده. فإذا بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن إنساناً، ولا معنى لقولهم: إنّ المسيح قُتل وصلب.

«ثمّ يُقال لهم: لِمَ قلتم إنّ كلمة اللّه اتّحدت بجسد المسيح دون جسد موسى وإبراهيم وغيرهما من النبيّين؟

فإنْ قالوا: لأجل ما ظهر على يد عيسى من فعل الآيات

واختراع المعجزات التي لا يقدر البشر على مثلها من نحو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجعل القليل كثيراً وقلب الماء خمراً والمشي على الماء وصعوده السماء وإبراء الزَّمِن وإقامة المقعد وغير ذلك من عجيب الآيات، فوجب أنّه إله وأنّ الكلمة متّحدة به، يقال لهم: لِمَ زعمتم أنّ عيسى فاعل لما وصفتم من الآيات ومخترع لها؟ وما أنكرتم أن يكون غير قادر على قليل من ذلك ولا كثير، وأن يكون اللّه هو الذي فعل جميع ما ظهر على يده من ذلك، وتكون حاله فيه حال سائر الأنبياء فيما ظهر عليهم من الآيات؟

«ثمّ يقال لهم: فما أنكرتم أن يكون موسىٰ إلهاً؟ وأن تكون الكلمة متّحدة به لما فعله من الآيات البديعة، نحو قلب العصا حيّة... وغير ذلك؟..

فإنْ قالوا: موسى لم يكن مخترعاً لشيء من ذلك، وإنّما كان يدعو ويرغب إلى اللّه في أن يُظهر ذلك على يده. يقال لهم: فما أنكرتم أن تكون هذه حال عيسى وأنّه كان يرغب إلى خالقه وربّه ومالكه في أن يُظهر الآيات على يده؟ وقد نطق الإنجيل بذلك؛ لأنّ في الإنجيل أنّ عيسى بكى وقال: "ربِّ إنْ كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس عن أحد فاصرفْها عنّي"[٥٧]؛ وأنّه أراد أن يُحيي رجلاً، فقال: "يا أبي، أدعوك كما كنتُ أدعوك فتستجيب لي. وإنّما أدعوك من أجل هؤلاء القوم"[٥٨]؛ وقال: "يا أبي أنا أحمدك"[٥٩]؛ وقال، وهو على الخشبة

(٥٧) راجع متى ٢٦/ ٣٩؛ مرقس ١٤/ ٣٦؛ لوقا ٢٢/ ٤٢.
(٥٨) راجع يوحنّا ١١/ ٤١-٤٢.
(٥٩) راجع لوقا ١٠/ ٢١؛ يوحنا ١٧/ ٤.

وقت الصلب، بزعمهم: "إلهي إلهي لِمَ تركتني؟"[٦٠]. وهذا فوق دعاء موسى وتضرّعه وابتهاله. فوجب أنّه عبد مربرب ومحدَث مخلوق كموسى وغيره من الرسل.

«فإنْ قالوا: قولنا "مسيح" إسم لمعنَيَين: لاهوت، هو إله؛ وناسوت، هو إنسان مخلوق. فما كان من تضرّع ودعاء، فإنّما وقع من الإنسان الذي هو الناسوت. وما كان من إحداث آية وإظهار معجزة فهو واقع من الإله دون الإنسان. يقال لهم: فما أنكرتم أيضاً من أن يكون موسى إسماً لمعنَيَين: إله وإنسان؟ فما كان من دعاء ورغبة فإنّه واقعٌ من الناسوت؛ وما كان اختراع آية وإبداع معجزة فإنّه من اللاّهوت دون الناسوت. ولا فصل في ذلك.

«وإن قالوا: كلّ واحد من هؤلاء الأنبياء قد أقرّ بلسانه بأنّه إنسان مخلوق وعبد مربوب مألوه مرسَل من عند اللّه، والمسيح لم يُقرّ بذلك. يقال لهم: وكذلك المسيح قد اعترف بأنّه نبيّ مرسَل وعبد مخلوق؛ لأنّ الإنجيل ينطق بأنّه قال: "إنّي عبد اللّه أرسلتُ معلّماً"[٦١]؛ وقال: "فكما بعثني أبي فكذلك أبعثكم"[٦٢]؛ وقال: "أخرجوا بنا من هذه المدينة؛ فإنّ النبيّ لا يُكرَم في مدينته"[٦٣]. في نظائر هذه الإقرارات عنه كثيرة بأنّه نبيّ وعبد مرسل ومألوه مدبَّر. فوجب أنّه ليس بإله.

---

(٦٠) راجع متّى ٢٧/٤٦؛ مرقس ١٥/٣٤؛ وهذه الكلمات من المزمور ٢١/٢.

(٦١) يعلّق الناشر الأب رتشرد يوسف مكارثي: لم أجد هذا القول في الإنجيل ولا معناه. غير أنّ الإنجيل يطبّق نصّاً لأشعيا على المسيح، يقول فيه بأنّ المسيح هو "عبداللّه المتألّم"

(٦٢) راجع يوحنا ٢٠/٢١؛ متى ٢٨/١٩.

(٦٣) راجع يوحنا ١٤/٣١؛ متى ١٣/٥٧؛ مرقس ٦/٤؛ لوقا ٤/٢٤.

«فـإن قالوا: هذه الإقـرارات واقـعة من نـاسوت المسـيح دون لاهوته. قيل لهم:... فهل تجدون في ذلك فصلاً؟ (ص٩٧–١٠٠).

«وإنْ قالوا: إنّما قلنا إنّ المسيح إله لأنّ اللّه قال في الكتب إنّه إله وسمّـاه بذلك. فقـال: "العذراء البتـول تحمل وتلد ابناً ويُدعى اسـمه إلهاً"[٦٤]. يُقال لهم: فـقد قال اللّهُ أيضـاً لموسى: "إنّي قد جـعلتك إلهاً لهرون وجـعلتك إلهاً لفـرعون"[٦٥]، على معنى أنّك مـدبّرٌ له، وآمرٌ له وواجبـةٌ عليه طاعـتك... ثمّ يقال لهم: لم يخـبر اللّه أنّه هو سـمّاه، أو يسمّـيه إلهاً؛ وإنّما قـال: "يُدعى اسمه إلهاً"، فـيمكن أن يكون أراد أنّ قـوماً يغلُون في تعظيـمه ويـدعُونه بذلك ويتـجاوزون به حـدّ الخلق ويكذبون في ذلك ويفـتـرون. فـمن إين لكم أنّ مـا سُـمّي به من ذلك واجبٌ صحيح؟ فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً.

«وإنْ قالوا: إنّمـا قلنا إنّ عيـسى إله وإنّ الكلمة اتّـحدتْ به لأنّه وُلد لا من فحل، وليس كـذلك مَن تقدّم من الرسل. فيقـال لهم: فيجب أن يكون آدم، عليـه السـلام، إلهاً، لأنّه وُجـد لا من ذكـر ولا من أنثى. فهو أبعد من صفة المحـدَث، لأنّه لم يَحْوِهِ بطنُ مريم ولا غيره، ولا كان من معـدِن وَلَدٍ ولا موضـع حـمْلٍ له. وكذلك يجب أن تكـون حوّاء ربّاً، لأنّها خُلقت من ضلع آدم من غير ذكـر ولا أنثى. وكذلك المطالبة عليهم في وجوب كون الملائكة آلهـةً، لأنّهم لا من ذكر ولا أنثى ولا على وجه التبنّي» (ص١٠١).

«وإنْ قالوا: إنّما وجب القضـاء على ربوبيّة المسيح لأنّه قال في الإنجيل، وهو الصادق في قولـه: "أنا وأبي واحد. ومَن رآني فقد رأى

---

(٦٤) راجع متى ١/ ٢٣؛ والنّص في نبوة آشعيا ٧/ ١٤.

(٦٥) راجع سفر الخروج ٧/ ١٠.

أبي "(٦٦). يقال لهم: ما أنكرتم أن يكون معنى ذلك أنّ "مَن أطاعني فقد أطاع أبي، أي مُرسِلي ومعلِّمي الحكمة. ومَن عصاني فقد عصاه". فيكون معنى "أبي" أي "إنّه معلّمي ومرسِلي". وقوله: "من رآني فقد رأى أبي" معناه: فكأنّه قد رآه وسمع حكمته وأمْرَه ونهيَه. ولا بدّ من هذا التأويل، لأنّه لو كان هو وأبوه واحداً لوجب أن تكون الولادة والحمْل والقتل والصلب والأكل والشرب والحركة الجاري كلّ ذلك عليه جارياً على الأب» (ص١٠٢)..

«وإنْ قالوا: إنّما وجبتْ إلهيّةُ المسيح لأنّه قال، وهو الصادق في قوله: "أنا قبل إبراهيم"، وهو إنسان من ولد إبراهيم، فعلمنا بذلك أنّه قبل إبراهيم بلاهوته، وابنُه بناسوته. يقال لهم: ما أنكرتم أن يكون المرادُ بقوله "أنا قبل إبراهيم"، أي: كثير من ديني وشرعي كان متعبَّداً به ومشروعاً قبل إبراهيم على لسان بعض الرّسل؟ أو ما أنكرتم أن يكون أراد بقوله: "أنا قبل إبراهيم" مكتوباً عند الله، أو أنا معروف قبل إبراهيم عند قومٍ من الملائكة، أو أنا مبعوث إلى المحشر قبل إبراهيم؟ إذ لا يجوز إثبات الربوبيّة لجسدٍ أكلَ الطعام ومشى في الأسواق.

«والقول بأنّ اللاّهوت اتّحد به قولٌ بعيدٌ يحتمل التأويل. وقد قال سليمان عليه السلام في كتابه: "أنا قبل الدنيا. وكنت مع الله حيث مدّ الأرض. وكنت صبيّاً ألعب بين يدي الله"(٦٧). ولم يجب أن يكون سليمان قبل الدنيا ومع الله سبحانه حيث مدّ الأرض بلاهوته وأن يكون ابن داود بناسوته. فإنْ قالوا: أراد أنّ اسمي عند الله قبل

---

(٦٦) راجع يوحنّا ١٠/٣٠؛ ١٤/٩.
(٦٧) راجع سفر الأمثال ٨/٢٢–٣٠.

خلق الدنيا، وفي علمه، وعنده حيث مدّ الأرض، أو العلم بإرسالي وتمليكي، أو غير ذلك من التأويلات. قيل لهم: مثله فيما احتجّوا به. ولا جواب عنه» (١٠١-١٠٣).

ثمّ يدلّ الباقلاني على أنّ المسيح اعترف بعبوديّته للّه، فقال :

«وكذلك المسيح قد اعترف بأنّه نبيّ مرسَل وعبد مخلوق، لأن الإنجيل ينطق بأنّه قال: "إنّي عبد اللّه أرسِلتُ معلِّماً "[٦٨]، وقال: " فكما بعثني أبي فكذلك أبعثكم. عمّدوا الناس، وغسّلوهم باسم الأب والابن والروح القدس "[٦٩]، وقال: "أُخرجوا بنا من هذه المدينة فإنّ النبيّ لا يكرم في مدينته "[٧٠]. في نظائر هذه الإقرارات عنه كثيرة بأنّه نبيّ وعبد مرسَل ومألوه مدبَّر. فوجب أنّه ليس بإله. فإنْ قالوا: هذه الإقرارات واقعة من ناسوت المسيح دون لاهوته، قيل لهم: فما أنكرتم أنْ يكون كلّ إقرار سُمع من نبيّ بأنّه خلق وعبد ونبيّ فإنّه إقرار بناسوته دون لاهوته؟ فهل تجدون في ذلك فصلاً؟» (١٠٠).

***

ويأخذ **القاضي عبد الجبّار** على النصارى تفسيرهم "كلمة اللّه" التي يطلقونها على المسيح، فيقول :

«وأمّا تسميتهم له بأنّه "كلمة اللّه" فلا تصحّ في الحقيقة، لأنّ الكلام، على الحقيقة، هو الحروف المنظومة، وعيسى هو جسم. فلا

(٦٨) «لا وجود في الأناجيل التي بين أيدينا لهذا النصّ أو لنصّ يماثله»، على ما يقول الشرفي في حاشية ٣٠٠ ص ٣٣٧. غير أنّ المعنى وارد مراراً.

(٦٩) يوحنّا ٢٠/ ٢١؛ متى ٢٨/ ١٩.

(٧٠) متى ١٣/ ٥٧؛ مرقس ٦/ ٤؛ لوقا ٤/ ٢٤.

يصحّ كونه كلامـاً، وإنّما قيل فيه إنّه "كلمة اللّه" من حـيثُ يُهتدَى به وبدعائه»(٧١).

ويأخذ عليهم أيضاً تفسيرهم "روح اللّه"، فيقول:

«إنّما سُمّي عيسى "روحاً" علـى حسب ما سمّي جبريل روح اللّه وروح القدس، وعلى حـسب ما سمّى جلّ وعـزّ القرآنَ بذلك.. ولم يوجب ذلك القول بأنّ جبريل، أو القرآن، أبناء اللّه. فكذلك لا يجب مثله في المسيح»(٧٢).

ويقول أيضاً بأنّ المسيح نفسَه أقـرّ على نفسه بالعبوديّة: «لقد أحصى أهلُ المعرفـة والعلم، فوجدوا المسيح له من الإقـرار على نفسه بالعبوديّة والضـعف والحاجة والفقر والفـاقة، وللّه، عزّ وجلّ، بالغنى والربوبيّة، ما لم يكادوا يجدونه لأحدٍ من الأنبياء والصالحين»(٧٣).

ثمّ يعلّق مستـهزئاً: «فهذا من الجهل الذي خـبّرتك أنّه مكتوب في أناجيلهم.. فهل سـمعتَ بشيطانٍ يأسر إلهَـه ويحصره وينقله من مكانٍ إلى مكان، ويطمع في إلهه أن يسـتعبده؟ والشـيطان لا يقدر أن يأخذ حمار اليهـودي، وعند النصارى أنّه قد أخذ ربّه إلى أن جاء المَلَك فخلّصه وفكّ أسره!!»(٧٤).

***

(٧١) المغني، ٥/ ١١٢.
(٧٢) المغني، ٥/ ١١٣.
(٧٣) تثبيت دلائل النبوّة، ١١٣-١١٤.
(٧٤) تثبيت دلائل النبوّة، ١٦٦.

أمّا **ابن حزم الأندلسي** فيأخذ على النصارى إيمانَهم باتّحاد اللاّهوت بالنّاسوت في المسيح، فيقول :

إنّ النّصارى «يقولون: إنّ الإله اتّحد مع الإنسان، بمعنى أنّهما صارا شيئاً واحداً. فقالت اليعقوبيّة كاتّحاد الماء يُلقى في الخمر، فيصيران شيئاً واحداً. وقالت النسطوريّة كاتّحاد الماء يُلقى في الزيت، فكلّ واحد منهما باقٍ بحسبه. وقالت الملكيّة كاتّحاد النار في الصفيحة المحمّاة... وكلّ هذا في غاية الفساد... وكلّ ما قالوا محال وباطل وسخف، لا يقبلُه إلاّ مخذول» (١/٥٣-٥٤)[٧٥].

ويقول:

«أخبرونا: أتعبدون الطبيعتَين معاً، اللاّهوتيّة والنّاسوتيّة، أم تعبدون إحداهما دون الأخرى؟ فإن قالوا: نعبدهما جميعاً، أَقَرّوا بأنّهم يعبدون إنساناً وحجاباً مخلوقاً مع اللّه تعالى. وهذا أقبح ما يكون من الشرك. وإنْ قالوا: بل نعبد اللاّهوت وحده، قيل لهم: فإنّما تعبدون نصف المسيح لا كلّه، لأنّه طبيعتان ولستم تعبدون إلاّ إحداهما.

«وكذلك يُسألون عن موت المسيح وصلبه، فمن قول الملكيّة والنسطوريّة إنّ الموت والصلب إنّما وقع على النّاسوت خاصّة. فيقال لهم: فأنتم في قولكم مات المسيح وصلب كاذبون، لأنّه إنّما مات نصفه وصلب نصفه فقط؛ لأنّ اسم المسيح عندكم واقع على اللاّهوت والناسوت كليهما معاً، لا على أحدهما دون الآخر» (١/٦٢).

---

(٧٥) **الفصل في الملل والأهواء والنحل.**

ثمّ يقول: يقول النّصارى: ألمسيح «ربّ خالق. وفي الإنجيل أنّه جاع وأكل الخبز والحيتان، وعرق، وضُرب، ولُطم وصلب. وكفى بهذا رذلة وفحش قول وبيان بطلان» (١/ ٦٢).

***

ويقول **أبو حامد الغزالي** في إنكار ألوهيّة المسيح، مستنداً إلى نصوص الإنجيل في مختلف رواياته[٧٦]:

«**ألنص الأوّل** ذكره يوحنا في إنجيله: "أنا والأب واحد". يقول الغزالي: «هذه هي مسألة الاتحاد نفسها، ظانّين بأنّه أراد بقوله: "أنا والأب واحد"، مفهومه الظاهر، فيكون إلهاً حقيقةً، انفصل عليه السلام عن إنكارهم، مصرّحاً بأن ذلك من قبيل المجاز. ثمّ أبان لهم جهّة التجوّز، بضربه لهم المثل فقال: "قد أطلق عليكم في ناموسكم أنّكم آلهة. ولستم آلهة حقيقة؛ وإنّما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنىً، وهو: صيرورة الكلمة إليكم. وأنا قد شاركتكم في ذلك" (ص ١٠٢).

«**ألنص الثاني** نصّ عليه يوحنا المذكور في إنجيله: "أيّها الأب القدوس! إحفظهم باسمك الذي أعطيتني، ليكونوا معك واحداً، كما نحن". «أي: تكون تلك الوحدة (بين اللّه والتلاميذ) كوحدتي معك. فإنْ تكن وحدته مع الإله موجبةً له استحقاقَ الإلهيّة، فيلزم أن يكون داعياً لتلامذته، أن يكونوا آلهة... وهذا محمول على المجاز. ثمّ هو، في قوله: "إحفظهم باسمك"، يكون داعياً لهم الإله الذي بيده النّفعُ والضَرُّ. ولو كان نفسُه إلهاً، لكان قادراً على حفظهم من غير أن يتضرّع لغيره، ويسألَه الحفظ» (ص ١٠٦).

---

(٧٦) **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل.**

«**النّص الثالث** قوله: "قدّسْـهم بحقك. فإنّ كلمتَـك خاصّة هي الحقّ... ليكونوا بأجـمعهم واحـداً كما نحن واحـد". يريد: أنّ وحدتَه معه ليست مقتضـيةً لإلهيّته. وإلاّ لزم أن تكون وحدتهم مع الإله الذي سأله أن يكونوا معه واحداً، كذلك».

وثمّة نصّ آخر جاء فيه قول بطرس: "يا معلّم! هذه التينة التي لعنتَهـا قد يبستْ. قـال له يسوع: إنْ كان لكـم إيمان بالله، ألحق أقول لكم: إنّ من قال لهذا الجبل إنتقل واسقط في البحر، ولا يشكّ في قلبه، بل يصـدق أنّ الذي يقوله يكون فـيكون له". يعلّق الغـزالي: «كلّ ذلك دليل على أنّ يبسَـها إنّما كان مـن باب كرامات الأنبيـاء، لأنّه قد أثبت لهم، بالولاية، نقل الجبل وسقوطه في البحر. وذلك أبلغ من يبسـها».

«**النّص الرابع** ذكره مرقس: "فأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفها أحـد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلاّ الأب وحده". يقول الغزالي: «صرّح في هذا النّص بالإنسانيّة المحضة نافياً عنه العلم المختصّ بالإله. وهذا من أوضح الأدلّة على إنسانيّته المحضة.

«**النّص الخامس** ذكره يوحنا: "وهذه حيـاة الأبد، أن يعرفوك أنّك الإله الحقّ وحـدك. والذي أرسلتـه يسـوعَ المسـيح". هذا النّص، بحسب الغـزالي، «صرّح للإله بالإلهـيّة والوحدانيّـة؛ وصرّح لنفسـه بالرسالة».

وثمّة نص آخـر يذكره يوحنّا فـيه كـلامَ يسوع، وهو: "إنّ مَن سـمع كـلامي وآمن بمن أرسلني وجـبت له الحـيـاة الدائمـة"؛ يعلّق الغزالي: «فصرّح بأنّ له مرسِلاً. ومعلومٌ أنّ المرسِل غيرُ المرسَل» (ص ١٢٠-١٢١).

ألنّص السادس ذكره يوحنّا في قوله: "وأنا إنسان كلّمتكم بالحق الذي سمعتُه من اللّه"؛ وفي قوله: "ألذي أرسلني حقّ. والذي سمعته منه، به أتكلّم"؛ وقوله: "إنّ الأبَ الذي أرسلني هو أعطاني الوصيّة بماذا أقول وبماذا أنطق". يقول الغزلي: «صرّح في هذا النّص بالإنسانيّة بقوله: "إنسان كلمتكم بالحقّ. أي: أنا إنسان. وصرّح بالرّسالة، وأنّه لا يفعل إلاّ ما أُمِرَ به، بقوله: "كلّمتكم بالحقّ الذي سمعتُه من اللّه"، وبقوله: "كما أمرني الأب، كذلك أتكلّم" (ص١٢١-١٢٢).

ثمّ يفلسف الغزالي الأمور فيقول: «إنّ الإله، إذا كان خالقاً للناسوت، ثم ظهر فيه متّحِداً به، فقد حدثتْ له صفةٌ بعدَ خَلقِه، وهي اتّحادُه به وظهورُه فيه. فنقول: إذاً هذه الصفة، إنْ كانت واجبةَ الوجود، استحال اتّصافُها بالحدوث؛ وإنْ كانت ممكنةَ الوجود، استحال اتّصافُ الباري بها؛ لأنّ صفات الباري كلّها واجبةُ الوجود؛ لأنّ كلّ ما لزم من عدم وجوده محال فهو واجب الوجود؛ وصفات الإله يلزم من عدم وجودها محال بيّن» (ص١٢٧).

وفي الخوارق التي حدثت على يدي عيسى، يقول الغزالي: «وأمّا ظهور الخوارق على يده بالسؤال والطلب، فذلك ثابت لغيره من الأنبياء. وكيف ينكر ذلك؛

وهو المتضرِّع السائل عند إقامته لعازر، قد رفع عينيه إلى السماء، وقال: "يا أبت! أشكرك، لأنّك تسمع لي"؛

وهوالطالبُ لتلامذته التقديس والحفظ من الإله القادر على ذلك بقوله: "قدِّسْهم بحقّك"؛ وبقوله: "إحفظهم باسمك الذي أعطيتني"؛

وهو الدّاعي متضرِّعاً؛ والمتردّدُ في إمكان النجاة من الصلب بقوله: "إن كان يُستطاع فلتعبر عنّي هذه الكأس"؛

وهو المستفهم من الإله: لِمَ تركه بقوله: "إلهي إلهي! لِمَ تركتني"؛

وهو النّافي عنه العلم المختصّ بالإله إثباته بقوله: "أمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، إلى قوله: ولا الإبن إلاّ الأب وحده"؛

وهو المصرِّح بالإنسانيّة والرسالة بقوله: "إنسانٌ كلّمتكم بالحقّ الذي سمعتُه من اللّه"؛

وهو المقيِّد أحكامه بما يُؤمر به: "كما أمرني الأب كذلك أتكلّم"؛

وهو المشهود له على لسان مَن أثنى عليه من عظماء تلامذته بأنّ الخوارق مصنوعة للّه على يده، بقوله: "إنّ يسوعَ الناصري رجل ظهر بينكم بالقوى والآيات التي فعلها اللّه على يده» (ص١٣٦).

وعن بنوّة عيسى للّه، التي هي بنوّة تشمل بني إسرائيل كلّهم؛ ولا يختصّ عيسى بها وحدَه دون سواه، يقول الغزالي: «أمّا ما تعلّقوا به من إطلاق الأبوّة على اللّه عزّ وجلّ، والبنوّة على نفسه، ظانّين بأنّ ذلك... يقع به الامتياز، فليس الأمرُ كذلك. وبيانه:

«أنّه قد جاء في التوراة التي يقولون بصدق ما فيها من النّصوص: "إبني بِكري إسرائيل". وقال أيضاً في التوراة: "قل لفرعون: إنْ لم ترسل إبني بكري ليعبدَني في البرّيّة، وإلاّ قتلتُ ابنكَ بكرَك". يريد: بابني: بني إسرائيل... وفي مزامير داود: "وبنو العليّ

كلُّكم". وأطلق عيسى ذلك عليه وعليهم فقال: "أنا صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم".

«إنّ مَن يعتقد في مَن هذه كلماتُه أنّه إله، لَمدفوعٌ عن الصواب الواضح...» (ص ١٤٤).

وفي تفسيره: "في البدء كان الكلمة... إلخ"، يقول الغزالي: قوله: "في البدء كان الكلمة"، يريد: في البدء كان العالِم. وقوله: "والكلمة كان عند الله"، معناه: والعالِم لم يزل موصوفاً به الإله. يريد: إنّ هذا الوصف لم يزل ثابتاً للإله. وقوله: "والله هو الكلمة"، معناه: وهذه الكلمة التي مدلولها العالِم، ذلك العالِم هو الإله. وقوله: "كان هذا قديماً عند الله"، معناه: لم يزل العالِم هو مدلول الكلمة موصوفاً به الإله، وهو إله، لأنّه أخبَرَ عنه بذلك...

وخلاصة القول: «إنّ أوّل هذا الفصل لا دلالة فيه على الإلهيّة لعيسى عليه السلام البتّة» (ص ١٤٩)... و«لا أعرف أحداً اجترأ على الله كجرأة هذه الطائفة عليه، إذ لا يوجد خزيٌ أفحش من خزي قومٍ يعتقدون أنّ إله العالم قُبِرَ...» (ص ١٥٢).

وفي تفسيره لـ "إبراهيم أبوكم اشتهى أن يرى يومي، فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يأتِ لك بعدُ خمسون سنة وقد رأيتَ إبراهيم؟! فقال لهم يسوع: ألحق أقول لكم: إنّي قبلَ أن يكونَ إبراهيم أنا كائن".

فنقول: المراد من ذلك: إنّ الأنبياء يحبّون دوام طاعة الله ودوام إظهار شرائعه المتكفلة بمصالح العباد. فلمّا أُعلم إبراهيم، عليه السلام، برسالة عيسى، عليه السلام، وهدايته للعالَم، وما يظهر على يده من

مصـالح العباد، على ما اقـتضتْه شـريعتُه، سُـرَّ بذلك. فالرؤية هاهنا محمولةٌ على البصيرة التي هي العلم، لا على البصر» (١٥٨).

وفي تفسيره لقول بطرس في أعمال الرسل: "يا بني إسرائيل! إسـمعـوا هذا الكلام: إنّ يسوع النّاصـري رجل ظهـر عندكم من اللّه، بالقـوى والآيات التي فـعلهـا اللّه على يديه... ". صـرّح بطرس: بأنّه رجل. وصرّح بأنّ القوى والآيات التي ظهـرتْ على يديه ليست واقعةً بفعله؛ بل صرّح أنّ فاعلَهـا إنّما هو اللّه، بقوله: "رجل ظهر عندكم من اللّه بالقوى والآيات التي فعلها اللّه على يديه" (ص ١٥٩).

وفي تفسـيره لقول يسوع: "مَن رآني فـقد رأى الأب"، يقول الغزالي: «يريد أنّ الإله، لمّا كانتْ رؤيتُه غيـرَ ممكنة للعباد، أقام الأنبياء في تبليغهم أحكامَه مـقامَ نفسِه. وهذا شأن الملوك المحتجـبين. فبأمره يأمرون، وبنهـيه ينهون، وبأحكـامه يحكمون...يريد: كلّ كـلام صدر منّي متـضمناً حكماً، فـهو من اللّه لأني عنه أخبـر. وكلّ ما ترونه من الأفعال الباهرة للعقول الناطقـة بخوارق الأنبياء فذلك فعله، لأنّه واقع بقدرته» (ص١٦٢).

وفي تفسـيره لقول يسـوع: "ألحقّ أقول لكم إنّ مَن يؤمن بي ويعـمل الأعمـال التي أعـمل وأفـضل منها يصنـع"، يقول الغـزالي: «صرّح بجـهة المجاز، إذ لا يتـصوّر لأحد من الـبشر أن تكون أفـعاله أفضل من أفـعال الإله بوجـهٍ، ثمّ أكّد البـيان بقولـه: "لأنّي ماضٍ إلى الأب". ولو كـان هو الأب حقـيقـةً لما قال: لإنّي مـاضٍ إلى الأب، إذ لا يتصوّر لأحد أن يقول: أنا ماضٍ إلى زيد، ويكون هو عين زيد.

«وقوله: "أمـا تؤمن أنّي في الأب، والأب فيّ"، يريد بذلك عدم التباين في الأحكام والإرادات.. ويدلّ على ذلك أنّه أتبعه بقوله: "وهذا

الكلام الذي أتكلّم به ليس هو من عندي ". فليتـأمّل المتأمّل هذا النّص، كم اشتـمل على تصريح، وتضـمّن من قرينة تدلّ على أنّه غـيرُ الإله. فكيف يُجعَلُ نفسَ الإله؟!» (ص ١٦٢-١٦٣).

***

وقال **ابن أبي عبيدة الخزرجي** عن إبطال دعوى ألوهيّة عيسى وإثبات نبوّته مـن نصوص الأناجيل[(٧٧)]: «أخبـرني أيّها الجـاعل إلهَه المســيح من حـيث هو من اللّه روح! لِمَ تـظلم آدم؟ وأنتم تقــولون وتوافقـون أنّ اللّه تعالى نفخ فـيه من روحه بعـد أن سوّاه من تراب. وتقولون: إنّ المسيح نفخـة من روح اللّه في رجل سوّاه الله تعالى من لحمة مريم، المتّخذة من آدم.. لماذا أوجبتَ الألوهيّةَ لعيسى ولم توجبْها لآدم، وأنت تُقـرّ له بروح من اللّه في حـجـاب من تراب؟» (ص١٥٧-١٥٨).

«أخبرني أيها المسكين: متى ادّعى عـيسى عليه السلام الألوهيّة تصريحاً؟ أو مـتى ذكر الأقانيم التي تقولونها توضيـحاً؟ ألم تقرأ في إنجيلك عن عيسى أنّه قـال: " لم يكرَّم أحد من الأنبياء في وطنه! "[(٧٨)]! وحسبك هذا من دليل على أنّه ما ادّعى غيرَ النبوّة المعلومة.

«وفي الإنجيل لمرقس: أنّ رجلاً أقبل إلى المسيح وقال له: "أيّها المعلّم الصالح!.. فقـال له: لماذا تدعوني صـالحاً؟ ليس أحـد صـالحاً إلاّ واحد وهو اللّه "[(٧٩)].

---

(٧٧) **مقامع الصلبان، أو بين الإسلام والمسيحيّة.**

(٧٨) يوحنا ٤/٤٣-٤٤؛ لوقا ٤/٢٣-٢٤.

(٧٩) مرقس ١٠/١٧-١٩.

وفي الإنجيل ليـوحنّا: أنّ اليهود، لمّا أرادت القـبضَ عليه، وعلم بذلك، رفع بصره إلــى السماء وقــال: قد دنا الوقت يا إلهي، فـشَرِّفني لديك، واجعلْ لي سـبيـلاً إلى أن أملك كلّ ما ملّكتني، ألحـياة الباقـية. وإنّما الحـياة الباقيـة أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً وبالمسـيح الذي بعثت. وقد عظّمتك على أهل الأرض "(٨٠).

وفي الإنجيل أنّ عيـسى قال لتلاميذه: "لا تدعـوا معلّمين. فإنّ معلّمكم المسـيح وحده"(٨١). «فهـا هوذا قد سـمّى نفسـه معلِّمـاً في الأرض لهم. وشهد أنّ إلههم في السماء واحد.

«وفي الإنجيـل للوقا أنّ عيـسى أحيـا الميت بباب مـدينة نائين عندما أشفق لأمه، لشدّة حزنها عليه. فقالوا: إنّ هذا النبي لعظيم "(٨٢).

وفي الإنجيـل ليوحنّا أنّ عـيسى قال لـليهود: "لـست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئـاً، لكنّني أحكم بما أسمع، لأنّني لست أنفّذ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني "(٨٣).

وفيه أيضاً أنّه قـال لليهود: "قد عرفتـموني في موضعي، ولم آتِ من ذاتي، ولكن بعثنـي الحقّ، وأنتم تجهلونه" (٨٤).«فهـا هوذا قد جـعل نفـسه ومـوضـعه مـعلومَين عند اليـهـود، وجـعل اللّهَ عندهم مجهولاً».

---

(٨٠) راجع يوحنا ١٧...

(٨١) راجع متى ٢٣/٩-١٠.

(٨٢) لوقا ٧/١٦.

(٨٣) يوحنا ٥/٣٠.

(٨٤) راجع يوحنا ٧/٢٨.

وقـال: «إنّه لم يأتِ من ذاته، ولكن اللّه قـد بعثـه. فمـا زاد في دعواه شيئاً على ما ادّعاه غيره من الأنبياء» (١٦٢-١٦٣).

وفي الإنجـيل أيضـاً أنّه قـال لليـهـود: "لو كـان اللّه أباكم لحفـظتمـوني، لأنّي رسول منه. خـرجت مقـبلاً. ولم أقـبل من ذاتي، ولكن هو بعثني "[٨٥].

وفي الإنجيل أيضـاً أنّه كان يمشي يوماً في إسطوان سليـمان فأحاطت به اليهود وقـالت له: "إلى متى تُخفي أمرك؟ إنْ كنتَ المسيح الذي ننتظره، فـأعلمنا بذلك "[٨٦]. ولم يقـولوا: إنْ كنتَ اللّه، لأنّهم لم يعلمـوا من دعواه ذلك؛ ولا اختـلاف عند اليهـود أنّ الذي انتظروه هو إنسان نبيّ، ليس بإنسان إله، كما تزعمون» (ص ١٦٤-١٦٥).

وفي الإنجـيل أيضـاً قـال اليـهـود: "إنّه لا يـجيء من الجليل نبيّ "[٨٧]. فما قالت اليهود ذلك إلاّ لأنّه أنزل لهم نفسَه منزلةَ نبيٍّ فقط. ولو علمتْ من دعواه ادّعاء الألوهيّة لقالتْه يومئـذ تقبيحاً له وتحريضاً على قتله» (ص ١٦٥-١٦٦).

ثمّ «إنْ كان المسيح من أجل إحيـاء ميت هو اللّه، فكلّ مَن أحيى ميتاً بزعمكَ فهو اللّه! وبإجـماع من جميع الملل الثلاثة أنّ الياس النبيّ أحيا الموتى، وكذلك أليسع، فَلِمَ تظلمون بعضاً دون بعض؟» (١٦٧).

ثمّ إنّ اللّه كلّم العـالم على ألـسنة أنبـيائه ليـعلّمـوهم الإقـرار بربوبيّـتـه.. فلم يذعنوا. فنزل هو ليكـلّم الخلق بذاته، لئـلاّ تكون لهم

---

(٨٥) يوحنا ٨/٤٢.

(٨٦) راجع يوحنا ١٠/٢٤-٢٥.س

(٨٧) يوحنا ٧/٤٥-٥٢.

حجّة عليه، فتنقطع حجّتهم بأن كلّمهم بذاته، لا بواسطة...

أخبرني أيّها المغرور، ما الذي أوجب ذلك؟ هل كان علمُه لم يُحط بما فعل أنبياؤه حتى هبط ليطّلع على فعلهم؟ أو هل كانت أنبياؤه متَّهَمَةً عنده لمخالفة أمره؟ أو هل كانت الأنبياء لم تقوَ على بيان ما جاءت به من الإيمان باللّه، وعجزت عن إظهاره في العالم، وضعفت عن إظهار المعجزات العجيبة الدّالّة على صدقهم، حتى هبط هو، ففعل ما لم يفعله رسلُه من قبله؟» (١٦٨-٦٩).

«أخبرني أيّها المخدوع! ما الذي أظهره (عيسى) دليلاً على أنّه هو اللّه؟.. وما الذي رأوا من العظمة التي لم يكونوا رأوها؟ ألأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة! -كما تظن من غير يقين-، مصفوعاً في قفاه، مبصوقاً في وجهه، بتاجٍ من الشوك على رأسه، مصلوباً على جذع، مسمّرة يداه ورجلاه فيه!

«وعجباً لتمويهكم أيضاً، باختلافكم في خشبة صلبه. فمِن قائل: كانت من السرو. ومن قائل: كانت من الأرز. ومن قائل: كانت أطروشاً من قنبيط!! وقلتم: إنّ الخشبة قطعتْ وحملت على عنقِ اللّه، تبارك وتعالى، إذلالاً أو تبكيتاً، وصُلب عليها. تشنّعون بذلك خطيئة اليهود، لتضرموا قلوبَ عوامكم ضغناً عليهم» (ص ١٧٠).

عن رفض ألوهيّة عيسى، يقول الخزرجي:

«لعمري! إنّ العرب، عبدةَ الأوثان، الذين بعث اللّه فيهم سيّدَ النبيّين والمرسلين، محمّداً، صلّى اللّه عليه وسلّم، كانوا أشدّ الكفّار عبادةً للأوثان، وأشنعهم إلحاداً. ورغم هذا، فلقد اتّقوا من مثل ما أنتم عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم: "مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

لم يَزَلْ ولا يزال. وصفات عيسى مُحدَثَة بحدوثِ ذاته ونفسه. فلا يكون لاهوتيّاً» (ص ٥٦–٥٧).

ثمّ نقل الزاهدي حواراً بين شيخٍ وعظيمٍ للنصارى في شأن بنوّة عيسى للّه، فيقول:

«قال الشيخ لعظيم النّصرانيّة: كيف حالك؟ كيف أهلك؟ وولَدُك؟

«قال: فأخذتْه العزّةُ وقال: أَمِثْلي يكونُ له ولد؟

«وقالت البطارقة: إقتلوه.

«قال الشيخ: فأنتَ تزعُمُ للّه أهلاً وولداً، وتأنفُ أن يكون لك وَلَدٌ، وتختلط بالنساء الحُيَّض؟ وتزعم أنّ ربّ العالمين سكن ظلمة البطن، وضيقَ الرّحِم؟!! فسكت القسٌّ.

«فقال الشيخ: مالكَ لا تُجيبُني؟

«قال القسّ: هذا شيطانٌ رمى به البحر إلى بلادكم فأخْرِجوه إلى بلاده كيلا يُفْسِدَ عليكم دينَكم.

«قال الشيخ للقَسّ: إنْ عبدتُم عيسى لأنّه لا أبَ له؛ فهذا آدم لا أب له ولا أم، خلقَه اللّه تعالى بيده، فضمّوه إلى عيسى.

«وإنْ عبدتموه لأنّه أحيا الموتى؛ فهذا حِزْقيل تجدونه في الإنجيل، إنّه مرّ بميتٍ فدعا اللّه تعالى فأحياه، فضُمّوا حزقيلَ إليهما.

«وإنْ عبدتموه لأنّه أراكم الأعاجيب؛ فهذا يوشع بن نون قاتلَ العمالقة حتى كادت الشمس تغرُب، فقال: ألا ارجعي بإذن اللّه، فرجعتْ..

«وإنْ عبدتموه لأنّه عُرِجَ به إلى السمـاء؛ فإنّ الملائكة تعرُجُ إليه في كلّ يوم، ومع كل إنسانٍ اثنان بالليل وإثنان بالنهار» (ص ٥٩).

***

ونقل **أبو عمـر السكوني**، في المناظرة ١٤١ [٩٣]، ما جرى بين الفخر الرازي وأحد النّصارى في شـأن حلول عيسى في بدن إنسان. يقول:

«اتّفق أنّي حين كنت بخـوارزم أُخبرتُ أنّه جـاء نصراني يدّعي التـحقـيق والتعـمّق...، يقـول بـ "حلول الإله في بدن عـيسى، عليـه السـلام". يسـأله الرازي: "فكيـف عرفـتَ أنّ الإله مـا حلّ في بدني وبدنك وفي بدن كلّ حيوان ونبات وجماد؟» "

وفي المناظرة ١٥٣، ينقل حـواراً بين أحد الرهبـان وأبي الوليد البـاجي في شأن ألوهيّـة عيـسى، قـال: «كتبَ رجلٌ من الرّهبـان إلى بعض ملوك الأندلس يدعـوه إلى الدخـول في ملّتـه، وكان أبو الوليـد الباجي بحضـرته، فأجاب عن الملك، فقال في كـتابه للراهب: "إنّا نربأ بك عمّا استفتحت به كتابك من أن عيسى ابن اللّه، بل هو بشر مخلوق وعـبـد مربوب لا يعـرى من دلائل الحـدوث من الحـركـة والسكون والزوال والانتقال والتغير من حال إلى حال وأكل الطعام والموت الذي كتب على الأنام مما لا يصحّ على إلهٍ قديم" .. فانقطع الراهب ولم يجد جواباً».

***

---

(٩٣) **عيون المناظرات**، تحقيق سعد غراب،منشورات الجامعة التونسيّة، ١٩٧٦

ويبيّن **إبن تيميّة** تناقضَ النصارى في قولهم باتّحاد اللاّهوت بالنّاسوت، فيقول:

«والنّصارى تدّعي اختصاص المسيح بالاتّحاد، مع أنّ المتّحد بالناسوت صار هو والناسوت شيئاً واحداً. ومع الاتّحاد فيمتنع أن يكون لأحدهما فعل، أو صفة خارج عن الآخر. والنّصارى يدّعون الاتّحاد ثم يتناقضون: فمنهم مَن يقول: جوهر واحد؛ ومنهم مَن يقول: جوهران؛ ومنهم مَن يقول: مشيئة واحدة؛ ومنهم مَن يقول: مشيئتان»[٩٤].

ثمّ ينقل إبن تيميّة، عن محمّد بن جرير الطبري، حواراً جرى بين النّبيّ وبعض النّصارى، قال:

«إنّ النصارى أتوا رسولَ اللّه فخاصموه في عيسى بن مريم.

وقالوا له: مَن أبوه؟..

فقال لهم النّبيّ: ألستم تعلمون أنّه لا يكون ولداً إلاّ وهو يشبه أباه؟

قالوا: نعم.

قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّمٌ على كلّ شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى مِن ذلك شيئاً؟

قالوا: لا.

---

(٩٤) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ١/٢٥٩–٢٦٠.

قال: ألستمَ تعلمون أنّ اللّه لا يخفى عليه شيء في الأرض وفي السماء؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يعلم عيسى مِن ذلك شيئاً إلاّ ما علم؟

قالوا: لا.

قال: فإنّ ربّنا صوّر عيسى في الرّحم كيف شاء.

قال: ألستم تعلمون أنّ ربّنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أنّ عيسى حملتْه أمّه كما تحمل المرأة، ثم وضعتْه كما تضع المرأة ولدَها، ثمّ غذّي كما يتغذّى الصبي، ثمّ كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

قال: فعرفوا ثم أبوا إلاّ جحوداً» (١/ ٦٠-٦١).

***

وابن قيّم الجوزيّة، يطيب له الحديث عن ألوهيّة المسيح وهو في بطن أمه يتخبّط بين البول والدم، ويعجب كلّ العجب من إلهٍ هذا شأنه[٩٥]. يقول:

---

(٩٥) **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، ص ١٣٩.

«ألا يستحي (النصراني) من أصل دينه الذي يدين به اعتقاده أنّ ربّ السموات والأرض، نزل عن كرسيّ عظمته وعرشه، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوّط وتحيض، فالتحم ببطنها، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبّط بين نجْوٍ وبول ودمٍ وطمثٍ!! ثم خرج إلى القماط والسرير!! كلّما بكى ألقمتْه أمّه ثديها؛ ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان.

«ثم آلَ أمرُه إلى لَطْم اليهودِ خدّيه، وصفْعِهم قفاه، وبصْقِهم في وجهه، ووضْعِهم تاجًا من الشوك على رأسه، والقصبة في يده، استخفافًا به وانتهاكًا لحرمته. ثم قرّبوه من مركب خُصّ بالبلاء راكبُه، فشدّوه عليه، وربطوه بالحبال، وسمّروا يديه ورجليه، وهو يصيح، ويبكي، ويستغيث من حرّ الحديد وألَم الصلب. هذا وهو الذي خلق السموات والأرض، وقسم الأرزاق والآجال. ولكن اقتضتْ حكمتُه ورحمتُه أن يمكِّن أعداءه من نفسه، لينالوا منه ما نالوا» (ص١٣٩)

ثمّ يتساءل إبن قيّم الجوزيّة عن ألوهيّة المسيح، وينتظر من «معشر المثلّثة وعبّاد الصليب وأمّة الضلال» جوابًا. فيقول:

«يا معشر المثلّثة وعبّاد الصليب! أخبرونا مَن كان الممسكُ للسموات والأرض حين كان ربُّها وخالقها مربوطًا على خشبة الصليب!.. أم تقولون: استخلف على تدبيرها غيرَه!.. أم تقولون: كان هو المدبّر لها في تلك الحال!.. أم تقولون: لا ندري!..

«ما الذي دلّكم على إلهيّة المسيح؟ فإن كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه... فما أصحّه من استدلالٍ عند أمثالكم ممّن هم أضلّ من الأنعام؟! وهم عار على جميع الأنام!

«وإن قلتم: إنّما استدللنا على كونه إلهًا بأنّه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقًا لكان مولودًا من البشر. فإن كان هذا الإستدلال صحيحًا فآدم إله كالمسيح، وهو أحقّ بأن يكون إلهًا منه، لأنّه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم؛ وحوّاء أيضًا، إجعلوها إلهًا خامسًا، لأنها لا أم لها. وهي أعجب من خلق المسيح؟!!

«وإن قلتم: استدللنا على كونه إلهًا بأنّه أحيا الموتى، ولا يحييهم إلاّ اللّه. فاجعلوا موسى إلهًا آخر، فإنّه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره، وهو جعل الخشبة حيوانًا عظيمًا ثعبانًا، فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسمٍ كانت فيه أوّلاً.

«فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى! فهذا أليسع النّبي أتى بإحياء الموتى وهم يقرّون بذلك؛ وكذلك إيليّا النّبي أيضًا أحيا صبيًا بإذن اللّه؛ وهذا موسى قد أحيا بإذن اللّه السبعين الّذين ماتوا من قومه. وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريّين! فهل صار أحد منهم إلهًا بذلك!!

«وإن قلتم: جعلناه إلهًا للعجائب التي ظهرتْ على يديه! فعجائب موسى أعجب وأعجب؛ وهذا إيليا النّبي بارك على دقيقِ العجوز ودهْنها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق وما في قارورتها من الدهْن سبع سنين!!

وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافًا من الناس! فهذا موسى قد أطعم أمّته أربعين سنة من المنّ والسلوى!! وهذا محمّد بن عبداللّه قد أطعم العسكر كلّه من زادٍ يسيرٍ جدًا حتّى شبعوا وملئوا أوعيتَهم، وسقاهم كلّهم من ماءٍ يسيرٍ؟!!

«وإن قلتم: جعلناه إلهًا لأنّه صاح بالبحـر فسكنتْ أمواجه! فقد ضرب موســى البحرَ بعصــاه فانفلق اثنَي عشر طريقًــا وقام الماء بين الطرق كالحيطان، وفجّر من الحجر الصّلْد إثني عشر عينًا سارحة!!

«وإن جعلتـموه إلهًا لأنه أبرأ الأكـمه والأبرص! فإحـياء الموتى أعجب من ذلك، وآيات موسى ومحمد أعجب من ذلك...

«وإنْ قلتم: إنّمـا جـعلناه إلهًـا لأنّه أخـبـر بما يكون بعـده من الأمور، فكذلك عـامّة الأنبياء، وكـثيرٌ من الناس يخبـر عن حوادث في المستقبل جزئيّة، ويكون ذلك كمـا أخبر به، ويقع من ذلك كثير للكهّان والمنجّمين والسحرة!!

«وإن قلتم: إنّما جـعلناه إلهًا لأنه سـمّى نفسه ابن اللّه في غـير موضــع من الإنجيل كـقوله« إني ذاهب إلى أبي»، و«إنّي ســائل أبي»، ونحو ذلك، وابن الإله إله! قـيل: فاجعلوا أنـفسكم كلَّكم آلهة. في غـير موضـع أنّه سمّاه «أباه وأباهم»، كـقوله «اذهب إلى أبي وأبيكم»، وفيه «لا تسبّوا أباكم على الأرض فإنّ أبـاكم الذي في السماء وحده». وهذا كثير في الإنجيل وهو يدل على أنّ الأب عندهم الربّ!!

«وإن قلتم: إنّما جعلناه إلهًا لأنّه صعـد إلى السماء! فهذا أخنوخ والياس قد صعدا إلى السماء، وهما حـيّان مكرّمان، لم تشكّهما شوكةٌ ، ولا طمع فيهما طامع. والمسلمون مجـمعون على أنّ محمدًا صعد إلى السماء وهو عبدٌ محض؛ وهذه الملائكة تصعد إلى السماء؛ وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مـفارقتها الأبدان، ولا تخرج بذلك عن العبودية. وهل كان الصعود إلى السماء مُخرِجًا عن العبودية!!!

«وإن جعلتـموه إلهًا لأنّه صنع من الطـين صورةَ طائرٍ، ثم نفخَ فيـها فصارتْ لحـمًا ودمًا وطائرًا حقـيقةً، ولا يَفـعَل هذا إلاّ اللّه! قيل: فاجعلوا موسى بن عـمران إلهَ الآلهة، فإنّه ألقى عصًا فـصارتْ ثعبانًا عظيمًا، ثم أمسكها بيده فصارتْ عصا كما كانت!!!

«وإن قلتم: جعلناه إلهًا لشهـادة الأنبياء والرسل له بذلك!.. قيل لكم: فـاجـعلوا جـمـيع الرسل آلهـة فـإنّهم خَلّصـوا الأمم من الكفـر والشـرك، وخلّصوهم من النـار بإذن اللّه وحده. ولا شكّ أنّ المسـيح خلّص مَن آمن به واتّبعـه من ذلّ الدنيا وعـذاب الآخـرة، كمـا خلّص مـوسى بني إسرائيل مـن فرعـون وقومـه، وخلّصـهم بالإيمان بالله واليـوم الآخر من عـذاب الآخـرة، وخلّص الله سبـحـانه بمحمّـد بن عبـداللّه عبدِه ورسولِه من الأمم والشـعوب ما لم يخلّصـه نبيّ سواه. فإن وجبت بذلك الألوهيّة لعيسى فموسى ومحمد أحقُّ بها منه...

«وجمـاع الأمر، إنّ النبـوّات المتقدّمـة والكتب الإلـهيّـة لم تنطق بحرف واحـد بمقتضى أن يكون ابن الـبشر إلهًـا تامًا، إله حق من إله حق، وإنه غـيـر مصنوع ولا مـربوب، بل لم يخـصّـه إلاّ بما خُصّ به أخوه، وأولـى الناس به، محـمدٌ بن عـبدالله، في قـوله: "إنّه عبـدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه". وكـتبُ الأنبياء المتقدمة وسـائر النبـوات موافقـة لما أخبرَ به محـمد. وذلك كلّه يصدق بعـضه بعضًا» (ص ١٤٨-١٥٣).

وخلاصة الكلام، إنّ المسيـحيّين، في رأي ابن قيّم الجَوزيّة، هم أضلّ من الحـمـيـر في إيمانهم وعقـائدهم. يقول: «وأمّـا أمّة الضـلال وعـبّاد الصـليب والصّوَر المزوّقـة في الحـيطان، وإخـوان الخنازير، وشاتمـو خالقـهم ورازقهم أقـبحَ شتم وجـاعلوه مصـفعـةً لليهـود،

وتواطؤهم على ذلك وعلى ضروب المستحيلات وأنواع الأباطيل، فلا إله إلاّ اللّه الذي أبرز للوجود مثلَ هذه الأمّة التي هي أضلّ من الحمير ومن جميع الأنعام السائمة...» (ص ١١٥).

***

ويتحيّر **أبو محمّد عبداللّه الترجمان الميُورَقي** في أمر ألوهيّة عيسى وبنوّته للّه، كيف هو "بكر الخلائق"، فيما هي كانت قبلَه؟ ينقل قولَ أحد النّصارى، فيقول:

«قد قال اللّعين إنّ المسيح خالق كلّ شيء، ثمّ قال وُلد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلّها. فمتى خَلَقَ كلَّ شيء؟ قبل ميلاده، وهو عدم؟ أم بعد ميلاده، وهو صبيّ رضيع؟ ومَن كان يدبّر السموات والأرض ومَن فيهما وما بينهما قبل ميلاده وإيجاده؟ وكيف يكون بكر الخلائق، وهو الخالق لجميعها؟».

ويستنتج بأنّ «شريعة النصارى مبنيّة على هذا التناقض والمحال، لأنّهم مجمعون على أنّ المسيح أزلي، خالق، قديم، وُلد من بطن مريم بعدحملها به. وبهذا كلّه قد جعلهم اللّه تعالى أضحوكة لجميع العقلاء العارفين وقرّة لعيون الشياطين.

ويتابع:«أنظر قول هذا الخبيث: إنّ المسيح إله حقّ من جوهر أبيه؛ ثمّ قال: إنّه نزل من السماء فتجسّد في بطن مريم... والعجب أنْ يتجسّد مَن ليس بجسد ولا جوهر. ويتعالى ربّنا خالق الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكوّن منه المسيح، وأن يتجزّأ أجزاء، يستقرّ منها جزء في بطن مريم مختلطاً بدمها وبولها وروثها.

فـما أعظم جـرأة هؤلاء الكفـرة على اللّه، ومـا أعظم حلم اللّه عليـهم! والحمد للّه الذي عافانا ممّا ابتلاهم»[١٠٣].

وعن تصريح الأناجيل بناسوت المسيح، يقول الترجمان:

«نطق الإنجـيل الأوّل (مـتّى) بأنّ المسـيح قلّم أظافـرَه، وقصّ شعرَه، ونما جـسدُه طولاً وعرضاً. فـإنْ كان على قولهم خالِـقاً أزليّاً، وقد بانت مـنه هذه الأجزاء من الشعـر والأظافر، وانفـصلت عن كلّه، وصارت رمـيمـاً، وتلاشتْ حتّى لم يبقَ لهـا وجود. فـالخالق الأزلي، على هذا، قد فسد بعضُه وتلاشى، وبـقي بعضُه على حاله. ومَن فسد بعضُه فالفساد واصلٌ إلى كلِّـه. ومَن كان له بعضٌ وكلٌّ، فهو محدودٌ ومحتاجٌ إلى ما يحمله ويحدّه. ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغنيّ. والإله الخالق الأزلي... لا يكون جـسماً ولا جوهراً ولا عـرضاً. وليس له كلّ يتـجزّأ ولا تتـبعّض ذاته القـديمة، ولا يلحقهـا نقصٌ ولا تغيّـرٌ ولا تحوّلٌ. وأنّه الغنيّ على الإطلاق. وجـميع الخلق إليه فـقراء» (ص١٩٩-٢٠١).

«ويقال لهم أيـضاً: هذا المسيح الذي تعـتقدون أنّـه اللّه الخالق الأزلي، هل كان في بلدٍ أو في زمـانٍ أم لا؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك لأنّ إنجـيلَي مـتّى ولوقـا صرّحـا بأنّه وُلد في بـلد بيت لحم في زمن رودس الملك، وأنّه قـتل وصلب في أيّام بيلاطوس الملك. وكلّ مَـن كان في زمان وفي مكان، فـالزمان لا بدّ وأن يكون قبلَه، والأمكنة مـحيطة به. ومن كان كذلك فــهو مخلوق. وإذا ثبت أنّه مخلوق بطلت عـقيدتكم التي فـيها أنّه إلــه حقّ وأنّه خلق كلّ شيء. ومعلوم بالقطــع أنّ الزمان

(١٠٣) **تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب**، ص ١٧٤...

هو من الأشياء المخلوقة والزمان كان قبل أن يوجد المسيح بلا شك في ذلك ولا امتراء، فكيف يجوز أن يكون الزمـان وُجد قبل خالق الزمان؟ ويكون المكان محـيطاً بالذي خَلق المكان؟ هذا من أشنع ما يتـخيّل في الأذهان، ومن أقبح ما يكون من المحال والبهتان. فكل من وُلد في زمان وأحـاط به الزمان والمكان فـهو حـيـوان إبن حيـوان. والمسيح عليـه السلام كـان من أشرف أنواع الحـيوان، لأنّه إنسـان بن إنسـان» (ص ٢٠١-٢٠٢).

***

أمّا **رحمة الله الهندي** فيُبطل ألوهيّة المسـيح بالإستناد إلى ما جاء في الإنجيل نفسه[١٠٤]. فهو يستشهد بنصوص عديدة تفيد حجَّتَه ومأخذه على المسيحيّين في عقيدتهم. يقول :

١ – في يوحنا ١٧/٣، قال عيـسى: " وهذه هي الحياة الأبديّة أن يعرفوك أنتَ الإله الحقيـقي وحدَك، ويسوع المسيح الذي أرسلته ". «فبيّنَ عيسى أنّ الحياة الأبديّة عبارة عن أن يعرف الناس أنّ اللّه واحد حقيـقي، وأنّ عيسى رسوله. ولم يقل إنّ الحيـاة الأبديّة أن يعرفوا أنّ ذاتك ثلاثة أقانيم، وأنّ عيسى إنسان وإله، أو إله مجسّم».

٢ – في مـرقس ١٢/٢٨-٣٤: قال عـيسى : «أوّل الوصـايا: أحـبب الربّ إلـهك، ثمّ أحـبب قـريـبك كنفـسك "؛ «وهي سـبب قـرب الملكوت، أن يعتقـد أنّ اللّه واحد ولا إله غيره. ولو كان اعتـقاد التثليث مدار النجاة لكان مـبيِّنا في التوراة، ولقال عـيسى: أوّل الوصايا الربّ واحد ذو أقانيم ثلاثة» (٢/٦).

---

(١٠٤) **إظهار الحقّ.**

٣ – في مرقس ١٣/ ٣٢، قال عيسى: " وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد. ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاّ الأب " . «وهذا القول ينادي على بطلان التثليث، لأنّ المسيح خصّص علم القيامة باللّه ونفى عن نفسه، كما نفى عن عباد اللّه الآخرين، وسوّى بينه وبينهم في هذا» (٢/ ٧).

٤ – في يوحنا ٢٠/ ٢١: «تقدّمت أم ابنَي زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت من يسوع شيئاً، فقال لها: " ماذا تريدين؟ قالت له: أن يجلس ابناي هذان، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. فأجاب يسوع: ألجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلاّ للذين أُعِدَّ لهم من أبي " . «فنفى عيسى ههنا عن نفسه القدرة وخصّصها باللّه، كما نفى عن نفسه علم الساعة وخصّصه باللّه».

٥ – في متى ١٩/ ١٦–١٧: " وإذا واحد تقدّم وقال له: أيها المعلّم الصالح.. فقال له: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو اللّه " : «فهذا القول يقلع أصل التثليث. وما رضي تواضعاً أن يطلق عليه لفظ الصالح».

٦ – متى ٢٧/ ٤٦: قال عيسى وهو على الصليب: " إلهي إلهي لماذا تركتني؟ " ، ولوقا ٢٣/ ٤٦: " يا أبتاه في يديك أستودع روحي " . «هذا القول ينفي ألوهيّة المسيح، ولو كان إلهاً لما استغاث بإله آخر، ولامتنع العجزُ والموت عليه» (٢/ ٧–٨).

٧ – يوحنا ٢٠/ ١٧: قال المسيح للمجدليّة: " لا تلمسيني؛ لأنّي لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إنّي أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " . «فسوّى بينه وبين الناس في

هذا القول: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"، لكيلا يتقوّلوا عليه الباطل فيقولوا إنّه إله أو ابن إله» (١٢/٢).

٨ – يوحنا ١٤/٢٨، قال المسيح: "إنّ أبي أعظم منّي". «ففيه أيضاً نفيٌ لألوهيّته، لأنّ اللّه ليس كمثله شيء فضلاً عن أن يكون أعظم منه» (١٢/٢).

٩ – يوحنا ١٤/ ٢٤: قال عيسى: "ألكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني". «ففيه أيضاً تصريح بالرسالة، وبأنّ الكلام الذي تسمعونه وحيٌ من جانب اللّه» (١٢/٢-١٣).

١٠ – متى ٢٣/٩-١٠: "لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات. ولا تدعوا معلّمين لأنّ معلّمك واحد المسيح". «فهنا أيضاً صرّح بأن اللّه واحد أنّي معلّم لكم» (١٣/٢).

١١ – متى ٢٦/٣٦-٤٤: عن صلاته في بستان الزيتون واكتئابه وخوفه... «فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارات، تدلّ على عبوديّته ونفي ألوهيّته. أيحزن ويكتئب الإله، ويموت ويصلّي لإله آخر، ويدعو بغاية التضرّع؟ لا واللّهِ» (١٣/٢).

١٢ – عبارة "ابن الانسان" الواردة في متى ٨/ ٢٠؛ ٩/٦؛ ١٦/١٣ و٢٧؛ ١٧/٩ و١٢ و٢٢؛ ١٨/١١؛ ١٩/٢٨؛ ٢٠/٢٨ و٢٨؛ ٢٤/٢٧؛ ٢٦/ ٢٤ و٤٥ و٦٤. «وهكذا في غيره. وظاهرٌ أنّ ابن الإنسان لا يكون إلاّ إنساناً» (١٣/٢).

ثمّ يقدّم رحمة اللّه الهندي الحجج على إبطال ألوهيّة المسيح هذه:

أوّلاً – إنّ إطلاق لفظ "ابن اللّه" على المسيح، هو «دليل في غاية الضعف بوجهين: **أوّلاً** – لأنّ هذا الإطلاق معارض بإطلاق "ابن الإنسان"، وبإطلاق "ابن داود". و **ثانياً** – فلأنّه لا يصحّ أن يكون لفظ الإبن بمعناه الحقيقي؛ لأنّ معناه الحقيقي، باتّفاق لغة أهل العالم من تولّد من نطفة الأبوين. وهذا محال ههنا. فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح» (٢/ ١٥-١٦).

ففي قول مرقس١٥/ ٣٩: "ولمّا رأى قائد المائة الواقف مقابله أنّه صرّح هكذا وأسلم الروح قال: حقّاً كان هذا الإنسان **ابن الله**". يقابله في لوقا ٢٣/٤٧: "بالحقيقة كان هذا الإنسان **بارّاً**"... وتعبير "ابن اللّه" و "أبناء اللّه" و "أولاد اللّه"، أطلقت على البشر مراراً، كما أطلقت على المسيح.

في روما ٨/ ١٤: "لأنّ كلّ الذين ينقادون بروح اللّه فأولئك هم أبناء اللّه"؛ وفيلبي ٢/ ١٤-١٥: "إفعلوا كلّ شيء بلا دمدمة ولا مجادلة لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد اللّه بلا عيب". وكذلك في ١ يوحنا ٤/ ٧: "كلّ من يحبّ فقد ولد من اللّه"؛ و٥/ ١-٢: "كلّ من يؤمن أنّ يسوع هوالمسيح فقد وُلد من اللّه. وكلّ من يحب الوالد يحبّ المولود منه أيضاً. بهذا نعرف أننا نحب أولاد اللّه، إذا أحببنا اللّه وحفظنا وصاياه".

بهذا المعنى أيضاً ورد في سفر الخروج ٤/ ٢٢-٢٣: "يقول الربّ لبني بكْري إسرائيل. فقلت له: أطلق إبني ليعبدني".

وفي المزمور ٨٨/ ٢٦-٢٧: يطلق داود لفظ "**الأب**" على اللّه: "هو يدعوني أنتَ **أبي وإلهي** وناصر خلاصي. وأنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من كلّ ملوك الأرض".

وفي إرمـيـا ٣١/ ٩: "إني صـرتُ **أباً** لإسـرائيل وأفـرام هو بكري".

وفي ٢ صمـوئيل ٧ قول اللّه فـي حق سليمان: "وأنـا أكون له **أباً**. وهو يكون لي **إبناً**".

وفي تثنية الاشتراع ١٤/ ١؛ و٣٢/ ١٩؛ وآشعيا ١/ ٢؛ ٣٠/ ١؛ ٦٣/ ٨؛ وهوشع ١/ ١٠، جـاء إطلاق **أبناء اللّه** على جـمـيع بني إسرائيل.

وفي آشـعيـا ٦٣/ ١٦: "أنتَ يا ربّ **أبونا** فـخلصنا من الدهر اسمك". ٦٤/ ٨: والآن يا ربّ أنت **أبونا**".

وفي أيوب ٣٨/ ٧: "إذا كان تسـبّح لي نجوم الصـبح جميـعاً ويفرحون جميع **بني اللّه**".

وفي المزمور ٦٧: "**أبو اليتامى** وحاكم الأرامل اللّه في موضع قدسه".

وفي تـكويـن ٦/ ٢ و٤: "رأى **بنـو اللّـه** بنـات النـاس أنّهـن حسنات... بعدما دخل **أبناء اللّه** على بنات الناس" (٢/ ١٥-٢٠).

ثانياً - في يوحنا ٨/ ٢٣: "قـال لهم: أنتم من أسفل، أمّـا أنا فمن فـوق. أنتم من هذا العالم، أمّا أنا فـلست من هذا العالم"... إلاّ أنّ عيـسى قال مثـل هذا القول في حقّ تلاميـذه في يوحنا ١٥/ ١٩: "لو كنتم من العالم لكان العـالم يحبّ خاصّته. ولكنّكم لسـتم من العالم"، وقال أيضاً فـي يوحنا ٧/ ١٤: "إنّهم ليسوا من العالم، كـما أنّي لست من العالم". هكذا سوّى عيـسى بينه وبين تلاميذه في عدم الكون من

هذا العالم. فلو كان هذا مستلزمـاً للألوهيّة، كما زعموا، لَزِمَ أن يكونوا كلّهم آلهة. والعياذ بالله» (٢/ ٢٠).

ثالثاً – في يوحنا ١٠/ ٣٠، قال عـيسى : "أنا والأب واحد". مـثل هذا الكلام وقع في حـقّ الحـواريّين فـي يوحنا ١٧/ ٢١–٢٣: "ليكونوا واحداً، كما أنك أنت أيّها الأب فيّ وأنا فيك. ليكونوا هم أيضاً واحداً فـينا... ليكونوا واحـداً كما أنّنا نـحن واحد. أنا فيـهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحـد". لقد سـوّى في القول الثانـي بين اتّحاده بالله وبين اتّحاده فيما بينهم» (٢/ ٢١).

رابعاً – في يوحنا ١٤/ ٩–١٠، قال عيـسى: "ألذي رآني فقد رأى الأب... ألست تؤمن أنّي أنا في الأب والأب فيّ". مـثل هذا الكلام قاله بالنسبة إلى تلامـيذه في يوحنا ١٤/ ٢٠: "في ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في أبي وأنتم فيّ وأنّي فيكم" (٢/ ٢١–٢٢).

***

ويستـفيض **منصـور حسين عـبد العـزيز** في إنكار ألوهيّة المسيح، مستنداً إلى الأناجيل وإلى الحجج العقليّة معاً، فيقول :

* «إنّ **بنوّة الله** التي وردت على لسان المسيح عليه السلام في هذه الأناجيل (الثـلاثة المتماثلة)، لم يكن مـقصوداً بها المسـيح وحدَه، وإنّما قصد بهـا هو تماماً كما قصد بها كـلّ النّاس عداه. فهو يَرِدُ على لســانه قوله: أبي الّذي في الســموات"، كـذلك يرِد على لسانه قـوله: "أبوكم الذي في الســموات". وكـما يـقال عنه "إبن الله"، يقـال عن صــانعي الســلام أنّـهم "أبناء الله". بل إنهّ حين يطـلب من الناس أن يصلّوا يطلب منهـم أن يقولوا "أبانا الذي فــي السمـوات". وعلى هذا

فإنّ هذه البنوّة التي وردت في هذه الأناجيل الثلاثة على لسان المسيح -وحتّى بفرضِ صحّتها- لا تعني تمييزاً خاصّاً للمسيح عن الناس» (ص٤٤٣)[١٠٥].

ثم إنّ «هذه البنوّة بين المسيح عليه السلام واللّه، التي يقول بها المسيحيّون، لا معنى لها على الإطلاق. وذلك أنّ العقيدة يجب أن تكون جامعة شاملة مانعة. فإذا قالوا بأنّ المسيح هو اللّه، فلا يصحّ، بأيّ حالٍ، أن يُقبل منهم القول بأنّه إبن اللّه. فهو، إمّا أن يكون هو اللّه، في اعتقادهم، وإمّا أن يكون إبن اللّه، في اعتقادهم. أمّا الجمع بين ألوهيّته وبين بنوّته للّه -أي لنفسه- فإنّه أمرٌ لا يمكن فهمه ولا قبوله على الإطلاق» (ص ٤٤٣-٤٤٤).

ثمّ إنّه لا يحقّ للمسيحيّين «أن يتمسّكوا بالقول بأنّ المسيح هو ابن اللّه، وأنّه مولود منه قبل كلّ الدهور. إذ إنّ كلّ ذلك لن يوصلنا إلى أي معنى محدّد أو مفهوم. كما أنّه لا حاجة إليه ما داموا يقولون مباشرة بأنّ المسيح هو اللّه... وإلاّ لجاز القول بأنّ الناسَ جميعاً آلهة» (ص٤٤٥).

ثمّ إنّ «العهد القديم، الذي يؤمن به المسيحيّون، يتحدّث، قبل المسيح بأكثر من ألف سنة عن ابنٍ للربّ، هو إسرائيل[١٠٦]؛ بل ويزيد في تأكيد هذه البنوّة التي لا يشاركه فيها أحد، فيقول إنّه إبن الربّ البكر. فهل معنى هذا أنّ إسرائيل ابن اللّه حقّاً؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فهل هو ابن اللّه البكر؟ ومَن يكون المسيح إذن؟ هل يمكن القول بأنّه

---

(١٠٥) دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام.
(١٠٦) سفر الخروج ٤/ ٢١-٢٣.

ابن اللّه الوحيد؟ أو حتى البكر؟ للحقّ إنّ التمادي في مثل هذا الكلام لن يؤدّي بنا إلاّ لغير ما نحبّ أن يرد على لساننا عن اللّه سبحانه» (ص ٤٤٦).

ثمّ كيف يكون ميلاد المسيح قبل كلّ الدهور، ويقول بولس مستشهدا بالمزمور الثاني "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. إنّه أقامه من الأموات"[١٠٧]؟؟ «واضح من ذلك أنّ يوم الميلاد المقصود للمسيح من اللّه هو يوم أن أقامه من الأموات كما يعتقدون. ولم يكن هذا اليوم أبداً قبل كلّ الدهور. بل كان بعد كلّ الدهور.. وفي هذا تناقض يهدم فكرة الألوهيّة كلّها» (ص ٤٤٧).

* ثم يستند عبد العزيز إلى أقوال الأناجيل لينفي ألوهيّة المسيح.

١.عن تجارب المسيح في متّى ولوقا[١٠٨]، يقول: «إنّه من غير المتصوّر أن إبليساً يختبر اللهّ. إنّه للغوٌ حقّاً مثل هذا القول. فليس اللّه بالذي يمكن أن يجرّبه إبليس، أو أن يتعرّض لإغراء إبليس.

«ثمّ، إذا كان الناس يعجزون بإدراكهم عن أن يعرفوا في المسيح أنّه اللّه. إذا كان هو اللّه حقّاً، فلا يتصوّر أنّ إبليساً لا يعرف اللّه فيقدم هكذا بسهولة على محاولة إغوائه.

«وإذا كان المسيح هو اللّه حقّاً، فلا معنى أبداً لأن يجرّبه إبليس، لأنّه اختبار وتجربة لا معنى لهما بالنسبة للّه. فهل يغريه بكلّ الممالك،

---

(١٠٧) أعمال الرسل ١٣/ ٣٢-٣٤.

(١٠٨) متى ٤/ ١-١٠؛ لوقا ٤/ ١-١٣.

وهي كلّها للّه؟ أم يغريه بالناس، وكلّهم عباده؟ إنّ للحقّ، هذه التجربة من إبليس في حدّ ذاتها، كافية لنفي أيّة ألوهيّة يقال بها عن المسيح عليه السلام» (ص ٤٥١-٤٥٢).

٢. وعن صلاة المسيح للّه[١٠٩] يقول السيّد عبد العزيز: «وفي هذه الآيات نرى المسيح يصلّي، يصلّي للّه. ويقضي اللّيل كلّه في الصلاة للّه. فهل كان يصلّي لنفسه؟ إنّ هذا هو غير المعقول. بل كان يصلّي للّه» (ص٤٥٤).

٣. وعن الرّوح القدس[١١٠] يقول: «مفهوم هذه الآيات أنّ الرّوح القدس الذي هو اللّه أيضاً عند المسيحيّين، غير المسيح الذي أشير إليه على أنّه ابن الإنسان، لأنّهما إن كانا واحداً لوجب أن يكون الحكم واحداً بالنسبة لمن يجدّف على أيّ منهما. ولكن التجديف هنا يُغفر إذا كان عن المسيح، ولا يُغفر إذا كان على الروح القدس الذي هو اللّه أيضاً في اعتقادهم. ومن ثمّ فلا يمكن أن يكون المسيح هو اللّه» (ص٤٥٤-٤٥٥)

٤. وعن وصف المسيح نفسه بالنّبيّ[١١١] يقول عبد العزيز: «هنا لا نرى المسيح يصف نفسه في هذه الآيات إلاّ بالنّبي. ولم يزد على ذلك شيئاً» (ص٤٥٥).

* ثم يستشهد السيد عبد العزيز بآيات كثيرة في الأناجيل المتماثلة تشير إلى **بشريّة المسيح**. ثم يختم كلامه بحكم نهائيّ قائلاً:

---

(١٠٩) متى ١١/٢٥؛ لوقا ٦/١٢؛ ١٠/٢١؛ مرقص ٦/٤٦.

(١١٠) متى ١٢/٣٢؛ مرقص ٣/٢٨-٣٠؛ لوقا ١٢/١٠.

(١١١) متى ١٣/٥٧؛ مرقص ٦/٤؛ لوقا ٤/٢.

«هذا هو المسيح عليه السلام، وهـذه هي أقواله في أناجيل متّى ومرقس ولـوقا. ليس فيـها إلاّ مـا يؤكّد اعـتبـاره مجرّد إنســان نبيّ، ورسول بشــر. وليس فيها على الإطـلاق، هذا الذي يمكن أن نفهم منه أنّه هو اللّه، أو أنّه قصد أن يـعلن للناس أنّه اللّه. وهذا كلّه في الأناجيل المتـداولة التي آمن كـاتبوها بأنّ المســيح هو اللّه. ولا يمكن بأيٍّ حـالٍ القـول بأنّه قد ثبت على لســان المسـيح عليه الســلام ما يجـيز لأحـدٍ اعتباره إلهاً، أو اللّه نفسه.

«ففــي البدء يُجـرَّب من الشيطان؛ وليس اللّه بالذي يجـرَّب من الشيطان.

«وهو يصلّي للّه؛ وليس اللّه بالذي يصلّي لنفسه.

«وهو يصف نفسه بالنّبيّ ويقبله الناسُ نبيّاً.

«ثم هو يعرّف الناس بأنّه المســيح الذي تنبّأ عنه العهـد القديم، ولا يزيد شيئاً.

«ثم هو يرفض حـتّى أن تُنسب إلـيه صـفـة من صـفـات اللّه، فيَسأل مَن وصَفَه بالمعلّم الصالح؟ لماذا يقول له ذلك؟! فليس صالح إلاّ واحد وهو اللّه. فيرفض بذلك، ويقيناً، الادّعاء بألوهيّته.

«ثم يسأله ابنا زبدى –أو أمّها (كـذا)– أن يجعل لهما مكاناً عن يمينه وعن يساره في ملكوت اللّه، فـيقول بأنّه ليس له أن يمنح مكاناً لأحد إلاّ أن يكون قد أعدّ له من قِبل اللّه.

«ثمّ هو يؤكّد أنّ أوّل الوصايا أن تحبّ الرب إلهنا. ولم يقل أحد بأنّه كان يقصد نفسَه بقوله الرب الإله. بل كان واضحاً بجلاء أنّه إنّما يقصد اللّه الذي لا إله إلاّ هو.

«ثم ها هو يتحدّث عن ساعة انقضاء الدهر، فيقول بأنّ أحداً غير اللّه، وحتّى هو نفسه، لا يعلمها، فيقطع بذلك لمن يعي أنّه ليس اللّه، وإلاّ لكان على علمٍ بتلك الساعة.

«ثم هو يتحدّث عمّن أرسله، فنعلم أنّ اللّه من أرسله وأنّه هو نفسه بالتالي ليس اللّه.

«وأخيراً فها هوذا في آخر لحظات له على الأرض، يصلّي للّه أعمق الصلاة ويدعوه. ثمّ يسلّم أخيراً بمشيئته.

«فمن أين يمكن القول، رغم ذلك، بأنّه اللّه!! إنّه افتراء على المسيح نفسه أن يقال عنه ذلك. أو أن ينسب إليه أنّه قال عن نفسه ذلك» (٤٦٩).

* وعمّا ورد في إنجيل يوحنّا على لسان المسيح بأنّه اللّه، يقول السيّد عبد العزيز: «وهذا الذي يورده يوحنا على لسان المسيح لا نراه، مع ذلك، في أيٍّ من الأناجيل الثلاثة الأخرى. وكأنّما المسيح إنّما بدأ منذ اليوم الأوّل إلى آخر يوم في دعوته، وهو يصيح في الناس بأنّه اللّه.

«بل الأغرب من ذلك أنّنا وجدنا المسيح في رواية أجمعتْ عليها الأناجيل الثلاثة الأخرى يرفض أن تنسب إليه صفة أنّه "صالح"، ثم إذا بنا نجد أنّ يوحنّا يورد في إنجيله هذه الصفة عن المسيح وعلى لسانه، فيقول: "أنا الرّاعي الصالح".

«وفي كلّ ذلك، لا يتعارض إنجيل يوحنا مع الأناجيل الأخرى فحسب، بل هو يناقضها، ويناقض ما يقول به المسيحيّون جميعاً من

أنّ المسيح إنّما عـرف في البداية مجرّد إنسان بشـر، بل وحاول أيضاً إخفاء ألوهيّته التي قالوا بها حتّى أيّامه الأخيرة» (ص ٤٧٦).

* وأخيـراً، إنّ المسيحيّين «يسلمـون بأنّ المسيح لم تعرفْـه أمُّه العـذراء الطاهرة إلاّ إنسـاناً، رغم أنّهـا أدرى الناس بأنّهـا ولدته ولم يمسَّها بشر، وعـرفه الناس جميعاً طفلاً وشاباً ورجـلاً، مجرّد إنسان مثلهم. ثمّ بدأ يبشّـر بدعوته. فعرف فيه الناس فـوق ذلك رسولاً نبيّاً. ولم يعرف فيه أحدٌ أنّه إله، ولم يدر بخلد أحدٍ أنّه قد يكون كذلك. وظلّ الناس على هذا الاعتـقاد بشأنه طوال فتـرة دعوته. وحتّى بعـد رفعه ومرور أيّام على ذلك.

«فهنا، نحن بصدد شخص لـم يُعرف إلاّ كإنسان. وليس أخطر في الدين من أن يقال عن شـخص عُرف على هذا النحو طوال حـياته، أنّه اللّه.

فـمن هنا. ومن هذه النقطـة بالذات يتـعيّـن أن يكون بحثُ كلِّ مسيحيٍّ عن حقيقة المسيح عليه السلام، فيرى هل هذا الإنسان هو إله أو هو اللّه حقّاً. ولو بدأ أحـدٌ من هنا كما بدأنا لما وجد في المسـيح غير إنسـان. ولما وجـد إلاّ أنّ القـول بأنّه اللّه، هو، في الواقع، كـفـر باللّه. ولكنّهم يأبون أن يبدأوا من هذه النقطة» (ص ٤٩٠).

***

ويعتبر **عبداللّه العلمي** أنّ الأديان جمـيعهـا أقرّت بالتوحـيد، ودافعت عنه. وتأليه المسيح إختراعُ الأساقفة والمجامع. يقول:

* «ثمّ الدفاع عن المسيح وأمِّه ممّا نسبه إليهما رجالُ الكهنوت المسيحيّون من الطـبيعة اللاّهوتيّة، وذلك ببيان أنّ ما يعـتقد به أكثريّة

فرق النصارى لم يكن منشأه الكتاب المقدس الموجود بين أيدينا، بل الأساقفة والقسس منذ أوّل مجمع كنسي عقدوه في بلدة نيقية بأمر وبتسلّط من الملك الوثني آنئذ قسطنطين الأوّل أمبراطور الرومان عام ٣٢٥ م، حيث إمّا أنّهم قد حرّفوا معاني العبارات والكلمات التي وردت في الإنجيل عن لسان السيّد المسيح لتكون مرضية لرغبات الملك وميوله النفسيّة الوثنيّة، أو أنّهم قد أساءوا الفهم فيها، وعبّروا غلطاً، وأوّلوها تأويلاً مخالفاً للحقيقة والواقع، بقصد، أو بغير قصد، لا سيّما وأنّ تلاميذ السيّد المسيح كثيراً ما كانوا يغلطون في فهم كلماته وتعابيرها؛ بل كثيراً ما كان هو نفسه يُغَلِّطهم في فهمهم، ويوبّخهم عليه، وهو بينهم. فكيف بأتباعهم من بعدهم، وقد بعدت الشقّة، ونأى الزمن بين السيّد المسيح وبينهم»؟! (ص ١١-١٢)[١١٢].

* ويقول العلمي أيضاً : بولس هو السبب ثم مجمع نيقية في رفض التوحيد والقول بالتثليث وبتأليه المسيح. يقول في تمهيد الكتاب: « ألأصل في دين النّصارى هو التوحيد. ولكن بولس، الذي يُعتبر أفضل مقدّس عندهم بعد المسيح، نقض الناموسَ حجراً حجراً، ولبنة لبنة، ومن بعده المجمع النيقاوي، رغم وجود نصوص واضحة نيّرة في الكتاب المقدّس» (ص١٥).

* وفي رأي العلمي أنّ ألقرآن خصّ المسيح وحده بتعبير «وروح منه» دون سائر الأنبياء. يجيب الشيخ، في حواره مع قسّ نصراني:

أوّلاً - «لفظ "روح" كان دائراً كثيراً على الألسنة.. وكان

---

(١١٢) كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النصرانيّة بين شيخ وقسّيس.

موضـوع حديـث القوم. ولقـد يروق لذوقهم التـعبـير بهـذا اللفظ..، فمساوقة لاصطلاح القوم، وحبّاً في استعمال الألفاظ التي ألفوا كثيراً جدّاً استعـمالها، ورد وصف اللّه في كتابه العزيز للسـيّد المسيح عليه السلام بأنّه "روح منه" (ص ٤٦).

ثانياً – «لردّ طعن اليـهود في المسـيح بقـولهم إنّ فيـه روح شيطانـيّة، إذ إنّ أعداء المسـيح المعاصـرون له من اليهـود كانوا غـير مصدّقين أنّ ما به عليه السلام روح رحماني قدّوس... كما كانوا أيضاً يلقّبونه بالشيطان» (ص٤٧).

ثالثاً – «لرد طعن أقربائه فـيه بأنّه مخـتلّ العقل... وغنيّ عن البيان أنّ الاختلال في العقل كان مـعروفاً في ذلك العصر وشائعاً بين القوم بأنّـه من أثر الأرواح النجسة... فـنطق القرآن في شـأن المسيح عليـه السـلام بما ينفي عنـه وصمـة مـا ألصـقـوه به قـائلاً "وروح منه"...» (ص٤٨).

* ثمّ يقول العلمي بـأنّ ألقرآن لم يسند التأييـد بالروح القدس إلاّ للمسيح وحده، ألأمر الذي يستحقّ الاعـتبار ويلفت الأنظار... يردّ الشيخ: «إنّ الـتأييد المذكـور إنّما يكون للمـغلوب عليه من هـذا العالم، فيـحتاج حينئـذ لتأييدٍ روحيٍّ بقـوّةٍ من السماء. وغنيّ عن البـيان أنّ المسـيح كان مـضطهـداً من أعدائه الـيهـود أكثـر جـدّاً من غيـره من الرّسل...» (ص٦٠).

* ثمّ إنّ القول بأنّ المسـيح هو "إبن اللّه" يعني، بنظر الشيـخ، «كـما أطلق عـلى المسيح "إبن الـلّه" (متى ٢١/٢٧) فـقـد أطلق على سليـمان أنّه "ابن اللّه" (٢ صم ٧/١٤)، وعلى الشـرفاء أو الأقـوياء

أنّهم "أبنـاء اللّه" (تكوين ٦/٢)، وعلـى إسـرائـيل (هوشع ١١/١)، وعلى بنيـه وبناته أنّهم "بنون وبنات اللّه تعـالى" (أشعـيا ٤٣/٦)، وعلى المسـيحـيّين المؤمنين (غل ٤/٦؛ لو ٢٠/٣٦)، وعلى كلّ إنسـان كـامل بارّ مـتخلّق بأخـلاق اللّه (مـتى ٥/ ٤٤-٤٥)، ومنقـاد بالرّوح القدس (رو ٨/ ١٤)؛ كما أطلق أيضاً "إبن إبليس" على كلّ عبدٍ شرّير خاطئ (رسل ٣/ ٢٠؛ ١ يو ٣/٨)» (ص ١٠٩-١١٠).

وكذلك «قد أطلق لفظ "الابن البكر" على غـير المسيح (خر ٤/ ٢٣؛ إر ٣١/ ٩؛ مز ٨٩/ ٢٧)، ولم يطلق ذلك على المسيح» (١١٠).

* ثمّ إنّ القـول بأنّ "اللّه أب المسيح" ليس هو، بنظر الـشيخ، خاصّـاً بالمسيح، بل «إنّ لكلّ من له صلة باللّه وزلفى مـعنويّة، يُطلق على اللّه أنّه "أبوه"، لذلك أطلق على الطاهر من شعب إسرائيل أنّ اللّه "أبوه"[١١٣]؛ وعلى كلّ المسـيحـيّين المؤمنـين أنّ اللّه "أبوهم"[١١٤]، وأطلق على داود أنّه يدعـو اللّه "أباه" (مز ٨٩/ ٢٦)، وعلى سليـمان أنّ اللّه يكون له "أباً" (٢ صم ٧/ ١٤)، كـمـا أطلق على اللّه أنّه "أب" لسائر عباد اللّه الأتقياء الأبرار»[١١٥](ص ١١٦).

* ثمّ إنّ القول بـأنّ «المسيح عليه السـلام وَلَدٌ للّه (إش ٩/ ٦)، وأنّه مولود مـن الرّوح القدس (متى ١/ ٢٠)، وأنّه أتـى من فوق ومن السـمـاء (يو ٣/ ٣١)، فقـد كـان بنو إسـرائيل جـميعـاً أولاداً للربّ إلـههم[١١٦]، وأنّ كلّ من يحبّ إخوانه فقد وُلد من اللّه (١ يو ٤/ ٧). وكذا

(١١٣) أنظر: آشعيا ٦٣/ ١٦؛ ٦٤/ ٦؛ تثنية ٢٣/ ٦؛ إرميا ٣١/ ٩
(١١٤) أنظر: متى ٢٣/ ٩؛ ٦/ ١ و٤؛ ٥/ ١٦ و٤٨...
(١١٥) أنظر: متى ٥/ ٤٤-٤٥؛ يو ٨/ ٤٢.
(١١٦) أنظر : يعقوب ١/ ١٧ و١٨؛ ١ بطرس ١/ ٣.

كلّ من اعتنق الاعتقاد بأنّ يسوع هو المسيح (١ يو ٥/ ١)، وكذا كلّ مؤمن (١ يو ٥/ ٤)، وكلّ من لا يخطئ (١يو ٥/ ١٨)، وكلّ مؤمن بارّ هو مولود من الروح القدس ومن فوق (يو ٣/ ٤-٦)» (ص ١٣٢).

* ثمّ إنّ القول بأن المسيح هو "اللّه" ليس خاصّاً بالمسيح وحده، فـ «إنّ الأسفار أطلقت لفظ "اللّه" على ذواتٍ آخرين، كما أطلقته على المسيح، بلا فرق»؛ لقد أطلقت لفظ "اللّه" على الملَك (قضاة ١٣/ ٢١ و٢٢)، وعلى القاضي الشرعي الذي ينوب عن اللّه في حكمه (خروج ٢١/ ٥و٦)، وعلى الشريف أو القوي (تكوين ٦/ ٢ و٤)؛ وعلى النّبيّ (١ صم ٩/ ٩)» (ص ١٣٤-١٣٧).

«وبناء على ما تقدّم، لو كان إطلاق كلمة "اللّه" على المخلوق يقتضي أنّ فيه طبيعة لاهوتيّة، للزم عليه، بحكم هذه النقول، أنّ هؤلاء "الملائكة والقضاة والأشراف أو الأقوياء" آلهة. وهو جليّ البطلان... ثمّ إنّ «المسيح سمّى نفسه مراراً "ابن الإنسان"، فهو، إذاً، لا يكون هو "اللّه"... ثمّ إذا لم يرض المسيح بأن يوصف بالصلاح[117]، فكيف يرضى بأنّه يوصف بالألوهيّة؟!» (ص ١٣٧-١٣٨).

* وكذلك لفظ "ربّ" «كما أطلقت على المسيح (يو ٢٠/ ٢٨)، فقد أطلقت على القاضي والكاهن (تث ١٩/ ١٧)، وعلى المعلّم والسيّد (يو ١/ ٣٨)، وعلى الملاك[118]، وعلى قايين (تك ٤/ ١) في الأصل العبراني. فلا يلزم إذاً من إطلاقها على المسيح أن يكون فيه طبيعة لاهوتيّة، وإلاّ لكان في هؤلاء الكهنة والقضاة والمعلّمين والملائكة

---

(١١٧) كما في متى ١٩/ ٦ و١٧؛ مر ١٠/ ١٧ و١٨؛ لو ١٨/ ١٨ و١٩.

(١١٨) أنظر: قضاة ٦/ ١٦ و٢٢ و٢٣ و٢٤؛ خروج ٤/ ٢٤؛ ١٢/ ٢٣.

وقايين كذلك» (ص ١٥٤).

* وكذلك لقب "مسيح"، الذي أطلق على يسوع، لم يكن لقباً خاصّاً به. فهو لقب أطلق على كثيرين: أطلق على داود[١١٩]، وشاول[١٢٠]، وعلى مطلق ملك في إسرائيل[١٢١]، وعلى مطلق نصراني (٢ قور ١/٢١). من ذلك نتعلّم أنّه لا خصوصيّة ليسوع بلقب "مسيح"» (ص١٧٩).

* وكذلك «لا خصوصيّة للمسيح بتسميته "يسوع" حيث سمّي غيره به أيضاً. من المعلوم أنّ أصل كلمة يسوع هو يشوع. وقد سبق، قبل المسيح، أنّه تسمّى بهذا الإسم من الأمّة الإسرائيليّة أشخاص كثيرون. وما زال اليهود يسمّون بهذا الإسم حتّى الآن. راجع يشوع بن نون، خليفة موسى (عد ١٣/١٦)، ويشوع بن يوصاداق، أحد كهنة اليهود الذين عادوا من السبي (عز ٥/٢)، ويشوع بن أزنيا (نح ١٠/٩)، ويشوع بن قدميئيل (نح ١٢/٢٤)... والجميع أخذ نصيباً من إسمهم "فخلّصوا" الشعب روحيّاً بإرشادهم وعظتهم وتعاليمهم الدينيّة، كلّ على قدر وظيفته» (ص ١٨٣-١٨٤).

* وكذلك إسناد لقب "مخلّص" إلى المسيح ليس خاصّاً به وحده. فهناك «التخليص الجسدي للّه وللملاك وللناس... والتخليص الرّوحي للّه وللمسيح وللإيمان والأعمال... ويكون خلاص الإنسان

---

(١١٩) أنظر: ٢ صم ٢٢/٥؛ مز ١٨/٥٠؛ ٢٠/٦.

(١٢٠) أنظر: ١ صم ١٠/١؛ ١٢/٣ و٥.

(١٢١) أنظر: ، مز ٨٩/٣٨؛ ١ صم ٢/١٠ و٣٥.

بالإيمان والأعمال معاً» (ص١٨٧-٨٨).

ثمّ «إنّ المسيح لم يخلّص جميع العالم، ولم ينجّهم. بل بقي أكثرهم في حالة الهلاك إلى هذا اليوم. وإنّ مشروطيّة الخلاص بشرط الإيمان مزيّة مخصوصة بكلّ رسول ونبيّ. وليست خاصّة بالمسيح وحده. ثمّ إنّ المسيح لم يُنْجِ ولم يخلّصْ جميعَ الأمم، ولا حتّى الأمم النّصرانيّة» (ص ١٩٠).

* وكذلك إسناد لقب "فادي" إلى المسيح فهو إسناد مجازي لا حقيقيّ، لـ «أنّ الفداء يُسند إلى اللّه حقيقة وإلى غيره مجازاً. وموسى جاء "فادياً" كالمسيح تماماً (رسل ٧/ ٣٥). ثمّ «إنّ الأسفار تفيد أنّ معنى الفداء هو التخليص والإنقاذ، وإنّ حمْل المسيح لآثام الشعب هو كحمْل هارون لإثم الأقداس التي يقدّسها بنو إسرائيل (خر ٢٨/ ٣٨). ثم «إنّ معنى "فدى المسيحُ المسيحيّين" خلّصهم وأنقذهم بهديه وإرشاده وتعاليمه. وكان الدم، بعد ذلك، نتيجة عن الفداء والتخليص بالهَدْي والإرشاد، وعاقبة له.

وأخيراً، «إنْ كان المسيح فدى الناس بلاهوته، فقد لزمك القول بأنّ اللاّهوت صلب ومات ودفن. وإنْ كان فدى الناس بناسوته فقد نفى أن يكون الإنسان فداء الآخر. فإذا كان الذي تألّم وصلب وقتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح أن يكون "فادياً"» (ص ١٩١-١٩٨).

* ثمّ إنّ «الادّعاء بأن المسيح كان يحيي الموتى لوجود طبيعة لاهوتيّة فيه»، يجيب عليه الشيخ بأنّ «الإحياء الحقيقي، الذي بمعنى إنشاء الحياة وتكوينها، هو من اختصاص اللّه تعالى وحده. وإنْ حصل عن غيره فهو بقدرته تعالى. فهو القائل: "أنا أميت وأحيي

(تث ٣٢/٣٩)؛ وقـالت حنّة أم صـمـوئيل: "الربّ يميت ويحـيي" (١ صم ٢/٦). وجاء على لسا ن يهـورام ملك إسرائيل: "هل أنا اللّه لكي أميت وأحيي؟" (٢ ملوك ٥/٧).

ثمّ إذا كان المسيح أحيـا ثلاثة أشخاص إحياءً جسديّاً حقـيقيّاً، هم : بنت يائيروس مـن كفرناحـوم (متى ٩/١٨-٢٥)، وابن الأرملة في بلدة نائيـم (لو ٧/١١-١٦)، وألعـازر من بيت عنيـا (يو ١١/١-٤٤)، فـ «إنّه جرى إحياء الموتى على يد أشخاص آخرين غيرالمسيح»: فبطرس أيضاً يحـيي الموتى فأحيا طابيـثا (رسل ٩/٣٦-٤٢)؛ وإيليا أيضـاً (١ مل ١٧/١٧-٢٤)؛ وأليـشع أحـيـا ابن المرأة الشـمـونيّـة (٢مل٤/١٧-٣٧؛ ٨/١-٦)؛ وحـتّى عظام أليـشع في قـبرها تحـيي الميت (٢ ملو ١٣/١٢)...

و«الادّعاء بأنّ إحياء بطرس وبولس وإيليا وأليشع للموتى كان اعتـماداً على قـوّة غيـر قوّتهم، وأمّا المسـيح فكان استنـاداً إلى قوّته وسلطانه، وهي قوّة الطبيعة اللاّهوتيّـة فيه... يقول الشيخ: إنّ المسيح اسـتند في إحيـائه الموتى على قـوّة اللّه السمـاويّة كغـيره بلا فـرق» (ص٢٠٣-٢١٢).

* ثمّ إنّ «الادّعاء بأنّ المسيح كان يعلم الغيب وكلّ شيء... ممّا يدل على أنّ في المسـيح طبـيـعـة لاهوتيّـة»، يجـيب الشـيخ: «إنّ في الأسـفار مـا يفيـد عدم عـلم المسيح الغـيب. وإذا علمـه فهـو من اللّه بواسطة الرّوح القدس... والأدلّة في الأناجيل كثيرة[١٢٢].

أضف إلى ذلك «أنّه يوجـد أشخاص آخـرون يعلمون بالـغيب،

---

(١٢٢) أنظر: متى ١٥/٣٤؛ ٨/١٠؛ مر ١٣/٣٢ ومتى ٢٤/٤٢.

حسب قول الأسفار، كالمسيح تماماً بلا فرق، إذا سلّمنا بأنّ المسيح يعلم الغيب... وإليك بيان بعضهم:

يعقوب يعلم الغيب كالمسيح بلا فرق (تك ٤٩/١-٣٢)، وموسى يخبر بعلم الغيب كالمسيح بلا فرق (تث ٣٣/٢-٢٨)، وصموئيل يخبر بالغيب كالمسيح بلا فرق (١ صم ١٠/٢-٩)، وإيليا يخبر بالغيب كالمسيح بلا فرق[١٢٣]، وأليشع يخبر بالغيب كالمسيح بلا فرق[١٢٤]، وبلعام بن بعور يخبر بالغيب كالمسيح بلا فرق (عد ٢٤/١٥-١٩). وقيّافا الكاهن اليهودي يخبر بالغيب كالمسيح بلا فرق (يو ١١/٤٩-٥٢) (ص ٢١٤-٢٢٤).

* وكذلك «الادّعاء بأن المسيح كان يبرئ البرص بلا دواء لوجود طبيعة لاهوتيّة فيه... يردّ الشيخ: إنّ أليشع النّبي شفى الناس من البرص كالمسيح بلا فرق، ثم أحدثه في شخصه ونسله للأبد (٢مل ٥/١-٢٧) (ص ٢٢٥-٢٢٨).

* و« الادّعاء بأنّ المسيح شفى العُمي من عماهم لوجود طبيعة لاهوتيّة فيه... يردّ الشيخ بأنّ أليشع النّبي يبرئ العمى الحسّي، كما أنّ مطلقَ مؤمنٍ بالمسيح يصنع أعجوبات أعظم من ذلك (٢ مل ٦/١٤-٢٠) (ص ٢٢٩-٢٣١).

* و«الادّعاء بأنّ المسيح أشبع خمسة آلاف رجل من خمسة

---

(١٢٣) أنظر: ١ مل ٢١/٢٣-٢٤؛ ١٧/١؛ ١٨/١ و٤١-٤٥,٢ مل ١٠/١-١٧؛ ٩/٣٠ و٣٧.

(١٢٤) ٢ مل ٤/٨-١٨؛ ٨/١-٣ و١١-١٣؛ ١٠/٣٢-٣٣؛ ١٣/١٤-١٩ و٢٤؛ ٦/٨-١٢.

عرشــه الرفيع ليُضْــجِعوه في مذود وضــيع مع بهيمــة خسيــسة من ذوات الأربع، ولفّوا القهّارَ الذي يطوي السماوات طيَّ السجل للكتاب، في قماط، وأسفّوا بالقـدير من ذروة السماء إلى حضيض الأرض في أحشــاء امرأة حـملتْ به على وهَن، وولدتْه بعـونٍ من قابلةٍ، وتـركوه يعول، وينشــج، ويرضع، ويبول على نفـسه، ثم يحبـو، ويتعـثّر في مشيته.

وعرضوا هذا الكائن البـهي المهيب لأبصار الألوف من الأراذل يقتحمونه بعيونهم، وينظرون إليـه عن عرض، زرايةً عليه واستخفافاً بأمره، وهو الذي لو تكشّف لأمرئ لملكتْه الرهبة وتولّته الرعدة...

وجعلـوا هذا الذي لا يلحقـه التغـيّر يتـضوّر غرثانَ صـديانَ، وسلبـوا هذا القادر على كلّ شيء مـقـدرتَه على أن يقي نفسَــه الرّكلَ والبصق في وجـهه، وأن يجنّبها مـا ركبوه به من صنوف السـخرية وألوان النكال، وأزهقـوا أنفـاسه بخـيانة يهـوديّ زري من خليـقتـه، وجعلوه يسلّم نفسه إلى شانئيه، ويموت أبشع ميتة» (ص٧)

«فيا لـها من عقيـدة غامضة... طلعت على الناس... وأفـقدتهم التـميـيـز بين الخالق والمخـلوق... وما هي إلاّ عـبـادة الأوثان الحيّـة مزدهرة في كلّ مكان» (ص ٩).

***

ويقول **داعي العصر أحمد ديدات** في معتقد المسيحيّين بألوهيّة المسـيح بأنّه مـولود غـير مـخلوق: « إنّ المسلم يعـتـرض على كلمـة "مـولود"، لأنّ الولادة فعل مـن الأفعـال الحيـوانيّـة، يخصّ وظائف الغريـزة الجنسيّة الدنـيا للحيـوان. فكيف نعـزو للّه مثل هذه الصـفة

الوضيعة؟»[١٢٧](ص ٩٨).

ويقول عن ألوهيّة المسيح :

«يُصرّ المسيحي، في صبيانته، على أنّ عيسى هو اللّه، لأنّه أعاد للميت الحياة. فهل إحياء الآخرين للموتى يجعل منهم آلهة أيضاً!!»

«هذه المسألة تحيِّر المسيحي لأنّه حجب عقله عن معجزات الآخرين الذين برزوا وتفوّقوا على عيسى في كتابه المقدّس الخاص. فمثلاً، حسب مقياسه الزائف:

أ. موسى أعظم من عيسى لأنّه أعاد الحياة إلى عصا ميتة، وحوّلها من مملكة النبات إلى مملكة الحيوان بأن جعل منها حيّة تسعى (سفر الخروج ٧/ ١).

ب. إليشع أعظم من عيسى لأنّ عظامه النخرة أعادت رجلاً للحياة بمجرّد تلامسها مع جثمانه (٢ مل ١٣/ ٢١)» (ص ١٤٧).

ولا فائدة من الإصرار بأنّ عيسى صنع معجزاته بقدرته الذاتيّة، إذ هو القائل: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً" (يو ٥/ ٣) (ص١٤٨).

***

وينفي **نبيل الفضل** بنوّة المسيح للّه، فيقول:

---

(١٢٧) **المسيح في الإسلام**، القاهرة ١٩٩٠.

«ونحن إذ نحاول أن نثبت بطلان البنوّة الإلهيّة للمسيح، فإنّما نحاول أن نثبت فساد الرأي والإيمان القائل بأن المسيح هو اللّه، أو أنّ اللّه قد أتى للأرض بجسد المسيح. فهذا كفر في نظر اليهود، وهو كفر في نظر المسلمين، وهو كفر في نظر الكثير من المسيحيّين أنفسهم. ولكنّه، للأسف، من مقوّمات المسيحيّة المنتشرة في العالم... وهذا شيء لا يختلف كثيراً عن الوثنيّة وعبادة الأصنام»[١٢٨] (ص ٤٧).

ويقدّم البراهين من الإنجيل على قولته هذه، فيقول:

«لو ان المسيح كان إلهاً، أو ابن إله، فهل يعقل أن يجوع؟ " ولمّا خرجوا من بيت عنيا جاع " (مر ١١/١٢)؛ وهل يعقل أن يعطش؟ " فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان " (يو ١٩/٢٨)؛ «أو يعقل أن يتعب؟ " فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر " (يو ٤/٦)؛ «أو يعقل أن يخاف؟ " لم يرد أن يتردّد في اليهوديّة لأنّ اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه " (يو ٧/١) (ص٤٩–٥٠).

«فإنْ حدث أنْ جاع وعطش وتعب وخاف ذلك الإله؛ فهل يُعقل أن لا يكون عارفاً بالمواسم: " فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعلّه يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلاّ ورقاً، لأنّه لم يكن وقت التين " (مر ١١/١٣). هل يُعقل هذا؟؟ إله ولا يعرف الفصول التي تثمر فيها الأشجار التي يعرفها أغلب أبناء الشعب المزارع في ذلك الوقت في فلسطين؟!

«... هل يعقل أن الشيطان يجرّب، أو يحاول إغراء وإغواء إله؟ والشيطان واللّه ضدّان لا يلتقيان. فكيف يحدث هذا لو كان المسيح

---

(١٢٨) **هل بشّر المسيح بمحمّد**، لندن، ١٩٩٠.

إلهاً. ولكن.. ليس هناك ألوهيّة تجرَّب...

«وحسبنا أن نقول: لو انّ اللّه أراد له ولداً لما كلّفه ذلك سوى أن يقول: "كن. فيكون".

«ولو أراد اللّه أن يرسل ابنـه هذا إلى الأرض والناس لما جـعله جنيناً في بطن امرأة ليـخرج من أحشائها بين دمـاء وقذارة. ولما تركه للجوع ولحلمات امرأة ترضعه.

«ولو انّ اللّه أراد أن يرسل ابناً له آيةً وهدايةً للبشر، لأنزله من السماء كاملاً محاطاً بهالات المجد بين الملائكة...» (ص ٥١).

***

وفي محاضرةٍ وفاقيّـة تحت عنوان "الحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي"، يفسّر **الدكتور محمود أيّوب** معنى ألوهيّة المسيح، فيقول:

* عن بنوّة المسيح للّه:

«... فلفظ "إبن" جاء في القرآن إشارةً إلى السـيّد المسيح عليه السلام مرّة واحدة فقط: "وَقَالَتِ النَّصَارَى: ألمسيحُ ابنُ اللّه"(١٢٩). أمّا معظم الآيات الأخرى التي تذمّ وتكفّر الذين يجعلون للّه ولداً وصاحبةً فلمْ تُشرِ إلى المسيحيّة، بل إلى مشركي العرب. مثلاً سورة الإخلاص، التي هي بمثابة عقيدة إسلاميّة: "قلْ هو اللّهُ أحَدٌ اللّهُ الصّمدُ. لم يلدْ ولم يولَدْ ولم يكن له كفواً أحد"، لم تنزل جواباً على العقيدة

---

(١٢٩) سورة التوبة ٩/ ٣٠.

المسيحيّة، ولكن ردّاً على أحد مشركي العرب، عندما سأل الرسولَ أن يخبره عن إلهه هل هو من فضّة أو من ذهَب، ويمكن عندئذ أن نعبد الإثنين، إله هذا المشرك والله الخالق لكلّ الأشياء... ثمّ إنّ القرآن يكفّر مَن قال "إنّ الله هوَ المسيح ابن مريم"(١٣٠)، ألللاّهوت المسيحي لا يقول هذا مطلقاً وبدون بحث وتمهيد وتوجيه»(١٣١) (ص ١٥-١٦).

* وعن مولد عيسى، يقول الدكتور أيّوب:

«إنّ القرآن، في سورة مريم، لا يسرد قصّة مولد عيسى، ولكنّه يحتفل لبشارة مريم ولمولد عيسى. هو نصّ احتفاليّ أكثر ممّا هو نصّ سرديّ، أو روائيّ» (ص ٢٨).

ويقول أيضاً: «والقرآن، كإنجيل لوقا، لا يسرد ولادة المسيح كرواية عابرة؛ ولكنّه يروي ولادته بلغة احتفاليّة. أي أنّه يحتفل، كما يحتفل إنجيل لوقا، عندما يصف ظهور الملائكة للرعاة وإشراق النّور» (ص ٦٢).

* ويقول عن وحدانيّة الله:

«عندما نقول في الإسلام: "قل هو الله أحد. ألله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد"، فإنّنا، بذلك، ننزّه اللهَ عن العدديّة بما أنّه ليس واحداً بل أحد؛ وعن التغيّر والزمانيّة بما أنّه صمد؛ وعن الولادة والموت بما أنّه هو الخالق الوحيد؛ وعن كلّ ما سواه بما أنّنا نقول: "ولم يكن له كفواً أحد". فإذا نزّهنا الله عن العدديّة فماذا يبقى

---

(١٣٠) سورة التوبة ٩/ ٧٢.

(١٣١) ضمن كتاب "**نحو الجدال الأحسن**"، البلمند، ١٩٩٧.

سوى الأحـديّة؟ هذا ما يقـوله اللاّهوت التنزيهي المسيـحي واللاّهوت التنزيهي في الإسلام» (ص٦٤).

***

أمّا **شريف محمد هاشم** فكان همّه في التركـيز على أنّ عيسى كان نبـيًا لا غير، وكـان نبيّ اليهود فـقط، وكان متردّدًا في رسـالته، قلقاً، غير واثق من أهليّته، وكـان يخاف من مصيرٍ أسود يكون له على يد اليهود، وكان يعاني من تفوّق المعمدان عليه... قال:

هناك حقيقـة «لا بدّ من الاعتراف بها، وهي أنّه لم يكن في ذهن عيسى ذاك الوقت، أن يكون نبياً خـارج الديانة اليهوديّة... وكما أنّه لم يفكّر بهدايـة غير اليـهود، فهـو أيضًا لم يتصـوّر أن تتخطّى مـبادؤه ووصاياه عتبةَ الديانة اليهودية والشعب اليهودي»[١٣٢] (ص ١٦٩).

و يرفض السيد هاشم ألوهيّةَ المسـيح، وبنوّته لله. ويعتبر هذه البنوّة لله «هديّةً» مـن القديس بولـس الذي أراد أن يكفّر عـن أعمـاله المشينة بحقّ المسيحيّين قـبل ارتداده. يقول: «أمّا كيف أهدى بولس لله إبنًا؟ وكيف اكـتشف لعيسى أبًا فـي السماء غيـر يوسف النجّار الذي تؤمن به المسيـحيّة أبًا للمـسيح؟ فهـذا أمر لا يزال الجدل قـائم (كذا) حوله» (ص٢٢٤).

ومع هذا يكتشف السيـد هاشم أنّ بولس إيّاه هو الذي «كشف بصـراحـة ووضـوح عن نظريّتـه القـائلـة بأنّ عـيـسى هو ابن الله» (ص٢٢٨)، وهو الذي «أدخل أبّوة الله للـمسـيح، أو بنّوة المسـيح لله،

---

(١٣٢) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، بيروت، ١٩٨٨.

على خط الإيمان المسيحي، ولأوّل مرّة» (ص٢٢٩).

***

أمّا سماحة مفتي الجمهورية، **الشيخ حسن خالد**، فيفيدنا، بأسلوبه المعاصر، بما قاله المسلمون قبلَه[١٣٣].

يقول في ألوهيّة عيسى : «تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» (ص٥٩٦). يقول القرآن: «لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم»[١٣٤]، ويعلّق الشيخ: «لقد جحد القائلون بألوهيّة عيسى الحقيقةَ... ولو كان المسيح إلهًا، أفما كان بمقدوره أن يدافعَ عن نفسه قهرَ الله! فقد ثبت أنّ الأسفار القديمة قد أطلقتْ لفظةَ الله على المسيح وأطلقتها أيضًا على الملك وعلى القاضي، وعلى الشريف والقويّ وعلى النبيّ... يضاف إلى ما تقدّم أمران هامّان هما: إنّ المسيح وصفَ نفسَه أكثر من مرّة في الأناجيل الأربعة بأنّه «إبن الإنسان»... وأنّه أبدى عدمَ رضاه لوصفه بالصلاح من قِبل بعض الناس...» (ص٦٦١-٦٦٣).

ثمّ يعتبر سماحة الشيخ أنّ نظرية تأليه البشر شيء عادي في التاريخ.

وعن بنّوة عيسى لله، يقول الشيخ : هي «من أوائل العقائد في النصرانية، وأبرزها» (ص٥٩٦). ويقول: «يسترسل القرآن الكريم في تتبّع أخطاء النصارى وضلالاتهم العقدية، ويتصدّى لدعواهم

---

(١٣٣) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**
(١٣٤) سورة المائدة ٥/ ٧٢.

بنوّة عيسى للّه، وينفيها نفيًا قاطعًا، ويقول: «ما كان للّه أن يتّخذَ من وَلَدٍ سبحانَه»[١٣٥]...

ويعلّق الشيخ: «أو ليس مثل هذا الإعتقاد... فيه الكثير من الكلفة الفكرية والمشقّة الذهنية، فضلاً عن أنّ فيه الكثيرَ ممّا يشتّت ذهن الإنسان الذي يرغب بأن يكون مؤمنًا، واضحَ الإيمان، موقنًا، صافي اليقين، ويدفعه دفعاً للوقوع في القول بتعددِ الآلهة!.. إنّ مثل هذا لا يقبله الإسلام في شكلٍ من الأشكال، وهو الذي يقول في كتابه الكريم: «ما اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ، وَمَا كَانَ مَعَه منْ إلَه، إذًا لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلا بَعضُهم عَلَى بَعض. سُبْحَانَ اللّه عمّا يَصِفون...»[١٣٦].

هذه البنوّة للّه، «كانت معروفة من قَبل لفراعنة مصر، وكذلك لبعضِ قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس... ورُوي مثلُ هذا عن أتباع الفيلسوف فيثاغورس إذ كانوا يعتقدون بأنّه الإله أبولون... ويمكن تتّبع هذه العقيدة عند وثنيّي اليونان وغيرهم، بحيث نراها جليّةً واضحةً عند الأمم الخالية» (ص٥٩٦-٥٩٨)...

***

أمّا سماحة الإمام الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء فعناوين فصوله، وحدَها، تكفي للدلالة على نظرته وموقفه من المسيح[١٣٧]. فالمسيح، في نظره، لا هو إله، ولا نبيّ. إنّه: إنسانٌ محتالٌ مبدِّلٌ لأحكام الناموس، عاقٌّ لوالديه، ملعونٌ، سكّيرٌ، مسرفٌ، لا كرامةَ

---

(١٣٥) سورة مريم ١٩/ ٣٥.

(١٣٦) سورة المؤمنون ٢٣/ ٩١-٩٢.

(١٣٧) **التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح**؛ دار الغدير.

فيه ولا أمـانة، يغازلُ النسوان ويُجلس الغلمـانَ في حضنه (ص٦٠-٦١)...

رأي الإمـام أكـبـر يـكاد يكون فـريداً بين آراء المسـلمين الذين يجلّون عيسى، ويسلّمون عليه كلّ مرّة يذكرون اسمَه.

يقـول معلِّقـاً على عدم تطبـيق الحدّ على الزانيـة: «أنا لا أدري كـيف نسيَ (عيـسى) قـولَه: إلى أن تزول السمـاء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس. وقد أكّدتِ التوراة، وشدّدتْ في إقامة الحـدّ على الزانية بما لا مزيد عليه. وقد عطّل سـيدنا المسيح حدّاً من حدود اللّه من غير سبب ولا توبة ولا كفّارة.

«ثمّ في قوله: وأنا لا أُدينك أيضًا بعد قـوله: مَن كان بلا خطيئة فليرمها، صراحـة بكونه من أهل الخطايا أيضًا، وإلاّ لدانها. فالواقع لا يخلو، منطقيًا، من أحدِ أمرين: إمّـا أن يكون ذا خطيئة، فيكون عذرًا في عدم إقامتـه للحدّ عليها، أو يكون منزّهًا عن الخطيئـة، فيكون قد عطّل الحدّ وأبطل الناموس. وهذا من أكبر الخطايا!!».

ويعلّق الإمام الأكـبر على حادثة المـرأة التي مسحت بشـعرها قدمَي يسوع، فيقول:

«ما سمعنا في شيء من النبوّات أن نبيًا تُقبّل رجليه الموسات، وتسكب على قدمـيه قارورة طيب ناردين خـالصٍ كثيـرِ الثمن... نعم ربُّهم اليسوع... وكـان يومئذ شابًا وسيـمًا إبن ثلاثين سنة أو دونها، فلعلّه صـبا إلى تلك الخـاطئة كـما صـبتْ هي إليه، فـمرغـتْ وجهَـها وشـعرَها على قـدميـه... إنّه كـان يشتـهي أن يُقبِّـلَها وتُقـبِّلَه، ولكن الظروف ما سمـحتْ بذلك لرقابةِ الفرّيسي ويهـوذا الإسـخريوطي...»

(٦٦-٦٧).

ويختم الإمام الأكبر كتابه قائلاً: «ألحقّ أنّ يسوع، بحسب ذات أناجيلهم، كان مجموعة خطايا وجرائم وجرثومة فساد ومآثم» (٧١).

بيِّنٌ، إذاً، أنّ الإمام الأكبر يرفضُ رفضاً قاطعاً ألوهيّةَ يسوع، وبنوَّتَه للّه. بل يرفض أيضاً نبوَّتَه، ولا يعترف بأيّة فضيلة له. يسوع، في نظره، إنسانٌ عاديٌّ، شرّير، بدّلَ كلّ النواميس الإلهيّة.

***

أمّا **العلاّمة الشيخ البلاغي** فلا تختلف صورة المسيح عنده عمّا هي عند الإمام الأكبر المذكور آنفاً. تستهويه سيرة المسيح مع المرأة الخاطئة، التي قبّلت قدمَي يسوع وغسلتهما ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتهما بالطيب: «حتى إنّ صاحب البيت أنكر هذا العمل من امرأة خاطئة مع شاب عمره نحو الثلاثين سنة. ولكن المسيح صار يوبّخه ويشكر محبّتها الكثيرة. يا ولدي! هل هذا العمل من تعليم التوبة والقداسة والعفّة! أو كما يقال: إنّ الغرام لأهله فضّاح!»[١٣٨].

ويراقب الشيخ العلاّمة المسيح يُجلس الغلمانَ في حضنه، فيقول بلسان أحد المسيحيّين عن اتّكاء يوحنا على صدر المسيح: «إنّي لأخجل كثيرًا من وجود هذا الكلام في إنجيلنا المقدس. فإنّ المسيح الذي جاء ليعلّم الناسَ بأخلاق الأدب والعفاف، كيف يترك الشابَّ يجلسُ في حضنه، ويتّكأ (كذا) على صدره، حاشا المسيح وحاشا الإنجيل الحقيقي من ذلك!» (ص١٢٥-١٢٦).

(١٣٨) **الرحلة المدرسية**، ص ١٣٩.

ولكن، يبدو، بالنسبة إلى الشيخ العلاّمة، أنّ التهمة ثابتة على المسيح، فيوحنا «يُسمّى يوحنا الحبيب، أي حبيب المسيح... فكم كان عمر يوحنا حينما كان متّكئًا في حضن المسيح، ويتّكأ (كذا) على صدره، ويتغنّج عليه. هل كان يوحنا ابن أربع سنين أو ثلاثة حتى لا يكون هذا العمل قبيحًا؟...

يؤكّد العّلامة أنّ «يوحنّا كان، قبل الإتّكاء في حضن المسيح بثلاث سنين، يعمل في السفينة ويصيد السمك ويصلح الشباك. ولا يمكن أن يكون عمره، بحسب العادة حين الإتّكاء، أقل من أربعة عشر سنة». فإذاً «المسيح كان يُجلس يوحنا الحبيب في حضنه ويتركه يتدلّل عليه، ويتّكأ (؟) على صدره، إذ ذاك في غضارة الشباب ونعومة الجسد. أهكذا تكون عفّة الرسل وتأديبهم لتلاميذهم وتعليمهم للناس؟» (ص ١٢٥).

***

وتقوم قيامة **إبن الخطيب** على كاهن كنيسة ومعتقدِه الباطل في ألوهيّة المسيح. يقول: «أمّا إلهه المتجسّد في عيسى، الخارج من بطن مريم عليها السلام، فإنّ مثل هذا الإله لا يُشرِّف مخلوقاته، بل يجب عليهم التبرّؤ منه كخالق، والكفر به كإله. وتَعسًا لهذا المنطق! فمن أين جاءت الألوهيّة لَمن نزل من فرج امرأة؟ أين جاءت الألوهيّة لمن أكل الطعام ضمن الآكلين، ودخل بيت الخلاء كسائر الداخلين؟»[١٣٩].

(١٣٩) **هذا هو الحقّ!** ص ٦٣.

***

أمّا **أحمد زكي**، الذي كتبَ مطوّلاً في مَن هو يسوع المسيح، فيطعن، في كلّ صفحة من صفحات كتابه(١٤٠)، بألوهيّة المسيح وبنوّته للّه. ألمسيح، عنده، تبعاً لكلام القرآن، والمسلمين عامّة، إنسانٌ عاديّ، اختاره اللّه، مثل سائر الأنبياء. أرسله إلى بني إسرائيل فقط، ليخلّص "الخرافَ الضالّة". ولم تكن نبوّتُه عامّة شاملة، كما سيكون عليه "النبيّ المنتظر"، خاتم الأنبياء، محمّد.

* يبتدئُ السيّد زكي ساخراً: «إذا كان المسيح هو اللّه، فمَن تكون أليصابات أمُّ يوحنّا المعمدان؟ خالةَ اللّه! ومَن يكون زكريّا؟ زوجَ خالة اللّه! ومَن يكون يوحنّا المعمدان؟ إبنَ خالة اللّه! ثم، باللّهِ، تعَالَوا نتساءل: لو تزوّج المسيح، فماذا نسمّي أولادَه؟ وبناته؟ وأصهارَه؟.. هل تقول: بنتَ اللّه! وصهرَ اللّه! وحماة اللّه! وكنّة اللّه!» (ص١٩٨).

ثمّ «من قال لهم (للمسيحيّين) إنّ الإله يكون جنيناً، ثم يولد، ويرضع ثديَ أمّه، ويحبو، ويبوّل في فراشه، فينمو، ويكبر، ويغدو إلهاً؟!

«ثمّ نسألهم أيضاً: ما الذي يجعل اللّهَ يتقوقع وينحشر في رحم مريم تسعة شهور!؟

«كما نسألهم: مَن كان يديرُ السماء، ويُنزلُ المطر، ويُرزق البشر على هذا الكوكب!؟.. وكيف غاب عن الشيطان أن يستولي على الحكم في هذا الكون.. وإلهه محشور في رحم مريم!؟.

---

(١٤٠) **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

«ونقـول لهم: أين تركَ ألوهيّـتَه؟ ومَـن الذي ائتمنـه عليهـا!؟» (ص٢٦٠).

وفي مكان آخـر، يقـول بالمعـنى نفسـه: «أين ترك (المسـيح) ألوهيّـتَه عندمـا تجسّـد؟ ومَن الذي ائتمنـه عليها طيلةَ ثلاثةٍ وثلاثين عامـاً؟ أي حياته على الإرض!؟ وكـيف لم يستغلّهـا ذاك (الشيطان)؟ ويحكم العالم؟.

«ألم نقل إن اللّه، إذا تجـسّد انتـهى كـإله، لأنّه إن حلّ في مكان يشغله يخلو منه بقيّة العالم» (ص٤٦٢).

* ومنطق السيّد زكي في رفض ألوهيّة المسـيح مألوف يعتمد فيه عـلى الإنجيل الذي يأخذ به المسيـحيّون. يقول: «أن يكون عـيسى إلهاً، فهذا باطل. وبطلانه ممّا ورد في أناجيلكم. خذوا مثلاً:

١. وأمّا ذلك اليـوم وتلك الساعـة، فلا يعلمـهمـا أحد.. إلاّ إلهي وحـدَه (مـتى ٢٤/٣٦). فهـا هو شيء غـاب عن علم عـيسى. واللّه الحقيقي لا يغيب عن علمه شيء.

٢. وأمّا الجلوس عن يميني فليس لي أن أعطيه (متى ٢٠/٢٣). وهذا شيء لا يستطيعه عيسى. بينما اللّه الحقيقي يستطيع كلّ شيء.

٣. مَن الذي لَمَسَني؟ (لوقا ٨/ ٤٥). إذا كان عيسى لا يعرف مَن الذي لمسه مِن الخلف، فأنّى له أن يعرفَ ماذا كان يجري في إيطاليا أو البرازيل أو الفلبّين!

٤. ولمّا دخل السفـينة.. وكان نائماً (متى ٨/ ٢٤). من صـفات اللّه أنّه لا ينام. وها هو عيـسى كان نائماً. فإذا كان إلهُ الكـنيسة ينام، فمَن يحصـي الحسنات والسيّئات ليكافئ أو يجازي بها البشر!؟

٥. وفي الصـبح.. جاع. فنظر شـجرةَ تين.. فلم يجـد إلاّ ورقاً (متى٢١/١٨). فلو كـان عيسى إلهاً لما جـاع، ولعرف مسبـقاً أنّها لا تحمل إلاّ ورقـاً. علماً أنّ اللّه غنيٌّ عن الطعـام والشراب... (ص٢٦٠-٢٦١).

* ثم ينتـقل السيّـد زكي، في اسـتعـراضـه إنجيلَ مـتّى، إلى التفصيل. فيعلّق على كلّ شاردة وواردة، تبيّن إنسانيّة المسيح، فيعلّق عليها، ويبيّن للمسيحيّين ضلالَهم في تأليه المسيح:

١. على مـتّى (٩/٣٥-٣٨) حـيث "يـسـوع يطوف في المدن، يعلّم ويكرز"، يقـول السـيّد زكي: «سـؤالنا لكلّ الذين يعـتقـدون أنّ عيسى إلهاً، هل الذي يعلّم ويكرز في المدن والقـرى يكون إلهاً أم نبيّاً ؟!» (ص٤٦٤).

٢. وعلى أنّ عـيسى "كـان يصلّي" (لو٣/٢١)، يعلّق السـيّد زكي: «نحن نقدّم نصّاً لوقا هذا للقساوسـة.. الذين يزعمون أنّ عيسى إله.. فـهلاّ قالـوا لنا لمَن كان يصلّي!؟ هل كـان يصلّي لنفـسه؟! أى إنّ ناسوتَه كـان يصلّي للاهوته؟!.. إنّنا، حتّى في الوثنيّة، لا نقـرأ أنّ إلهاً صلّى لإله».

٣.وعلى مـا جـاء في متّى (٨/١٩): "يا مـعلّم! أتبـعك أينمـا تمضي"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عـزيزي القارئ، إنّ الكاتب قال له "يا مـعلّم". والتـلمـيـذ ناداه "يا سـيّـد". هكذا كـانـت نظرة الناس والتلاميـذ إلى المسيح. معلّم وسيّـد. ولم ينظر له أحدٌ قط على أنّه إله. ولو ناداه أحدٌ: يا ألله! لقطعوا رأسَـه. وهذا يناقض زعم الكنيسة التي منحتْه ترقيةً برتبة إله» (ص٤٤٥).

١١. وعلى أعجوبـة تكثير الخبز والسـمك في متّى (١٤/ ١٤-٢١)، يعلّق السيّد زكي: «إنّي لأدعو جمـيعَ الذين ما زالوا يعتقدون أنّ عيسى إلهاً أن يتأمّـلوا في الجملة التي أوردها متّى "ورفع نظرَه نحو السماء"، لماذا يرفع عيسى نظرَه نـحو السماء!؟ ومَن هو الجالسُ على العرش فوق السماء!؟» (ص٥٥٦).

١٢. وعلى قول متّى عن المرأة الكـنعانيّة (١٥/ ٢٥) التي "أتت وسـجـدت له"، يعلّق السـيّـد زكي: «هراء!!.. ولو حـقّاً سـجـدت له لانتهرها عيسى في الحال، وقـال لها، كما قال للشيطان، "للربِّ إلهك تسجد وإيّاه وحده تعـبد"» (ص٥٧٣)... والذين لا يزالون يقولون إنّ المسيح إله، نقـول: لو كان إله (كذا) لعـرفَ إيمانَها سلَفاً، ولما قـال لها في البـداية: "ليس حسناً أن يؤخـذَ خبـز البنين ويطرح للكلاب"، ثم جاء في النهاية قال لهـا: يا امرأة عظيم إيمانك"، لأنّ هذا تخبّط. والإله لا يتخبّط»(٥٧٥).

١٣. وعلى قـول متّى (١٥/ ٣١) عن الجـمـوع الذين شهـدوا أعمالَ المسيح المذهلة، بأنّهم "مجّـدوا إله إسرائيل"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ ما ذكره مـتّى. لماذا إله إسرائيل! وعيسى، وهو إله بزعمهم، واقف أمامهم، يشفي مرضاهم!! ولو كان عيسى إلهاً حقّاً لقال متّى عنهم: "ومجّدوا عيـسى"، ممّا يؤكد أنّ عيسى لم يكن إلهاً» (ص ٥٧٧).

١٤. وعلى قول مـتّى في أعجوبة ثانيـة لتكثير الخبـز والسمك (١٥/ ٣٢-٣٩): "شكر وكسر وأعطى تلاميذَه.."، يعلّق السيّد زكي: "شكَرَ"، أي المسيح شكر.. ونحن نسأل الكنيـسة: ألمسيحُ شكرَ مَن!؟

ألجموع؟ طبعاً لا. شكرَ ربَّه وخالقَـه. ممّا يُثبت عبوديّتَه للّه. فليس من المعـقـول أن يكون إلهٌ علـى الأرض يشكر إله (كـذا) في السـمـوات» (ص٥٧٧).

١٥. وعلى قول مـتّى: "أخذه بطرسُ إليه وابتدأ ينهـره، قائلاً: حاشا يا ربّ. لا يكون لك هذا" (١٦/ ٢٢)، يعلّق السيّد زكي: «لو كان المسيحُ إلهـاً، كمّا يحـلو للكنائس أن تزعم، فهل ينهـرُ بطرسُ الإنسانُ الرّبَّ إلَهَه؟ هل سـمعتَ عزيزي القـارئ أنّ مخلوقـاً ينهر (أي يؤنّب) خالقَـه!؟ هذا في الشاؤوليّة الكنسـيّة جائز. لأنّهم فعلوا أكـثر من ذلك مع إلههم. بصـقوا في وجهه. وجلدوه. ثم صلبـوه. ودفنوه. وأقاموه. لقد جعلوه عجينةً في أيديهم يشكّلونه كيفما يشاؤون. فساعةً يؤنّبوه. وساعةً يبصـقون في وجهه. وساعةً يجلدونه. وسـاعةً يقتلوه (كذا)» (ص٥٩٤).

١٦. وعلى قـول المسـيح في مـتّى: "إنِ اتّفق إثنـان منكم على الأرض في أيٍّ شيء يطلبـانه، فإنّه يكون لهـما من قِـبَل إلهي" (١٨/ ١٩)، يعلّق السيّد زكي: «مرّةً أخرى، نهدي هذه الجملة للكنيسة ولكلّ مَن في عَينَيه قذىً، لأنّها تنفي الألوهيّةَ عن عيسى. فلو كان عيسى هو الخـالق الرازق، كمـا يعـتقـد بعضُ المضلّلين، فلمـاذا قال: "مِن قِـبَل إلهي"، ولم يقل مِن قِبَلي!؟» (ص٦٢١).

١٧. وعلى قول واحدٍ للمسيح: "أيّهـا المعلّم الصالح.. فقال له: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحدٌ صـالحاً إلاّ واحد وهو اللّه" (متّى ١٩/ ١٦)، يعلّق السـيّـد زكي: «مـرّة أخـرى نقـدّم هذا الـنّصَّ الصـريحَ والواضحَ هديّةً للبـابوات والكرادلة والأسـاقـفـة، وإلى الذين يظنّون أنّهم أتبـاع المسيح، ومـا هم إلاّ أتبـاع شاؤول والمجـمّعـات الكنسيّـة

الوثنيّة. كما نقدّم هذا النّصّ الصـريحَ إلى جميع أفراد النّصارى الذين يشـعـرون بالضيـاع وسط هذه الأناجـيل والمعـتـقدات المتنـاقضـة، وأصبحوا لا يعـرفون ماذا يصدّقون وماذا يكذّبـون... إنّي لأستغرب للكنيسة التي جعلت من عيـسى إلهاً كيف نسيت أن تشطب هذا النّصّ من أناجيلها!؟" (ص٦٣٣-٦٣٤).

١٨. وعلى قول المسيح في متّى (٢٠/ ٢٠-٢٣): "أمّا الجلوس عن يمينـي وعن يسـاري فليس لـي أن أعطيـه إلاّ الذين أعـدّ لهم من إلهي"، يعلّق السيّد زكي: قول المسيح هذا، «نقدّمه هديّة للكنيسة التي جعلت المسيح هو اللّه نفـسه، وبادئ الأشياء كلّها وعلّتـها. بينما نرى هنا أنّ إلهها الذي فبرَكَتْه لا يقدر أن يُجلسَ اثنين من أحبّ تلاميذه إليه عن يمينه ويسـاره!؟ بـاللّه ألا ينسف هذا عند كلّ ذي عـقـل سليم كلّ المعتقدات الشاؤوليّة الكنسيّة التي ألّهت عيسى؟» (٦٥٥).

١٩. وعلى باعة الهـيكل في متّى (٢١/١٢-١٣)، يعلّق السـيّد زكي: «إنّه لمن الغـريب أن يصنع عـيـسى سـوطاً يـطرد به البـاعـةَ والصيارفة، لأنّه، إذا كان هواللّه، كمـا تزعم الكنيسة، فيكفي أن يقول للشيء كن فيكون، كأن يقول للباعة اختفوا فيختفوا» (ص٦٧٤).

٢٠. وعودة إلـى شجرة التّـين وجوع يسوع (مـتّى ٢١؟١٨-٢٢)، يعلّق السيّد زكي: «قولهم: "جـاع"، إنّ اللّه الحقيقي.. لا يجوع. وقولهم: "لعلّه يجد فيها شيئاً"، إنّ اللّه الحقيقي بكلّ شيء عليم.. فلو كان عيسى إلهاً لعرف سلفـا أنّه ليس فيها إلاّ ورقاً. وقولهم: "لأنّه لم يكن وقت التين"، إنّ اللّه الحقيقي هو خـالق الفصول الأربعة.. وليس من المعقول أن يكون عيسى إلهاً، ولا يعرف الفصول، وأنّ الوقت ليس وقت التين، وإلاّ لعرف أنّها بغير ثمـر قبل أن يصلها. وقولهم: "تعجّب

التـلامـيـذ"، إن صحّ هذا فـهذا دليـل على أنّهم كـانوا ينظرون إليـه كإنسان، لأنّه لو كان في نظرهم إله (كذا) لما تعجّبوا.

وقولهم: "لو كـان لكم إيمان"، لو كان عـيسى إلهـاً لقال لهم: "لو كنتم آلهة مثلي"، أو "أبناء آلهة" لاستطعتم أن تفعلوا مثلي"...» (ص٦٧٦-٦٧٧).

٢١. وعلى قـول المسيـح (متّى ٢٤/٣٦) عن مـوعـد السـاعـة الأخيرة ونهاية العالم وجهله لهـما، يعلّق السيّد زكي: «يقرّ (المسيح)، أوّلا، بأنّ له إلهاً واحداً لا يعلم الغيب إلاّ هو. وثانياً هو يتكلّم عن شيء يجهله. وهذا إقرار منه أنّه ناقصُ علْم.. ونحن، مرّةً أخرى، نقدّم كلامَه هذا هديّة للكنيسـة بجميع أطقـمها التي ما زالت تدجّل على طوائفـها، وتزعم لهم أنّ عيسى هو اللّه وهو الديّان. إذ كيف يكون هو الدّيّان ولا يعرف ذلك اليوم، ولا تلك الساعة. فهل يجتمع العلم والجهل في الإله، بينما أي قاضٍ صغيرٍ، في مـحكمة الصلح، يعرف اليومَ والساعةَ التي سينظر فيها القضيّة..» (ص٧٢٧-٧٢٨).

٢٢. وعلى مؤامرة اليهود على قتـل المسيح في دار قيافا (متّى ٢٦/٣-٥)، يعلّق السيّـد زكي: «إلى كلّ مَن يعتـقد أنّه مسـيحي، ولا يزال مضلَّلاً بأقـوال الكنيسة، بأنّ عيـسى إلهاً، نقول: إنْ كان عـيسى هو اللّه، فهل يُعقل أنْ يُصدِرَ قيـافا، وهو المخلوق، حكمَه بالإعدام على اللّه الخـالق!؟ إنّ هذا تخـريـفٌ. لا يقـول به إنسـان عنده ذرّةُ عـقل» (ص٧٤٦)

٢٣. وعلى قـول متّى (٢٦/٢٦): "أخـذَ الكأسَ وشكرَ"، يعلّق السيّد زكي: "وهذه الجملة نقدّمهـا هديّةً للقساوسة الذين جعلوا منه

إلهاً، ولا يزالون على ضلالهم. لأنّنا نسألهم: "شكر" مَن!؟ لا شكّ أنّه شكر اللّه رازقَ الخبز والطعام. وهذا ينفي الألوهيّةَ عنه. لأنّه لو كان إلهاً، فالإله لا يَشكرُ الإله» (ص٧٦٨).

٢٤. وعلى قول المسيح في متّى (٢٦/ ٣٠): "لا أشربُ بعدُ من نتاج الكرمة إلى أنْ أشربَه في ملكوت اللّه"، يعلقّ السيّد زكي: هنا «دليل قاطع على أنّ المسيح ليس إلاّ بشراً. وليس فيه ذرّة من الألوهيّة لا في الدنيا ولا في الآخرة. لماذا؟..لأنّ الإله لا يأكل ولا يشرب» (ص٧٧٣)

٢٥. وعلى ما قاله يسوع: "نفسي حزينة جدّا حتّى الموت. ألآن نفسي قد اضطربتْ" (متّى ٢٦/٣٨)، يعلّق السيّد زكي: «لو كان عيسى إلهاً.. لما قال نفسي حزينة حتى الموت، أو نفسي قد اضطربت. فاللّه الحقيقي لا يقول هذا.. إذ لو كان إلهاً واضطرب، كما يزعمون، لاضطرب معه الكونُ كلّه بنجومه وأفلاكه وأرضه وسمائه. لكنّ شيئاً من هذا لم يحدث. لماذا!؟ لأنّه ببساطة ليس إله (كذا)» (ص٧٨٨).

٢٦. وعلى طلب يسوع من اللّه: "أيّها الأب! نجّني من هذه الساعة" (متّى ٢٦/ ٣٩ أ)، يعلّق السيّد زكي: «ها هو عيسى، بعظمة لسانه، يطلب من اللّه الحقيقي أن ينجّيه. فأين هذا من زعم الكنيسة أنّه الأقنوم الثاني في الألوهيّة المساوي للّه!..لو كان هو اللّه، أو مساوٍ للّه، كما تزعم الكنيسة، لاستطاع أن ينقذ نفسَه بنفسِه» (ص٧٨٨).

٢٧. وعلى قول يسوع: "ولكن، ليس ما أريدُ، بل كما تريد أنت" (٢٦/ ٣٩)، يعلّق السيّد زكي: «نحن هنا أمام إرادتَين مختلفتَين: إرادة اللّه وإرادة المسيح. وقد فرّق المسيحُ بينهما بكلّ وضوح. وجعل إرادتَه تستسلم لإرادة اللّه. ولو كان المسيح هو اللّه، كما تزعم

الكنيسة، لكانت إرادتُه واحدة من نفس إرادة اللّه.. فما هذا الخبص الذي تزعم فيه الكنيسة أنّ المسيح هو اللّه في الوقت الذي تقول أناجيلُهم إنّه يقف ها هنا ذليلاً متواضعاً أمام اللّه» (ص٧٨٨-٧٨٩).

٢٨. وعلى قول متّى عن يسوع : "وخرّ على وجهه" (٢٦/ ٣٩)، وقول مرقص: "خرّ على الأرض" (١٤/ ٣٥)، وقول لوقا: "جثا على ركبتيه" (٢٢/ ٤١)، يعلّق السيّد زكي: «خرّ على الإرض، وخرّ على وجهه، تعبيران خشنان.. أما لوقا فلطّفه قليلاً.. وهذا دليل آخر نسوقه لمن لا يزالون مضلَّلين، يؤكّد لنا أن عيسى كان عبداً للّه، وليس اللّه، ولا إله مع اللّه» (ص٧٨٩- ٧٩٠).

٢٩. وعلى قول لوقا: "وظهر ملاك في السماء يقوّيه. وإذ كان في جهاد، كان يصلّي بأشدّ الحاجة. وصار عرقُه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض" (٢٢/ ٤٣-٤٤)، يعلّق السيّد زكي: «من حقّنا أن نسأل: تقوية الإله هذه كانت لمن؟ ألعيسى الإنسان الكامل والإله الكامل؟ أم لعيسى الإله؟ أم لعيسى ابن مريم الإنسان؟.. إن كانت التقوية لعيسى الإله الكامل فهذا هراء، ويدعو إلى السخريّة، لأنّ الإله الكامل لا يحتاج لأحد من خلقه ليقوّيه. أمّا إنْ كانت التقوية لعيسى الإنسان، فسؤالنا عندها كيف انفكّ عن اللاّهوت الذي زعمت الكنيسة أنّه التحم به!.. ثمّ.. هل الإله يعرق!! إنّ الإله الذي يعرق، أو تخرجُ منه إفرازات، يا سادة، ليس بإله» (ص٧٩١-٧٩٢).

٣٠. وعلى ما روت الأناجيل بأنّ المسيح صُلب، وهو إله، يعلّق السيدّ زكي: «من حقّنا أن نسألَ جميع الشاؤوليّين: إذا كان المصلوب هو اللّه.. فكيف يقول: "في يديكَ أستودع روحي!؟". إنّ الإله الذي يستودع روحَه عند إله آخر ليس بإله. بينما اللّه الذي يستردّ جميعَ

الأرواح، بعد موت أصحابها، ويودعها عنده، هو الإله الأزلي الحقيقي» (ص٨٥٢).

٣١. وعلى قول مرقص: "وجلس عن يمين اللّه" (١٦/ ١٩)، يعلّق السّيد زكي: هذا «القول.. يثير تساؤلاً: إذا كانت السماء كرسيَّ اللّه، والأرضَ موطئَ قدمَيه، فأين جلس المسيح!؟ خارجَ السماء والأرض!؟.. والسؤال الذي يطرح نفسَه: كيف يجلسُ المسيحُ عن يمين اللّه، والشاؤوليّون الكنسيّون يقولون إنّه هو اللّه!؟ أليسَ هذا دليلاً آخَر على استحالة تطبيق العقائد الكنسيّة على عيسى، وأنّ اللّه ليس عيسى، ولا يمكن أن يكون عيسى هو اللّه!؟» (ص٨٨١).

٣٢. وعلى ما جاء في إنجيل يوحنّا (١/ ١٨): "أللّهُ لم يره أحد"، يعلّق السيّد زكي: «وهذه حقيقة يعرفها الجميع. ولكن، إذا كان اللّه لم يره أحد، فكيف جعلوا من عيسى إله (كذا)، وعيسى رآه كلّ مَن عاصره! هذا جعلَ الصفحةَ الأولى من الإنجيل خبيصة غير متماسكة مع بعضها...

ولو كان عيسى حقّاً هو اللّه لما ميّز نفسَه عن اللّه بقوله: "إلهي أعظم منّي" (يوحنا ١٤/ ٢٨)؛ ولما قال عن اللّه: "لم تسمعوا صوتَه قط، ولا أبصرتم هيأته" (٥/ ٣٧). وأكثر من ذلك، لما قال عن نفسه أنّه نبيّ (متّى ٢٣/ ٥٧).. إذ لم يسمع أحدٌ بإنّ الإله كان في الأساس نبيّاً. وكان الأولى بالكنيسة أن تسحب الأناجيل الثلاثة الأولى المتداولة في الأسواق التي ذكرت أنّ عيسى كان نبيّاً، أن تغلق ورشة النجارة التي كان يعمل فيها قبل أن تُنزل إنجيلَها الرابع إلى السوق التي جعلت من عيسى فيه إلهاً يسبق الخلق كلّهم..» (ص٨٩٢، ٨٩٤–٨٩٥).

تأليه عيسى هذا الذي تتكلّم عنه الكنيسة، هو من صنع شاوول بولس، وغياته من ذلك، في نظر السيّد زكي، أن يُبقي الأممَ في ضلالهم، وتبقى الجنّةُ خالصةً لليهود وحدَهم. والكنيسة، التي أنشأها شاؤول، وقعتْ في ما خطّط لها اليهود. فكانت المجامع الكنسيّة، البابوات والكرادلة والأساقفة والقساوسة، كلّهم ليدعموا مخططَ شاؤول.

وأهم مجمع عُقد لهذه الغاية كان مجمع نيقية سنة ٣٢٥. قال فيه السيّد زكي: «والقساوسة الذين اجتمعوا في نيقية، وقرّروا تأليه عيسى قد غشّوا الأمّة المسيحيّة قاطبة، بجهلهم الفاضح، أو نيّتهم الخبيثة. وقبل ذلك غشّوا أنفسَهم» (ص٢٥٧).

ويتساءل السيّد زكي: كيف يقبل المسيحيّون اليوم بمقولة التجسّد الإلهي! كيف هو هذا الالتحام بين اللّه والجسد البشري!.. كيفَ يغيبُ عن ذهن الفاتيكان المبجّل أنّ اللّه لا يتجسّد؛ لأنّ الجسد البشري لا يحتمل الإلوهة.. كما وإنّ الإله المتجسّد ليس بإله، لسبب بسيط هو أنّه إنْ حلّ في مكان يشغله، يخلو منه بقيّة العالم.. ثمّ إنّ اللّه المتجسّد، أين ترك ألوهيّتَه عندما تجسّد؟ ومَن الذي ائتمنه عليها طيلة ثلاث وثلاثين عاماً؟» (٤٦).

والأغرب من هذه كلّه، في عمليّة التجسّد، أنّ الحسابات الفلكيّة لم تلعب دورَها، والكنيسة لم تعرْها ما تستحقّ. «فالمسيح يعترف بأنّه، وهو على الأرض، له إله في السموات، أي يبعدُ عنه بلايين السنين الضوئيّة. لكنّ الكنيسةَ القديمة، بعبقريّة قساوستها من الإسكافي والحافي والجاهلي والانتهازي، اختزلوا المسافات الفضائيّة، ولَحَمُوا اللّهَ الذي ليس كمثله شيء مع عيسى الإنسان،

بدمـه، وعظمـه، ولحـمـه، وشـحـمـه... ألا يوجـد عـاقل واحـد بين الشاؤوليّين الكنسـيّين يسأل قساوسَـتَه كيف اختزلوا تـلك المسافات الفلكيّـة!؟ وما هي مـادّةُ اللّحام الـتي استـعملوها في لحـامهم حـتّى أصـبحـا شـخصـاً واحداً، أو كـيف التـحمَ الأزلي بالفـاني، والكامل بالناقص، والخالق بالمخلوق، أيّ الإله بـالطِّيْن والطّين بالإله، ومن كان الشاهد على ذلك الالتحام!؟...

«حقّـاً إنّه لسعيد مَن يطّلع علـى هذا الدين، ويبقى له شيء من عقـله.. إنّ أصحـابَها (أي أصـحاب هذه الديانة) يهـجرونهـا يوميّـاً، ويفرّون منهـا، وينغمسـون في المادّة والجنس والجريمة والسـرقات والمخدّرات.. مخلّـفين الكنيسة ومعـتقداتها المهتـرئة وراء ظهورهم...» (ص٥٢٧).

وباختصار الـكلام، «إنّ جعل عيسى الإله المتجسّـد.. كان أكبر خدعة في تاريخ الأديان، قام بها شاؤول والمجـمّعات الكنسيّة القديمة لجَرِّ البـشريّة نحـو الوثنيّة، ومنهـا إلى جهنّم، لتـبقى الجنّة لليـهود» (ص٣٨٢)... وقـد لا يكون لأحـد خـلاص إلاّ باعـتـناق ديانةٍ لا يزال التوحـيدُ فيهـا قائماً، خالصـاً من كلّ شائبة، هي الديانة الإسلامـيّة، بدون شكّ. إنّها «لا تتـهاون مطلقـاً في التجديف عـلى الله. وجزاءُ مَن يفعلُ ذلك هو الإعدامُ في الدنيا، والنارُ الأبديّةُ في الآخرة» (ص٥٢٦).

ألفصل السادس



جاء في ســورة النساء (٤/١٥٧-١٥٩) من **القرآن الكريم** أنّ اليــهود قــالوا بأنّهم قـتلوا المسيحَ رسـولَ اللّه. لكنّهم مـا قتلوه ومـا صلبوه ولكنْ ألقى اللّهُ عليه شبـهَه فظنّوه إيّاه. وهكذا نجا من أيديهم. وها هم، حتّى اليوم، يتبعون ما يظنّون . قال :

" وقــولِهم (أي اليــهود): إنّا قَـتَلنا المســيحَ عـيسى ابنَ مــريمَ، رسولَ اللّهِ. (وقول اللّه): **وَما قَتلوه. وَمَا صَلَبُوه. ولكنْ شُبِّهَ لَهُم.** وَإنَّ الّذِيْنَ اخْتَلَفوا فيــه لَفِي شَكٍّ منه. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّبَاعَ الظَّنِّ. **ومَا قَتَلوهُ يَقِيْناً. بل رَفَعَـهُ اللّهُ إليهِ.** وكان اللّهُ عزيزاً حـكيماً. وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاّ لَيؤمِنَنَّ به، قَبْلَ مَوتِه، ويومَ القيامَةِ يكونُ عليهم شـهيداً " .

***

يقولُ المسلمون كافّةً إنّ روايةَ الإنجـيل في قتلِ المسيحِ وصلبِه وموتِه مرفوضـةٌ قَطعاً، علميّـاً وتاريخيّاً. وما حرصـهم على نفي القتل والصلب عن عـيســى إلاّ من باب حرصــهم على مــا جاء في القــرآن. فالمســيح لم يُقتل، ولم يُصلب؛ بل شُـبِّه لليهــود ذلك. والقتلُ والصلبُ

وقعا على غيـر عيسى، أي على شخصٍ **يشبهه**. وحاشا للـمسيح أن يُقـتل، أو يُصلـب على أيدي اليـهـود والرومـان، بهـذا الـشكل المهين واللّعين، كـمـا تروي الأناجـيل. فـاللّهُ يُرسِلُ أنبـيـاءَه إلى النّاس، لا لينتصرَ الناسُ عليه وعلى أنبيائه. فاللّهُ هو الغالب لا الناس.

مئات الكتب، وضـعـها مسلمون، تعـالـج، وتبرهن، وتؤكّد، نفيَ الصلب والقتـل عن عيسى. وكلّهـا تستند إلى القـرآن، وإلى الأحاديث النبويّة، وتعـتمد على الاختلاف في روايات الأناجـيل، وتعاليم بعض الشيع النصرانيّة، وبنوع خـاص، شيـع "الظاهريّة"، و"الأبّولونيّة"، و"الدُّوسِت". كلّهـا تعلّم بأنّ عـيـسى لم يُقـتل ولم يُصلب. بل وقع القتل والصلب على الشَّبَه...

وممّا يستدعي الـسخريّةَ، في رأي المسلمين، إتّهامُ المسـيحيّين اللّهَ الأبَ بقتلِ ابنِه، حـبّاً بالبشـر. وليس مسلمٌ يشـذّ عن هذه المقولة. ولنبدأ بعرْضِ مـقولاتهم ومعتقداتهم، منذ البـدء. وقد يملّ القارئ من الترداد، ولكنّ رغبتَنا في إثباتِ ما يقـولون تثبّتُ عزيمَتَنا في إظهار ما به يؤمنون.

***

يقول **القـاسم الحـسني الرّسي**: إذا كـان النصارى لا تُقـبَل شـهادتهم على اليـهود، فهل تُقبَل شـهـادتهم على اللّه فيتّهـمونَه بقتْلِ ابنِه؟!.

«وإنّما أخذتِ النصـارى وقبلتْ هذه الكتبَ فيمـا زعمتْ وقالتْ عندما صُلـب عندهم المسيح، صلّى اللّه عليـه، من اليهـود. وليس أحدٌ، من خاصّتهم ولا عـامّتهم عند النصارى، بعدلٍ ولا مـحمود، ولا تُقبل

شهادتُه على يهوديٍّ مثلِه، فكيف تُقبل شهادتُهم على اللّه تعالى وعلى رسله؟»[١].

***

ويعجب **الناشئ الأكبر** من إلهٍ أزليّ يُقال إنّه يُصلب ويُقتل. كما يعجب من قولهم بأنّ القتل جرى على النّاسوت دون اللاّهوت، فيما النّاسوت واللاّهوت في عيسى جوهران متلاحمان لا ينقسمان. يقول: «إنّ من مات فقد بطل ودثر. والأزلي لا يجوز عليه ذلك.. والذين قالوا: إنّ المسيح جوهران وأقنومان ليقسموا كلامهم فيقولون: "مات من جهة ناسوته، ولم يمت من جهة لاهوته".. فلا وجه لإطلاق القول»[٢].

***

وينكر **الحسن بن أيّوب** مقولة الصلب، ويتعجّب كيف أنّ اللّه الذي أرسلَ عيسى لخلاص البشر، يفتكُ به البشر فيهلكونه؟! يقول: «هل تقبل العقول ما يقولون من أنّ إلهاً نال عبادُه منه مثلَ ما تذكرون أنّه نِيل منه؟! فإنْ تأوّلتم أنّ ذلك حلّ بالجسم.. أفليس ما قد وقع بجسمٍ توحّدت اللاّهوتيّة به وحلّت به وحلّت الروح فيه، وقد انتخبه اللّه -على ما تزعمون وتصفون- لخلاص الخلق، وفوّض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع فيه الأوّلون والآخرون للحساب؟»[٣].

***

(١) **ردّ الحسني**، ص ١٩. عن الشرفي، ص ٣٨٤.

(٢) **الكتاب الأوسط في المقالات**، ص ٨٣-٨٤. عن الشرفي، ص ٣٩٣.

(٣) **الجواب الصحيح**، ٢/ ٣١٩-٣٢٠.

ويقول **القاضي الباقلاني**: إنّ مصدر القول بالقتل والصلب هم أربعة إنجيليّين يجوز عليهم الكذب. وما قالوه وَهْمٌ وظنّ :

«قد قال بعض الأمّة وأكثر الناس: إنّ النقل مأخوذ عن أربعة من الحواريّين، وهم لوقا ومتّى ومرقس ويوحنا، والأربعة يجوز عليهم الكذب. وقال بعضهم: إنّكم قد صدقتم وصدق أسلافكم في أنّ شخصاً صُلب وقُتل. ولكنّكم توهّمتم أنّه المسيح، لأن المقتول تحوّل عن صفته ووقع الشَّبَهُ في أمره»(٤).

ويقول أيضاً: إذا كان الصلبُ والقتلُ يجوزان على الابن، فيجوزان أيضاً، لا محالة، على الأب. والنّصارى ينكرون هذا، ويجوّزون ذاك. فكيف يكون ذلك؟

«يُقال لجميعهم: خبّرونا عن اتّحاد الابن بالجسد، أكان باقياً موجوداً في حال وقوع القتل والصلب به، أم لا؟ فإنْ قالوا: كان باقياً موجوداً، قيل لهم: فالذي مات مسيح من طبيعتَين: لاهوت هو الابن، وناسوت هو الجسد. فيجب أن يكون ابن اللّه القديم قد مات، كما قُتل وصلب، لأنّ جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت. وإذا صار الابن عند القتل ميتاً، لم يجز أن يكون في تلك الحال إلهاً، لأنّ الإله لا يكون ميتاً ولا ناقصاً ولا ممّن يجوز عليه الموت. ولو جاز ذلك عليه، لجاز موت الأب والرّوح.

«وإنْ قالوا: إنّ الاتّحاد بطُل عند القتل والصلب، قيل لهم: فيجب انتقاض الاتّحاد عند القتل والصلب. ويجب أيضاً ألاّ يكون المقتول مسيحاً، لأنّ الجسد عند انتقاض الاتّحاد ومفارقة المتّحد به

---

(٤) **كتاب التمهيد**، ص ١٧٤.

ليس بمسيح. وإنّما يكون الجسد وما اتّحد به مسيحاً مع ثبوت الاتّحاد ووجوده. فإذا بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن إنساناً، ولا معنى لقولهم: إنّ المسيح قُتل وصلب»[٥].

***

وكذلك القاضي **عبد الجبّار** يتّهم الإنجيليّين بالكذب في نقلهم صلب عيسى وقتله. وينكر الصلبَ لأنّ الصلبَ قد يغيّر صورة المصلوب. ثم يقول بأنّ المسيحَ كان بين حاضري الصلب إلى جانب أمّه. ولذلك قال له المصلوب: "هذه أمّك".

يقول القاضي: «أبطلنا ما نقلوه من قتْل عيسى وصلبِه، لأنّ أصل نقلِهم هو هؤلاء الأربعة، وعوّلوا على تقليدهم في ذلك»[٦].

ويقول أيضاً في إنكار الصلب: «إنّ الصلب بعد القتل قد يغيّر صورةَ المصلوب ويشبّه حاله بغيره. فمتى نُقل جاز أن تشتبه الحالُ فيه»[٧].

ويقول أيضاً: «وفي الإنجيل أنّ المسيح كان قائماً في ناحية في موضع الصلب، وأنّ مريم أمَّ المسيح جاءت إلى الموضع، فنظر إليها المصلوب فقال لها، وهو على الخشبة: هذا ابنك. وقال للمسيح: وهذه أمّك، وأنّ مريم أخذت بيده، ومضت من بين الجماعة»[٨].

---

(٥) **كتاب التمهيد**، ص ٩٧-٩٨.
(٦) **المغني**، ٥/١٤٣.
(٧) **المغني**، ٥/١٤٣.
(٨) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٤٣.

ولذا فسوف أجعل الأمارة عليه -حيث أنّكم لا تعرفونه بعينه- أن أقبّله. فإذا فعلتُ فأنتم وذاك" (متى ٢٦/٤٨). «فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه. وهذا منصوص في إنجيلكم»[١٥].

٢. ومن نصوصكم أيضاً أنّهم حين أحاطوا بعيسى ومَن معه، خرج بنفسه إليهم وقال: "من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري. قال: أنا هو. فنظروا إلى يهوذا نظرةَ تساؤل عن الإشارة التي اتّفقوا معه عليها، ففعلها. فقبضوا عليه، بظنّكم[١٦]

«أخبرني! كيف أمِنْتُم، والحال كما رويتم، أن يكون قد عمدت (اليهود) إلى سواه، حيث كانت لا تعرفه، ورفعه اللّه، كما رفع أخنوخ النبيّ. ولعلّكم صدقتم يهوذا الإسخريوطي في دلالته عليه. وفي نصّ إنجيلكم أنّه مرتدّ كافر ملعون. فشهادته إذاً غير جائزة. أو لعلّه، عندما عاينه وأدركتْه الندامة، جعل الإمارة على غيره من التلاميذ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه.

«والدليل على قيام هذا الاحتمال أنّه، في نصّ الإنجيل الذي بأيديكم، أنّ يهوذا الإسخريوطي أدركته الندامة حينئذ، وأعاد لهم الثلاثين درهماً التي كان باعه بها، إذ أعلمهم أنّه ليس هو ذلك المقبوض عليه. فقالت اليهود: وما علينا[١٧].

---

(١٥) **مقامع الصلبان، أو بين الإسلام والمسيحيّة**، ص ١٩٢.

(١٦) اتّفقت الأناجيل الثلاثة، متى ومرقس ولوقا، في رواية القبض... وخالفهم يوحنّا بقوله: إنّ يسوع، "لمّا قال لهم: إنّي أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض... ثمّ إنّ الجند والقائد وخدّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به" (يوحنا ١٨/٣-١٢).

(١٧) أنظر متى ٢٧/٣-٤.

«فأنتَ ترى هذه الندامة، وهذا القول لليهود، وتقرأها في أناجيلكم، وقلتم: إنّه خنق نفسه[١٨].

«وتأويل المفسّرين منكم في خنْق نفسه أنّه أراد الإسراع عاجلاً إلى جهنّم، قبل نزول عيسى إليها، ليُخرج مَن فيها حين فداهم بدمه من عذابها. فأراد يهوذا أن يكون من جملة المُخرَجِين.

«وقلتم: إنّ اليهود «قتلت رجلاً لم تعرفْه إلاّ بشهادة يهوذا الإسخريوطي.. كيف لا، ونصوص الإنجيل دالّة على عدم صلب عيسى، ووقوع الشبه على غيره، وذلك من وجهين:

«أحدهما : جاء في الإنجيل أنّ المصلوب قد استسقى اليهودَ، فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة؛ فذاقه ولم يشربْه؛ فنادى: إلهي! إلهي! لِمَ خذلتني؟ والأناجيل كلّها مصرّحة بأنّه، عليه السلام، كان يطوي أربعين يوماً وليلةً، ويقول للتلاميذ: إنّ لي طعاماً لستم تعرفونه. ومَن يصبر على العطش والجوع أربعين يوماً وأربعين ليلةً، كيف يُظهر الحاجةَ والمذلّةَ والمهانةَ لأعدائه بسبب عطش يومٍ واحد! هذا لا يفعله أدنى الناس. فكيف بخواصّ الأنبياء؟ أو كيف بالربّ تعالى، على ما تدّعونه؟ فيكون حينئذٍ المدّعي للعطش غيره. وهو الذي شُبِّه لكم.

«ثانيهما : "إلهي! إلهي! لِمَ خذلتني؟" هو كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر اللّه تعالى. وعيسى، عليه السلام، منزَّه عن ذلك. فيكون المصلوب غيره، لاسيّما وأنتم تقولون إنّ المسيح، عليه السلام، نزل ليؤْثِرَ العالَمَ على نفسه، ويخلّصه من الشيطان ورجسه. فكيف تروون عنه ما يؤدّي إلى خلاف ذلك؟ مع

---

(١٨) متى ٢٧/ ٥.

روايتكم، في توراتكم، أنّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون، عليهم السلام، لمّا حضرهم الموتُ، كانوا مستبشرين بلقاء ربِّهم، فلم يجزعوا منه؛ مع أنّهم عبيد اللّه، والمسيح -بزعمكم- ولد، وربّ، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم. ولمّا لم يكن ذلك دلّ على أنّ المصلوب غيره» (ص ١٩٩-٢٠٠).

٣. «ثمّ إنّ الإنجيل عندكم ناطق بأنّ عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم، يعظهم ويعلّمهم ويناظرهم، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله، حتّى كانوا هم يقولون: أليسَ هذا ابن يوسف؟ أليست أمّه مريم؟ أليس أخواه عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟

«وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فَلِمَ نصّ الإنجيل على "أنّهم وقتَ ما أرادوا القبضَ عليه لم يحقّقوا، حتّى دفعوا لأحد تلاميذه، وهو يهوذا، ثلاثين درهماً ليدلّهم عليه. فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلتْ من شهر نيسان، ومعه جماعة من اليهود، ومعهم السيوف والعصيّ من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ المذكور: ألّذي أقبِّله هو مطلوبكم فامسكوه".

«فلمّا جاء قال: ألسلام عليك. ثمّ قبَّله. فقال له يسوع: لماذا جئتَ يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه. وتركه التلاميذ كلّهم وهربوا. وتبعه بطرس من بعيد. فقال له رئيس الكهنة: أستحلفك باللّه الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنتَ قلتَ ذلك. وأنّي أقول لكم: إنّكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتّى تروه جالساً عن يمين القوّة آتياً في سحاب السماء"[١٩].

---

(١٩) قارن متّى ٢٦/٦٣-٦٤...

«فلا شكّ أنّ هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة والمجادلات البليغة، كلّها تدلّ على وقوع الشّبه قطعاً، خصوصاً أنّ في الإنجيل أنّه أُخِذَ في حندسٍ من ليلٍ مظلمٍ من بستانٍ فَشُوِّهت صورتُه، وغُيِّرَت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال. ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشيء وخلافه، فكيف بين الشيء وشبهه؟ فمن أين لكم، أو لليهود، القطع بأنّ المصلوب هو عين عيسى، عليه السلام، دون شبهه؟ بل إنّما حصل الظنّ والتخمين، كما قال : "وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيهِ"[٢٠] (ص٢٠١-٢٠٢).

٤. «ثمّ في الإنجيل أيضاً: أنّ يسوع، عليه السلام، كان مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم، عليه السلام، وقال لهم: مَن تريدون؟ قالوا: يسوع. وقد خفي شخصُه عنهم. ففعل ذلك مرّتَين[٢١]، وهم ينكرون صورتَه. وما ذلك إلاّ دليل الشّبه. ورُفع عيسى عليه السلام. لاسيّما وقد حكى بعضٌ منكم أنّ المسيح أُعطي قوّة التحوّل من صورةٍ إلى صورة» (ص٢٠٢-٢٠٣).

٥. ثمّ إنّ عيسى شهد هو نفسه بأن الشكّ سيخامر تلاميذه: "كلّكم تشكّون فيّ في هذه اللّيلة"[٢٢]. بل خيْرُهم، وهو بطرس، كان أكثرَهم شكّاً: "ألحقّ أقول لك: إنّك، في هذه اللّيلة، تنكرني قبل أن يصيح الديك"... لهذا، «فقد انخرَم حينئذٍ الوثوقُ بأقوالِكم، وجَزم بإلقاءِ الشّبه على غير عيسى، عليه السلام. وصحّ قوله تعالى: "وَإِنَّ

---

(٢٠) سورة النساء ٤/١٥٧-١٥٨.

(٢١) يوحنّا ١٨/ ٤-٨.

(٢٢) متى ٢٦/ ٣١-٣٤.

الَّذِينَ اخْـتَلَفُوا فِـيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْـهُ. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّبَـاعَ الظَّنِّ" (ص٢٠٣).

٦. ثمّ «نذكـر ما فعلَـه يهوذا. ويُحتـمل أن يكونَ قـد كذب في قـوله لليهـود. ويَدلّ على وقوع ذلك مـنه: ظهورُ الندم منه بعـد ذلك؛ وقول المسـيح: يا صديق ويا صاحب! لِـمَ أقبلتَ؟ولو كان مـصراً على الفساد ما سمّاه صديقـاً؛ ثمّ لا ننسى أنّ الإنجيل شهد أنّ المسيح شهد للتلاميذ الإثني عشر بالسعادة[٢٣]. وشهادته حقّ؛ ولا شكّ أنّ السعيد لا يتمّ منه الفساد العظيم؛ ويهوذا، أحد الإثني عشر فيلزم:

«إمّـا أنّه لم يدلّ عليـه؛ أو يكون المسيح مـا نطق بالصــدق؛ أو يكون كتابكم قد تحرّف وتبدّل. فاختاروا لكم واحدةً من هذه الثلاث».

٧. «ثمّ لنا قول آخـر هو: يُحتَمل أنَّ المسيح ذهبَ في الجـماعة الذين أطلقـهم الأعوان. وكان المـتكلّم معهـم غيره ممّن يريد أن يـبيع نفسَه من اللّه تعالى وقايةً للمسيح. وهذا ليس ببعيدٍ في أتباعِ الأنبياء، فكيف أتباع الإله، على زعمكم؟ (ص ٢٠٤).

«ويمكن أنّ الأعوان قـد اتّخذوا عليـه (أي على عيـسى) رشوةً وأطلقوه، كما أخذوا رداء الشـاب الذي كان يجري وراءه عند القبض، وأطلقوه أيضاً...

ثمّ إذا قبلتم بأنّ يهـوذا قَبِلَ الرشوة لتسلـيمه، فقـبول الأعوان الرشوة لإطلاقه أقرب.

«ثمّ هل يستحيل أن يكون اللّه تعـالى قد صوّر لهم شيطاناً، أو غيـره، بصورتـه فصلبـوه، ورفع المسيح؟ يدلّ على ذلك أنّهم ســألوه

(٢٣) أنظر: متى ١٩/٢٨ أو ٣٨ (؟؟؟).

فسكت. وفي تلك السكتة تتعيّن النكتة. وهذا ممكن. والله تعالى على كلّ شيء قدير» (ص ٢٠٥).

٨. ثمّة دليلٌ تاريخيّ لإبطالِ الصلب، مؤدّاه أنّ قسطنطين الملك، «حين كثر عدوُّه، وكاد ملكُه يذهب..استشار مَن لديه من أهل النظر، فوقع اختياره على أن يتعبّد القومُ بطلبِ دمٍ، ليكونَ ذلك أقوى لارتباطهم معه... فقال بالصلوبيّة، وبترك الختان. وذكر لرعاياه أنّه رأى في منامه آتياً أتاه يقول له: "بهذا الرَّسْم تغلب". ويعرض عليه هيئة الصليب. فأعظمتْ ذلك العامّة. ثمّ بعث إلى امرأةٍ كانت كاهنةً في ذلك الزمان، فشهدتْ له أنّها رأتْ مثلَ ما رأى. فقوي تصديقُ العامّة لذلك... فانقادوا إليه، وصحّ له منهم ما أراد. وشرّع لهم من الشرائع التي بأيديهم إلى اليوم...

«فلمّا بعث اللهُ محمّداً، وأيّده بالآيات، كشفَ لهم، أي للنصارى، أتباع قسطنطين، سوءَ معتقدهم هذا.

«وأمّا قولك (أيّها الراهب): "فأخذوه، وصلبوه، وغار دمُه في إصبعه، لأنّه، لو وقع منه شيء في الأرض، لَيَبستْ..". فهذا من أعجب ما قيل... ولعمرى لو انّ شيطاناً يتقوّل على لسانك، وهو يريد الإضحاكَ بك، ما بلغ منك ما بلغتَ من نفسك بهذا القول» (ص ٢٠٥-٢٠٩).

٩. وثمّة أدلّة عقليّة تبطل نظريّةَ الصلب. يقول: «في اعتقادكم، وفي الإنجيل الذي بأيديكم أنّ الصلب لَحِقَ جسمَ عيسى المتّخَذ من آدم، وأنّ النصفَ اللاّهوتي لم يلحقْه الصلب. ومخالفة ذلك عندكم كفر. فإذا كان هذا، فإلى الآن لم ينتقم اللّه، ولا انتصف من إلهٍ مثله كما قلتَ؛ إنّما انتصف وانتقم من إنسانٍ من نسل آدم. فكيف ينبغي

للّه أن يظلم إنساناً فيعاقبه بذنب جدّه؟ وكيف أجزتَ لنفسك أن تقول: انتصف من إلهٍ مثله؟

ثمّ «أخبرني أيّها المغرور! مَن كان الممسك للسموات والأرض، إذ كان اللّه، كما تزعمون، مربوطاً في خشبة الصليب؟ هل بقيتا ساكنتَين؟ أم كان استخلفَ عليهما غيرَه، وهبط هو لربْطِ نفسه في خشبة الصليب، ويوجِب اللّعنة على نفسه بما قال في التوراة: "ملعون ملعون من تعلّق بالصليب"؟

«عَجَباً له!! إنّه المنتَقِم والمنتَقَم منه، والحقود والمحقود عليه. وإنّه الظالم يأخذ نفساً بذنب غيرها، وهو المظلوم لأنّه صُلب بذنب غيره. وعجباً! كيف يمتنع عن المعايب، ثم ليس هو عندكم غير مَن اتّصف بهذه المعايب، ولا قنع من آدم صاحب الذنب بالتوبة حتى غُرسَتْ الخشبة في ظهره تكفيراً لما ارتكبه آدم في الجنّة!!» (ص ٢١٤-٢١٥).

وهكذا، يستمرّ الخزرجي، بمنطقه، يرفضِ عمليّة الصلب. ويركّز رفضه على تحليل نصوص الإنجيل، وعلى تصديق القرآن. غير أنّه لم يعيّن "الشبَه" الذي صُلب مكان عيسى.

***

أمّا **نجم الدين مختار الزاهدي**، فقد أوردَ لنا حواراً طريفاً في صلب المسيح وقتله، بين "بشير"، أحد نصارى الروم، و"شيخ" مسلمٍ أسير. قال :

«قال الشيخ: أسألكَ عن عيسى، أكان يأكل ويشرب وينام، كما كان آدم يفعل ذلك؟

قال بشير: بلى.

قال الشيخ: أفكان له أب؟

قال: لا.

قال الشيخ: فمن أين إنكارك أن يكون مَثَلُ عيسى كَمَثَلِ آدم، وقد زعمتم أنّه صُلِبَ؟ فأقول لك: أكان برضاه؟ فإنْ قلتَ نعم، قلتَ قولاً عظيماً. فَلِمَ تلومون اليهودَ بما فعلوا؟ وإنْ قلتَ بِسَخَطِهِ، فلِمَ تَعبُدُ مَن لا يَدْفَعُ عن نفسهِ؟

قال بشير: إنّك رجلٌ تعلّمتَ الكلام. وأنا رجلٌ صاحب سيف»[٢٤].

***

أمّا **شهاب الدين القرافي** فيستفيض في رفض الصلب[٢٥]. ويقول: إنّ الصلب مرفوض لأسباب استخرجها من نصوص الأناجيل :

أحدها : قال لوقا: صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنّا. فبينما هو يصلّي إذ تغيّر منظر وجهه عمّا كان عليه، وابيضّت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلّتهم، فوقع النومُ على الذين معه. فظهور الأنبياء، وتظليل السحاب، ووقوع النوم على التلاميذ، دليل ظاهر على الرفع إلى السماء وعدم الصلب. وإلاّ فلا معنى لظهور هذه الآيات (ص٥٤).

---

(٢٤) **الرسالة النّاصريّة**، ص ٥٨.

(٢٥) **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**.

ثانيها : ما في الأناجيل ألمصلوب استسقى اليهود، فأعطوه خلاً مذاقاً بمرّ... والأناجيل مصرِّحة بأنّه عليه السلام كان يطوي أربعين يوماً وأربعين ليلةً. ويقول للتلاميذ: إنّ لي طعاماً لستم تعرفونه. ومَن يصبر أربعين يوماً على العطش والجوع، كيف يُظهر الحاجة والمذلّة والمهانة لأعدائه وأعداء اللّه، بسبب عطشِ يومٍ وليلة...

وثالثها : قوله: إلهي إلهي لم خذلتَني فتركتني. وهو كلام يقتضي عدم الرضاء بالقضاء، وعدم التسليم لأمر اللّه. وعيسى منزّه عن ذلك. فيكون المصلوب غيره؛ لا سيما وهم يقولون: إنّ المسيح إنّما تعنّى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلّصه من الشيطان ورجسه. فكيف يروون عنه أنّه تبرّم بالإيثار، واستقال من العثار، مع روايتهم في توراتهم أنّ إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون، لمّا حضرهم الموتُ، كانوا مستبشرين بلقاء ربّهم فرحين.. لم يجزعوا من الموت، ولا هابوه، ولا استقالوا مذاقه، ولا عابوه، مع أنّهم عبيده؛ والمسيح، بزعمهم، ولد وربّ، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم. ولمّا لم يكن كذلك دلّ على أنّ المصلوب غيره وهو المطلوب (٥٤-٥٥).

أمّا ألقول **بالشبه** فعند القرافي براهين من الإنجيل هي التالية :

أحدها : ألقول بالشبه قول بأمر ممكن.. والتوراة مصرِّحة بأنّ اللّه خلق جميع ما للحيّة في عصاة موسى، وهو أعظم من الشبه. فإنّ جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً. وقلبُ العصا ممّا أجمع عليه اليهود والنصارى، كما أجمعوا على قلب النّار لإبراهيم برداً وسلاماً، وعلى قلبِ لون يد موسى، وعلى انقلاب الماء خمراً وزيتاً للأنبياء.. وإذا جوّزوا مثل هذا فيجوز إلقاء الشبه من غير استحالة (ص٥٥).

وثانيها : إنّ الإنجيل ناطق بأنّ المسيح نشأ بين أظهر اليهود، وكان في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم، يعظهم ويعلّمهم ويناظرهم، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله، حتّى يقولون: أليس هذا ابن يوسف! أليس أمّه مريم! أليس إخوته عندنا! فمِن أين له هذه الحكمة؟

وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، وقد نصّ الإنجيل على أنّهم وقتَ الصلب لم يحقّقوه حتّى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهماً ليدلّهم عليه. فجاء ليلةَ الجمعة.. ومعه جماعة من اليهود، معهم السيوف والعصي من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ، واسمه يهوذا: ألرجل الذي أقبّله هو مطلوبكم. فأمسكوه. فلمّا جاء قال: ألسلام عليك يا معلّم الخير. ثمّ قبّله. فقال له يسوع: ألهذا جئتَ يا صاحب! فوضعوا أيديهم عليه، وربطوه.

فتركه التلاميذ كلُّهم، وهربوا، وتبعه بطرس من بعيد. فقال له رئيس الكهنة: باللّه الحيّ! أنتَ المسيح؟ فقال له المسيح: أنتَ قلتَ ذاك. وأنا أقول لكم: إنّكم من الآن لا ترون ابنَ الإنسان حتّى تروه جالساً عن يمين القوّة آتياً في سحاب السماء. فهذا اللّبس العظيم، بعد تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاثين سنة في المحاورات العظيمة والمجادلات البالغة، يدلّ في وقوع الشبه قطعاً» (ص ٥٦).

وثالثها : إنّ في الإنجيل أنّه أُخذ في حندسٍ من الليل مظلمٍ من بستانٍ شُوِّهَتْ صورتُه وغُيّرتْ محاسنُه بالضرب والسحب وأنواع النكال، ومثل هذه الحالة توجب اللّبسَ بين الشيء وخلافه، فكيف بين الشيء وشبهه؟ فمن أين للنصارى، أو اليهود، القطع بأنّ المصلوب هو عين عيسى دون شبهه؟ بل إنّما يحصل الظنّ والتخمين، كما قال اللّه تعالى : " وما قتلوه يقيناً، بل رفعه اللّهُ إليه " (٥٦–٥٧).

ورابعها : قال يوحنّا: كان يسوع مع تلاميذه بالبستان. فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم، قال لهم: مَن تريدون؟ قالوا: يسوع. وقد خفي شخصه عنهم. ففعل ذلك مرّتَين. وهم ينكرون صورته. وذلك دليل الشبه. ورُفع عيسى. لا سيّما وقد حكى بعض النصارى أنّ المسيح قد أُعطي قوّة التحوّل من صورة إلى صورة (ص٥٧).

وخامسها : قال متّى: بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع قال: كلّكم تشكّون فيّ هذه اللّيلة، لأنّه مكتوب أنّي أضرب الرّاعي فتفرّق الغنم. فقال بطرس: لو شكّ جميعهم لم أشكّ أنا. فقال يسوع: ألحقّ أقول لك إنّك في هذه اللّيلة تنكرني، قبل أن يصيح الديك. فقد شهد عليهم بالشكّ، بل على خيارهم بطرس. فإنّه خليفته عليهم. فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وجزمهم، بعدم إلقاء الشبه على غيره. وصح قوله تعالى: "وإنّ الّذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه. ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظنّ" (ص٥٧).

وسادسها : إنّ في إنجيل **متّى** أنّ يهوذا دلّ عليه بثلاثين درهماً دفعها إليه اليهود.

وزاد **مرقس** أنّهم لمّا قبضوه تخلّى عنه التلاميذ وهربوا؛ فأتبعه شابّ عريان وهو ملتفّ في ردائه فراموا قبضه، فأسلم الرداء ونجا عرياناً.

زاد **لوقا** أنّ إيلاطس القائد لمّا علم أنّه من طاعة هردوس بعثه إليه.

وزاد **يوحنّا** أنّ المسيح تقدّم للجماعة وقال لهم: مَن تريدون؟ فقالوا: يسوع. فقال: أنا هو. وكان يهوذا الدالّ عليه واقفاً معهم. فلمّا قال لهم: أنا هو، قهقروا إلى خلف، فتساقطوا في الأرض. ثمّ سألهم

وقال: مَن تريدون؟ فقالوا: يسوع. فقال: قد قلتُ لكم: أنا هو. فإنْ كنتم تريدونني فأطلقوا هؤلاء.

وذكر **لوقا** أنّ يهوذا الدالّ عليه، لمّا بصر ما فعل له، ندم وردّ الدراهم. وقال: أخطأتُ إذْ بعتُ دماً صالحاً. فقالوا له: ما علينا! أنتَ بريء. فألقى الدراهم في البيت، وتوجّه إلى موضع خنق فيه نفسَه» (ص٥٧-٥٨).

فنقول : هذه الأناجيل ليست قاطعة في صلبه. بل فيها اختلافات:

منها : أنّه يُحتمل أنّ يهوذا كذب لهم في قوله هو هذا. ويدلّ على وقوع ذلك ويقوّيه ظهورُ الندم بعد هذا؛ وقول المسيح له: يا صديق! لِمَ أقبلتْ؟ ولو كان مصرّاً على الفساد لما سمّاه صديقاً؛ ولأنّ الإنجيل شهد أنّ المسيح شهد للإثني عشر بالسعادة، وشهادته حقّ. والسعيد لا يتمّ منه هذا الفساد العظيم، إذا شرع فيه. ويهوذا أحد الإثني عشر، فيلزم إمّا كون يهوذا ما دلّ، أو كون المسيح ما نطق بالصدق، أو أنّ كتابكم محرّف. اختاروا واحدةً من هذه الثلاث.

ومنها : أنّه يحتمل أن المسيح ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان، وكان المتكلّم معهم غيره ممّن يريد أن يبيع نفسه من اللّه تعالى وقايةً للمسيح. وهذا ليس ببعيد في أتباع الأنبياء؛ لا سيّما أتباع الإله على زعمهم.

ومنها : أنّ الأعوان اتّخذوا عليه رشوةً وأطلقوه، كما أخذوا رداءَ الشابّ المتقدّم ذكره، وأطلقوه. وإذا نقلتم أنّ يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه، فقبول الأعوان الرشوة في إطلاقه أقرب.

ومنهـا : أنّه يحـتـمل أنّ اللّه صـوّر لهم شـيطاناً، أو غـيـرَه، بصورته وصلبوه. ورفع المسـيح. ويدلّ على ذلك أنّهم سألوه فسكت. وفي تلك السكتـة تغيّبتْ تلك الصورة. وهذا ممكن، واللّه تعـالى على كلّ شيء قدير. وأنتم ليس عندكم نصوص قاطعـة بصلبه لما بيّنا فيها من الاحتمالات. واليهود أيضاً ليسوا قاطعين بذلك؛ لأنّهم إنّما اعتمدوا على قول يهوذا. فأيّ ضـرورة تدعوكم إلى إثبات الإهانة والعذاب في حقّ ربّ الأرباب على زعـمكم أيّهـا الدّواب، الذي يفـضي من ضـعف عقولهم العجب العجاب!

عَجَبي للمسيح بين النّصارى وإلى أيّ والدٍ نسـبوه
أسـلموه إلى اليهود وقالوا إنّهم بعد قتله صـلبوه
وإذا كان ما يقـولون حقّاً وصـحيحاً فأين كان أبوه؟
حين خلّى ابنَه رهينَ الأعادي أتراهم أرضوه، أم أغضبوه؟
فلئن كان راضـياً بأذاهم فاحمدوهم لأنّهم عذّبـوه
ولئن كان سـاخطاً فاتركوه واعبـدوهم لأنّهم غلبوه.

وهذه الأبيات برهان قـاطع على النصارى لا يحتاج مـعها إلى شيء آخر. فلقد أصبحوا هزءة للناظر، ومصنعة للمناظر. وللّه سرّ في إبعادهم عن مقام الـكرامة، وتخصيصهم تخصـيص السخط والندامة لما طبعوا عليه من الجهالة واللاّمة» (ص٥٨-٥٩).

***

وينقل **شـيخُ الإسلام إبن تيـميّـة** عن النصارى أنّـهم يقولون بصلب المسـيح من أجل التـكفيـر عنهـم. ولم يتمّ ذلك من دون حـيلةٍ ماكرةٍ من عيسى على إبليس. يقول:

«والنصارى يقولون: إنّ المسيح، الذي هو عندهم اللاّهوت والناسوت جميعاً، إنّما مكّنَ الكفّارَ من صلْبه ليحتالَ بذلك على عقوبةِ إبليس. قالوا: فأخفى نفسَه عن إبليس لئلاّ يعلم. قالوا: ومكّن أعداءَه مِن أخذِه وضربِه، والبصاقِ في وجهه، ووضعِ الشوك على رأسه، وصلبِه. وأظهر الجذع من الموت وصار يقول: يا إلهي! لمَ سلّطتَ أعدائي عليّ، ليخفى بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليسُ أنّه اللّه، أو ابن اللّه، ويريد إبليس أن يأخذ روحَه إلى الجحيم، كما أخذ أرواحَ نوح وإبراهيم وموسى وغيرِهم من الأنبياء والمؤمنين، فيحتجّ عليه الرّبّ حينئذٍ ويقول: بماذا استحللتَ يا إبليس أن تأخذَ روحي؟ فيقول له إبليس: بخطيئتك. فيقول: أنا لا خطيئة لي.

«قالوا: فلمّا أقام اللّهُ الحجّةَ على إبليس جاز للربّ حينئذٍ أن يأخذ إبليسَ ويعاقبَه ويخلّصَ ذرّيّة آدم من إذهابهم إلى الجحيم.

يعلّق إبن تيميّة على مقولة النّصارى هذه : «هذا الكلام فيه من الباطل، ونسبةُ الظلم إلى اللّه ما يطول وصفه... ومن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم»[٢٦] (١/ ٢٢٢).

ويلخّص مذهبَ النصارى وما فيه من ظلمٍ على اللّه، قال: «ألنصارى قد نَسبوا إلى اللّه من الظلم العظيم ما لم ينسبْه إليه أحدٌ من الأمم، كما سبّوه وشتموه مسبّةً ما سبّه إيّاها أحدٌ من الأمم . فهم من أبعد الأمم عن توحيده وتمجيده وحمده والثناء عليه»(٢/ ٦٨).

***

(٢٦) الجواب الصحيح لمن بدّل دينَ المسيح.

ثم ينقل السيـد عبد العزيـز آيات المزامير التي تشيـر إلى دعاء المسـيح لله أن يخلّصه مـن الصلب؛ كمـا ينقل الآيات التي تشـير إلى تخليص الله للمسـيح من الصلب ورفعه إليه؛ والآيات التـي تشير إلى القبض على يـهوذا ومحـاكمتـه وصلبه بدلاً من المسيح. ثـم يستنتج بقوله:

« وهكذا يَبِين بكلّ جـلاء أيضاً، أنّ المزامـيـر إنّما تتنبّـأ بصلب يهوذا الإسـخريوطي بدلاً من المسيح، عليـه السلام، فتعطينا أوصـافاً للمـصلوب نعلم منها أنّه لا يمكن أن يكون المـسيح، وإنّما يـهوذا الذي خـانه... فهـذا الذي خـزي وخـجل ولحق به العـار لا يمكن أن يكون المسيح، وإنّما يهـوذا الذي خزي وخجل ولحقه الـعار حتّى يومنا هذا، حـتّى أنّه أضحى يُضـرب به المثل على الخـيانة والغـدر» (ص ١٩٢–١٩٣).

إلاّ أنّ ثمّة اعتراضات كثيرة، وتساؤلات حول صلبِ المسيح أو يهوذا، يستعرضـها السيّد عبد العزيز، ويناقشـها. يتساءل:

أوّلاً– « هل يمكن أن تكون الصـورة التي انتـهيـنا إليهـا من تخليص الله للمسـيح القبض على يهوذا بعد ذلك رغـم أنّه كان المرشد إليه ثم محاكمته وصلبه على أنّه المسيح، صحيحة؟!» (ص ١٩٩).

يجيب عبدالعزيز: «إنّ الذين توجّـهوا للقبض عليه (المسيح) لم يكونوا يعرفونه[٢٩]، وما كانوا ليتعـرّفوا عليه لو رأوه أمامهم، وإلاّ لما كانوا بحاجـة لعلامةٍ من يهوذا حتّى يعـرفوه، ولكفاهم أن يدلّهم على مكانه ليذهبـوا إليه بأنفسـهم فيـقبضوا عليـه. وإذا كان هذا هو حالـهم

(٢٩) بحسب ما جاء في متّى ٢٦/٤٧–٤٨؛ ومرقس ١٤/٤٣–٤٤...

بالنسبة للمسيح، فمن بابٍ أولى يكون هذا هو حالهم بالنسبة لتلاميذه، إذ هم أقلّ أهمّيّة منه بالنسبة لهم، فهم لهذا لا يعرفون أيّاً من تلاميذ المسيح، بما فيهم يهوذا الإسخريوطي بطبيعة الحال الذي لم يعرفوه من قبل أن يلجأ هو إليهم.

ثمّ إنّ لقاء يهوذا برؤساء الكهنة لا بدّ من أن يكون ليلاً، وتحت جناح الظلام لئلا تشتهر خيانته. و«لا نحسب أنّ مثل هذا اللقاء يمكن أن يترك في أذهان رؤساء الكهنة أو رؤساء الكهنة والجند، صورة لهذا الشخص تعلق بذاكرتهم فلا ينسوه» (ص ٢٠٤).

ثمّ إنّه قد «مضى بين هذه المقابلة وبين قدوم يهوذا ومن معه للقبض على المسيح نحو يومين (متى ٢٦/٢)، وإنّ ذلك كان من يهوذا أوّل مرّة يذهب فيها لرؤساء الكهنة، وليس كثيراً أن نقول إنّ هذين اليومين كافيان لتباعد صورته عن مخيّلة هؤلاء إنْ لم تكن قد محيتْ تماماً حتّى إنّه ليمكن استبعاد هذه المقابلة كدليل على معرفتهم ليهوذا».

ثمّ إنّ المقابلة كانت ليلاً (يوحنا ١٣/ ٢٠)، وهم جمع كثير، بين جند وخدّام، يحملون مشاعل ومصابيح وسيوفاً وعصيّاً (يو ١٨/ ٣). ويهوذا يتقدّمهم، و«لا أحسبه في هذا السبيل يحاول أن يعلن حقيقة شخصيّته، بل لا بدّ أنّه هنا أيضاً يحاول قدر جهده ألاّ يفضح نفسه» .

ثمّ إنّ تلاميذ المسيح كانوا نياماً عند وصول يهوذا الإسخريوطي ومن معه للقبض على المسيح، بل وكانت أعينهم ثقيلة إلى حدّ أنّ المسيح أيقظهم بنفسه مرّتان (كذا)، وطلب منهم ألاّ يناموا، ومع ذلك كان يرجع في كلّ مرّة فيجدهم وقد ناموا ثانية.

ثمّ إنّ بطرس استلّ سيفه ليضرب، فنهاه المسيح. فكان لا بدّ للتلاميذ من ان يهربوا. وعندئذٍ لم يعد أحد يعرف مَن هو المسيح؟ وعند ذاك سألهم المسيح مَن تريدون؟ فقالوا: يسوع النّاصري. فقال لهم إنّه هو. فلما قال لهم إنّي أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض (يو ١٨/٦). وكانت الفرصة بأن يرتفع المسيح من بينهم، وبقي يهوذا وحده وسطهم، يشاهد ارتفاع المسيح، إذ كان في المقدّمة. وتمكّنوا من القبض عليه بدلاً من المسيح. واستسلم يهوذا لهم، ندماً على خيانته معلّمه.

وما سكوت المقبوض عليه أمام رئيس الكهنة، وفي المحكمة، سوى دلالة أخرى على تكفير يهوذا عن عمليّة الخيانة هذه. و«يتكرّر سكوت المقبوض عليه، كلّما سئل عن حقيقة شخصيّته، فلا يجيب بشيء. ولنا أن نتساءل: لو كان هو المسيح حقّاً ففيمَ سكوته، وهو الذي عندما حضر الجمع للقبض عليه لم يتردّد في الإفصاح لهم عن شخصيّته! لماذا هنا يُفصح، بينما هناك يسكت ولا يجيب! بينما الأجدر به أن يتكلّم هنا لا هناك إنْ كان هو المسيح. ولكن أبداً إنّه لا يجيب ولا عن كلمة واحدة، أبداً لن يكشف عن حقيقة شخصيّته، إنّه نفس الإصرار أن يجرع نفس الكأس التي كان سيذيقها لسيّده، إنّه يهوذا وليس المسيح. إنّه يهوذا وقد ندم فأبى أن ينطق بغش فيدّعي أنّه المسيح» (ص ٢١٩)....

ثانياً – وعن خنْق يهوذا لنفسه، يقول عبد العزيز:

هناك تناقض بين قول متّى عن مصير يهوذا الذي «مضى وخنق نفسه» (٢٧/٥)، وقول بطرس في أعمال الرّسل عن يهوذا الذي «اقتنى حقلاً من أجرة الظلم. وإذ سقط على وجهه انشقّ من

الوسط فانسكبت أحشاؤه كلّها. وصار ذلك معلوماً عند جميع سكّان أورشليم حتّى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دِماء، أي حقل دم» (رسل ١/ ١٥-١٩)

والأرجح أن يكون «يهوذا هو الذي اشترى الحقل بأجرة الظلم، وهي أجره عن تسليمه المسيح، بعكس ما ورد في إنجيل متّى من أنّه ردّ أجرة الظلم هذه وطرحها في الهيكل واشترى رؤساء الكهنة الحقلَ بها» (ص٢٣٠).

ثالثاً – وعن مصير الجسد الذي صُلب، يعتقد المسيحيّون بأنّ المسيح هو الذي صلب ودفن وقام. ولذا لم يوجد الجسد في القبر في اليوم الثالث[٣٠].

يقول عبد العزيز: «فمن هذه الآيات نعرف أنّه قد أشيع، بعدَ عدمِ العثور على جسد المصلوب في قبره، أنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه. وقد شاع هذا القول إلى يوم كتابةِ إنجيل متّى عند اليهود.

ولسنا نعرف، كيف تحقّق كاتب هذا الإنجيل من أنّ ما أشاعه العسكر كان بناء على اتّفاقهم على ذلك مع رؤساء الكهنة والشيوخ؟!. فلسنا نعتقد أنّ هؤلاء العسكر على صلة بتلاميذ المسيح. ولذا فليس ببعيدٍ أن يكون بعضُ الناس، أيّاً كان قصدهم، قد سرقوا الجسد بالفعل، سواء أكانوا من أتباع المسيح، أو من أعدائه... كما أن سرقة هذا الجسد هو أوّل ما تبادر إلى ذهن مريم المجدليّة عندما اكتشفت عدم وجود جسد المصلوب في قبره.

---

(٣٠) اجتمع رؤساء الكهنة مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضّةً كثيرة قائلين: قولوا إنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام (متى ٢٨/ ١١-١٥).

رابعاً – وعن قيام المسيح من الأموات وظهوره لبعض الأشخاص، يقول عبد العزيز :

«وللمرء أن يعجب، إذ يقرأ أنّ مريم المجدليّة، وهي من أعرف العارفين بالمسيح، تلقاه، وقد علمتْ بعدم وجوده في القبر، ثمّ لا تعرفه، أفيكون هذا هو المسيح حقّاً؟!

ثمّ هل صحيح أنّ هذا كان لقاءها به عند القبر وقد حسبته أنّه البستاني، وكانت بمفردها، أم الصحيح ذلك الذي ذكره عنها إنجيل متّى من أنّها لقيته وكانت معها مريم الأخرى أثناء انطلاقهما لتخبرا تلاميذه بما قاله لهما الملاك؟!

وهل هو صحيح أنّها لم تلمسْه لأنّه لم يصعد بعدُ إلى أبيه كما طلب منها، أم الصحيح أنّها ومريم الأخرى قد أمسكتا بقدميه.

إنّ المستحيل أن يكون كلّ من هذا وذاك صحيحاً. وليس ببعيد عن التصديق إزاء كلّ هذه التناقضات، أن يكون كلّ ذلك شائعات انطلقت من البلبال التي نتجت عن صلْبِ مَن ظنّوا أنّه المسيح، وعن سرقة جسد المصلوب، فانطلق كلّ تفسير للأمر، وأخذ كلّ واحد يؤلّف في الأمر رواية تتفق مع التفسير الذي يراه، وكان في القول بقيام المسيح من بين الأموات وظهوره للبعض تأييداً لذلك من أكثر الروايات التي لقيت قبولاً وترحيباً لدى الكثيرين (ص ٢٤٠-٢٤١).

خامساً – وعن هويّة تلميذَي عمّاوس، يقول عبد العزيز :

« ليس أغرب من رواية الإثنين المنطلقَين، فهما إذ يقابلان شخصاً يسيران معه ويتحدّثان في كلّ الأمور التي كانت، ويستمرّان طويلاً في سيرهما، وهو يحدّثهما عن كلّ شيء، من موسى وجميع

الأنبياء، حتّى إذا ما وصلا إلى قريتهما حاول أن ينصرف، فأبيا إلاّ أن يستضيفاه، فدخل معهما. وطوال هذا الوقت لم يعرفا مَن هو إلى أنْ أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما، فقالا بأنّه المسيح، وذهبا يخبران تلاميذه بذلك.

«فأيّ عقلٍ يصدّق ويقطع بأنّ هذا الذي كان معهما هو المسيح حقّاً، وخاصّة أننا بصدد شخص يقال أنّه صلب وقبر، ويقال أيضاً أنّه رُفع إلى السماء! وهل يكفي هذا الذي قال به المنطلقان للقول والإيمان بأنّ هذا الذي كان معهما هو المسيح حقّاً! بالقطع لا.

« ثمّ ما معنى ما ذكره إنجيل مرقس عمّن قال إنّه قابل هذين المنطلقَين باعتباره المسيح! ولكنّه ظهر لهما بهيئة أخرى! فأيّ هيئة أخرى هذه التي قصدها إلاّ أن يكون بشكل رجلٍ آخر ليس له شكل المسيح. ولمجرّد أنّه أخذ منهما خبزاً وكسر وناولهما ظنّا أنّه المسيح. ويختفي الرجل. وله العذر أن يفعل، فقد أشيع أنّ المسيح صُلب، ولو أشيع أنّه هو نفسه المسيح، فهل ينتظر غير الصلب، فيختفي؟ ويقولون بعد هذا إنّه المسيح؟ فأيّ عقل يصدّق هذا؟ ثم لِمَ يستبعِد البشيران متّى ويوحنا هذه الرواية؟ ألا يوحي ذلك بأنّه حتّى هما لم يطمئنّا إليها؟» (٢٤٦-٢٤٧).

ويستنتج السيّد عبد العزيز:

«إنّ كلّ ما قيل عن ظهور المسيح في الأناجيل بعد ما قيل عن صلبه ودفنه، لا يعدو أن يكون بعض أقوال متناقضة، هي في حدّ ذاتها، لفرط تناقضها، دليل عدم صحّة بعضها البعض، وهي في مجموعها، لا تعدو أن تكون إشاعات لا يمكن في تقديرها وتقويمها اعتبارها دليلاً مقبولاً على ظهور المسيح حقّاً، حيث أنّه في معظم

الأحيان كان يظهر كما يقال لأناس لا يعرفون أنّه المسيح إلاّ بعد فترة. بل وكان يظهر كما رأينا مرّة في إنجيل مرقس، في هيئة أخرى، وكان حقيقاً لو كان هو المسيح حقّا أن يظهر بهيئته هو، وأن يعرفه من يراه خاصّة من تلاميذه وخاصّته للوهلة الأولى، وبصفةٍ خاصة هؤلاء التلاميذ الذين يقال إنّه ظهر لهم على بحر طبريّة والذين خافوا أن يسألوا مَن رأوه من هو، كما أنّ في اتساع الرواية، كما قدمنا، بمرور الزمن، دليل في حدّ ذاته على عدم صحّتها، وأنّها لا تعدو في الأصل أن تكون أشاعة، يتناقلها الناس فيضيف بعضهم جديداً إليها. ولذا تتسع كلما مرّ بها الزمن» (ص٢٥٠).

سادساً – ويسأل عبد العزيز: كيف يستدل المسيحيّون من العهد القديم على أن الذي صلب هو المسيح لا يهوذا الإسخريوطي؟ يقول :

إنّ المصلوبَ في المزمور الثاني والعشرين يعرّفنا بنفسه فيقول: "أمّا أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر" . ويعلّق فيقول: لقد «وجدنا بحقّ أنّ هذا الوصف لا يمكن أن يكون مقصوداً به المسيح، عليه السلام، الذي لم يكن ليكون إلاّ فخراً للبشر ومجداً لهم، ولا يكون المصلوب هنا عاراً عند البشر إلاّ أن يكون هو يهوذا الإسخريوطي، كما يجري اعتقاد المسلمين وليس المسيح، عليه السلام، كما يعتقد المسيحيّون. فيهوذا هو الذي لحقَ به العار إلى يومنا هذا لخيانته المسيح سيّده» (ص٢٥١).

وفي قول المزمور: "وأحصي مع أثمة" ، يقول عبد العزيز : «هذا القول لا ينطبق على المسيح، بل على يهوذا، إذ يقول الكتاب في الإصحاح نفسه: "أمّا الرّب فسرّ بأن يسحقه بالحزن" . ولا يتصوّر

أنّ الربّ يسرّ بأن يسحق المسيح بالحزن. وإنّما هو يسرّ فعلاً بأن يسحق يهوذا بالحزن جزاءاً وفاقاً لخيانته المسيح سيّده» (ص٢٦٠).

و في أعمال الرسل أيضاً إنّ يهوذا كتب عنه داود في المزامير: "وليأخذ وظيفته آخر"؛ فيقول عبد العزيز: «هذا الكلام قيل عن يهوذا، لأنّه هو الذي قال عنه أيضاً "إذا حوكم فليخرج مذنبا» (ص٢٦٣).

وثمّة مثال آخر هو ما جرى بين إبراهيم وإسحق والكبش الذي افتُدي به. فالمسيحيّون، تارة يرمزون عن المسيح بإسحق؛ وطوراً بكبش الفداء. وهم، إذا ما رمزوا عنه بإسحق عليهم أن يكمّلوا فيقولوا بأنّ اللّه خلّص إسحق، فعليه أيضاً أن يخلّص المسيح. والكبش يكون، بدون شكّ، يهوذا الذي صُلب بدلاً منه. إنّ هذا الخلط «هو في الواقع ليس إلاّ مغالطة لا مزيد عليها، وارتجاج في البحث وأصوله لا حدود له» (ص٢٦٩).

سابعاً– ثمّ يسأل عبد العزيز: كيف لا يستدلّ المسيحيّون من العهد القديم على تخليص اللّه للمسيح وصلب يهوذا بدلاً منه؟ فيجيب:

لنأخذ على سبيل المثال المزمور ٢٠، فهو يتنبأ بكلّ جلاء وقطع، بأن "الربّ مخلّص مسيحه"؛ ويقطع بأن ذلك التخليص سيكون لحظة محاولة القبض على المسيح، بوصفه الأعداء بأنّهم "قادمون بمركبات وبخيول"؛ لا كما يقول المسيحيّون، بأنّ تخليص المسيح كان في يوم القيامة. فالمزمور يتكلّم على التخليص لحظة فيها مركبات وخيول، وليس في القبر (ص ٢٨٦–٢٨٧).

ثامناً – وأخيراً، يسأل عبد العزيز: كيف لم يعرف المسيح نفسه من العهد القديم أنّ اللّه مخلّصه؟. يجيب :

«إنّ اللّه، وقد أراد أن يمتحن إيمانَ مسيحِه، أوحى إليه بأنّه يريد له أن يُصلب. فإذا كان الأمر كذلك، فليس طبيعيّاً أن يعرف المسيح، عليه السلام، مقدِّماً أنّ اللّه مخلِّصُه من الصلب ورافعُه إليه عندما يحاول الأعداء القبضَ عليه، وإلاّ لَفَقَدَ الامتحانُ قيمتَه كامتحان. ولذلك، فإذا كان المسيح، عليه السلام، قد خفي عليه ما تنبّأت به المزامير... فليس ذلك بحالٍ قصوراً في فهم المسيح أو إدراكه، وإنّما لأنّ هذه هي إرادة اللّه لكي يكون للامتحان قيمته ومعناه... تماماً كما لو عرف إبراهيم عليه السلام مقدّما أنّ اللّه لن يدعه يذبح ابنه وحيده الذي يُحبّه. فأي معنى كان سيكون لامتحانه بعد ذلك؟»(ص٣١٧).

«وهنا نتساءل، أي النّاس أحق بأن يستجاب له دعاء أكثر من المسيح؟ وإذا كان ما يقول به الإسلام لا يزيد عن أنّ اللّه قد استجاب هذا الدّعاء، أفلا يكون ذلك هو المتّفق مع كلِّ منطق وكلِّ عقل؟» (٢١٨).

***

يبدو أنّ داعيةَ العصر **أحمد ديدات** يعرف جيّداً أنّ « انتفاءَ الصلب انتفاءٌ للمسيحيّة»[٣١] (ص ١٢).

ويتوجّه إلى المسلم محذِّراً : «يقول لك المبشِّر المسيحي: "نعم. نعم. ولكن لا خلاص لك، لأنّ الخلاص إنّما يتأتّى فحسب من خلال

---

(٣١) **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٨٩؛ ٢٠٨ صفحات.

دم ربّنا يسوع. وكلّ أعمالك الصالحات إنّما هي كثوبٍ رثٍّ. فلا تغترّ به إذ إنّها ليست كافية لخلاصك من العذاب "..

«ماذا نقول كمسلمين إزاء هذا الادّعاء المسيحي؟

«ليست هنالك -في نظري- إجابة أكثر إقناعاً من قوله تعالى: "وَقَولهم إنّا قتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنَ مريمَ رسولَ اللّه. وما قَتَلُوه. وما صَلَبُوه. ولكن شُبِّه لهم. وإنّ الّذين اختلفوا فيه لَفي شكٍّ منه. ما لهم به مِن علمٍ إلاّ اتّباعَ الظنِّ. وما قتلوه يقيناً "[٣٢].

«هل يمكن لأحد أن يكون أكثر وضوحاً، وأكثر تأكيداً، وأكثر يقيناً، وأكثر رفضاً من هذه الإجابة؟ مستحيل.. هذه الإجابة إنّما هي من اللّه.. ولو كان المسيحيّون قبلوا بالقرآن الكريم لما ثارت مشكلة صلْب المسيح. إنّهم يعترضون بتعصّبٍ على تعاليم القرآن، ويهاجمون كلّ شيء إسلامي. إنّهم، كما يصفهم توماس كارلايل Thomas Carlyle: " قد دُرِّبوا على أن يكرهوا محمّداً ودينَه[٣٣] (ص١٣-١٤).

بعد هذا، يذهب دِيدات إلى استعراض نصوص الأناجيل ليكتشف فيها أنّ **عيسى هو نفسه الذي صُلِب، ولكنّه لم يمت.**

أوّلاً - عن ذهاب يسوع وتلاميذه إلى البستان، يسأل :

«لماذا ذهبوا جميعاً إلى ذلك البستان؟ ألكي يصلّوا؟ ألم يكونوا يستطيعون الصلاة في تلك الحجرة العلوية؟ ألم يكونوا يستطيعون

(٣٢) سورة النساء ٤/١٥٧.

(٣٣) They (Christians) have been trained to hate the man Mohamed and his Religion

الذهاب إلى هيكل سليمان، ولقد كان على مرمى حجر منهم؟ وذلك لو كانت الصلاة هي هدفهم؟ كلاَّ! لقد ذهبوا إلى البستان ليكونوا في موقف أفضل بالنسبة لموضوع الدفاع عن أنفسهم!

« ولاحظْ أيضاً أنّ عيسى لم يأخذ الثمانية لكي يصلّوا معه. إنّه يضعهم بطريق استراتيجيّة في مدخل البستان، مدجّجين بالسلاح كما يقتضي موقف الدفاع والكفاح. يقول إنجيل القديس متّى: " ثمّ أخذ معه بطرس وابنَي زبدى.. فقال لهم.. أمكثوا ههنا واسهروا معي ". إلى أين يأخذ بطرس ويوحنا وجيمس؟ ليتوغّل بهم في الحديقة! لكي يصلّي؟ كلاّ! لقد وزّع ثمانية لدى مداخل البستان. والآن على أولئك الشجعان الأشاوس الثلاثة مسلّحين بالسيفَين أن يتربّصوا ويراقبوا وليقوموا بالحراسة! ألصورة هكذا مفعمة بالحيويّة» (٣٤).

ثانياً – ويقول ديدات إنّ اليهود لم يقتلوا المسيح :

«لو نجحوا في قتل أيّ مسيح لكان هذا دليلاً على أنّه دعيٌّ دجّال، لأنّ اللّه لم يكن ليسمح أبداً بقتل المسيح الحقّ، كما ورد بسفر تثنية الاشتراع (١٨/ ٢٠). ومن هنا، أي: لو صحّ قتل اليهود للمسيح فعلاً لصحّ ادّعاءُ اليهود بأنّ عيسَى ليس هو المسيح الذي وُعدوا به» (ص١٥).

ثالثاً – ويقول عن نوم التلاميذ في البستان:

«إنّ نظريّة (لوقا) عن نوم الرّجال بتأثير الحزن إنّما هي نظريّة فريدة. لماذا كانت الظروف المحزنة تسلّم الحواريّين إلى النوم؟ إنّ أساتذة علم النفس يؤكّدون أنّه تحت تأثير الخوف والفزع والحزن، فإنّ الغدّة التي تفرز الأدرينالين وتدفعه إلى مجرى الدم على نحوٍ

طبيعي يطارد ويطرد تماماً النوم. أم أنّه كان من المحتمل أنّ الحواريّين كانوا قد أكلوا كثيراً وشربوا خموراً فأتخمتهم الأطعمة وأسكرتهم الخمر؟» (ص٤٢).

رابعاً – ويقدّم الداعي ديدات، عن حادثة القبض على يسوع، ملاحظات تحت عنوان «ذكاء أم شجاعة»، فيقول :

«تمّ الإمساك بالحواريّين في وضعٍ غير ملائم، كما يقول الإنجيل، أو بالأصح كانوا نائمين. وداس عليهم عدوّهم بأحذية ثقيلة. وكان هنالك جندي واحد من جنود يسوع كان من الصحوِ وتيقُّظِ الذهن، لدرجة أنّه سأل: ".. يا ربّ أنضربُ بالسيف؟» (لوقا ٢٢/٤٩) (ص ٤٤).

و«بينما كانوا يتداولون يسوعَ بين أيديهم ويسوقونه نحو مصيره، أين كان صناديده الأبطال الّذين كانوا يدقّون بأيديهم على صدورهم قائلين: "نحن مستعدّون، يا سيّد، أن نموت من أجلك، ومستعدّون أن نذهب إلى السجن فداءً لك". يقول القديس مرقس، وهو من أوائل من دوّنوا الإنجيل، دون خجلٍ أو وجل، يقول: "فتركه الجميع وهربوا" (١٤/٥٠) (ص ٤٨).

خامساً – وعن إعجاب المسيحيّين بهزيمة معلّمهم، يقول :

قال أحد المسيحيّين: «إنّه يفخر بكلمة "أسلموه"، وينطقها حرفاً حرفاً "أ س ل م و ه"، ممّا يعني أنّها كانت تعني الفخرَ والنصرَ عنده. ولا تعني مرارةَ الهزيمة وعارَها. إنّ الحرفيّين من أصحاب الإنجيل قد ابتدعوا مرضاً جديداً هو الافتتان بالخِسَّة والعار. وكلٌّ منهم، ذكوراً وإناثاً، لن تُعوزهم الحيلة كي ينسبوا خطاياهم وآثامهم

وفُسوقـهم وسُكرهم وعربدتهم إلى هذا المشجب. ويبـدو أنّ الإنسانَ يلزمه أن يكون من حثالة البشـر ليكون عضواً في زمرة "الذين وُلدوا من جديد" born again (ص ٥٠).

سادساً– وعن اسـتجـابة اللّه دعاء يسـوع ساعـةَ الصلب، يتساءل:

«هل أجاب اللّهُ دعاء عيسى؟.. يؤكد القديس بولس أنّ الدعاء لم يقع على آذان صمّاء: "وسمع له[٣٤] من أجل تقواه" (عب ٥/ ٧). ماذا يعني قـوله: "وَسَـمع له"! يعني أنّ اللّه قـد قبل دعـاءه.. كـما سـمع واستجـاب لدعوات أبيه إبراهيم.. وزكريّا والد يحـيى.. وجاء بإنجيل لوقا: "وظهر له ملاكٌ من السماء يقوّيه"» (لو ٢٢/ ٤٣) (ص٧٤).

وأنقذه اللّهُ فعلاً، بسبب :

١. التوكيد المطمئن من السماء.
٢. يجده بيلاطس غيرَ مذنب.
٣. زوجة بيلاطس وفيها تُنبئ بأنّ عيسى يجب ألاّ يمسّه أذى.
٤. لم تقطع ساقاه.
٥. أليهود يتعجّلون إنزاله عن الصليب.

«أَلملحوظة الرابعة "لم يقطعوا ساقـيه" تفيد ما يلي: لو حُفظتْ عظامُ الضحـيّة من الأذى، فإنّهـا تكون نافعـة له فحسب لو ظلّ حـيّاً.

---

(٣٤) يعلّق المتـرجـم: «أي تناقض أوضح من هذا؟ يدعـو يـسـوعُ ربّه أن ينقـذه، وتؤكّد نصـوص الإنجيل أنّ اللّه اسـتجـاب لدعائه. ثمّ يصرّون عـلى أنّه قد مـات على الصليب. وهو منـاقض لاستـجـابة اللّه دعـاء يسـوع أن ينقـذه» (حاشية ١، ص ٧٤).

وبالنسبة لشخص مات فعلاً، فإنّ سلامة عظامه لا تفيده بشيء. وسواء كانت قد قطعت أو هشّمت، فهي لن تفيد الجسم الذي مات» (ص ٧٦). وعندما يقول يوحنّا: "فلمّا جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنّهم **رأوه قد مات**" (يو ١٩/٣٣)، فإنّه يقصد أنّ الجند **قدّروا أنّه مات**، إذ لم يكن لديهم جهاز "استيذوسكوب" حديث للتحقّق من الوفاة، ولا كان أحدهم قد لمس جسده، أو قاس ضغط دمه، أو نبضه، لكي يخلص إلى نتيجة أنّه كان "قد مات فعلاً" (ص ٧٨).

سابعاً – وعن غزّة الرمح والدم والماء، يقول ديدات :

«غزّة الرمح جاءت لتنقذه. وبخروج شيء من الدم استطاعت الدورة الدمويّة أن تستعيد مسارها وعملها وإيقاعها.. وهنا أيضاً يؤكّد يوحنّا بقوله: "وعلى الفور" (يو ١٩/ ٣٤) ممّا يعدّ دليلاً مؤكّداً على أنّ يسوع كان حيّاً» (ص٨٤)

ثامناً – وعن معنى الرعد والكسوف والزلزال، يقول ديدات :

«كان ذلك لتفريق الغوغاء بعد استمتاعهم بيوم عطلة رومانيّة. وكان ذلك لإطلاق يدي الرحمة المتمثّلة في أتباعه المخلصين المسرين لاتجاهاتهم كي يهبّوا لنجدته. وذهب يوسف وقائد المئة الذي كان قد قال: "حقّاً كان هذا الإنسان ابن اللّه" (مر ١٥/ ٣٩)، ذهبا إلى بيلاطس وطلبا جسد يسوع. "فتعجّب بيلاطس أنّه مات كذا سريعاً. فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات" (مر ١٥/ ٤٤). ماذا كان سبب تعجّب بيلاطس؟ كان يعرف، بحكم تجربته وخبرته، أنّ أيَّ رجلٍ لا يمكن أن يموت على الصليب في غضون ثلاث ساعات» (٨٦).

ولذلك ارتاب اليهود في أنّ يسوع ما زال حيّاً.

وفي قوله: "لم أصعد بعد"، يعني لم أمت حتّى الآن. ولمّا سمع الحواريّون أنّه حيّ وقد نظرته مريم المجدليّة "لم يصدّقوا"[٣٥] (ص١٠٢).

وتلميذا عمّاوس لم يصدّقا أنّه هو.. لماذا؟ ما مشكلة أولئك الحواريّين؟ بالتأكيد أنّهم يواجهون يسوعَ بجسمه الحيّ الذي لم يمت، بلحمه وعظمه كأيٍّ منهم. يأكل الطعام متنكّراً، لكنّه ليس ذا طبيعة روحيّة، ولا هو شبح من الأشباح. ولو كانت المجدليّة خبّرتهم عن شبح من الأشباح لكانوا قد صدّقوا. لقد كانوا أناساً من أولئك الذين يصدّقون الأشباح. فهم الذين شاهدوا الأشباح تتلبس الخنازير[٣٦]، ورأوا الأشباح تدخل الأشجار وتصيبها بالجفاف[٣٧]، وشاهدوا "سبعة شياطين" تخرج من المجدليّة[٣٨]. كلّ ذلك كان طبيعيّاً في عصرهم. أمّا يسوع على قيد الحياة؟ ذو طبيعة بشريّة؟ رجل هرب من أربطة الموت؟.. فلم يصدّقوا. ولن يصدّقوا.

١. مريم المجدليّة تشهد أنّ يسوع حيّ!
٢. رفيقا الطريق إلى عمّاوس يشهدان أنّه حيّ!
٣. تقول الملائكة أنّ يسوع حيّ! (لو ٢٤/ ٢٣).
٤. رجلان كانا يقفان قرب النسوة يقولان لهنّ "لماذا تبحثن عن الحيّ بين الموتى؟" (لو ٢٤/ ٤-٥). ومعنى ذلك أنّه حيّ.

ومع كلّ ذلك لن يصدّقوا!!» (ص١٠٤-١٠٦).

---

(٣٥) مرقس ١٦/ ١١.
(٣٦) مرقس ٥/ ١٣.
(٣٧) مرقس ١١/ ٢٠.
(٣٨) مرقس ١٦/ ٩.

عاشراً – ويقول الداعي ديدات عن الأبواب المغلقة في العلّيّة :

« وبينما كـان تلميذا عـمّاوس يخبـران المستمـعين المتشكّكين أنّهمـا قد قابـلا يسوع بجسـمه الحي، يدخل يســوع، وتُقفل الأبواب خوفاً من الـيهود.. ولكن، لماذا استغـرق عيسى وقتـاً طويلاً جداً لكي يصل إلى الحــجـرة العلويّة.. تأخّـر في المجيء. وهذا يذكّـرنا بحكاية الأرنب والسلحـفـاة. هل كان من الممكن أن يـكون يداوي جراحَـه في الطريق؟

«ولم يستطـع لوقا ولا يوحنا ممّن سجّلـوا وقتَ زيارة يسوع لتلك الحجرة العـلويّة أن يقولا إنّه ببسـاطة تسرّب مـن ثقب المفتاح، أو من شـقــوق الجـدار. ولكن، لماذا يضنّـان علينا بمثل هذه المـعلومـة الحيويّة؟ ألسببُ في ذلك أنّه لم يحدث تسرّب.

« إنّ الحــجرة العلويّة كـان لها أكـثر من مـدخل. «والضيـوف الشرقيّون لا يدقّـقون ويحملقون في الممرّات والحجرات لمضـيفيهم.. ويسوع لم يكن غـريباً على المنزل. كـان كواحد من أهل منزل تلمـيذه الذي يحبّه (؟!)[٣٩]. ولم يكن بحاجة إلى أن يقرع الباب ويزعج أناسَه. وكانت هناك أكـثر من طريقـة للدخول. ولمّا " قال لهـم: سلامٌ عليكم.. جزعوا وخافـوا " (لو ٢٤/٣٦–٣٧)، لظنّهم أنّ يسوع مات؛ لأنّهم «قد علموا سماعاً أنّه قُتل بتثبـيته على الصليب. وعرفوا عن طريق السماع أنّه كان قـد أسلم الرّوح، وأنّه قد توفّي.. معرفـة ناتجة عمّا كـانوا قد سمعوه! لأنّ واحداً منهم لم يكن هنالك ليشـاهد ويشـهد ما كان يحدث في الحقيقة» (ص١٠٨–١٢٠).

---

(٣٩) يظن الكاتب أنّ الحجرة كانت ليوحنّا الرّسول؛ فيما هي ليوحنّا مرقس.

حادي عشر – وأخيراً، يذكر الداعي ديدات عاملَ الوقت. هل هو ثلاثة أيام وثلاث ليال؟ يقول:

« معظم المسيحيّين يعتقدون أنّ ذلك قد تمّ يوم الجمعة بعد الظهر، منذ قرابة ألفَي عام مضت... ومن المفروض أنّه كان بداخل المقبرة يوم السبت وليل يوم السبت. ولكن صباح يوم الأحد، عندما زارت مريم المجدليّة المقبرة وجدتْها خاوية خالية... فيكون «مجموع الوقت: يوم واحد وليلتان. وحاول ما استطعتَ، لن تجدَ أبداً ثلاثة أيّام وثلاث ليال.. وحتّى أينشتاين، أكبر أساتذة الرياضيّات، لا يجدي نفعاً في هذا» (ص١٤٤-١٤٩).

***

وفي نهاية جولتنا مع داعي العصر أحمد دِيدات ننقل عنه ملخّصاً لنظريّته. فله « **موجز سريع للنقاط** تؤكّد بأنّ عيسى "لم يُقتل ولم يُصلب"، لكنّه كان **حيّا**. يقول:

١. كان عيسى حريصاً ألاّ يموت. وكان قد اتّخذ ترتيبات لذلك، لأنّه كان يريد أن يبقى **حيّا**.

٢. تضرّع عيسى إلى اللّه كي ينقذه، ليحفظ حياتَه ليبقى **حيّا**.

٣. يسمع اللّهُ دعاءه.. واستجاب اللّه لدعائه أن يظلّ **حيّا**.

٤. نزل إليه أحد الملائكة ليشدّ أزره. وكان ذلك بإعطائه الأمر بأنّ اللّه سينقذه ليبقى **حيّا**.

٥. يجد الحاكم الروماني بيلاطس أنّه ليس مذنباً. وهو سببٌ قويٌّ لإبقائه **حيّا**.

٦. ترى زوجــة بيلاطس حلمــاً ينبئــها أنّه لا يجب أن يلحق أذى بــهذا الرجل العادل..، ليظلّ **حيًا**.

٧. ألزعم بأنّه بقي على الصليب ثلاث ســاعــات فقط..لا يمكن أن يكون قــد مات في مــثل هذا الوقت القــصيــر حتــى لو كان قــد ثبت على الصليب. كان **حيًا**.

٨. رفيقا صلبه على الصليب ظلّ كلٌّ منهمــا حيّاً. ولذا فإنّ عيسى، في ذات مدّة البقاء على الصليب، ظلّ **حيًا**.

٩. تقول أنسيكلوبيديا الإنجــيل تحت عنوان "الصليب" أنّه عندما غُزّ يسوع بالرمح فإنّه كان **حيًا**.

١٠. فور ذلك خرج دمٌ وماء. وكانت تلك علامةً ودليلاً يؤكد أنّ عيسى كان **حيًا**.

١١. ألساقــان غيــر مقطوعــتَين -تحقــيقــاً للنبوءة- والســاقان غــير المقطوعتَين يكون لهما نفعٌ عندما يكون عيسى **حيًا**.

١٢. ألرعــد والزلزال والكســوف في غــضــون ثلاث ســاعــات لإلهــاء الجمهــور المتطفّل، وليتمكّن أتبــاعُه السرّيّون من مســاعدته في أن يظلّ **حيًا**.

١٣. أليهود ارتابــوا في تحقّق موته. شكّ اليهود أنّــه قد نجا من الموت على الصليب، وأنّه كان لا يزال **حيًا**.

١٤. بيلاطس "يعجب" أن يسمع أنّ يسوع كان ميتاً. لقد كان يعرف، بالتــجربة، أنّه لا أحــد يموت بسرعــة هكذا على الصليب، وظنّ أنّ يسوع كان **حيًا**.

١٥. حجرة ضخمة فسيحة كمدفن، قريبة في متناول اليد، ضخمة جيّدة التهوية، بحيث تشجّع يدَي المساعدة كي تأتي للنجدة. وامتدّتْ يدُ المساعدة ليظلّ **حيًا**.

١٦. ألحجر على باب المقبرة، وملاءة الكفن أُزيلا. وهو ما يلزم حدوثُه فحسب عندما يكون **حيًا**.

١٧. تقرير عن الملاءة المطويّة. أكّد علماء ألمان، من خلال تجارب معيّنة، أنّ قلبَ يسوع لم يكن قد توقّف عن العمل. أي أنّه كان لا يزال **حيًا**.

١٨. أتنكرٌ في الأبديّة؟ ألتنكّر يكون غير ضروري لو كان عيسى قد بعث بعد موت. لكنّه ضروري في حالة واحدة فقط، عندما يكون **حيًا**.

١٩. ويمنع مريمَ المجدليّة أن تلمسه، بسبب أنّ لمسَه، ولم تكن جروحُه قد التأمت، يسبِّب له ألماً، لأنّه كان **حيًا**.

٢٠. قوله: "لم أصعد إلى أبي بعد"، يعني: "لم أمتْ بعد"، أي إنّه كان **حيًا**.

٢١. ولم تخفْ مريم المجدليّة عندما تعرّفت عليه، لأنّها كانت قد شاهدت علامات الحياة فيه، عند إنزاله عن الصليب. كانت تبحث عنه **حيًا**.

٢٢. يتحجّر الحواريّون هلعاً عند رؤية يسوع بالحجرة. كلّ معلوماتهم عن حادث صلبه إنّما كانت بالسماع. ولم يكن أحدهم شاهدَ عِيان، حيث كانوا قد خذلوه جميعاً وهربوا. ولذلك لم يستطيعوا أن يصدّقوا أنّ عيسى كان **حيًا**.

٢٣. أكلَ الطعام مرّة إثر مرّة عند ظهوره بعد عمليّة الصلب. والطعام ضروريّ فقط عندما يكون **حيًا**.

٢٤. لم يظهر نفسَه أبداً لأعدائه، اليهود، لأنّه كان قد هرب من الموت على يديهم بشقّ النفس. وكان لا يزال **حيًا**.

٢٥. قام بجولات قصيرة: ألأماكن التي تحرّك إليها بعد الصلب معروفة بأنّها في نطاق ضيّق؛ لأنّه لم يكن قد بُعث من بين الموتى كروح، لكنّه كان لا يزال **حيًا**.

٢٦. وشهادة رجالٍ بجوار المقبرة، حيث قالوا: "لماذا تبحثون عن الحيّ بين الموتى" (لو ٢٤/ ٤-٥). ومعنى ذلك بوضوح أنّه لم يكن ميتاً. كان **حيًا**.

٢٧. وشهادة ملائكة: الذين قالوا إنّه كان **حيًا** (لو ٢٤/ ٢٣).

٢٨. ومريم المجدليّة تشهد بأنّها رأته. وهي لم تكن تبحث عن عفريت أو شيطان أو روح. وإنّما كانت تبحث عن "يسوع حيًا". ولكنّ الحواريّين عجزوا أن يصدّقوا أنّ معلّمهم كان **حيًا**.

٢٩. ويشهد الدكتور بريمروز Primrose أنّ الدم والماء، عند طعن جنب يسوع بالرمح، إنّما كان بسبب الإرهاق العصبي للأوعية الدمويّة من جرّاء الضرب بالعصي الغليظة. وهو ما يعتبر علامة مؤكّدة تدلّ على أنّه كان **حيًا**.

٣٠. تنبّأ عيسى أنّ معجزته ستكون مثل معجزة يونان.. فإنّ يونان كان حيّاً بينما كان المتوقّع أن يكون ميتاً. وبالمثل إذ يُتوقع أن عيسى كان ميتاً، فإنّه كان **حيًا**» (ص ١٦٢-١٦٨).

***

د. مصطفـى شاهين، ينكر مـوت المسيـح على الصليب إنكاراً جازماً، ويعتبر أنّ ما تعرّض له يسوع، وهو على الصليب، **حال إغماء**، لا أكثـر ولا أقلّ. وهو يقدّم البـراهين من نصوص الأناجـيل نفسـها. وهو، بالتالي، ينكر أنْ يكونَ هنالك بديلٌ شبـيهٌ بالمسيح صُلب مكانه. وأدلّته عـلى ذلك كثـيرة[٤٠]، جلّهـا مأخـوذ من الداعي أحمـد ديدات. نختصرها كما يلي:

١. تسرّع اليهود في إنزاله من على الصليب، وهو قد علّق من الساعة ٦-٩ مـسـاءً، أي فـي آخر النهـار. يعني لم يكـن له الوقتُ الكافي ليموت؛ حتّى إنّ بـيلاطس "تعجّب أنّه مات كذا سريعـاً، فدعا قائد المائة وسأله: هل له زمان قد مات؟"[٤١].

٢. وبما أنّ كسر الساقين لم يتم لينزف المصلوب سريعاً، فهو لم يمت إذاً بطريقة الصلب السـريعة. لهذا حدثت له إغمـاءة طويلة. وكسر الساقَين، بالنسبـة إلى شخصٍ مات فعلاً، أو سيـموت فعلاً، هو لا يفيده. ولكن، بالنسبة إلى شـخصٍ حيٍّ، فقد يميته.

٣. ثمّ، لمّا أُنزل، قام بـعمليّتَي الغـسل والتكفين يهوديّان مـؤمنان به، همـا يوسف الرّامي ونيقـوديموس، اللّذين حـملا "الجـسمَ"، لا الجثّة، ووضعاه في قبـر جديد منحوت في صخر، يخصّ يوسف الرّامي.

٤. هذا القبـر غرفة واسعـة، فيها مـن الهواء والأوكسيـجين ما يكفي لاستمراريّة التنفّس والحياة.

---

(٤٠) **النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة.**

(٤١) كما جاء في مرقس ١٥/ ٤٤، بحسب رأي الدكتور شاهين.

٥. ولمّا جاءت المجدليّة في الصباح الباكر، ومعها حنوط وأطياب لتدهنه. والسؤال هنا: تدهن جسمَ ميت، أم جسماً كانت تعتقد أنّه ما زال حيّاً؟ ألجواب جسم حيّ.

٦. مريم المجدليّة لم تجد المسيح في القبر. نظرتْ حولها فإذا رجل يقف فظنّته البستاني؛ أي يوسف الرّامي صاحب البستان، الذي، بعد أن وضعه في القبر، انتظر إلى أن تهدأ الحركة، وتسلّل في جنح الظلام إلى المقبرة، وأزاح الحجر، ودخل المقبرة، وأخرج يسوع منها، لأنّه كان حيّاً لم يمت، بل مغمىً عليه، وألبسَه ملابس تشبه ملابس البستاني، حتى لا يعرفه اليهود. ولو كان مات حقّاً ثمّ قام لما كان عليه أن يخاف الموت، لأنّ الذي يموت مرّة لا يموت مرّة ثانية.

٧. فسألته: "يا سيّد! إنْ كنتَ أنتَ حمَلتَه فقل لي أين وضعته"؟ إنّها لا تبحث عن جثّة. ثمّ استعملت كلمة أين "وضعتَه"، ولم تقل أين "دفنتَه"، لأنّها تعلم أنّه ما زال حيّاً.

٨. ثم قالت: "وأنا آخذه". هذا التعبير له معنى مهمّ جدّاً: تأخذه أين؟ تأخذه معها؟ لا. بل تأخذ حيّاً. وذلك لإحساسها ولمعرفتها بأنّه حيّ.

٩. وفي قوله لها: "لا تلمسيني"، معناه: أنّها لا تلمسه، لأنّ به جرحاً سبّبتْه وخزةُ الرّمح عندما وخزَه اليهود به، وهو معلّق على الصليب... فسبّبتْ جرحاً خرج منه ماء ودم. وإذا لمستْه وهو بعد لم يكتمل الشفاء، فإنّ ذلك يؤلمه.

١٠. وفي قوله: "لم أصعد بعدُ إلى أبي"، أي: لم أمتْ.. لم تصعد روحي إلى اللّه.

١١. ولمّا أخبرت المجدليّة الرسل بأنّها رأت المسيح لم يصدّقوا. وكذلك تلميذا عمّاوس لمّا جاءا وأخبرا الرسل لم يصدّقوا أيضاً.. وذلك لأنّ الرسل كانوا يظنّون أنّ ظهور المسيح سيكون روحيّاً لا جسديّاً. ولمّا أكّدت المجدليّة وتلميذا عمّاوس أنّهم رأوه جسديّاً، لم يصدّقوا لأنّهم رأوه قد مات على الصليب.

١٢. ثمّ لمّا حضر فيما بينهم يأكل ويشرب تأكّدوا أنّهم يرون جسداً لا روحاً. وهو أكبر دليل على أنّه كان ولا يزال حيّاً، لأنّ الروح لا تأكل.

١٣. ثمّ لمّا أراهم يديه ورجليه وأثرَ المسامير صدّقوا أنّه هو هو. وذلك لأنّ الروح ليس له لحم وعظم. ويسوع نفسه قال: "ليس للروح لحم ولا عظام". فهو، إذاً لم يمتْ، بل بقي حيّاً.

١٤. وخير دليل على ذلك مَثَلُ يونان الذي أعطاه يسوع عن نفسه. ومؤدّاه أنّ يسوع لم يمت قبل دخول القبر ولا وهو في القبر، تماماً كما لم يمت يونان قبل دخوله بطن الحوت، ولا وهو في بطنه. وبما أنّ يونان خرج سليماً معافىً ببدنه هو هو.. فالمتوقّع إذاً أن يخرج المسيح من القبر سليماً معافىً هو هو.. وإذا قلنا إنّه دخل القبر ميتاً، وبقي في القبر ميتاً لمدّة ثلاثة أيّام، فكيف يكون إذن مشبهاً ليونان؟

١٥. لو صحّ قتلُ اليهود للمسيح فعلاً لصحّ ادّعاؤهم بأنّ عيسى ابن مريم ليس هو المسيح الذي وُعدوا به. وهو الرفض الخالد الدائم الذي لا يكفّون عنه.

١٦. بكاء المسيح ليلة القبض عليه، وتضرّعه بكلّ لجاجة، ثمّ ظهور الملاك له بعد ذلك ليشجّعه، أليس في هذا دليل على أنّ اللّه تعالى

قد استجاب لدعواته، وعَبَر عنه الكأس كما كان يدعو، أي نجّاه وجعله لم يشرب كأس الموت..

١٧. واللّه "سمع له"، لأنّ ملاكاً ظهر له من السماء يقوّيه؛ ولأنّ بيلاطس وجدَه غيرَ مذنب؛ ولأنّ زوجة بيلاطس رأتْ رؤيا فيها أنّ عيسى يجب ألاّ يمسّه أذى؛ ولأنّ ساقَيه لم تقطعا؛ ولأن اليهود عجّلوا فطلبوا إنزالَه عن الصليب.

١٨. ثمّ إنّ خروج الماء والدم من جنبه دليل على أنّه كان حيّاً.

١٩. حدوث رعد وكسوف شمس وزلزال كان ذلك لتفريق الغوغاء.. ولإطلاق يدي الرحمة المتمثّلة في أتباعه المخلصين الذي هبّوا لنجدته (ص ٨٨-٩٧).

٢٠. وثمّة دليل من المزامير. يقول المزمور ٢٠: "ألآن عرفتُ أنّ الرّبَّ مخلّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه".

٢١. ثمّ يسأل النصارى: مَن كان يقوم برزق الأنام والأنعام في أيّام صلب المسيح ودفنه ثلاثة أيّام؟

٢٢. ويقال لهم: إماتة المسيح حكمةٌ أو سفه؟ فإنْ قالوا حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير، لإعانتهم على الحكمة وفعلهم لها. وإن قالوا سفه نسبوا الربّ تعالى إلى السفه. وهو كفر» (ص ١٠٢).

***

سليم الجابي، منذ مقدّمة كتابه[٤٢]، يسأل: «هل أفلح اليهود حقّاً في إماتة المسيح على خشبة الصليب؟» للتوّ يجيب باعتزازٍ، وكمن اكتشف اكتشافاً لم يسبقْه إليه أحد، فيقول:

«بعد العودة إلى القرآن الكريم والأناجيل المعاصرة بحثاً وتمحيصاً، وإلى ما أورده المؤرّخون والمفسّرون، فقد تجمّعت بين يديَّ خيوطُ حقيقةٍ غابتْ عن اليهود، وعن المسيحيّين أنفسهم، وعن المفسّرين المسلمين وعلماء المسلمين». ويضيف: «وما كانت هذه الخيوط لتقع في يديّ، وما كانت تلك الحقيقة لتتجلّى لعينيّ، لو لم أتجرّد عن كلِّ ما هو موروثٍ، ولو لم أبحث بأسلوب موضوعيّ وعلميّ» (ص ٨).

والأدلّة التي يعطيها السيّد الجابي يأخذها من فم المسيح نفسه، الذي تنبّأ عن «واقعة محاولة صلبه التي عرضت له، وهو في سنّ الثالثة والثلاثين من عمره، تنبّأ عن أنّها ستقع، وينقذه ربُّه من شرورها، ويُخرجه منها سالماً. فهو تنبّأ بقوله: "جيلٌ شرّير فاسق يلتمس آيةً، ولا تُعطى له إلاّ آية يونان النّبيّ" (متّى ١٦/ ٤). ويونان هو الذي ابتلعه الحوت وهو حيّ، ولفَظَه بعد أيّام وهو حيّ أيضاً... والمشابهة بين عيسى ويونان هي «في تعليق المسيح على الصليب، وهو حيّ، وفي إنزاله عنه، وهو حيّ أيضاً. أي إنّ النبوءة أشارت بوضوح إلى عدم موت المسيح الناصري على الصليب» (ص ١٠).

ويؤكّد الجابي في مكان آخر: «ألمراد من النبوءة مشابهة حادثة صلب المسيح من حيث دخول يونان بطن الحوت حيّاً وخروجه منه

(٤٢) **هل مات المسيح على الصليب؟** سلسلة سليم الجابي، ٩؛ دمشق، ١٩٩٥.

حيّاً. إشارة إلى أنّ المسيح الناصري لن يتمكّن اليهود من إماتته على خشبة الصليب» (ص ٧٠).

وفي مكان آخر أيضاً يعلّق على (لوقا ١١/ ٢٩)، فيقول: «إنّ المقصود من نبوءة واقعة الصليب لم تكن المدّة التي مكثها يونان في بطن الحوت؛ بل دخول يونان بطن الحوت حيّاً، وخروجه منه حيّاً وسالماً ليس إلاّ. وهذه إشارة من هذه النبوءة إلى أنّ المسيح الناصري لن يتمكّن اليهود من إماتته على خشبة الصليب» (ص ٧٥).

* وفي تعليقه على (يوحنا ١٩/ ٣٨)، حيث الكلام على زيارة النسوة القبر ووجوده فارغاً، يقول: «لا بدّ أن يكون (الناصري) غادر قبره خلال ساعات فقط من إدخاله إليه؛ لأنّه كان **مُخَدَّراً**.. وهكذا فإنّ نبوءة يونان تتوافق مع الطرح القرآني، وتشير إلى أنّ المسيح الناصري لم يمت على الصليب؛ وأنّ اعتقاد اليهود والنصارى موتَه عليه كان **ظَنِّيًا**، وإلاّ فما قتلوه يقيناً، وكان نبيّاً صادقاً ومن المقرّبين» (ص ٧٧-٧٨).

* وفي تعليقه على شرب يسوع المصلوب خَلاً، يقول السيّد الجابي: «إنّ ما زعمه متّى خَلاً لم يكن، في حقيقته، إلاّ ذاك المزيج من الخلّ والمرارة نفسه. هذا المزيج الذي كان الأطبّاء الجرّاحون يستعملونه في ذاك التاريخ كمادّة تخدير للمرضى.. وإلاّ فلا يُعقل أن يحملَ أحدُ المتفرِّجين مزيجاً من خمرٍ ومرارة، ولا يقوم صاحبُ هذا المزيج بالإقدام على سقاية المسيح، وهو يصيح، تخفيفاً له من آلامه.

* وتعليقاً على قول المسيح: " ولي خراف أُخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي وتكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد» (يوحنا ١٠/ ١٦)؛ يقول السيّد الجابي:

«هذه الأقوال تعدُّ قرينة واضحة على أنّ المسيح الناصري، إنْ مات على الصّليب، فلا يعود قادراً على الهجرة لتبشير جميع الخراف الضالّة التي ليست هي من حظيرة فلسطين» (ص ١٠٧).

* وتعليقاً على موقف بيلاطس الرّافض صلبَ يسوع، يقول الجابي إنّ لبيلاطس مصلحة حقيقيّة في إفشال مخطّط اليهود لإماتة يسوع. وذلك للأسباب التالية:

«**أوّلاً** – على بيلاطس تنفيذ القانون الروماني الذي لا يدين المسيح الناصري بأيّ شكلٍ من الأشكال. فهو تيقّن أنّ القانون لا يدين المسيح بل يبرِّئه ويُطالب بالإفراج عنه. وهو مسؤول عن ذلك تجاه الأمبراطور الذي عيّنه والياً على فلسطين...

«**ثانياً** – ثمّ إنّ اليهود أهانوا بيلاطس يوم هدّدوه.. قائلين: "إنْ أطلقتَ هذا فلستَ مُحِبّاً لقيصر"... وبيلاطس، تجاه هذه الإهانة، لا يستطيع إنقاذ كرامته إلاّ إذا وضع خطّةً لإنقاذ المسيح الناصري خلافاً لمشيئة اليهود الغوغاء...

«**ثالثاً** – ثمّ إنّ الرؤيا المرعبة التي رأتها زوجة بيلاطس والتي استيقظت من نومها فأرسلت إلى زوجها تخبره وتحذّره من محاولة إيذاء المسيح البارّ، كما سمّته هي. لا بدّ أن تكون هذه الرؤيا قد أثّرت على بيلاطس.. ولا بدّ أن يكون قد سيطر على بيلاطس، من جرّاء هذه الرؤيا، هاجسٌ راح يدفعه لينقذ المسيح من الموت على الصليب بكلّ وسيلة يملكها» (ص ١١٨-١١٩).

ويستنتج الجابي: إنّ القرآن لم يقل غير ذلك، وهي: «مطابقة مضمون هذه النبوءة للطرح القرآني، وهو أنّ المسيح النّاصري أُنزل

عن الصليب حـيّـاً، فلم يمت على خـشـبـة الصليب. وهذا أوّل خـيط لصالح الطرح القرآني» (ص ١١).

* وثمّة برهان آخر على «إنزال المسيح عن الصليب حيّاً»، وهو أنّ «بيلاطس اختطّ مسارَين اثنَين: ألظاهر منهمـا يشير إلى استجابته لرغبـة اليهـود (في صَلبه)؛ والباطـن والخفيّ منهمـا يساعـد المسيح لإنقاذه من الموت على خشبة الصليب... وقـد كان بيلاطس حذراً أشدّ الحذر في تنفـيذ خطّتـه تلك. فلم يفطن اليهـود لها. واعـتقدوا، وفـقاً لظواهر الأحـــداث، أنّهم تمكّنـوا من تعليق المســيح الناصـــري على الصليب وإماتته عليه...

وقـد أدّى حذر بيـلاطس الشـديد وحرصُـه على ألاّ تنفـضح خطّتُـه، أدّى إلى وقوع أتبـاع المسـيح، القلائل الـعدد والبـسطاء، إلى وقوعـهم في أحبولة الأغلوطة الـتي وقع فيهـا اليهود أنفـسهم. وظنّ هؤلاء، كمـا ظنّ اليهـود، أنّ معلّمـهم المسيح الـناصري قد مـات على خشـبة الصليـب. والمهمّ في الأمر هو... وجـود خطّة مُبَـيَّتَةٍ مـن قِبَلِ الحاكم الرومـاني بيلاطس، ألغرض منـها إنقاذ المســيح الناصري من محنتـه وعدم إمـاتته على الصليب. إنّ هذا الكشف وهـذه الخطّة جاءا في صالح الطرح القرآني وليس ضدّه» (ص ١١-١٢).

* ويعتزّ السـيّد الجابي مفتـخراً بما توصّل إليه من تحقـيقاتٍ تاريخيّة وأبحاثٍ علميّة في كتابه، فيقول: «والذي كشفتُ فيه عن عدم مـوت المسيح النـاصري على الصليـب لن تُعرف قـيمتـه على المدى القريب، لهـيمنة أصحاب العـقل التقليدي على أتبـاع الديانات الثلاث اليهوديّة والمسـيحيّة والإسـلام.. إنّما سيؤتي أُكُله على المدى البـعيد» (ص ١٦).

الأقطار، ونشر تعاليم التسامح والسلام هناك بين الشّتات من الأسباط الإسرائيليّة التي سبق أنْ كانت قد اختلطت بأتباع بوذا...

«فما خطر لأحدٍ من هؤلاء الباحثين.. أنّ تعاليم المسيح النّاصري قد تركت بصماتها على البوذيّين وليس العكس» (١٥٢-١٥٣).

والدليل الثابت على هجرة المسيح إلى خارج وطنه يأتي من معنى اسمه. يقول الجابي: « إنّ كلمة "المسيح" اشتُقّت من السياحة أصلاً. ولا يُسمّى إنسانٌ سائحاً ما لم يُغادر وطنَه إلى غيره من الأوطان» (١٥٦).

فعلى المسيحيّين، إذاً، نتيجة لذلك، أن «يتلمّسوا آثار أقدام مسيحهم المباركة في أعالي جبال نيبال والتّبت وكشمير.. فتتضح لأعينهم الحقيقة ناصعة البياض» (ص ١٥٦).

***

أمّا **نبيل الفضل**[٤٣] فيقول: إنّنا «نجد القرآن يقول: إنّ عيسى لم يصلب ولم يُقتل، وإنّه إنّما شُبِّهَ للناس ذلك... ومفسّرو القرآن يقولون: إنّ اليهود صَلَبوا شخصاً يشبه عيسى.. والذي حيّرني هو السؤال الآتي:

«هل من المعقول أن يخطئ اليهود فيعتقلون ويطلبون ويقتلون إنساناً آخر لمجرّد أنّه يشبه عيسى؟ لم أقتنع بقصّة الشبه هذه» (ص٥٩).

---

(٤٣) **هل بشّر المسيح بمحمّد؟** رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠.

فنبيل الفضل يعترف بالصلب إذاً. ولكنّ عمليّة الصلب هذه لم تكن سبباً للموت. **المسيح هو نفسه الذي صُلب**، وليس سواه. يقول :

«ألغالبيّة يعتقدون أنّ سبب الموت على الصليب هو النزيف الدموي الذي يحدث بعد دقّ المسامير في راحة يد المصلوب وفي قدمَيه. ولكن الحقيقة الطبّيّة التي لا خلاف عليها، والتي يستطيع القارئ أن يتأكّد منها بسؤال أيّ طبيب يثق فيه، هي أنّ السبب في موت المصلوب هو اختناقه» (ص٧١).

ثمّ «كيف عرف كتبة الإنجيل أنّه مات في تلك اللّحظة، وهم لم يكونوا موجودين حوله عندئذ؟ بل كيف عرف الناس من حوله أنّه مات؟ هل جسّوا نبضه فلم يجدوه؟ هل استمعوا لدقّات قلبه وأنّها توقّفت؟ هل وضعوا مرآة تحت أنفه ليروا أنّه ما عاد يتنفّس؟ ألطبُّ والعلمُ والشرعُ العصري لا يكتفي حتّى بهذه الشواهد. بل إنّه يصرّ على أنّ الإنسان حيّ ما دام هناك تيّار كهرومغناطيسي في دماغه. فهل قاس المتواجدون ذلك التيار فلم يجدوه؟

«كلّ ما فعله المسيح أنّه نكّس رأسَه. وتنكيس الرأس ليس دليل الموت. وارتخاء العضلات وتوقّف الحركة ليس دليل الموت. ربّما كان الرجل في غيبوبة بعد هذا التعذيب والجلد والصفع والإهانة.

«... والقوم كانوا على عجلة من أمرهم لأنّ يوم الغد يوم سبت عظيم بالنسبة لهم. فلم يشاءوا أن يطول التعذيب، لا لرحمةٍ في قلوبهم، ولكن، لأنّهم مستعجلون على الانتهاء من ذلك الموضوع للتفرّغ للاستعداد لليوم الثاني الذي هو يوم سبت عظيم ومقدّس.

«ومع أنّ عمليّة الصلب لم تستمرّ سوى ساعات قليلة. إلاّ أنّهم

اكتفوا من تعذيب المسـيح وإهانته وأرادوا له أن يموت سريعاً: «فأتى العسكر وكسروا ساقَي الأوّل والآخر المصلوب معه. وأمّا يسوع، فلمّا جاءوا إليـه، لم يكسروا سـاقيه، لأنّهم رأوه قـد مات" (يو ١٩/٣٢-٣٣).

«كيف عرف العسكر أنّ يسـوع قد مات؟... ولكنّ دماً خرج من الجرح "للوقت". وهذا هو الدليل على أنّ المسيح كـان حيّاً عندما ظنّه الآخرون ميتاً... خروج الدم "للوقت" من جسد المسيح هو شهادة ما بعدها شـهادة على أنّ المـسيح كان حيّاً عندما ظنّ الآخرون واشـتبهوا أنّه ميت» (ص٧٤-٧٦).

* ثمّ إنّ «كلمة "شبّـه لهم" لم تكن تعني أنّه كان هناك إنسان شبيـه بعيسى، عليـه السلام، وصَلَبَه اليهـود ظنّاً منهم بأنّه المسيح... بل إنّها تعني أنّهم **اشتبـهوا في موته**، ولم يتيـقّنوا من موته. ولذلك تنتهي الآية بقوله سبحانه وتعالى: "وما قتلوه يقيناً"[(٤٤)].

وما حدث من ظواهر طبيعـيّة، «من انكسـاف للشمس، وزلزال في الأرض، جـعل الناسَ في عـجلة من أمـرهم للذهـاب إلى منازلهم، بالإضافة لاستعجالهم أصلاً للاستعداد ليوم السبت العظيم في اليوم التالي. فـما كان لـهم أن يدقّقوا ويتـيقّنوا من مـوت المسيح. واكتـفوا بالمشاهدة، لا بالفحص والتأكّـد من الموت. في حين أنّ المسيح كان في حالة إغماء لا أكثر. وقد كـان حيّاً دلّ على حياته ودقّات قلبه ذلك الدم الذي خـرج "للوقت" من الجـرح الـذي سـبّبـتـه طـعنة العـسكري الروماني له بالحربة» (ص٧٦-٧٧).

---

(٤٤) سورة النساء ٤/١٥٧.

* والقبر أيضاً يسمح لنا بإنكار الموت. قال الفضل :

«إنّ اليهود كانوا يضعون الجسد الميت في تجويفٍ منحوتٍ في الصخر، ثم يغلقون عليه حجراً، ويسمّونه قبراً أو ناووساً. وهذا التجويف في الصخر عادة ما يكون واسعاً ليسمح لحاملي الميت بالدخول والحركة. ومن ثمّ، فإنّ هناك اتساعاً وهواءً يكفي لتنفّس الإنسان إذا كان موجوداً هناك بعد إغلاق باب التجويف بالحجر.

«فمن ثمّ، فإنّ المسيح، إذا كان في حالة إغماء، عندما نقلوه لذلك القبر، فإنّه وُضع في مكان يُسمح له بالاستمرار في التنفّس والحياة. ولو انّ المسيح قد دفن دفناً في قبر كقبورنا لكان موته حتماً، حتّى وإنْ كان حيّاً قبل أن يُهال عليه التراب» (ص ٧٩).

* وقصّة الطيوب التي اشترتها المجدليّة هي أيضاً فيها نظر، يقول: «ترى في أي تقاليد أو شعائر أو عادات، وفي أي شعوب أو أمم، نجد فيها الناس يدهنون الميت بالحنوط بعد وفاته ودفنه بثلاثة أيّام؟!

ثم «إنّ جسم الميت يكون متصلّباً ومتآكلاً من الداخل بعد مرور يوم واحد على الأكثر. ممّا يعني أنّ ذلك الجسد سوف يكون من الصلابة بحيث لا تستطيع امرأة أو نسوة أو رجال من غسله ودهنه بالحنوط بعد تلك الفترة الطويلة.

«إذن، فمريم المجدليّة، إمّا أنّها كانت جاهلة مجنونة، وإمّا أنّها ما أتت لتدهن جسداً ميتاً، بل إنّها أتت لتدهن جسد إنسانٍ جريح، عانى من ضربات السياط والجَلد، ووهن جسمه من التعذيب» (٨٣).

* « " لا تلمسيني. لأني لم أصعد بعد إلى أبي " (يو ٢٠/١٧)، أي إنّني لم أمت وانتقل إلى رحمة الله بعد. فأنا حيّ. والحيّ يحسّ

الجراح، ويتألّم من ملامستـها. «ها هو المسيح نفسه يقرّ بأنّه لم يمت. يقرّها بطلبه من المجدليّة بأن لا تلمسه. ولو كان المسيح قد قام من الأموات لما همّه أن تلمسه مريم المجدليّة وأن تحضنه، لأنّه سوف لن يحسّ بألم الجراح في جسده عندما تلمسه أو تحضنه» (٩٥).

***

أمّا **الدكتور أيّوب**، بمحاولته التوفيقيّة، يفسّر تفسيراً شخصيّاً لم نجدْه عند مسلم سواه. فهو يعترف بأنّ المسيحَ نفسَه صُلب ومات. ويقرّ بأنّ معنى "شُبِّه لهم" أي اشتبه عليهم الأمر، ولم يعودوا يميّزوا مجريات الأحداث. وبالتالي، فإنّ القرآن لا يجزم، لا بصلبِ المسيح ولا بعدم صلبه. يقول الدكتور :

«إنّ القرآن لا يهتمّ بقضيّة الصلب، كما أنّه لا ينفي ولا يثبت صلب المسيح. أنا أفهم "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم" (٤/ ١٥٧)، على أساس أن "شُبِّه" تعني اشتبه عليهم الأمر، وليس بمعنى أنّ المسيح نفسه شُبِّه لهم كما قال "المشبِّهة" في المسيحيّة»[٤٥] (ص٦٥).

***

أمّا **عبد المجيد الشرفي**، ألباحث بامتياز في ردود المسلمين، فيقول في قتل عيسى وصلبه:

«نفى القرآن أن يكون اليهود قتلوا عيسى أو صلبوه: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ. ولكِنْ شُبِّه لهُمْ.. ومَا قَتَلوهُ يَقِيناً" (٤/١٥٧). فهل

---

(٤٥) **الحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي**، في كتاب : **نحو الجدال الأحسن**.

تعني هذه الآية أنّه قُتل وصُلب، ولكن على غير أيدي اليهود! أم أنّه لم يُقتل ولم يُصلب البتة؟ لا شيء مبدئيّاً يمكّننا من ترجيح أحد الاحتمالَين إن اقتصرنا على النّصّ القرآني وحده ولم نعتمد السنّة التفسيريّة التي بتّت في اتّجاه نفي الصلب جملة في أغلب الأحيان...

« فليس من المستبعد أن يكون إنكارُ قتلِ اليهودِ عيسى وصلبِهِ من باب المجادلة المقصود بها التنقيص من شأن المجادلين، لا سيّما أنّ كلّ الأحداث المتعلّقة بحياة المسيح لم تزل، منذ القديم، محلَّ أخذ وردّ واختلاف. ولا أحد يستطيع ادّعاء اليقين فيها.

يُضاف إلى هذا أنّ إقرار القرآن بـ "رفع عيسى" في الآية الموالية يتّفق والعقيدة المسيحيّة في هذا "الرفع"(٤٦)، بل ويتماشى والعقليّة الشائعة في الحضارات القديمة والمؤمنة بهذه الظاهرة. والأمثلة على ذلك كثيرة(٤٧)» (ص ١١٩).

***

أمّا مقولة **المفتي حسن خالدا**، في صلب عيسى، فعلى ظاهر القرآن. ويميل إلى **أنّ الذي صُلب هو يهوذا** بدلَ عيسى. يقول:

---

(٤٦) أنظر قوله: "والسّلام عليّ يومَ وُلدتُ ويومَ أموت ويوم أُبعَث حيّاً" (مريم ١٩/٣٣)؛ وقوله: "يا عيسى إنّي مُتَوَفّيكَ" (آل عمران ٣/ ٣٥)؛ وقوله: "وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم. فلمّا تَوَفَّيْتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم" (المائدة ٥/١١٧). «لكنّ عدداً من المفسّرين يعتبرون أنّ "التوفّي" له أكثر من معنى في القرآن بحسب السياق، وأنّه في هذه الآيات يعني قبض عيسى إلى السماء وهو حيّ» (حاشية ١٤، ص ١١٩).

(٤٧) «أخنوخ مثلاً قد أخذه الله إليه (تكوين ٥/ ٢٥)؛ الملك أرثير Arthur قد رفع إلى السماء في بعض القصائد البرديّة Bardique» (حاشية ١٦؛ ص ١١٩).

في إيمان المسيحيّين أنّ المسيح صُلب حقًا. وفي عقيدة القرآن والمسلمين، «أنّ اليهود ادّعوا انّهم صلبوا المسيح وقتلوه. ولقد صدّقهم بذلك متأخّرو النصارى»[٤٨] (ص٦٧٣).

هذا الموقف الإسلامي الصريح «بيّن، كما ورد في القرآن الكريم: " وقولهم (أي اليهود): إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه. وما قتلوه وما صلبوه. ولكنْ شُبِّهَ لهم... وما قتلوه يقيناً، بل رفعه اللّه إليه».

أمّا حججُ سماحة المفتي في تأكيده كلامَ القرآن فيستلّها من تفاسيره الإسلاميّة لنصوص الأناجيل. فهو، إذاً، يعتمد على المصادر المسيحيّة نفسها، ليعطي البراهين الموافقة لنظريّته.

من تفاسير سماحة الشيخ العديدة قوله: ألأناجيل «لا توحي بمجموعها بأنّها قاطعة بأمرِ الصلْب هذا. وهذا موقفُ يهوذا مع المسيح، وهو مَن هو، قربًا وصلةً بالمسيح!! ثم كيف يدلُّ على المسيح؟! وكيف يقول له المسيح: يا صديق! يا صاحب! لِمَ أقبلت؟ وهو الذي دلّ عليه؟! وهو المفسِدِ الآثِم إثمًا كبيرًا! وكيف يشهد المسيح لتلاميذه الإثني عشر بالسعادة (راجع متى ١٩/٢٨)، وقد وقع من بعضهم هذا الذي وقع؟! أليس يحمل هذا على الظنّ بإمكانيّةِ أن يكونَ المسيح قد ذهب من الجماعة الذين أطلقهم الأعوان؟!»[٤٩].

***

---

(٤٨) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

(٤٩) **موقف الإسلام**... ص ٦٧٩؛ أنظر أيضاً: ٥٩٩-٦٠١؛ ٦٧٣-٦٨٥.

وأمّا **أحمد زكي** فبراهينه كـثيرة(٥٠). وهي من الإنجيل، ولكنّه يستـخدمها ليبـرّر مقولةَ القرآن. وهـو يخالف المسلمين في مَن صُلب مكان المسـيح. يقول: **إنّ ملاكـاً نزلَ فخلّـصه من أعـدائه، واستبـدله بشبيهٍ له صُلب مكانه**. ولكنّه لا يعيّن هويّة "الشبـيه"؛ سوى أنّه من "العـالم الخارجي". قـد يكون "مـلاكاً"، أو "جِنّيّـا"، أو "مخلوقـاً آخر" أوجده اللّه خـصّيصاً لهذه الغايـة. نختصر حجج السيّـد أحمد زكي. يقول:

* «زعموا للنّاس: أنّ اللّه قتلَ ابنَه الحـبيب ليُرضـي نفسَه.. أي أنّ اللّهَ قتـلَ اللّهَ إرضاءً للّهِ. أي أنّ القـاتلَ هو عين القتـيل. ونسَوا أنّ.. قاتلَ ابنِه يُسمّى مجرماً.. والإله الذي يُقتَل فيموت ليس بإله...

«فهل سـمعتَ، عزيزي القـارئ، أنّ القتلَ يُسمّى حـبّاً؟! في أيّ عـرْفٍ هذا؟! ولا يملـك المرء إلاّ أن يتـسـاءل، في هذا الخلـط الغـريب العجيب، كيف أدخلوا اللّهَ في هذه المتـاهة، وجعلوه قاتلاً، بينما القاتل هو بيلاطس، ويـشاركه في الجـرم قيافـا، رئيس كهنة اليـهود.. فـما شأن اللّهِ الذي زجّوا باسمهِ في هذه الجريمة المزعومة النكراء؟ فقيافا هو الذي خطّط، وبيلاطس البنطي الذي نفّذ. ثمّ من أين جاؤوا بغفران الخطايا؟! حـقّاً لقـد بذّوا الشـيطان!!! لأنّه، لو أراد الشـيطانُ أن يأتي بأكاذيب أفظع من هذه ليُفسدَ دينَ المسيح، لما استطاع» (ص ١١١).

* ويحقّ للمرء أن يتـساءل: إذا كان المسـيحُ هو اللّه. وإذا كان اللّهُ قـد صُلب وقُتل ومـات. فمَن هو ذاك الذي كـان، في موته، يهـتمّ بالكون ومـا فيه!!! «مَن كـان ممسكاً السمـاءَ والأرضَ ساعـةَ صلبِه، وبعد موتِه ودفنه، بل وطيلة حياته على الأرض؟» (ص١١٢).

---

(٥٠) في كتابه: **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

*ويتساءل المرء أيضاً: أيُعقل أن يَقْتلَ المخلوقُ خالقَه!! بأي منطق يقال مثل هذا الكلام؟! وهل يُعقل أن يبصقَ المخلوقُ في وجه خالقه؟ ويجلده؟ ويكلّله بالشوك؟ ويُسقيه خلاً ومرّاً؟ ويطعنه بالرّمح؟ ويعرّيه من ثيابه حتى تبان عورتُه؟ ويرفعه على خشبة العار؟ ويحكم عليه شرَّ ميتة؟ كيف ذلك؟ ثم كيف؟

يقول السيّد زكي: «أليهود يطاردون الإلهَ الذي ابتدعتْه لهم تلك المجامعُ، في كلّ مكان، حتّى ألقوا القبضَ عليه، وأوسعوه ضرباً وبصقاً وجلداً. ثمّ ألبسوه تاجاً من الشّوك زيادةً في الاستهزاء.. وأخيراً، حكَمَ عليه رئيسُ كهنتهم بالموت!! ماذا!؟ ألمخلوقُ يحكمُ على الخالق بالموت؟! إيْ واللّه. حكموا على إلههم بالموت!! ألا يدلُّ هذا عند كلّ ذي عقل سليم، أنّ الدين الشاؤوليّ الكنسي من رابع المستحيلات!!!» (ص١٠٩).

* يقول السيّد زكي: «إنّ المسلمين، كالطوائف المسيحيّة الأولى، لا يؤمنون بصلْبِ المسيح، ولا بقيامته. لأنّه، في آخر اتّصالِ للسماء بالأرض، كشفَ اللّهُ لهم وللعالم، في القرآن، حقيقةَ ما جرى، وهو أنّ اللّهَ كان قد رفعَهُ قبلَ أن تمتدَّ أيدي أعدائه إليه، وأنّ الذي صُلِبَ كانَ شَبيهاً له تَمامَ الشّبَه..

«والسؤال الآن: هل هناكَ صدى في الأناجيل لهذه الحقيقة التي جاءت في القرآن!!؟ أي: هل صُلِبَ المسيحُ أم لا!؟ قد يستغربُ المسيحيّون.. أنّ كَتَبَةَ الأناجيل، الذين ذكروا لنا صراحةً في أواخر أناجيلهم أنّ المسيحَ صُلب، هم أنفسُهم ذكروا لنا سطوراً أخرى قالوا فيها إنّ المسيحَ لم يُصلب. وبالتالي الذي صُلب كان غيرُه! كيف ذلك؟؟!!

«في الحقيقة.. إنّ الحقيقة عميتْ على أكثر من بليون من البشر لا زالوا حتّى اليوم مضلَّلين يعتقدون بصلب المسيح.. ذلك لأنّ عدم صلب المسيح مغطّىً بقشّةٍ هنا وقشّةٍ هناك. فتعالوا، أعزائي القرّاء، نجمعُ هذا القشَّ وننزعه شيئاً فشيئاً عن وجه المسيح، ليطلَّ علينا المسيحُ الذي لم يُصلب» (ص٧٠٩-٧١٠).

يقدّم لنا السيّد زكي أحد وعشرين دليلاً على أنّ عيسى لم يُصلب، ولم يُقتَل، بل شبِّه لليهود ذلك، إذ وقع الصلبُ على **بديلٍ** عن عيسى، هو من "العالم الخارجي". هذه الأدلّة، يسمّيها «**ذخائر**»، عالجها بتوسّع؛ ونقلناها في كتابنا "**نَزَعنا القناع**" بتوسّع أيضاً. ولكن، لطرافة هذه الذخائر، ولضرورة إثباتها في كتابنا هذا، ولتحليلِ السيّد أحمد زكي الدقيق لنصوص الأناجيل، نودّ دائماً عرْضَ هذه الـ"ذخائر" مع ما على القارئ من عبء تحمّلِ التكرار والترداد:

الذخيرة الأولى: يقول السيّد زكي: «تعالوا ندقّقُ النظرَ في قوله "لا ترونَني من الآن، حتّى تقولوا مبارك الآتي باسم الرّب" (متى٢٣/ ٣٩). لقد كان المسيحُ يودّع سكّانَ أورشليمَ، لأنّه عَلِمَ أنّ اللّهَ سيرفعُه. لذا كان المسيحُ واثقاً أنّهم لن يروه بعدَ الآن.

ولكن كتبَةُ الأناجيل يتحدّثون، بعد ذلك، عن "يسوع" الذي أُلقيَ عليه القبضُ، وأُعيدَ إلى أورشليم، وحوكمَ داخلَ أسوارها، ورآه الجميعُ، وهتفوا: اصلبْه اصلبْهُ.. فكيفَ ذلك؟! هل كان المسيحُ يكذب عندما قال لن تروني من الآن!؟ لا. ألمسيح لم يكذب.. إذاً، كيف نفسّرُ رؤيةَ الجميع لعيسى بعد أن قال مودّعاً سكانَ أورشليم "لا ترونني من الآن"!؟ لا تفسير لذلك إلاّ أنّ كتبَةَ الأناجيل يتحدّثون عن **شخص آخر غيره**، ظنّوه عيسى» (ص٧١٠).

الذخيرة الـثانية : تعليقـاً على قول المسـيح لتلامـيذه: " كلّكم تشكّون فيَّ في هذه اللّيلة " (متى ٢٦/ ٣١)، يقول السيّد زكي:

«إنتبهْ جـيّداً، عزيزي القارئ، ما معـنى هذه الجملة!؟ ليس لها إلاّ مـعنى واحـداً، وهو أنّ المسيح كـان عـالماً بما سـيحـدث. لذا قـال لتلاميـذه: " سيختلط عليكم الأمـرُ، وتشكّون كلُّكم فيّ في هذه اللّيلة، معتقـدين أنّي أنا الذي أُلقِيَ عليه القبضُ، وأنّي أنا الذي صُلِبتُ! " . لماذا قال لهم المسيح ذلك؟ لأنّه كان واثقاً أنّ اللّهَ سينجّيه، وأنّ إلقاءَ القبضِ والصّلبِ سيقعان على **شخصٍ غيره، يكون تمام الشبه به،** وأنّ الأمرَ سيلتبسُ على تلاميذه...

«وللذين يشكّون في قولنا، نقول لهم:

تعالوا نعود قليلاً إلى الوراء، لنتأكّدَ سويّاً من ذلك، حسب قول المسيح نفـسه للكهنة في إنجـيل يوحنّا: " ستطلبـونني ولا تجدونني. وحيثُ أكونُ لا تقـدرون أنتم أن تأتوا " (يو ٧/ ٣٤). أليسَ هذا دليلاً على تحدّيه لـلكهنة، ووثوقه تمام الثـقة في أنّ اللّهَ سيـرفعـه قبل أن ينالوه بسوء!؟.. وقولُه: " ستطلبـونني " ، يعني: ستطلبونني للصّلب. لكن لن تجدوني، إنّما سـتجدون **بديلاً عنّي يُشبـهُني تمام الشبه. أمّا** أنا فسأكون قد رُفعتُ إلى السماء، وحيث أكون في السماء لا تقدرون أن تأتوا..

ثمّ أيضـاً: «تعالَ لنؤكّـدَ لكَ أنّ المسيحَ لم يُصلب. بل لم يكن أحدٌ يجـرؤ على صلبه. وأنّ الذي وقع عليـه الصلب **هو غـيره..** لقـد قال المسيح: " والذي أرسلني هو معي. ولـم يتركني اللّهُ وحدي " (يوحنّا ٨/ ٢). وقال أيضـاً: " تتركـونني وحدي. وأنا لستُ وحـدي. لأنّ اللّه معي " (١٦/ ٣٢)..

فيا عزيزي القارئ! يا مَن تبحث عن الخلاص الحقيقي! هل مَن كان اللّهُ معه.. هل يتمكّنُ منه اليـهودُ ويصلبونه!؟.. أاللّهُ الحقيقي، ربٌّ السموات والأرض، القادر على نجاة المسيح بكلّ سهولة من أيدي حفنة من الكهنة اليهود.. إنّ إلهاً يفـرّطُ في دم ابنه ووحيده، كما تزعم الأناجيل، لغير قادر، ولغير مؤتمن على حماية الآخرين الذين هم ليسوا أبناءه. فالأولى لك أن تعبد اليهودَ لأنّهم أقدرُ منه» (ص ٧٨٢-٧٨٤).

الذخيرة الثالثة : تعليقاً على قول لوقا: "وظهر ملاكٌ من السماء يقوّيه" (٢٢/٤٣)، يقول السيّد زكي: «نودّ أن نسألَ لوقا: كيف عرف أنّ ذلك "**القادم من العالم الآخر**" هو ملاك وليس البديل الشبيه الذي رسم اللّه صورةَ عيسى على وجهه ليُصلب مكانَه! وبذا يكون اللّهُ قد فدى عيسى كما فدى إسماعيل من الذبح بكبشٍ كبير!. إنّ ما يؤكّد قولَنا هذا أشياء كثيرة. منها:

أوّلاً - إنّ الظلامَ كان قد أُسدِلَ ستارُه، وتتعذّرُ الرؤيا في الليل.

ثانياً - ذكَرَ لوقا مجيءَ هذا "القادم" ولم يذكرْ رحيلَه.

ثالثاً - إنّ المسيح، لمّا ظهر لمريمَ المجدليّة بعد الصلب الذي زعموه، قال لها: "لم أصعدْ بعدُ إلى إلهي"، أي، بلغة اليهود، لم أمتْ. ولم أُقتلْ لتصعدَ روحي إلى إلهي؛ مع أنّ الصلبَ كان قد تمّ قبلَ ذلك بيومَين؛ والمفروض، لو صُلب، أن تكون روحُه قد صعدتْ إلى بارئها.

رابعاً - ثمّ، لو أضفنا كلَّ ذلك إلى قول اللّه تعالى في القرآن: "وَمَكَرُوا. وَمَكَرَ اللّهُ. واللّهُ خيرُ الماكِرين" (٣/٥٤)؛ أي أنّ اليهودَ

مكروا بعيسى ليقتلوه؛ ولكنّ اللّهَ كان أقدرَ منهم، ونجّاه من مكرهم بطريقته الخاصّة التي فاقت كلَّ تصوّراتهم بإرسال هذا الشَّبَه في ظلمات الليل الذي ظنّه لوقا ملاكاً.

خامساً – ثمّ، إذا تذكّرنا قولَ المسيح: "أنا لستُ وحدي، لأنّ اللّه معي"، لتأكّدنا تماماً أنّ ذلك "**القادم من العالم الآخر**"، تحت جنح الظلام لم يكن ملاكاً ليقوّي عيسى، كما ذكر لوقا، إنّما كان **البديلَ الشبيهَ** الذي أرسله اللّهُ ليفدي به عيسى» (ص٧٩٣-٧٩٤).

الذخيرة الرّابعة : تعليقاً على صلاة يسوع في بستان الزّيتون، قبل آلامه (يو ١٣-١٧)، يقول السيّد زكي: «أعزّائي القرّاء! نسألكم سؤالاً محدّداً، ولا نطلب منكم سوى استعمال عقولكم: لو حقّاً صلّى المسيحُ تلك الصلاة الحارّة، فهل استجاب اللّهُ لطلبه! وهل عَبَرَ عنه ذلك الكأس المرير كما طلب منه! ألمفروض أن يكون قد استجاب. لماذا؟ لأنّ كتَبَةَ الأناجيل أخبرونا بذلك. أين؟ في موعظة الجبل، على لسان المسيح نفسه: "إسألوا تُعطَوا. أُطلبوا تَجدوا. إقرعوا يُفتح لكم. أم أي إنسان منكم، إذا سأله ابنُه خبزاً يُعطيه حجراً، وإن سأله سمكةً يعطيه حيّة" (متّى٧/٧).

«فيا أعزائي القرّاء! إن كنتم تؤمنون أنّ المسيح قال: إسألوا تُعطوا، أطلبوا تجدوا، إقرعوا يُفتح لكم؛ فها هو المسيح أمامكم يسأل ويطلب ويقرع. فهل يُعقل أن يطلبَ المسيحُ من ربّه نجاةً فيعطيه ربُّه صلباً وطعناً برمح!؟» (ص٧٩٧).

الذخيرة الخامسة : تعليقاً على قول متّى، عند محاكمة يسوع، بأنّ "يسوع كان ساكتاً" (٢٦/٦٣)، يقول السيّد زكي:

«هنا أطلب منك عزيزي القارئ أن تتنبّه جيّداً. لقد عرفنا عيسى بنَ مريم شجاعاً بطلاً في قول الحق. لا يخاف لومة لائم في الدفاع عن الدين وحقوق الغير. فهو الذي كان لديه الجرأة ليقول للكهنة والفرّيسيّين في عقر دارهم "أيّها العميان! يا أولاد الأفاعي!". وهو الذي لم يخشاهم أبداً، وقال لتلاميذه: "فلا تخافوهم، لأنْ ليس مكتومٌ لن يُستعلن...لا تخافوهم. بل خافوا بالحري مَن الذي يقدر أن يهلك النفسَ والجسَد كليهما في جهنّم" (متّى١٠/٢٧-٢٨). وهو الذي هزّ كراسيهم يومَ أعلنَ أنّ المسيّا القادم سيكون من نسل إسماعيل.. ويوم قال لهم إنّ ملكوت اللّه يُنزَعُ منكم، ويُعطى لأمّة تعمل أثمارَه (متّى٢٢/٤١-٤٦)...

إنّ مواقف المسيح الشجاعة أمام الكهنة لأكثر من أن تُحصى. فلماذا سكت هنا يا...

«هل يُعقل أن يدافع سابقاً عن الحقّ، ويجابه الكهنة في عقر دارهم بكلّ ذلك الحماس، ويسكت هنا في الدفاع عن حقّه!؟ هل يُعقل أن يسكت هنا، وهو يعلم تمام العلم أنّ التهم الموجهة إليه كلّها زورٌ، وشهاداتهم باطلة من أساسها جملةً وتفصيلاً!؟ ماذا طرأ على المسيح! هل كان خائفاً! هل جَبُنَ! هل أصيب بالذهول! لا. ليس هذا من عادة المسيح، ولا من شيَمه. هذا السكوتُ المريبُ وراءه شيء! إذاً لماذا سكت هنا!؟

«ألجواب بسيط جداً: إنّ المتّهمَ الماثلَ أمامهم لا يعرفُ شيئاً عن هذه التّهم، لأنّه ليس المسيح. إنّه ذلك **الشبيه البديل الذي أرسله اللّهُ من العالَمِ الآخر، ليفدي به عيسى**. وعمليّةُ الاستبدال تمّت في الجسمانيّة ليلاً بالذي ظنّه لوقا ملاكاً جاء يقوّي المسيح. أمّا المسيح

الذخيـرة الثامنة : تعليـقاً على ما جـاء على لسان المسـيح في يوحنّا: "مملكتي ليستْ من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خـدّامي يجاهدون لكي لا أُسـلَّمَ إلى اليهـود، لهذا قـد وُلدتُ أنا، ولـهذا قـد أتيتُ إلى العالم لأشـهدَ للحقّ. كلّ مَن هو من الحـقّ يسمع صوتي. قـال له بيلاطس: مـا هو الحقّ؟ ولمّا قال هذا خـرجَ أيضاً إلى اليهـود، وقال لهم: أنا لستُ أجـد فيه علّـةً واحدة" (يوحنا ١٨/ ٣٦- ٣٨)، يقول السيّد زكي:

«هنا عزيزي القارئ يجب أن نتوقّف وقـفةً طويلة، ونتمعّنَ في قول المتَّهَم، إذ لا شكّ أنّ قولَه مأخوذ من الإنجيل الحقيقي:

أوّلاً – مملكتي ليست من هذا العالم. عندما تكون غريباً في بلدٍ ما تقول: "أنا لستُ من هذا البلد"، أي لا أنتمي إليه، إنّما أنتمي إلى بلد آخر. فـهذه الجملة أكـبرُ دليل على أنّ الواقفَ أمامَ بيـلاطس لا ينتمي إلى هذا العالم، إنّما **قادمٌ من عـالمٍ آخر**، كمـا قلنا، لذا قال: "مملكتي ليست من هذا العـالم". ما هي ممالك هذا العالم؟ إنّهـا مملكة الإنسان والحيوان والنبـات والجماد. أي أنّ هذا الماثل أمام بيـلاطس لا ينتمي لأيٍّ من ممالك الإرض التي نعرفهـا. لذا قد تكون مملكته **مملكةَ الجِنِّ** مثلاً، أو أيٍّ من الممالك الأخرى التي عند اللّه ولا نعلمها...

ثانياً – ممّا يؤكّد أنّ المـاثل أمام بيلاطس هو **القادمُ من العالَمِ الآخر** تكملةُ كـلامه الذي قـال فيـه: "لو كانت مملكتي من هذا العـالم لكان خدّامي يجـاهدون لكي لا أسَلَّمَ إلى اليهـود". فلو كان هذا الماثل أمـام بيلاطس هـو عـيسى لمـا قال: "خـدّامي"، لأنّ عيـسى ليس له خـدّام، بل ليس له أين يُسند رأسَـه. ثمّ لو كـان هو عيـسى لما قـال: "أُسلَّم إلى اليهود"، لأنّه يهودي مثلهم، بل منهم. فلا يقول هذا إلاّ مَن

كان غـير يهودي، ولا يمكن أن يكـون إلاّ الذي جاء من خارج اليـهود ومن خارج هذا العالم.

ثالثـاً – والدليل الثالث الـذي لا يترك مـجالاً للشكّ هو قـوله: " لهذا قد وُلدتُ. ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهدَ للحقّ. كلُّ مَن هو مِن الحقِّ يسمع صـوتي " . أي لهذه اللحظات العصـيبة قـد وُلدتُ. ولهذا أتيتُ إلى عـالمكم هذا. وإنّ اللّهَ منذ أن خلقني قـد ادّخـرني لهذا اليـوم لأفـدي به عيسى. وكلُّ مَن يعـرفني من بني جنسي يعلم أنّي أقـول الحقّ وهم الآن يسمعون صوتي.

فهذا **القادم من العالم الآخر** يقول: لهـذا قد وُلدتُ. وأتيتُ إلى عـالمكم هذا " ، بينمـا عيـسى كـان يقول: " ينبـغي لي أن أبشّـرَ المدنَ الأخرى بملكوت اللّه، لأنّي لهـذا قد أُرسِلت " . فعيـسى جاء للتبـشير بملكوت اللّه، ولهـذا قـد أُرسِلَ. أمّا هذا المـاثل أمامنا فـيـقول: " لهـذا الموقف العصيب قد وُلدتُ " . فشتّان بين الذي أُرسِلَ للتبشير وبين هذا البديل الشبيه الذي وُلد خصّيصاً لفداء عيسى» (٨٢٤–٨٢٦).

ألذخيرة التـاسعة: تعليقاً على مَن هو حـامل الصليب، سمعانُ القيروانيّ، كمـا في مرقص (١٥/٢١) ومتّى (٢٧/٣٢) ولوقا (٢٣/ ٢٦)، أم المسيح نفسه، كما في يوحنّا (١٩/٧)!! يقول السيّد زكي:

«ألسؤال الذي يطرح نفسَه: لماذا ناقضَ يوحنّا زملاءه الثلاثة؟

هل تحبّ أن تعرف السببَ عزيزي القارئ!؟ إستمع: في الوقت الذي كُتِبَ فـيه الإنجيل الرابع كان الادّعـاء بأنّ سمعان قـد حلّ محلَّ يسوع، وصُلبَ بدلاً منه، لا يزال سارياً في الدوائر الغنوسطيّة.. وهذا ما يُثبـت أنّه، منذ تلك الأيّام، كان الناسُ يشكّون في حقيـقة المصلوب،

ويقولون بأنّه ليس عيسى؛ بينما اليوم أكثر من بليون إنسان لا يزال مضلّلاً، ويعتقد أنّ عيسى هو الذي صُلب» (٨٣٥-٨٣٦).

ألذخيرة العاشرة: تعليقاً على قول متّى بأنّهم "أعطوه خَلاً ممزوجاً بمرارة"، يقول السيّد زكي: «عزيزي القارئ.. أعطِني عقلَكَ مرّةً أخرى! هل كان اليهودُ يحتفظون بالخمر أو الخلّ في مقابرهم!!؟ هل هناك أمّةٌ في العالم تحتفظ ببراميل الخلّ أو الخمر في مقابرها!!؟ ألجوابُ طبعا لا. إذاً مِن أين أتى كَتَبَةُ الأناجيل بهذه الخمرة والخلّ!؟

«ومن جهة أخرى، لقد مرّ معك أنّ المسيحَ صام أربعين يوما، ونحنُ قلنا ثلاثين، دون أن يتناولَ فيها أيَّ طعام أو شراب. كما أنّه كان قد صرّح أيضاً بقوله: "إنّ لي طعاماً لآكل لستم تعرفونه أنتم" (يو ٤/٣٢). فيا عزيزي القارئ.. هل مَن يصبر على الجوع ٣٠-٤٠ يوماً، يُذِلُّ نفسَه لأعدائه، ويقول: "أنا عطشان"، بسبب ساعةٍ واحدة، علماً بأنّ الأناجيل ذكرتْ أنّه قبلَ يومٍ واحدٍ كان قد أكلَ الفصحَ وشرب؟؟ إذاً يكون الذي قال أنا عطشان ليس المسيح» (٨٣٧-٨٣٨).

ألذخيرة الحادية عشرة: تعليقاً على النساء الواقفات عند الصليب، والاختلاف بين الإنجيليّين على عددهنّ، وهويّتهن، وهل أمّه كانت معهنّ، أم لا، يقول السيّد زكي: «نحن نسأل إذا كان جميع معارفه، وهؤلاء النسوة، موجودين ساعةَ الصّلب، فأين كانوا ساعةَ المحاكمة؟ ولماذا لم يَصحْنَ جميعُهنّ: "لا تصلبْه. لا تصلبْه"، لا سيّما وأنّ بيلاطس كان يكافح ليجد صوتاً واحداً يدافع معه عن المتَّهَم. والسؤال الملفت للنظر: أين كانت أمُّه ساعةَ المحاكمة، وساعةَ الصّلب!!؟ ولماذا ليس لها ذكر هنا!؟ ألسببُ بسيط: أمُّه لا شأنَ لها بالمصلوب، لأنّه ليس ابنها...

«ثمّ هل يُعقل أن يُعذّبها اللّه بهـذا المشهد، وهي التي قال القرآنُ أنّه فضّلها على نساء العالمين.. ويبـدو أنّ يوحنّا دسّ مسألةَ أمّه.. فقط ليؤكـد لنا أنّ المصلوب كان عيسى. إذ كـانت الأقوال بأنّ المصلوب لم يكن عـيـسى قـد انتـشـرت وذاعت بين أوائل الطوائف النّصـرانيّـة» (٨٤١-٨٤٢).

الذخيرة الثـانية عشرة : تعليقاً على قول المسيح في(لو ٢٣/ ٣٤): "يا أبتاه! إغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون"، يقول السيّد زكي: «لقد زعـمت الأناجيل أنّ للمـسيح سلطاناً على الأرض لغـفران الخطايا (متى٩/٦). فلو كـان المصلوب هو المسيح لغفرَ لهم بـنفسه، ولما طلبَ من أباه (كـذا) أن يغـفـرَ لهم. وعليـه يكون المصلوب غـيـر المسيح» (ص٨٤٣).

الذخيرة الثالثة عشرة: تعليقاً على كلام المصلوب لأحد اللّصّين اللّذين صلبـا مـعـه: "ألحقّ أقـول لـك إنّك اليـومَ سـتكون مـعي في الفردوس" (لوقـا ٢٣/٤٣)، يقول السـيّد زكي: «اسـتعـدّوا، أعزّائي القرّاء، لأنّكم على وشك أن تنقذوا المسـيح، أنتم وليس أنا. وتُخلّصوه من براثن شاؤول والمجـمّعات الوثنيّـة التي كمّمت المسـيحَ التاريخي، المؤمن باللّه الواحـد، ودفنتـه هو ودينَه في ظلمـات سـحـيقـة طوال عشرين قرناً من الـزمان، وأطلقتْ لنا بدلاً منه المسيحَ الأسطوري، إله الكنيسـة، وأحد أطراف الثالوث.. يُـبصَق في وجهـه ويُضرَب ويُجلَد ويَقدر عليه حفنةٌ من حثالة البشر وهو خالقهم فيصلبونه!..

«فهل أنتم مستعـدّون الآن! ركّزوا معي أعزّائي القرّاء.. إنّكم يا أعزّائي على وشك أن تُنقذوا أنفسكم من جميع الخزعبلات والطلاسم التي طلسموكم وكبّلوكم بها طيلة عشرين قرناً.

«ركّـزوا معي أعـزّائي القرّاء في قـول لوقـا: "أليومَ سـتكون معي".

«فإذا كانت كلمـة "اليوم" تعني اليوم، وليس لهـا معنى آخر، كأن تكون غداً أو بعدَ غد، فهـذه الجملة قيلت يوم الجمعة يومَ الصلب. أي أنّ المصلوب واللّصَّ المؤمن سـيكونان في الفـردوس يومَ الجمـعة بعد أن يموت وتصعد روحُهما إلى بارئها.

«ألآن، قارنـوا لي، أعزّائي القـرّاء، هذه الجملة، التي قـيلت من قِبَل المصلوب يومَ الجمـعة، مع ما جاء على لسـان المسيح يومَ الأحد، لمريم المجدليّـة: "لا تلمسيني لأنّي لم أصعـد بعدُ إلى إلهي" (يو ٢٠/ ١٧).

«السؤال الآن: كـيف يقول المسـيحُ، يومَ الجمعـة للّصِّ المؤمن: إنّك اليوم سـتكون معي في الفـردوس؛ بينما بعـدها بيومَين، أي يوم الأحد، يقـول: لم أصعدْ بعدُ إلى إلهي!!؟ أي، حـسب تعبير اليـهود، لم أمتْ لتصعدَ روحـي إلى إلهي. هل كذب المسيح على اللّصّ المؤمن!؟ لا. وحاشاه أن يكذب. فكلّ الأنبياء معصومون. إذاً، كيف نفسّر ذلك!؟

«كلّ مَن في عينَيـه خشبةٌ فـيلنزعْها الآن ليرى جـيّداً، لأنّ هذا وقـتهـا.. فقـد تكون فرصـته الأخـيرة لاسـترداد مـقعـده في الجنّة والحياة:

«إنّ قـائلَ الجملة الأولى في لوقـا يوم الجـمعـة: "الليلةَ تكون معي في الفردوس"، هو **الشبيه البـديل القادم من العالَمِ الآخر**، الذي ظنّه الجميع أنّه المسيح، لِتطابقِ الشبـه بينهما، وبموته تكون روحُه قد صعدت إلى بارئهـا يوم الجمعة. وقائل الجملة الثـانية يوم الأحد، هو

المسيح الحقيقي، عيسى ابن مريم الذي لم يُصلب، وبالتالي لم تصعد روحُه إلى بارئها، والذي قلنا، وقتَها، إنّ ذراعَ الرّبِّ امتدّتْ في الظلام وأخفتْه عن الأنظار في الجسمانيّة. فهل آمنتم أعزّائي القرّاء، أم تريدون إثباتاً آخر!؟» (ص٨٤٤-٨٤٥).

الذخيرة الرابعة عشرة: تعليقاً على قول يسوع بعد القيامة لتلاميذه: "ما بالكم مضطربين! ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم! أنظروا يديَّ ورجلَيّ، -أي ليس فيهم (كذا) أثرٌ لأيِّ مسمار أو جرح-. إنّي أنا هو. ألم أقل لكم: كلّكم تشكّون فيّ هذه اللّيلة؟ جسّوني. فإنّ الروحَ ليس له لحمٌ وعظامٌ كما ترون لي" (لو٢٤/٣٨-٤٠)، يقول زكي:

«إنّ الذي يموت يومَ الجمعة وتصعد روحُه..، إذا ظهر للناس بعد ذلك، لا يظهر إلاّ شبحاً. لذلك، عندما فاجأ عيسى التلاميذ، فيما بعد، جزعوا، وظنّوا أنّهم رأوا روحاً، لأنّهم كانوا مختبئين بعد أن تركوه وحيداً، وهربوا.. وقد علموا سماعاً أنّ معلّمَهم مات على الصليب. كما كانوا قد علموا سماعاً أنّه دُفن يوم الجمعة. وكونهم سمعوا ذلك، توقّعوا أن يكون جسدُه الآن قد بدأ يتحلّل في قبره، ذلك لأنّ كلَّ معرفتهم كانتْ مبنيّةً على السماع حيث أنّهم كانوا مختبئين، وأنّ أيّاً منهم لم يكن شاهداً.

«لكن، أعزّائي القرّاء، ألذي كان واقفاً أمامهم لم يكن روحاً ولا شبحاً؛ إنّما كان المسيح عيسى ابن مريم، بلحمه ودمه! لقد فهم المسيح الذي كان قد قال لهم سابقاً: كلّكم تشكّون فيّ هذه اللّيلة، وفهم هو ما يدور بخلدهم من جزع وخوف، فماذا قال؟ قال لهم: "جسّوني"..، وقول المسيح جسّوني أقوى من المسّوني. أي تحسّسوني لكي تتأكّدوا بأنفسكم أنني لم أُصلَب.

«ثمّ لمّا رآهم مـا زالوا مشـدوهين، قال لهم مـداعبـاً: "أعندكم هاهنا طعام؟ فناولوه جزء من سـمك مشويّ، وشيئاً من شـهد عسل، فأخـذ وأكلَ قدّامهم" (لو ٢٤/٤٢-٤٣). لماذا؟.. ليـؤكّدَ لهم أنّه ليس شبحاً ولا روحاً قائماً من الأموات، لأنّ الأشباحَ والأرواحَ لا تأكل. أي بعبارة أخرى، ليؤكّدَ لهم أنّه لم يُصلب، وأنّ الذي صُلب كان غيره!

«ولما قال المسيحُ لتـوما: هاتِ إصبعك.. هاتِ يدك وضـعْها في جنبي" (يو ٢٠/٢٥)، فهو ليـؤكّدَ مرّةً أخرى بأنّ توما، إذا مـا جسّه يتأكّد بأنّ جنبَه سليمٌ، ولا أثر فيه لا لحربة ولا لطعنة.. والذي كان قد طُعن جنبُه هو **الشبيه البديل**» (٨٤٥-٨٤٦).

الذخيرة الخامسة عشرة: تعليقاً على صرخة اليأس قبل الموت، وآخر كلمات المصلوب، بحسب ما جاء في مرقص (١٥/٤٣): "أَلُوْيْ أَلُوْيْ لَمَّـا شَبَـقْتَنِي"، ومـا جـاء في متّى (٢٧/٤٦): "إيلي إيلي لَمَّـا شبقتني"، يقولُ السيّد زكي:

«هذه الصـرخـة.. تكذّبُ مـزاعمَ الكنيـسة الشـاؤوليّـة في أنّ المصلوبَ هو اللّه. إذ كيف ينادي اللّهُ على اللّـهِ! أو أنّه كان هناك اتّفاق سـمـاوي بين اللّه وابنه! ذلك لأنّ المصـلوب نفـسَـه يصـرخُ على اللّهِ ويعتب عليـه كيف تركه، ممّـا ينسف ما ألصقـوه به من قول أشعـيا: "ولم يفتح فاه. كشاة تسـاق إلى الذبح"، وها هو يملأ الدنيا صراخاً! كيـف يؤمنون أنّه صرخ، حـسب قول الإنجـيل، وفي نفس الوقت لم يفـتح فـاه!؟ هـل صـرخ وهو مـغلق الفم!؟ وإن كـان كـذلك، فكيف سمعـوه!.. هذا يؤكّد أنّ اقتباسَـهـم من سفر أشعيا كـذبٌ ولا علاقة له بالمصلوب.. وإذا كان المسـيح هو صاحب هذا الصـراخ فكيف يقولون إنّه ضحّى بنفسه طواعيّة!؟...

«ثمّ، إذا كان عيسى يعلم سَلفاً أنّه سيُصلب، وفي اليوم الثالث يقوم، فعلامَ الصراخُ إذاً!؟ والقول الذي نسبوه للمصلوب: "لماذا تركتَني" يكون ليس له أي معنًى. وعليه يكون المصلوب غيره.

«ثمّ إنّه لمن المستحيل أن يكون عيسى هو الذي صرخ هذه الصرخة، لأنّه هو القائل: "إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فليُنكرْ نفسَه ويحمل صليبَه ويتبعني" (متى١٦/ ٢٤)؛ أي إنّ عيسى كان بطلاً شجاعاً، مستعداً للموت في كلّ لحظة» (٨٤٨-٨٤٩).

الذخيرة السادسة عشرة: يقول أحمد زكي: مسألة قتْل اللّه، أي «مسألة صلب عيسى، والقول بأنّه بذل نفسَه عن الجميع منطق معكوس، يتنافى كلّيّاً مع العقل والمنطق. لأنّه لا يُعقل أن يقدّمَ عيسى نفسَه ليقتله مَن يريد الغفران لهم، لأنّ قتلهم له إنّما يزيد في خطاياهم.

«وقوله الذي لا مراء فيه: "أنا غلبتُ العالم" (يو ١٦/٣٣)، أي العالم اليهودي الذي تآمر على قتله، والعالم الروماني الذي وافق على قتله...!؟ فهل مَن يُصلَب ويُقتَل يكون قد غلب العالم!» (٨٤٩-٨٥٠).

الذخيرة السابعة عشرة: كان المسيح، في حياته، يختفي عن أعين الناس. وهي قدرة عجائبيّة استعملها أيضاً وقت صلبه. قال السيّد زكي عن هذه القدرة: «سبق أن لمّحتْ لنا الأناجيل أكثر من مرّة أنّ المسيح كان يمسك أعينَ الذين حوله، ويختفي عنهم دون أن يشعروا، مثل: "وجاؤوا به إلى حافّة الجبل. حتّى يطرحوه أسفل. أمّا هو فجاز في وسطهم ومضى" (لو٤/ ٣٠)، "فرفعوا حجارةً ليرجموه. أمّا هو فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى" (يو ٨/ ٥٩). «فإذا كان لدى المسيح مثل هذه القدرة

الخارقة، فـإنّه يستطيع أن يستعملهـا وقتَ الشدّة، ويفلت من أعدائه، وبذا يكون المصلوب غيره» (ص٨٥١).

الذخيرة الثامنة عشرة: على ما جاء في سفـر تثنية الاشتراع: "ملعـون كلُّ مَن عُلِّقَ على خـشـبـة" (٢١/٢٢)، يعلّق السـيّـد زكي ويقول: «إذا كان المعلَّق على الصليب هو عيـسـى.. يكون عيسـى ملعوناً ونجـساً. وبالتـالي كلّ مـا أتى به ملعون ونجـس مثله. ونحن نقـول حاشاه وهو النبيّ الكريم الطاهر، وأمّه الصـدّيقة أشرف نساء العالمين في زمانها.

«كما أننا لم نسـمع بأمّةٍ سمّت نبيَّها ملعـوناً ونجساً، وأنّ دمَه كان بدلَ دمِ التـيوس والعجـول إلاّ هؤلاء. فهل يرضى مَن يعتـقدون أنّهم نصارى اليـوم هذه التسمـية للمـسيح!؟ وعليه، فـإمّا أنّه صُلب، وبالتالي هو ملعون ونجس؛ وإمّـا أنّه لم يُصلب، وبالتالي ليس ملعوناً ولا نجساً. فليختاروا لهم واحدة» (٨٦٥-٨٦٦).

الذخـيرة التـاسعـة عشـرة: ثمّ إنّ هناك «كـثيـراً من طوائف النصارى، كـانت ترفض حصولَ الصلب كلّيّاً، لأنّ البـعضَ منهم كان يعـدُّه إهانةً لشرف المسـيح، ونقـصاً يلحق به، والبـعض الآخر كـان يرفـضُـه استـناداً على الأدلّة التـاريخـيّة. وهؤلاء المـنكِرون للصّلب طوائف كثيرة، لا يسلّمون بأنّ المسيح سُمِّرَ وماتَ على الصليب. ومن هذه الطوائف: ألسـاطرينوسيّون، والمركـيرينيّون، والـتّانيانسـيّون، والبارسكاليـونيّون، والدّوسينيّـة، والغلنطانيائيّة، والكربوكـراتيّون، والبارديسانيّون، والمانيسيّون، والبولبيسيّون، والمرسيونيّة» (٨٦٦).

الذخيرة العشرون: على زائرات القبر، اخـتلف الإنـجيليّون في هوّيتهـنّ، وعددهنّ، ووقت زيارتهنّ. يقـول مرقص: إنّ زائرات القـبر

كنَّ ثلاثة (١٦/١)؛ ومتّى يقول: اثنتين فقط (٢٨/١)؛.. ولوقا كنَّ أكثرَ من أربعة (٢٤/١٠)؛ يوحنّا واحدة، مريم المجدليّة (٢٠/١). والزّائرة الوحيدة التي اتّفق عليها جميع كتبة الأناجيل كانت مريم المجدليّة.

يعلّق السيّد زكي: «هل هناك مَن يدلّنا على اليقين!؟ ولماذا يترك الفاتيكان هذه التناقضات تنهشُ في الأناجيل، طالما يقول إنّه يملك المخطوطات الأصليّة لهذا الدين الذي يرتكز، في أهمّ عقائده، أي الصلب والقيام، على خاطئة تائبة؛ بمعنى آخر، كانت عاهرة، تعتاشُ من كَدِّ فَرْجِها؛ وكانت تتلبّسُها سبعةُ شياطين، باعتراف الأناجيل نفسها! هل بعد هذا مسخ لهذا الدين الذي سمّوه دين المسيح؟..

«ومن الناحية العقليّة والمنطقيّة، هل يُعقل أن تكون الزّائرات للقبر كلّ هذه المريمات، بينما مريم الوحيدة المطلوب زيارتها لقبر ابنها -حسب اعتقادهم- مفقودة بين الزّائرات؛ ممّا يدلّ على أنّ الذين دسّوها في إنجيل يوحنّا، بين الواقفات عند الصلب، مجرّد هراء. إذ فطنوا أن يدسّوها هناك، ونسَوا أن يدسّوها هنا، في الوقت الذي هي أولَى الناس بزيارة قبر ابنها، لو كان المدفون حقيقةً هو ابنُها!؟ ألا يدلُّ غيابُها على أنّ المصلوبَ المدفون لم يكن ابنَها، لذا بقيت جالسةً في بلدتها مطمئنّةً، ولم تكلّفْ نفسَها عناء الحضور إلى القدس!» (ص٨٦٨).

وهناك "**ذخيرة" أخيرة**، لم يُدرجْها السيّد زكي بين ذخائره، ولكنّه عالجها، واعتبرها من جملة الأدلّة على عدم صلب المسيح. هذه الذخيرة أخذها من يوحنّا الذي يخبرنا عن قيامة يسوع بما يلي: " فظنّت تلك (أي مريم المجدليّة) أنّه البستاني. فقال لها يسوع: يا

مريم. فالتفتتْ. وقالتْ: رَبُونِي، الذي تفسيرُه يا معلّم. قال لها يسوع: لا تلمسيني، لأنّي لم أصعد بعدُ إلى إلهي" (١٠/١٧).

يعلّق السيّد زكي: «لماذا ظنّتْه مريمُ المجدليّة أنّه البستاني؟ لأنّه كان متنكّراً كبستاني! ولماذا كان متنكّراً كبستاني؟ حتى يُبعد أنظارَ اليهود عنه! ولماذا يُبعد أنظارَ اليهود عنه؟ لأنّه لم يمت، ولم يُبعث من موت. فلو كان قد مات وبُعث من بعد موت لما كان من الضروري أن يتنكّرَ كبستاني، لكنّه ضروري في حالة واحدة فقط، عندما يكون لا يزال حيّاً. ولماذا لا يكون قد بُعث من موت؟ لأنّ الجسد لا يموت مرّتين...

ويعلّق السيّد زكي، مرّةً أخرى، على كلمة عيسى لمريم المجدليّة "لا تلمسيني. لأنّي لم أصعد بعدُ إلى إلهي"، أي لم أُبعثْ من موت. بلغة اليهود، أي: ما زلتُ أنا عيسى الإنسان، اللّحم والدم، الذي يتأثّر بالمشاعر والحبّ والعاطفة؛ وليس عيسى الذي ظنّ الجميعُ أنّه صُلب ودُفن. فكأنّما المسيحُ، عندما رأى تأثّرَها، قال لها: لا تحرّكي مشاعري، لأنّي ما زلتُ عيسى الإنسانَ المعلّمَ الذي تعرفيه (كذا)؛ ولم أتحوّلْ إلى روح، لأنّي لم أصعدْ -أي لم أمتْ وتصعد روحي- إلى إلهي بعد.

«وهذا أكبرُ إثبات في أنّ المسيحَ لم يكن قد صُلب ومات؛ أي لم تصعدْ روحُه بعدُ إلى إلهه؛ وإنّ الذي صُلب ودُفن وصعدتْ روحُه إلى إلهه، يومَ الجمعة، كان غيره، أي الشبيه البديل الذي تحدّث عنه لوقا قائلاً للّص: "اللّيلةَ ستكون معي في الفردوس"» (٨٧٧-٨٧٨).

الفصل السابع

القيامة والفداء

يقول المسيحيّون إنّ أموراً كثيرة حصلتْ عند حدث الصلب التاريخي للمسيح. من هذه الأمور : **نزوله إلى الجحيم؛** ثمّ **فداء العالم، وخلاصه، ومصالحته مع الله؛** ثمّ **قيامة يسوع من بين الأموات،** كعربون **لقيامةِ الأموات** جميعهم؛ ثمّ **إرسال الروح القدس** ليثبّت المؤمنين في إيمانهم، ويُحييهم ويجدّدهم باستمرار.

هذه الحقائق المسيحيّة الأساسيّة يرفضها المسلمون كلَّها. تناولها أصحابُ الردود في أبحاثهم. لكنّ بعضهم سكتَ عنها، بسبب أنّه -كما يظنّ- تناولها في رفضه عمليّةَ الصلب. ومع هذا، سنغلّ في مؤلّفات المؤلّفين ونبحث عن هذه الموضوعات، ونقدّمها للقارئ كما هي، مبتدئين، كعادتنا، بتسلسلهم الزمني.

من الآن نقول إنّ المسلمين، جميعهم، بسبب رفضهم لألوهيّة المسيح، يرفضون، بالتالي الفداء والكفّارة والخلاص وقيامة المسيح التي هي عربون قيامة الأموات وأساسها.

***

يقـول **علي بن ربّن الطبـري** : إنّ سـببَ إرسـال الله ابنَه من السماء هو مناوأةُ الشيطان الذي عجز عنها الأنبياء:

ألنصارى «طائفـة تزعم أنّ الله، لمّا رأى الشيطان قد عـلا شأنه واستـفحل أمره وعـجز الأنبيـاء عن مناوأته، وجد ابناً له أزليّـاً قديماً منفرداً بخلق الخلائق كلِّها، فـدخل في بطن امرأة، ثم وُلد منها، ونشأ، وناهض الشيطان. فأخذه الشيطان، وقتله، ثمّ صلبه على يدي شرذمة من أحزابه»[1].

ويقول أيضاً إنّ نزول المسيح إلى الأرض لم يكن، كما ظنّ قومٌ من النصارى، من أجل تشريف الجنس البشـري، بمقدار ما كان عاراً لهم؛ ذلك لأنّ الشيطان هو الذي انتصر وليس المسيح :

«قـال قـوم من النصـارى : إنّ الله أراد بنزوله ورجـوعـه إلى السماء أن يشرّف بذلك جنس الناس حقيـقاً. ولئن كان صعود إنسان واحد إلى السماء شرفاً بهـذا لأهل الأرض أجمعين، فإنّ انحطاط خالق الدنيا ونزوله لمحاربـة الشيطان وإمكانه إيّاه من نفسه حـتى قُتل، عار ومنقصة لأهل السموات والأرض»[2].

ويقول أيضاً: إنّ الفداء لم يعط ثمارَه. بل العكس حصل :

«ذكروا أنّ سبب نزوله إنّما كان لحلّ الناس من إصر الخطيئة. ثمّ زعـموا أنّه صـار هو نفسـه أسيـراً، وجاء مغـيثـاً للناس، فـصار مستغيثاً بالله من الشيطان.. وإنّ من أعجب العجب اضطرار الخـالق

---

(١) **الدين والدولة**، ص ١٤١.

(٢) **رد الطبري**، ص ٢٠.

(يتبع الجزء الثاني، ويبتدئ :

الأزلي إلى أن أنزل ابنَه الأزلي

ألمسيحيّة في ردود المسلمين

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (١٦)

المسيحية في ردود المسلمين

(الجزء الثاني)

أ. جوزف قزي

دار لأجل المعرفة
ديار عقل ـ لبنان
٢٠٠٢

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار لأجل المعرفة، ديارعقل-لبنان. قياس (١٧×٢٤)

١. **قسّ ونبيّ**، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢. **نبيّ الرحمة** ، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣. **عالم المعجزات**، بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص

٤. **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص

٥. **العلويّون النّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص

٦. **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧. **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ صفحة.

٨. **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.

٩. **السلوك الدرزي** أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.

١٠. **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.

١١. **المسيحيّة في ميزان المسلمين**، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢. **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص

١٣. **رغبات النفس والجسد**. (ألحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤. **موازين «الحقيقة الصعبة»**، (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ صفحة.

١٥. **نصارى القرآن ومسيحيّوه**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ صفحة.

١٦. **المسيحيّة في ردود المسلمين** أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ صفحة.

الأزلي إلى أن أنزل ابنَه الأزلي من السماء، ثم يرسله إلى الشيطان على يدي روحه الأزليّة القاهرة ليمتحنه الشيطان ويهينه. ومَن ذا الذي أوجب عليه ذلك؟ وما كان دركه ودرك خلقه فيه؟

وما أحسن أنّ هاجياً هجا اللّه منذ قامت الدنيا، ولا مدح الشيطان مادح أكثر ممّا يقوله النصارى من ذلك؟ وذلك أنّ مدار الشريعة والتسابيح التي تقرؤها في كلّ يوم على أنّ اللّه وابنه وروحه صارا إلى الشيطان ومعهم الملائكة والسماويّون وخيار أهل الأرض أجمعين، ونهضوا لمحاربة الشيطان وقمعه وإبطال الخطيئة ودفع الموت عن الناس كافّة، فلم يلقوا ما أرادوا بل زادوا الشيطان تمرّداً واجتراء على اللّه وأمنا من أخذه، لأنّ الشيطان، لمّا سلم من أعدائه ودام على حاله، خلا له الجوّ، وصفا له الكدر، وأفرج عنه الروع، ولأن الحزن انجلى عن ابن اللّه، فيما يقولون، فصار أسيراً لهم قتيلاً»[1].

***

يعرض **القاسم بن إبراهيم الحسني** عقيدة النصارى بالفداء، بطريقته الخاصّة، فيعتبر اتّخاذ الإبن جسداً آدمياً ليس إلاّ تنكّراً منه، ليحتال على الشيطان، ويخلّص البشر من بين يديه[2]. يقول:

«قالت فرق النصارى كلّها، مع اختلافها وافتراق أقوالها: إنّ سببَ نزول الابن الإلهي الذي نزل من السماء رحمةً للبشر، ومحافظةً على الرسل والأنبياء، قالوا: من أجل خطيئةِ آدم. فإنّه، لمّا أخطأ وأكلَ

---

(١) **ردّ الطبري**، ص ٢١، وانظر ص ٢٧.
(٢) **ردّ الحسني على النصارى**.

من الشجـرة التي نهاه اللّـه عنها فعـصى، تبرّأ اللّه منه، وأسـلمه إلى الشيطان باتّباعِه له. قالوا: فكان في حيّزِ الشيطان ودارِ ملْكِه.

«وكـذلك زعمـوا: كان مـعـه فيـها جـميـعُ وُلدِه، يحكم فيـهم الشيطانُ بما أحبّ من حكمـه. قالوا: وكان فيمـا ملكَ الشيطانُ من آدم ونسله أنفسٌ كثيرة من أنبياء اللّه ورسله...

«قالـوا: فتلطّف الابنُ واحـتالَ لاسـتخـراج تلك الأنفس من يد الشيـطان. فلبسَ لذلك، ومن أجله، جسـداً آدميّـاً، ليكون بما لبس منه عن الشيطان خفيّاً. فـتنكّر الابنُ بذلك له لكي لا يحترس الشيطان منه فلا ينفذ منه مكْرُه[٣]...

«قالوا: وذلك كلّه فإنّما كان الابنُ يبـذل نفسَه للصلب ولِما لقي من الأذى قَـبِلَه إحسـاناً من الابن إلينا، وكـرماً، ورأفـةً من الابن بنا، ورحمةً.

«قـالوا: فاشـتـرى الابنُ البشـرَ من أبيـه بما وصلَ من الأذى والصلب إليه. وذلك –زعموا– أنّ أباه لم يكن في حكمه وعدله أن يظلم الشـيطان ما جـعل له من آدم وولده أن صـاروا إلى طاعة الشـيطان وأمره لأنّه قـال للشيطان –فيـما يزعـمون –: كلّ مَن اتّبعك فـهو لك. قالوا: فلذلك اشـترانا الابن من أبيـه بالعدل. وغلب الشـيطانَ على ما كان في يده منّا بالمكر.

«فلمّا استخرج آدمَ ونفوسَ الرسل والأنبياء، صعد، بعد فراغه من معاملة الشيطان، إلى السمـاء، بعد أربعين يوماً من صلبه. وقالوا:

---

(٣) ليس هذا من مـعـتقـدات المسـيحـيّين. إنّمـا هي صورة شـعـريّة ليس إلاّ.. فالمسيح لم يتّخذ جسداً آدمياً، ليحتال على الشيطان.

فجلسَ عن يمين أبيه تامّــاً بكلّيّته وجسده وجميــع ما فيه من اللاّهوت والناسوت، وكلّ مــا كان فيهمــا ولهما من النعوت. وقــالوا: وسينزل أيضاً مرّة أخرى فيدين الأحياء والأموات عند فناء الدنيا» (١٧-١٨).

***

أمّا الغريب فــهو في ما نجد عن قيامة عــيسى من بين الأموات، عند **أبي جعفــر الطبري** ، (+٣١٠/٩٢٣)، الذي، يكاد يكون فريداً بين المسلمين. يقول نقلاً عن ابن إسحاق(٤) :

«والنصارى يزعمون أنّه توفّاه اللّه سبع ساعات من النهار، ثمّ أحياه اللّه فقال له: إهبط فانزل على مريم المجدلانيّ في جَبَلها، فإنّه لم يبكِ عليكَ أحــدٌ بكاءَها، ولم يحــزنْ عليكَ أحدٌ حــزنَهــا. ثم لِتَجــمَعَ لكَ الحواريّين. فــبِثَّهــم في الأرض دعاةً إلى اللّه. فإنّك لم تكــن فعلتَ ذلك (من قَبل). فأهبَطَه اللّهُ عليها. فاشــتعلَ الجبلُ حين هبط نوراً. فجمعتْ له الحواريّين. فبثّهم. وأمــرهم أن يبلّغوا الناسَ عنه ما أمره به اللّه. ثم رفــعــه إليــه فكســـاه الريش، وألبســـه النور، وقطع عنــه لذّة المطعم والمشرب. فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش. فكان إنسيّاً مَلَكيّاً سمائيّاً أرضيّاً. وتفرّق الحواريّون حيث أمرهم..»(٥).

غير أنّه يعود يتأرجح بين "القيامة" و"الرّفع". ولا ندري هل هما لفظان لمضمــون واحد؟ أي هل مات عيسى حقّــاً، ثمّ "رفعه" اللّه

---

(٤) مع أنّ ابن إسحق كـان في أساس من كـتب سيرة الرســول، وهو مرجــعهم، وعيــال عليــه، وبنوع خاص إبن هشــام، يطعن به المسلمون؛ كـما يقــول ابن النديم "مطعون عليه غير مرضيّ الطريقة.."، راجع **الفهرست**، ص ١٠٥.

(٥) تاريخ الطبري، ١/٦٠٢-٦٠٣.

إليه، بمعنى "أقامَه حيّاً" من بين الأموات؟ كلا المعنَيين وارد في النّص التالي. يقول، مستنداً إلى وَهب بن منبه :

«فرفعه اللّهُ إليه وصلبوا ما شُبِّه لهم. فمكَث سبعاً. ثمّ إنّ أمَّه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها اللّهُ من الجنون، جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب. فجاءهما عيسى فقال: علامَ تبكيان؟ قالتا: عليك. فقال: إنّي قد رفعني اللّهُ إليه، ولم يصبْني إلاّ خير، وإنّ هذا شيءٌ شبّه لهم. فأْمُرا الحواريّين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا. فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر، وفُقد الذي كان باعه ودلّ عليه اليهودَ. فسألَ عنه أصحابَه، فقالوا إنّه ندِم على ما صنع فاختنقَ وقتلَ نفسه. فقال: لو تاب لتاب اللّهُ عليه. ثم سألهم عن غلامٍ يتبعهم يقال له "يحنّا"، فقال: هو معكم. فانطلقوا. فإنّه سيصبح كلّ إنسان منكم يحدّث بلغةِ قوم. فلينذرْهم وليَدْعُهم»[٦].

***

أمّا مآخذ **الحسن بن أيّوب**، وهو نصرانيٌ اعتنق الإسلام، فقد كانت أشدّ تهكّماً من سواه[٧]. قال: إنّ الابن الذي جاء ليخلّص البشر، لم يخلّصهم. بل لقد أصبح الشيطان، بعد مجيئه، أعتى ممّا كان. فلا الخطيئة أبطلتْ، ولا الموت تلاشى، ولا الخلاص أتى، ولا الشيطان رُبط. بل العكس ما حصل. قال :

« تقولون: هو الذي نزل لخلاصنا. وتعتقدون سبب نزوله من السماء أنّه أراد أن يخلّصكم، ويحتمل الخطيئة، ويربط الشيطان. فقد

---

(٦) تفسير الطبري، ٦/ ١٣.
(٧) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.**

وجدنا الخلاصَ لم يقعْ، (والخطيئة) قائمة لم تزل، والشيطان أعتى مما كان. لم يُربَط. بل سلّطه اللّهُ عليه (أي على المسيح)، فحصره في الجبل أربعين يوماً... أفلا يعلم مَن كان في عقله أدنى مسكة أنّ هذا الفعل لا يكون من شيطانٍ إلى إله! ولو كان (المسيح) إلهاً لأزاله عن نفسه.. وكيف لم يَربط الشيطانَ عن نفسه قبل أن يربطه عن أمّته!» (٢/ ٣٣٤-٣٣٥).

« ووجدناكم تذكرون أنّ المسيح نزل من السماء فأبطل بنزوله الموتَ والآثام. فإنّ العجب لَيطول من هذا القول. وأعجب منه مَن قَبِلَه، ولم يتفكّرْ فيه.. لأنّه إنْ كانت الخطيئة بطلتْ بمجيئه، فالذين قتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا مأثومين، لأنّه لا خاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة. وكذلك أيضاً الذين قتلوا حوارييّه وأحرقوا أسفارَه غيرُ خاطئين. وكذلك مَن يُرى من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت، يَقتل ويسرق ويَزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كلَّ ما نُهي عنه من الكبائر وغيرها، غيرُ خاطئين.

«فمَن جحد ذلك فليرجع إلى التسبيحة التي تقول: "بصلوات ربِّنا يسوع المسيح، بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان، ودُرست آثارها". فأيّ خطيئة بطلت؟ وأي فتنة للشيطان انطفأت؟ أو أي أمرٍ كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغيّر عن حالته؟» (٢/ ٣٤٠-٣٤١).

ويقول أيضاً إنّ الهالكين هالكون بسبب خطاياهم، والناجين ناجون بسبب أعمالهم الصالحة. فلا شأن للمسيح ولا لصليبه، لا بهلاك الهالكين، ولا بنجاة الناجين.

يقول :

« مـا أدخل أهلَ الميسـرة النارَ إلاّ خطاياهـم التي ركبـوها. ولا صار أهلُ الميمنة إلى النعيم إلاّ لأعمالهم الجـميلة التي قدّموها بتوفيق اللّه إيّاهم... مَن قـال إنّ الخطيـئة قـد بطلتْ فـقـد بهتَ وخالفَ قـول المسيح وكان هو من الكاذبين» (٢/ ٣٣١-٣٣٢).

ثم يرفض ابن أيّوب دينونة المسيح للناس، فيقول: «إنْ كان هذا الجالس للحكومـة (أي الدينونة) بين العالمين، يوم الدين، والقـاعد عن يمين أبيه، هو شخص قائم بذاته لا يُشكّ فيه، هو الجسد الذي كان في الأرض، المتوحّد به الربوبيّـة، فقد فصلتم بين اللّه وبينه، وبعّضـتموه باجتماعهما في السماء شخـصين متباينين، أحدهما عن يمين صاحبه، وهذا كفر وشرك باللّه. وإنْ كان جسداً خالياً من الإلهيّ، وهي الكلمة، وقد عـادت إلى اللّه كـما بدأتْ منه، فـقد زال عنه حكم الربوبيّـة التي تنحلونه إيّاها» (٢/ ٣٥٢-٣٥٣).

***

ويقول **مؤلّف مجهول** الشيء نفسَه الذي قاله الحسن بن أيّوب :«زعمـتم أنّ الشيطان هو دلّ على عـيسى وسلّطه عليـه وأمكنه منه، فهلاّ ربط عيسى الشيطانَ عن نفسه وامتنع منه، إنْ كان الشيطان هو فعل ذلك به، كما زعمتم! مـعاذ اللّه أن يفعل اللّه ذلك. عيسى أكرم على اللّه من أن يفعل ذلك به. ولكنّكم قوم تجهلون»[٨].

كما يرفض المـؤلّف المجهول أن يكون عيسى نـزلَ إلى الجحيم ليـخلّص نفـوسَ الأنبـيـاء السـابقـين والأبرار الصـدّيقين. فلو كـان الشيطان مسلّطاً على هؤلاء لما تمكّن عيسى من تخليصها . يقول :

---

(٨) الردّ المجهول المؤلّف والعنوان،

«وزعـمتم أنّ من مـات من النفـوس، منذ خلق آدم، كـانت عند إبليس، رأسِ الخطيئـة، يُسلّط عليها ويحكم فـيها، حتّى جاءه عـيسى فانـتزعهـا منه وغلبـه عليهـا. وكان في تلك النفـوس نفسُ آدم ونوح وإبراهيم ومـوسى، وأنفس مَن أكرمَ اللّـه من أنبيـائه وصالحِ خلقِـه الذين كـانوا يطيـعون اللّـه ويعبـدونه ويعـملون له ويعـادون إبليس ويكفرون به.

«أفما كان إبليـس ليعذّبَ تلك النفوس الصالحة وقـد قدر عليها بعد تركهم إيّاه وكفرهم به! ويرحم النفـوس الكافرة التي كانت تعبده وتؤمن به وتعـمل له!؟ ما كـان اللّه سبـحانه ليسـتخـزن إبليس على أنفس أنبيـائه وصالحِ خلقِه الذين يعـبدونه، ولا ليسلّطه عليـهم! وما كان الشـيطان ليغلبَ اللّهَ على تلك النفوس فـأمِنَ قدرةَ اللّه وسلطانَه! سبحان اللّه ما أضلّ مَن قال هذا بقدرته وسلطانه» (ص ٢٨-٢٩).

***

أمّا **القاضي عبد الجبّار** فيقول إنّ النصارى لا يخافون عذابات جهنّم، بسـبب أنّ المسيح قد مـات من أجل أن يخلّصهم منهـا : « قلّما تجد منهم مَن يخاف عذاب الآخرة، لأنّهم يعتقدون أنّ المسيح إنّما قتَل نفسَـه ليقـيهم من الذنوب والعـذاب، وأنّه جالسٌ عن يمين أبيـه، وأمُّه جالسـةٌ ممّا يلي يساره. فـهي تتلقّى الذنوب إذا طلعتْ وتقـول لابنها: سلْ يا بُنَي أباك الربَّ غـفـرانَها. فـهـو، عندهم، يغـفرها ويسـأل أباه غفرانَها»[٩].

***

(٩) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٩١.

ويقول **الغـزالي** عن افـتـداء اللّه لبني آدم وتخليـصـهم من الجحـيم، وذلك بإرساله ابنَه إليهم، وصلبِـه من أجلهم. وذلك كلّه في غاية الحمق:

«أجـمعـوا (النّصارى) أمـرَهم على أنّ بني آدم أُخِذوا بسـبب عصيانِ أبيـهم آدم، وأنّ جميعَ الأنبياء والأولياء أُلقـوا في الجحيم؛ ثمّ إنّ الإله وعدَهم أن يَفـدِيَهم. ففداهم فـداءَ الكريم. والكريمُ، إذا بالغَ في الفـداء، فَدى بنفـسه، وذاتُه مجـرّدة لا ينالها ضيمٌ ولا أذىً. فاتّـحدَ بناسوت عـيسى، عليـه السلام. ثمّ إنّ الناسوت الذي اتّـحد به صُلب، فكان صلبُه سبباً لخلاص الأنبياء والأولياء، وإخراجِهم من الجحيم.

«لا أقالَ اللّهُ لهذه العصابة النَّوكَى[١٠] عثاراً»[١١] (ص ١٤٢)..

***

أمّا **أبو عـبيدة الخـزرجي** فـيقـول إنّ اللّه لم يسـتطع -بزعم النّصـارى- أن يغـفـر خطايا آدم وذرّيتـه، إلاّ بإرسـاله ابـنَه للصلب والموت. بذلك يخلّصـهم، وينتصف لنفسه منهم. يقول[١٢] :

«ثم قلت (أيّها الـراهب): إنّه لمّا لم يمكن أن ينتقم اللّه من عـبده العـاصي آدم الذي كلّمه، واسـتـهان بقـدره لاعـتلاء جـلالة السيّـد، وسقوط منزلة العبـد، أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح، عليه السلام.

(١٠) ألنَّوكى، الذين بلغوا غاية الحمق.

(١١) **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل.**

(١٢) **مقامع الصلبان، أو "بين الإسلام والمسيحيّة".**

«أخـبرني أيهّـا المخـدوع: إذا كان اللّه لـم يرد الانتقـام من آدم لاعتلاء قدر السيّد، وسقـوط منزلة العبد، فالأولى أن يعفو عن الذنب ويتـوب على المذنب. وإنّ الأبعد عنه، عـزّ وجلّ، أن يعاقب أحـداً بذنب غيره. إنّ هذا لغاية الظلم ونهاية الجور.

«أبيتَ التوبة احتيالاً للصلوبيّة وإثباتها، ونسبتَ إلى اللّه تعالى ما يُنسب إلى شرار الآدميّين من الحقد والغائلة، ونفيتَ عنه ما يليق به من العفو والصفح. وقلت: إنّه انتصف من الإنسان الذي هو إله مثله.

«كيف ينبـغي للّه أن يظلم إنساناً فيـعاقبه بذنب جَـدِّه؟ وكيف أجزتَ لنفسك أن تقول: انتصف من إلهٍ مثله؟..

«أخبرني أيّها المغرور عن رجل أخطأ عبدُه في حقّه، فبقي بعده مدّة غاضباً عليه، ساكتاً على معاقبته، حتّى ولد لنفسه ولداً، فعمد إلى قتله بذنب العبـد الذي كان أذنب له! ألستَ ترى ذلك من قتله ولدَه أنّه أراد أن يشـقي نفسـه على ذلك العـبد، فـأصبح ذلك زائداً في كـربه، وداعياً إلى حزنه؟ وهل يُحدث هذا على نفسه عاقلٌ أو من لا عقل له؟

«أخبرني! ما الذي أوجب لآدم عليـه السلام أن يكون موصوفاً لديكم بهـذه الشتـائم، وهو أبو البشـر، واللّه قد تاب عليـه واجتـباه؟ أستغفرُ اللّهَ من شرّ ما جئتم به، وهوالغفور الرحيم».

ثمّ «إنّ الذي دعاكم إلى القول بصلب عـيسى، ما أقررتم به من الفـداء حين قلتم: إنّ آدم وجمـيع ولده إلى زمان عـيسى كـانوا كلّهم ثاوين في الجحيم بخطيئة أبيـهم آدم، حتى فداهم عيسى بإهراق دمه عنهم في خشبـة الصليب، ثمّ نزل إلى الجحيم، وأخرج منها جـميعهم إلاّ يهوذا..

«أخبرني أيّها المغرور عن موسى بن عمران! كيف نفهم أنّ اللّه تعالى أدخله الجحيم وأخلده فيها بعد أن كلّمه واصطفاه وفضّله وبعثه إلى عباده نبيّاً وهادياً؟ وكذلك إبراهيم الذي كان قد اتّخذه خليلاً واصطفاه وفضّله بهدايته ونبوّته وأظهر على يديه توحيده؟» (ص٢١١).

«عَجَباً له!! إنّه المنتَقِم والمنتَقَم منه، والحقود والمحقود عليه. وإنّه الظالم يأخذ نفساً بذنب غيرها، وهو المظلوم لأنّه صُلب بذنب غيره. وعجباً! كيف يمتنع عن المعايب، ثم ليس هو عندكم غير مَن اتّصف بهذه المعايب، ولا قنع من آدم صاحب الذنب بالتوبة حتى غُرسَتْ الخشبة في ظهره تكفيراً لما ارتكبه آدم في الجنّة» (٢١٤-٥).

***

وأمّا **شيخ الإسلام ابن تيميّة** فيقول عن النّصارى، بأنّهم، في قولهم بالصلب والفداء، إنّما يشتمون اللّهَ شتماً لم يشتمْه قبلَهم ولا بعدهم أحد[١٥] : «نسبوا إلى اللّه من الظلم العظيم ما لم ينسبه إليه أحدٌ من الأمم. كما سبّوه وشتموه مسبّةً ما سبّه إيّاها أحدٌ من الأمم. فهم من أبعد الأمم عن توحيده، وتمجيده، وحمده، والثناء عليه. وذلك أنّهم يزعمون أنّ آدم، لمّا أكل من الشجرة، غضبَ الربُّ عليه وعاقبه، وأنّ تلك العقوبة بقيت في ذرّيّته إلى أن جاء المسيح وصُلب، وأنّه كانت الذرّيّة في حبسِ إبليس. فمن مات منهم ذهبتْ روحه إلى جهنّم في حبس إبليس، حتّى قال ذلك في الأنبياء، نوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وغيرهم» (١/ ٢٢١).

---

(١٥) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.**

وينقل عن النصـارى أنّهم يقـولون بصلب المسـيح كفّـارة عن ذنوب آدم وذرّيّته؛ وذلك بأن احتالَ على إبليس وسلّمَه نفسه. يقول :

«والنصارى يقولون: إنّ المسـيح، الذي هو عندهم إله وإنسان، إنّمـا مكّن الكفّارَ من صلْبـه ليحـتالَ بذلك على عـقوبة إبليس. قـالوا: فـأخفى نفـسَـه عن إبليس لئـلاّ يعلم. قالـوا: ومكّن أعداءَه مِن أخـذِه وضربِه، والبـصاقِ في وجهـه، ووضـعِ الشوك على رأسـه، وصلبِه. وأظهر الجذع من الموت وصـار يقول: يا إلهي! لمَ سلّطتَ أعدائي عليّ، ليخـفى بذلك عن إبليس، فلا يعـرف إبليس أنّه اللّه، أو ابن اللّه، ويريد إبليس أن يأخـذ روحَه إلـى الجحـيم، كمـا أخـذ أرواحَ نوح وإبراهيم وموسى وغـيرهم من الأنبـياء والمؤمنين، فـيحـتجّ عليه الربّ حـينئذٍ ويقول: بماذا اسـتحللتَ يا إبليس أن تأخـذ روحي؟ فيـقول له إبليس: بخطيئتك. فيقول: أنا لا خطيئة لي.

«قالوا : فلمّـا أقام اللّهُ الحجّـةَ على إبليس جاز للربّ حـينئذٍ أن يأخذ إبليس ويعاقبه ويخلّص ذرّيّة آدم من إذهابهم إلى الجحيم.

«هذا الكلام فـيه من البـاطل، ونسـبة الظلم إلى اللّه مـا يطول وصـفه... ومن كـان قولـهم مثل هذه الخـرافـات التي هي مضـاحك العـقلاء، والتي لا تصلح أن تضـاف إلى أجهل الملوك وأظلمـهم» (١/ ٢٢٢).

ويردّد شيخ الإسلام الكلامَ نفسه فيقول:

«والنصـارى يـقـولون: إنّ المسـيح الذي هو عـندهم اللاهوت والناسوت جميعاً إنما مكّن الكفّار من صـلبه ليحتال بذلك على عقوبة إبليس... » (٢/ ١٨١-١٨٢).

وعن نزول المسيح إلى الجحيم وتخليصه الأنبياء السابقين ونفوس الأبرار الصدّيقين، يقول ابن تيميّة : «سواء تاب آدم أو لم يتب، فكيف يجوز أن يكون رسلُ اللّه، الّذين هم أفضل منه، محبوسين في حبْس الشيطان في جهنّم؟

«وإبراهيم الخليل، كان أبوه كافراً، ولم يؤاخذْه اللّه بذنبه، فكيف يجعله اللّه في جهنّم، في حبس الشيطان، بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم، مع أنّه كان نبيّاً؟

«ونوح، قد مكث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده، وأغرق اللّه أهلَ الأرض بدعوته، وجعل ذرّيّته هم الباقين، فكيف يكون في جهنّم في حبس الشيطان لأجل ذنب آدم؟

«وموسى بن عمران كلّمه اللّه تكليماً، وأظهر على يديه من البراهين والآيات ما لم يظهر مثله على يدي المسيح، وقتل نفساً لم يؤمر بقتلها، فغفر اللّه له ذلك. وله من المنزلة عند اللّه والكرامة، ما لا يقدر قدره، فكيف يكون في جهنّم في حبس الشيطان؟

«ثمّ أيّ مناسبة بين الصلب الذي هو من أعظم الذنوب، –سواء صلبوا المسيح أو المشبَّه به–، وبين تخليص هؤلاء من الشيطان؟ فإنّ الشيطان، إنْ فعل ذلك بالذرّيّة، كان ظالماً معتدياً، واللّه عزّ وجلّ قادرٌ على منعه من ظلمهم، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم. فلماذا أخّرَ منعَه من ظلمهم إلى زمن المسيح؟» (٢/٣٧٧)...

«وإنْ قالوا: ألربّ عزّ وجلّ ما كان يقدر على تخليصهم من الشيطان، مع علمه بأنّه ظالم معتدٍ عليهم بعد الموت، إلاّ بأنْ يحتالَ عليه بإخفاء نفسه ليتمكّن منه –كما يزعمون–. فهذا، مع ما فيه من

الكفر العظيم، وجعْلِ الرّبّ عاجزاً، كما جعلوه أوّلاً ظالماً، فيه من التناقض ما يقتضي عظيم جهلهم الذي جعلوا به الربّ جاهلاً. فإنّهم يقولون: إنّه احتالَ على الشيطان ليأخذه بعدل، كما احتال الشيطان على آدم بالحيّة، فاختفى منه لئلاّ يعلم أنّه ناسوت الإله، ،ناسوت الإله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره. فلمّا أراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه في جهنّم، كسائر من مضى، وهو لم يعمل خطيئة، استحقّ الشيطان أن يأخذه الربّ، ويخلّص الذرّيّةَ من حبسه» (٢/٣٧٨).

***

وفي رأي **عبدالله العلمي**، إنّ إسناد لقب "مخلّص" إلى المسيح ليس خاصّاً به وحده. فهناك «التخليص الجسدي للّه وللملاك وللناس... والتخليص الرّوحي للّه وللمسيح وللإيمان والأعمال... ويكون خلاص الإنسان بالإيمان والأعمال معاً»[١٦] (١٨٧-٨٨).

ثمّ «إنّ المسيح لم يخلّص جميع العالم، ولم ينجّهم. بل بقي أكثرهم في حالة الهلاك إلى هذا اليوم. وإنّ مشروطيّة الخلاص بشرط الإيمان مزيّة مخصوصة بكلّ رسول ونبيّ. وليست خاصّة بالمسيح وحده». ثمّ إنّ المسيح لم يخلّصْ جميعَ الأمم، ولا حتّى الأمم النّصرانيّة (ص١٩٠).

وكذلك إسناد لقب "فادي" إلى المسيح فهو إسناد مجازي لا حقيقيّ، لـ «أنّ الفداء يُسند إلى اللّه حقيقة وإلى غيره مجازاً. وموسى جاء "فادياً" كالمسيح تماماً (أنظر أعمال الرسل ٧/ ٣٥).

---

(١٦) **كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النّصرانيّة بين شيخ وقسّيس.**

ثمّ «إنّ الأسفـار تفيد أنّ مـعنى الفداء هو التـخليص والإنقاذ، وإنّ حمْل المسـيح لآثام الشعب هـو كحمْل هارون لإثم الأقـداس التي يقدّسها بنو إسرائيل (خر ٢٨/٣٨).

ثم «إنّ معـنى "فدى المسيـحُ المسيحـيّين" خلّصهم وأنـقذهم بهـديه وإرشاده وتعـاليمـه. وكان الدم، بعـد ذلك، نتيـجة عن الفـداء والتخليص بالهَدْي والإرشاد، وعاقبة له.

وأخيراً، «إنْ كان المسيح فـدى الناس بلاهوته، فقد لزمك القول بأنّ اللاّهوت صلب ومات ودفن. وإنْ كـان فدى الناس بناسوته فـقد نفى أن يكون الإنسان فـداء الآخر. فإذا كـان الذي تألّم وصلب وقتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح أن يكون "فادياً"» (١٩١-٨).

***

وعن فداء عيسى يقول **داعي العصر أحمد ديدات** متهكّماً[١٧] :
«لماذا يعـرض عيسى عليـهم (أي المسـيحـيّين) الحل "المسـتحـيل" بضرورة حـفظهم للشريعـة، وهو أمر لا طاقة لهـم به، على حدّ زعم المسحـيّين، إذا كان هناك سبـيلاً (كذا) أيسـر "للخلاص" على وشك الحدوث؟ ألمْ يعلـم المسيح ما كـان سيحـدث وأنّه كان سـيصلب؟ ألم يكن هنا عـهداً (كذا) بين الآب و"الابن" قـبل بداية العالم بشـأن دمه الفادي الذي كان سـيراق؟! هل فقَدَ المسيح ذاكـرته؟ كلاّ! فلم يكن هنا مثل هذا الاتفاق الخيـالي المختلق للتضليل في ما يتّصل بعـيسى. فقد كان يعلم أنّـه لا يوجد سوى طريقـاً واحداً (كذا) إلـى اللّه، وكان هذا الطريق كما قال عيسى، عليه السلام: "إحفظ الوصايا"! (١٤٣-٤).

---

(١٧) **المسيح في الإسلام**، ترجمة وتعليق محمد مختار، ١٩٩٠.

وعن الخلاص من الآثام، يقول ديدات، وهو، على ما يبدو، يردّ على قسّيس بروتستانتي يقول بأنّ الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح لا بما يستحقّه الإنسان نتيجة أعماله، يقول: «ألخلاص من الآثام رخيص الثمن في المسيحيّة! لا يتعيّن على المسيحي أن يصوم ويصلّي ويستقيم في حياته، كما يلزم بذلك المسلم. على المسيحي فقط أن يؤمن، والخلاص من الذنوب مضمون له»[18] (ص ١٢٨).

***

ويعتبر **الشيخ محمّد علي برّو العاملي** عقيدةَ الفداء غير مقبولة في العقل، ولا تنطبق على اللّه، ولا على الإنسان الذي يتحمّل مسؤوليّة أعماله وحده[19]. يقول:

«لعلّ الحجر الأساسي للدين النصراني هو عقيدة الفداء التي أخذها بولس عن الوثنيّين، وهي عقيدة لا تتماشى مع المنطق والعقل السليم، ولا يمكن هضمها حسب الفطرة، ولا الإيمان بها إلاّ بعد عزل العقل عن حجّيته، وهي غريبة عن وحي السماء، لا تنطبق مع حكمة الخالق وعدله، ولا يبقى معها داعٍ لبعث الأنبياء وإنزال الكتب وتعليم البشر الأخلاق والمثل العليا. ومعها يبطل الثواب والعقاب، والجنّة والنّار. ويذهب جهاد الأنبياء عبثاً وباطلاً، لأنّ المسيح قدّم نفسه ذبيحةً وفداءً للبشريّة كفّارة عن ذنوب المذنبين الذين لا يبقى عليهم ذنب لأنّه مغفور لهم ذلك بقتل المسيح وصلبه ودخوله الجحيم.

«وقد فتح بولس باب العصيان والفساد للمسيحيّين على مصراعيه بفتحه باب الغفران بالاعتراف عند رجال الدين. ومن هنا

---

(١٨) **مسالة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري، ١٩٨٩.

(١٩) **الكتاب المقدّس في الميزان**، بيروت ١٩٩٣.

فتحتِ الكنيسة باب الغفران وباعت صكوكه، وقسمت الجنّة إلى قطاعات باعتها لأصحاب الأموال، فجنتْ بذلك الأموالَ العظيمة.

«وهذا ما شجّع المسيحيّين على الاستهتار بالمحرّمات وارتكاب جميع أنواع المعاصي بحيث لم يبق هناك محرَّمٌ في المجتمع المسيحي، وخاصة الغربي؛ ولذا لا يشعر الكثير منهم بأي ذنب مقابل الجرائم التي يرتكبونها. وقد ارتكبت الدول المسيحيّة أعظم الجرائم في حقّ العالم الثالث في استعبادها لهم وإخضاعهم لسلطانها بشتّى أنواع السلاح المدمّر. وإذا كان رجل الدين يغفر كلّ شيء جناه العاصي مهما كان في أقل من طرفة عين، فأيّ جريمة يتورّع عنها المسيحي؟ (ص٣١٧).

ويقول العاملي عن حياة التحرّر عند المسيحيّين : «ولذا، (أي بسبب عقيدة الفداء)، لا نجد محرّما اليوم إلاّ الزواج بامرأة ثانية، وحرمة ذلك لا تخفى على اللبيب. وأمّا الخيانة الزوجيّة والزنى بمئات النساء فهذا أمر مباح ومعمول به حتّى الزنا بالمحارم. وما أكثره اليوم! وحتّى اللّواط أصبح قانونياً تجيزه المحاكم المدنيّة، ويتعاطاه كبار رجال الدّولة من القضاة والنّوّاب والوزراء والمحامين.

والمسؤول هو بولس الذي « قام بأعظم جناية على البشر بغرسه عقيدة الفداء في المسيحيّة، حيث جعل تصوّر فكرة صلب المسيح هي الإيمان الحقيقي، وهي طريق الخلاص؛ وأمّا العمل بالشريعة الموسويّة والعيسويّة فليس بواجب. والعامل بها ملعون! ومن عجائب الدهر أنّ تعاليم موسى وعيسى وسائر الأنبياء نبذها المسيحيّون وراء ظهورهم، واتّبعوا تعاليم بولس الوثنيّة منذ فجر الدين المسيحي» (ص ٣١٨).

ويتابع الشيخ العاملي قائلاً: كيف يكون فداء وذبيحة وكفّارة، وقد «أثبتنا أنّه لا يوجد دليل، حتّى من الأناجيل، يدلّ على موت المسيح ودفنه وخروجه من القبر. ولم نجد أي إنجيل يصرّح بأنّ أحداً من الناس شاهده يخرج من القبر بعد دفنه. وقد ردّ القرآن هذه المزاعم وبيّن أن المسيح لم يُقتل ولم يصلب. وعقيدة الصلب هي عقيدة وثنيّة» (ص٣٢٣).

إنّها وثنيّة، نجدها عند الوثنيّين على مختلف أنواعهم، وعند الصينيّين، والمصريّين، والفريجيّين، والسوريّين، والوثنيّين اليونان، والوثنيّين الرومان، والفرس، وعند المكسيكيّين. ويختم بقوله: «وعقيدة النّصارى في الصلب والفداء هي بعينها عقيدة الوثنيّين، كما أنّ ألقاب آلهة الوثنيّين هي بعينها ألقاب المسيح» (ص٣٢٣-٣٣٠).

***

ويرفض **الدكتور مراد هوفمان، سفير ألمانيا بالرباط**، ألذي اعتنق الإسلام، أن يكون الإنسان بحاجة إلى الخلاص، وأن يكون المسيح مخلِّصاً. يقول[٢٠] :

«إنّ الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً الحاجة الماسّة للمخلّص أو الخلاص، بل إنّ الإسلام يَعُدُّ الزعمَ الديني بأنّ المسيح كان الحَمَلَ الذي ضحّى نفسَه لخلاص العالم تجديفاً وسبّاً وزندقةً، خاصة هذه الصيغة التي يُردِّدُها القومُ في صلاتهم، ويؤمنون بها "بموته على الصليب، حيث تجمّعت كلّ آلام البشر وتَحمَّل اللّهُ، لأجل نجاتهم، آلامهم.

---

(٢٠) **الإسلام كبديل**، ترجمة د. غريب محمّد غريب.

«إنّ مثل هذا السَّخَفِ الدينيّ يَنْسِبُ إلى اللّه أنّه ليس بقادرٍ على إنقاذ خلقه وتخليصهم دون أن يَخْلق إلهاً ليفتديهم ويتحمّل عنهم الآلامَ... وهذا التصوّرُ يعارض تصوّرَ الإسلام للذّات الإلهيّة، حيث يُصوِّرُ القومُ اللّهَ ضحيّةَ عباده الثائرين ضدَّه، والذين قالوا إنّهم قتلوه وصلبوه» (ص ٥٩-٦٠).

***

أمّا **الدكتور مصطفى شاهين**، فعنده الكثير من التخمين عندما يتخيّل حواراً بين اللّه الأب وابنه الذي أرسله ليموت على الصليب كفّارةً عن خطايا البشر(٢١). يقول : إنّ النصارى

« يشرحون ذلك بقولهم بأنّ المسيح، بعد صلبه وموته ودفنه قام من الأموات.. وبعد قيامته ذهب بسرعة إلى جهنّم وأخرج منها الأنبياء السابقين جميعاً وأممهم.. فعرض عليهم نفسه، وأفهمهم مَن يكون هو.. ثمّ هو، بعد خروجه من جهنّم وظهوره أمام أتباعه، صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه الذي فوّض إليه أمرَ محاسبة الناس،

«لأنّ المسيح، بعد صعوده إلى السماء، توجّه إلى أبيه قائلاً: سلِّمْ لي نفسَكَ لأنتقمَ منك، لأنّك حكمتَ بموتي على الصليب دون وجه حقّ؛ وأنتَ قلتَ في كلامك لموسى: "مَن قَتل يُقتل"، وها أنتَ قتلتَني. فسلِّمْ لي نفسَكَ لأقتلكَ. فقال له الأبُ: ألا يكفيك أن تكون أنتَ المسئول عن محاسبة الناس؟ فرضي بذلك، وهو الآن منتظر على يمين أبيه» (ص ١٠٨).

***

---

(٢١) النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة.

أمّا **سماحة المفتي حسن خالد مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة** فله، عندنا، كلمة الفصل.[٢٢]؛ لأنّه يتكلّم من موقعٍ رسميٍّ مسؤول. فهو يأخذ على المسيحيّين إيمانَهم برفع عيسى، ودعوى الفداء بما يلي :

يقول عن "الرفع" : يؤمن المسلمون أنّ «الله قد رفع عيسى بروحه وجسده حيًا إلى السماء من غير وفاة ولا نوم، كما قاله القرطبي، واختاره الطبري. والكثيرون من العارفين يقولون بأنّه رُفع إلى السماء الرابعة...». إلاّ أنّ بعض المفسّرين قالوا بأنّ «مفهوم الرفع هو رفع المكانة لا رفع الجسد. وهو ما ذهب إليه عددٌ كبير من العلماء» (ص٦٨٧–٨٨).

وعن الفداء يقول : إنّ ألإسلام «يتصدّى لمفهوم الفداء في النصرانيّة... هذا المفهوم الذي يرتضي فيه النصارى الإعتقادَ بأنّ اللّه تعالى أرسل ولده الوحيد –تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا– ليُهان على أيدي الناس، وليُعذَّب، ويُبصَق عليه، ويُضرَب بالقصبة، ويُوضَع على رأسه إكليل من الشوك، ويُنشَر على الصليب، وتُسمَّر يداه، ويَسيل دمُه، ويموت وهو على الخشبة ليفدي الناس ويخلّصهم من عذاب جهنم بسبب خطيئة والدهم آدم. أجل يتصدّى الفكر الإسلامي لهذه الدعوى ويتساءل:

«لو صدقت (هذه الدعوى)، فما هو مصير موسى؟ هل أدخله الله تعالى الجحيم وخلّده فيها بعد أن كلّمه واصطفاه وأكرمه وأرسله رسولاً إلى بني إسرائيل؟ وما هو مصيرُ إبراهيم من قَبل، وهو مصير كلّ الأنبياء الذين سبقوا ظهور عيسى، كيحيى، وزكريا،

---

(٢٢) موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.

ويوشع، وهارون، وداوود، وسليمــان، ويونس، وأليشـع، وذي الكفل ويونس، ويعقـوب، واسحق واسماعـيل، ونوح، وادريس... هل سقط كل هؤلاء في جهنم؟!

«ولماذا لم تُنبِّـهِ التـوراةُ إلى أنّ ذنب آدم ظلّ مـعلَّقًـا في أعناق بنيـه، وسيظل حـتى يأتيـهم في آخـر الزمان مَن يفـديهم منه بدمـه وعـذابه وموته على الـصليب؟ ولِمَ لم يصرّح بـذلك الأنبيـاء والرسل على كثرتهم؟!..

و« نؤكّد بأنّ الإسلام يرفض دعوى الفداء أصلاً ويعتبرها غير متكافئة مع عظيمِ خيرِ الله ومَنِّه على عـباده، وبخاصة بعد أن تحقّقتْ توبةُ الله على آدم قبل أن يُهبطَه إلى الأرض من الجنّة التي كان فيها.

«يضـاف إلى مـا تقـدّم أن آدم هو الذي عـصى وأثِم، وليس أولادُه من بعـده... ثم مـا ذنب إدريـس ونوح وإبراهيم وإسـحـاق ويعقوب ويوسف ومـوسى والأنبياء كلّهم ومحـمّد... ما ذنب هؤلاء جميعًا وهم لم يأكلوا من الشجرة؟!» (ص٦٨٩-٦٩٦).

***

ويعلّق **أحمد زكي** ببعض الطرافة على حَـدَثُ نزولِ عيسى إلى الجحيم ليُخرِجَ منها الأبرارَ والأنبياء السابقين..فيقول :

«باللّهِ، كيف يُـنقذُ المسيحُ إبراهيمَ والأنبـياءَ الآخـرين، ويتركُ بقيّةَ المؤمنين الذين آمنوا بهؤلاء الأنبياء!!!»[٢٣] (ص١١٤).

---

(٢٣) **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

«ثمّ، باللّهِ، فليُخبرْنا أصحابُ هذا المعتقد المستحيل: كيف دخلَ هؤلاء الأنبياء وغيرهم جهنّمَ في الوقت الذي لا يتمّ دخولُها إلاّ يومَ الدينونة!! والدينونة لم تقم!!» (ص١١٥).

«ثمّ، باللّهِ، فليُخبرونا أيضاً: مَن قال لهم إنّ مَن يدخلُ جهنّمَ يخرجُ منها!؟» (ص١١٥).

ويسأل السيّد زكي: «كيف دخلَ المسيحُ جهنّمَ بدون أن يأخذَ مفاتيحَ السموات من بطرسَ بعد أن أعطاها له وهو على الأرض. لا سيّما وأنّ أناجيلَهم لم تخبرْنا أنّ المسيحَ وجدها مغلقة» (ص١١٦).

***

ملحق

نزول عيسى آخر الزمان

ينقل **الحافظ أبو الفضل الحَسَني**[٢٤]، عن بعض المسلمين، حديثاً متواتراً عن النّبي يقرّ بنزول عيسى على الأرض في آخر الزمان. يقول:

« أخبر النبي (ص) –وهو الصادق الصدوق– أنّ عيسى ابن مريم، عليهما السلام، سينزل في آخر الزمان فيقتل الدجّال الأعور اللّعين الذي يدّعي الألوهيّة، وكذلك يقتل الخنازير أيضاً، ويكسر الصليب، ويقاتل الكفّار على الإسلام، ولا يقبل منهم الجزية، وينتشر في زمنه الأمن والعدل، ويكثر المال حتى لا يقبله الناس، وفي وقته يخرج يأجوج ومأجوج، ويهلكهم اللّه بدعائه، ويمكث في الأرض ما شاء اللّه أن يمكث، ثم يموت فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه».

يعلّق الحافظ أبو الفضل على هذا الحديث، فيقول: «تواتر هذا المعنى تواتراً لا شكّ فيه، بحيث لا يصحّ أن ينكره إلاّ الجهلة الأغبياء..

---

(٢٤) ألحافظ أبو الفضل عبداللّه بن محمّد بن الصدّيق الحَسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام**، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦؛ (١٤×٢٠)؛ ١٦٨ ص.

لأنّه نُقل بطريق الجميع حتّى استقرّ في كتب السنّة التي وصلت إلينا تواتراً بتلقي جيل عن جيل» (ص ٧)...

ثم يعدّد المؤلّف مئات المحدّثين والباحثين، في عشرات الصفحات (ص ٧-٣٠). ونحن نذكرهم هنا للتأكيد من أنّ مسلمين عديدين آمنوا بما جاء على لسان النّبي. يقول الحافظ :

« ومن الذين ألّفوا كتباً في نزول عيسى:

- ألإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، في تفسيره على قوله تعالى : "إني متوفّيك ورافعك إليّ".

- والحافظ أبو الحسين الآبري، في كتابه "مناقب الشافعي"، أثناء الكلام على إبطال حديث "لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم".

- ألحافظ ابن حجر في "فتح الباري".

- ألإمام ابن عطية في تفسيره حيث قال: "وأجمعت الأمّة على ما تضمّنه الحديث المتواتر من أنّ عيسى في السماء حيّ، وأنّه ينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجّال، ويفيض العدل، وتظهر به ملّة محمّد (ص)، ويحج البيت ويعتمر" (ص ١٤).

- ألحافظ ابن كثير، في مواضع كثيرة من تفسيره؛ وبنوع خاص، عند الكلام على قوله تعالى في سورة الزخرف: "وإنّه لَعلم للساعة فلا تمترن بها". وفي تاريخه البداية والنهاية.

- العلامة محمّد بن علي الشوكاني، ألّف كتاباً خاصّاً في هذا المعنى سمّاه "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح".

- السيد صديق بن حسن القنوجي، في كتابه "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة"، ناقلاً كلام الشوكاني وغيره.

- والشيخ العلاّمة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني، في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، مطبوع بفاس.

- والعلامة المحدّث الشيخ محمد أنور الكشميري الديوبندي، ألّف كتابا خاصّاً سمّاه "التصريح بتواتر نزول المسيح"، مطبوع بالهند.

- وله أيضاً: "إكفار الملحدين في ضروريّات الدين"، وهو مطبوع بالهند أيضاً.

- والعلاّمة المحدّث أبو الطيّب محمد شمس الحق، في "عون المعبود" (ص١٣-١٥).

هؤلاء كلّهم «صرّحوا بتواتر نزول عيسى عليه السلام. وهم بعضٌ من كلّ، وقلٌّ مِن كثر» (ص ١٥).

***

وعند الحافظ أبي الفضل، أنّ عيسى، الذي سينزل في آخر الزمان، لا بدّ من أنّه لا يزال حيّاً في السماء. يقول :

«ثمّ إنّ الأحاديث التي دلّت بالتصريح على نزول عيسى عليه السلام، تدل بالاقتضاء على حياته، وأنّه في السماء، لأنّه، لو كان ميتاً، لكان لا بدّ من إحيائه وخروجه ليقتل الدجّال واليهود، ثم يموت أيضاً، فيكون قد مات وأُحيِيَ أكثر من مرّتَين، وذلك مخالف لقوله تعالى: "كيف تكفرون باللّه وكنتم أمواتاً فأحياكم، ثم يحييكم، ثم إليه

تُرجَعون " (٢٨/٢ ، ولقـوله تعالى " وقالوا ربَّنا أمَتَّنا وأحـييتنا اثنتَين فاعترفنا بذنوبنا " (١١/٤٠).

« فالنصـوص دالّة على حياته.. وأمّا كونه في السماء فلأنّ لفظ النزول والهبوط يقـتضيانه، ولأنّه، لو كـان في الأرض، لعُرِف محلُّه، ولَوَجب عليـه أن يسعى إلى رسـول اللّه (ص) حين بَعْثِـه، ويؤمن به، ويجاهد معه، تنفيذاً للميثاق الذي أخذه اللّه عليه وعلى جميع الأنبياء.

« وقال في ذلك صـاحبُ " عون المعـبود " : " فلا يخفى على كلّ منصف أنّ عيسى الآن حيّ في السمـاء لم يمت بيقين " . والدليل قوله تعالى: " ويكلّم الناسَ في المهـد وكهلاً "[٢٥]. والمراد بقوله " وكـهلاً " بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلّم الناس ويقتل الدجال... والكهولة هي لعـيسى بعـد " رفعه " ، لانّه " رفع إلى السـماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنـة.. وعندمـا ينزل " يمكث فـي الأرض، بعـد نزوله، أربعين سنة، كما دلّ عليه الحديث الصحيح» (ص ٣٠-٣٢).

وثمّة أحاديث كثيرة للرسول تقطع بأنّ عيسى لا يزال حيّاً في السمـاء، وأنّه سيـعود إلى الأرض في آخـر الزمان. جـاء في إحداها قولُه لليهود : " إنّ عيـسى لم يمتْ. وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة " (ص ٣٤). وجـاء في حـديث آخـر : " كـيف تهـلك أمّـة أنا في أوّلهـا وعيسى في آخرها!!؟ " .

ومعنى الآيـة: " إنّي متوفّـيك ورافعك إليّ ومطهّـرك من الذين كفروا "[٢٦].. أنّ اللّه قبضَ عيسَى ورفعه إليه، وطهّره بنقله إلى السماء

---

(٢٥) سورة آل عمران ٤٦/٣.
(٢٦) سورة آل عمران ٥٥/٣.

حتى لا يلحقه أذى. وهذا المعنى هو المؤيَّد بالنظر الصحيح، لأنّ التوفّي معناه، في اللّغة، قبض الشيء وافياً... والدليل هو أن "ليس في القرآن موت ذُكر معه الرفع، لأنّ الميت يدفن ولا يرفع. ألا ترى إلى قول اللّه تعالى في شأن الإنسان: "ثمّ أماته فأقبره"[٢٧]. ولذا قال القرطبي: إنّ اللّه تعالى رفعه من غير وفاة، ولا نوم. وهو اختيار الطبري، والرواية الصحيحة عن ابن عبّاس... والرفع حقيقته اللّغوية النَّقل من أسفل إلى علوّ، كما قال أبو حيّان وغيره من أئمّة اللّغة والتفسير» (ص ٣٥).

***

هكذا يتبيّن لنا، آخر المطاف، أنّ معتقدات المسيحيّة كلّها، تلك التي تعود إلى المسيح، من صلْبٍ، وموتٍ، وفداءٍ، وتكفيرٍ، وقيامةٍ، وخلاصٍ...، مرفوضة عند المسلمين.

غير أنّ الاختلاف لا يزال قائماً في معنى "الرّفع" و"القيامة"، وفي "نزول عيسى إلى الأرض آخر الزمان"، وفي "وجوده حيّاً في السماء"...

---

(٢٧) سورة عبَسَ ٨٠/ ٢١.

الفصل الثامن

روح القدس

ينتقد المسلمون بشدّة مقولة المسيحيّين في الروح القدس. وهم بذلك يطعنون بالمسيحيّة في الصميم. ولئن سقط الروحُ القدس من المسيحيّة، انهارت المسيحيّة من أساسها، وقضي عليها قضاءً مبرماً ونهائيًا.

روح القدس في المسيحيّة يعني ذاتًا إلهيّاً. إنّه الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهي. وهو، بحسب «قانون الإيمان»: «الروح القدس، الربّ المحيي، المنبثق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن، يُسجَد له ويُمجَّد، ألنّاطقُ بالأنبياء والرّسل».

أمّا في الإسلام، فقد ورد تعبير «الروح» في **القرآن** ٢١ مرّة: ٤ مرّات «روح القدس»[١]، ومرّة واحدة «الروح الأمين»[٢]، و«روح من الله في صيغ عديدة[٣].

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٨٧؛ ٢٥٣؛ المائدة ٥/ ١١٠؛ النحل ١٦/ ١٠٢.

(٢) سورة الشعراء ٢٦/ ١٩٣.

(٣) ألروح من أمره (١٦/ ٢؛ ٤٠/ ١٥)؛ الروح من أمر ربيّ (١٧/ ٨٥)؛ وروحاً من أمرنا (٤٢/ ٥٢)؛ وروح منه (٤/ ١٧١؛ ٥٨/ ٢٢)وروحنا (١٩/ ١٧؛ ٢١/

غير أنّ المسلمين والمفسّرين كـافّة، على اختلافاتهم، يعنون به عـادةً الملاك جـبريـل؛ وبعض المرّات: ألوحي، أو التـأييـد الربّاني، أو القرآن.. غير أنّهم جميعهم متّفق على تكفير المسيحيين في إيمانهم في روح القدس. فلنـبدأ بالبداية. ونسـتعـرض كلامَ المسلمين، كـعادتنا، بحسب تسلسلهم الزمني.

***

فـهـذا **الحـسن بن أيّوب،** ألنصـراني النشـأة، يتـوجّـه إلى النّصارى، "أبناء عـمّه"، وقـد كان منهم قبل إسـلامه، ويأخـذ عليهم عدم وضوحهم في شخصيّة ذاك الخارج من الأب[٤]. يقول :

" وجدناكم تقولون: إنّ الابن إنّما يـسمّى ابن اللّه وكلامه، لأنّه تولّد من الأب، وظهـر مـنه؛ فلم نقف على مـعـنى ذلك، لأنّ شـريعـة إيمانكم تقـول: إنّ الروح أيضاً تخـرج من الأب. فإنْ كـان الأمر كـما تقولون: فالروح أيضاً ابن، لأنّها تخـرج من اللّه تعالى. وإلاّ فما الفرق بينهما؟ " (٢/٣٣٦).

***

و **شيخ الإسـلام إبن تيـميّة** واضـح في أنّ الروح القدس، الذي يتكلّم عليه القـرآن، هو جبريل[٥]، لا ذات إلـهيّـة كما تقـول النصـارى. يقول:

٩١؛ ٦٦/١٢)؛ وروحه (٣٢/٩)؛ وروحي (١٥/٢٩؛ ٣٨/٧٢)

(٤) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.**

(٥) ألمرجع نفسه.

«روح القدس الذي نزل بالقرآن من الله هو الروح الأمين، وهو جبريل. والتأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح» (١/ ٢٦٤- ٢٦٥).

ولكنّ شيخ الإسـلام يعود فيـتأرجح في مـعنى روح القدس، فيقول: «ولهذا قال كثير من المفسرين: إنه جبريل، وقال بعضـهم: إنه الوحي» (١/ ٢٦٥).

ثم يعود ليؤكّـد احتمالات القرآن، فيـقول: «وروح القدس: قد يراد به المَلَك المقدّس كجبريل، ويُراد بـها الوحي والهُدى والتأييد الذي ينزّله الله بواسطة المَلَك، أو بغير واسطته. وقد يكونان متلازمين، فإنّ المَلَكَ ينزل بالوحـي، والوحي ينزل به المَلَك، والله يؤيّد رسـلَه بالملائكة وبالهدى» (٢/ ٩٩-١٠٠).

ويقول أيضاً : «إذا كان روح القدس مـعروفاً في كلام الأنبياء المتقدِّمين والمتـأخِّرين أنّها أمرٌ يُنزله الله على أنبيائـه وصالحي عباده، سواء كـان ملائكـة تنزل بالوحي والنصر، أو وحـياً وتأييـداً مع الملَك وبدون الملَك، ليس المراد بروح القدس أنّها حياة الله القائمة به».

ويقول في تفسير قول المسـيح لتلاميذه: " عمّدوا الناسَ باسم الأب والإبن وروح القدس" مرادُه: مُـروا الناسَ أن يؤمنوا بالله ونبيِّه الذي أرسله، وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جـاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله ومـلائكته وكتـبه ورسله. وهذا هو الحق الذي يدلّ عليه صريح المعقول وصحيح المنقول» (٢/ ١٠٠).

ويقـول أيضـاً: إنّ " روح القـدس الذي يكون في الأنـبـيـاء والصالحين، ليس هو حياة الله القائمة به. ولو كان روح القدس، الذي

في الأنبياء، هو أحد الأقانيم الثلاثة، لكان كلٌّ من الأنبياء إلهاً معبوداً قد اتّحد ناسوتُه باللاّهوت، كالمسيح... وأنتم لا تُقرّون بالحلول والاتحاد إلاّ للمسيح وحده مع إثباتكم لغيره ما ثبت له" (٢/١٢٢-١٢٣).

ثمّ يقول: «ثمّ إنّ روح القدس لا تختص بالمسيح... روح القدس حلّت في غير المسيح، في داود، في الحواريّين، وفي غيرهم... فإن كان روح القدس هو حياة اللّه، ومَن حلّتْ فيه يكون لاهوتًا، لزم أن يكون إلهاً، لزم أن يكون كلٌّ هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح. وهذا خلاف إجماع المسلمين والنصارى واليهود. ويلزم من ذلك أيضًا أن يكون المسيح فيه لاهوتان: الكلمة، وروح القدس. فيكون المسيح مع الناسوت أقنومين: أقنوم الكلمة، وأقنوم روح القدس...» (٢/١٢٧).

وفي مكان آخر قال بما معناه: إنّ روح اللّه يُراد بها الملَك الذي هو روحٌ اصطفاها اللّهُ فأحبّها... فأضافها إليه.. كقوله: "ناقة اللّه"[٦]، و"عباد اللّه"[٧]، و"بيت اللّه"[٨]... ولا يمكن أن يصبح ما يُضافُ إلى اللّه هو اللّه. بل هو إمّا صفة من صفاته، أو عَينًا من الأعيان القائمة بنفسها ومنسوبة إلى اللّه (٢/ ١٣٠).

ويفسّر إبن تيميّة "معنى التعميد باسم الأب والابن وروح القدس"، فيقول: إنّ روح القدس هو لفظ يعني حياةَ اللّه، التي هي صفة، وليست أقنوماً ذا شخصيّة مستقلّة عن اللّه، وليست أيضاً جزءاً

---

(٦) سورة الشمس ٩١/١١٣.
(٧) سورة الإنسان ٧٦/٦.
(٨) سورة الحج ٢٢/٢٦.

من اللّه يـنفـخـه في مـخلوقٍ مـا. فـالنّفخ هنا يعنـي أنّ اللّه أرسل "روحَه"، ألمخلوق المملوك له. وليس المراد حياته سبحـانه وتعالى.. وليس المراد أيضاً أنّ اللّه مـركّب من بدن وروح، كالإنسان. بل "روح اللّه" "تُضاف إليه ملائكته ومـا ينزله على أنبيائه من الوحي والهدى والتأييد، ونحو ذلك" (٢/ ١٣٤-١٣٦).

كما يفسّر كـلام القرآن: "أوحينا إليك روحاً من أمرنا" (٤٢/ ٥٢)، و"يُنزِّلُ الملائكةَ بالرّوح من أمره" (١٦/ ٢)، فيقول: "فما أنزله يسمّى هدى اللّه، وروح اللّه، ووحـي اللّه، ونور اللّه، ونحو ذلك" (٢/ ٢٢١).

***

أمّا **أحمـد ديدات** فـيقـول بأنّ «الرّوح القدس، الذي بشّـر به عيسى، بأنّه "يرشدكم إلى جـميع الحقّ" (يو ١٦/ ١٣)، لم يقدّم حلاً لأي شيء.

ثمّ يقـول: «من حـقّك أن تطلب منهم حلولاً للـمشـاكل الآتيـة بواسطة الرّوح الـقـدس: ألمسكرات (الخـمـور)، القـمـار، العـرافـة (التنجيم)، العنصريّة (التمييز العنصري)، مشكلة النساء الزائدات عن الحاجة في المجتمعات الغربيّة»[9] (ص ٧٠-٧١).

***

(٩) محمّد. الخليفة الطبيعي للمسيح، ١٩٩١.

وسماحة الشيخ مـفتي الجمهورية **حسن خالد**(١٠)، في مسألة الروح القـدس، واضح صريح. وقد نسـتطيع أخذ الموقـف الإسلامي المعاصر والصريح من فم سماحته. عنده، الروح القدس هو جبريل، لا شكّ في ذلك، بل هكذا اتّفق مفسّرو القرآن جمـيعهم. يقول: «المقصود بالروح القدس جبريل عليه السلام. والعبارة مؤلّفة من كلمتين: الروح وهو جبـريل، والقدس وهو الـلّه تعالى. وقـد أضاف اللّه جبـريل إلى نفسه تعظيمًا له...

«ولئن كـان اللّه تعـالى قـد أخـبـرنا في هذه الآية(١١) بأنّه أيّد عيسى بالرّوح القـدس، فقد ثبت أنّه أيضاً قد أيّـد به كلَّ الأنبياء الذين جاؤوا قبله، كما أيّد به سيّدنا محـمّداً ... بل وإنّه سبحانَه وتعالى كان ولا يزال يؤيّد به الصالحين من عـباده، بدليل قولهً لحـسّان بن ثابت: "أللّهمّ أيّدْه بروح القدس". وفي لفظ آخر: "روح القدس معك ما دمتَ تنافح عن نبيّه"(١٢).

ثمّ يسـتشـهـد سمـاحتُـه بالنحّاس، الذي قـال: سُمّي جـبريل روحًا، وأضـيف إلى القدس، وهو اللّه، لأنّه كان بتـكوين اللّه له روحًا من غيـرِ ولادةِ والدٍ وَلَدَهُ. وكذلك سمّـي عيسى روحًـا لهذا»، أي لأنه من غير والدٍ وَلَدَه (ص ٧٠٣-٧٠٤).

«وتأييـد اللّه تعـالى لـرسله والصـالحين من عـبـاده بالرّوح القـدس هو بمعنى إرسـال جبـريل ليكون مـعهم يُعـينهم ويسـهّل له

(١٠) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

(١١) أي آية النّحل ١٦/١٠٢: "قل نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ، ليُثبِّتَ الذين آمنوا".

(١٢) يستشهد بابن تيميّة.

أمورَهم حتّى ولو اقتضى ذلك إجراء المعجزات والخوارق على أيديهم إنْ كانوا رسلاً...

«كلّ هذا يفيد أنّ روحَ القدس لم يكُ مختصاً بعيسى عليه السلام وحدَه، ولا برسول آخر سواه، قبلَه أوَ بعدَه. وليس روحُ القدس إلهاً. وإنّما هو جبريل عليه السّلام، خلقه اللّه وأضافه إلى ذاته تعظيماً له. وهو يرسلُه ليؤيّد له من يشاء من عباده الصالحين»(ص ٧٠٥-٧٠٦).

***

الدكتور محمود أيّوب، ألتوفيقي، يقول عن الروح القدس :

«ألقرآن يذ كر الروح القدس، ولا يحدّد هويّته. ونحن، إذا قلنا إنّ الروح القدس يعمل في العالم، وإنّ اللّه يحبّ العالم، فيجب ألاّ نحصر عمل الروح القدس في الكنيسة وحدَها. وأعتقد أنّ المسيحيّين يوافقونني هذا الرأي»[١٣] (ص ٤٩).

يجيبه المطران خضر فوراً ومباشرة: "أنا موافق على ذلك" (الصفحة نفسها).

***

أمّا **شريف محمّد هاشم**[١٤]، فيقول في موضوع الرّوح القدس: «آيات القرآن واضحة، والروح القدس فيها تعني جبرائيل.

---

(١٣) ألحوار مع المسيحيّين من منظور إسلامي.

(١٤) الإسلام والمسيحيّة في الميزان.

فـأين الخلط فـيهـا بين الروح القـدس وجـبرائيل، وهمـا في القـرآن واحد؟!» (ص ٥٦٥).

ويقـول: «كـان مـوضـوع الروح القـدس من أفـضل الحلول المطروحة لتلك المشكلة العويصة (أيّ مشكلة تبرير حمل مريم العجيب وتفسـيره لخطيبـها يوسف). ولكن الملفت للنـظر أنّ الروح القدس لم ينتهِ دوره عند هذا الحدّ (في حلول المشاكل)، بل رأينـا رسل المسيحيّة الأوائل يحـتفظون به للأزمـات والملمّات الصعـبة. فكان ملجـأهم في شتّى مآزقهم... وحلُّ أية معضلة نجده في جعبة الروح القدس، ورهن إشارته» (ص٢٨٣).

***

وأمّا عند **أحمـد زكي**[١٥] فـالكلام على الرّوح القـدس يوازي بصعوبته الكلامَ على الثالوث وعلى ألوهيّة المسيح. يقول ساخراً :

* تعليقاً على ما جاء فـي متّى في عماد يسوع، أنّه "رأى روحَ اللّه نازلاً مثل حمامة"، (متى٣/١٦)، يقول السيّد زكي:

١. «كيف عرف الملهمون أنّ تلك الحـمامة بالذّات، دون غيرها، لو كان زعمهم حقّـاً، كانت روح اللّه؟! ألأنّها حطّت عليه؟! أم لأنّها هي قالت لهم ذلك!!؟ من حسن حظّ تلـك الحمامة أنّه لم يكن وقتَهـا صيّاد يتصيّـد. كما لم يخبرنا الكتـبة الملهمون أيّ نوع من الحـمام كانت تلك الحمامـة. فالحمام أنواع. كـما لم يخبرونا كم كـان حجمهـا، وما كان لونها، وماذا جرى لها بعد أن حطّت عليـه، ولا أين استقرّت بالتحديد،

(١٥) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

على كتفَـيه مثلاً، أي كتف، أم على رأسه. أم اندمـجت ودخلت فيه؟ أم عادت إلى السـماء!!؟ لأنّ كلَّ هذه التفـاصيل، وإن بدت تافهـة إلاّ أنّها مهمّة لأنهم يتحدّثون عن إلههم. والمفروض أن لا يتركوا أي شاردة أو واردة، إلاّ ويذكرونها.

٢. «إذا كانت هذه الحمـامة هي روح اللّه، كما زعم كـتبةُ هذه الأناجيل، فهـلاّ فسّر لنا أحد من قساوسـة اليوم كيف بقي اللّهُ بدون روح؟! ولو اصطادها صيّاد، مـاذا يحصل لإله الكون! ثم كيف يرضى النصارى بأن تكون روح إلههم حمـامة؟ أليس هذا ضلالاً وإضلالاً؟! أين ذهب رشدُهـم؟.. حتمـا، لا بدّ أنّ غالبـيتهم لا تحـمل هذه الرواية محـمل الجدّ. وإلاّ لطالبوا بـتقديس كلّ الحـمام وحرّمـوا اصطياده أو أكله، كما يفعل الهندوس مع البقرة!!

٣. «... أناسٌ سُذَّج كـتبوا لأناس أكـثر منهم سـذاجة.. إذ هل يمكن للروح أن يراهـا إنسـان؟!.. فـأنت، مـثـلاً، لا تسـتطيع أن ترى روحي، كمـا أنّي لا أستطيع أن أرى روحَك. فمـا بالك إذا كانت الروحُ روحَ اللّه؟!. ويلٌ لهم كـيـف أخذوا روحَ الـلّه وحـوّلوها من روحٍ إلى جسم، على شكل حمامة، وتركوا الـلّهَ بدون روح، فقط لتحطّ الحمامة على إلههم "الآخر" الذي نصّبوه إلهاً رغماً عنه.

٤. ثمّ «فـمـا بالك، عـزيـزي القـارئ، إن كـانت الروحُ روحَ القدس، أو روحَ اللّه. أفـبعد أن قالت كتـبُهم إنّ اللّه لا يُرى يأتي هؤلاء الكتبة الملـهمون ويقولون إنّهم رأوا روحَ اللّه على شكل حـمامة؟! وأنّ اللّه مكثَ بدون روح!؟ أتخريف هذا أم هذيان!؟

٥. «.. ثمّ يا ليتَ كـتبـة الأناجيل العـباقرة شـرحوا لنا كـيف انفتحت له أبـواب السماء في الوقت الذي هي فضـاء لا نهائي، وكيف

عـادت وأغلقت أبوابهـا بعـد ذلك!!.. إنّ السـمـوات، لمّا انفـتـحت، هل انفـتحت أبوابهـا الكبيـرة، أم المتوسطة أم الصـغيـرة... وما أخبـرنا (متّى): هذه الحمامة، هل أخذها واحـد وحبسها في القفص، أم رأوها راجعة إلى جانب السماء.. لعلّ الحمامة كانت جنّيّة!» (٣٤٩-٣٥١).

* وعلى لوقـا (١١/١٢)، حيث يقـول يسوع: "فكم بالحـري الأب الذي من السـماء يعطي الروح القـدسَ للذين يسألونه"، يـسأل أحمد زكي:

١. «إذا كان الإلـه الذي زعموه مـركّبـاً من الأب والابن وروح القدس، وإذا كان الإله ينقسم على نفسـه فيعطي الأبُ فيه روحَ القدس للذين يسألونه، فعندها يخرب الثالوث حسب قول المسيح: "كلّ مملكة منقسمة على ذاتها تخرب".

٢. «إذا كان روح الـقدس يُعطى للذين يسـألونه حسـب قول لوقا، لا يعود هناك ثالوثاً، إنّـما ثلثي ثالوث، أي الأب والابن. وإذا كان الإله يتـفكّك إلى روح قـدس يعطى للذيـن يسألـونه، وإلهٍ يمشي على الأرض، وإلهٍ في السماء، فهذا إلهٌ مركّبٌ وليس اللّه الحقيقي.

٣. «نحن نسأل القساوسة الذين ألّهوا روحَ القدس لطوائفهم، كيف يعطي الأبُ الروحَ القدس للذين يسألونه؟ هل روح القدس شيء يُعطى! إن كان كذلك، فهو أيضـاً ليس إله (كذا)، لأنّه ليس من المعقول أن يُعطي اللّهُ إله (كذا) للذين يسألونه. إنّـما يعطيهم إيماناً وقوّةً، فإذا كان الروحُ القـدس هو الإيمان والقوّة المعطاة من اللّه، فكـيف يقولون إنّ الروح القـدس هو اللّه!!؟ وإن كان روح القـدس هو روح اللّه، كمـا يزعمون، فكيف يبقى اللّه بدون روح!!؟

٤. «كيف تدّعي الطوائفُ أنّ عـيسى تحوّل من أب إلى ابنٍ إلى روحٍ قدس بعد الصلب! وها هو روح القدس، على ضوء ما ذكره لوقا، مـوجود قـبل الصلب، ويعطـى للذين يسـألونه!!؟ ألا ينسفُ هذا كلَّ تخبّطِهم بروح القـدس، ويثبت أنّهم لا يعرفون شيـئاً عن حقيـقته، إذ جعلوا منه تارة روحَ اللّه، وتارةً حمـامة، وتارةً يعطى للذين يسألونه، وفي حفلات الفطـير يكون رهنَ إشارة القسّيس، ويحـوّلُ لهم الفطير إلى جسد المسيح والخمر إلى دمـه. وهل سمع أحدٌ أن التقرّبَ إلى اللّه يكون بالخمر!!؟» (٤٣١-٤٣٢).

* وعلى مـتّـى (١٢/ ٣١-٣٢)، حـيث يقـول يسـوع: "أمّـا التجديفُ على الروح القدس فلن يُغـفر للناس. ومَن قال كلمةً على ابن الإنسان يُغفرُ له. وأمّا مَن قـال على الروح القدس، فلن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي"، يعلّق السيّـد زكي: «منتهى الهراء! ولا يمكن أن يكون المسـيح قـد تلفّظ بذلك! لأنّ هذا مـجرّد كـذب وتزوير". هذا معناه:

أوّلاً – «ألكذب والتـزوير مـوجـود في لفظ "ابن الانسـان" (الذي يستـعمله في غيـر مكانه. وهو يعنى عادةً النبيَّ محـمّد. وليس عيسى).

ثانياً – «كذلك الكذب والتزوير موجود في زعم الكاتب "وأمّا التـجـديف على روح القـدس فلن يُغفـر للناس"... لماذا يـوجد كـذب وتزوير هنا! لأنّ في ذهن الكاتب طبخةً يريد أن يمررها علينا، وهي أن الروح القدس إله.. لماذا؟

١. «حتّى الآن، قطعنا معك أحد عشر إصـحاحاً، لم يَذكرْ فيها المسـيحُ حرفـاً واحداً عن روح القـدس، لا في موعظة الجـبل، ولا في

صلاته لربّه، ولا في الصلاة التي علّمها للتلاميذ، ولا في الجموع التي كانت تحيط به، ولا للتلاميذ الذين أرسلهم للتبشير في المدن، ولا حتّى للفرّيسيّين.

٢. «لا المسيح ولا تلاميذه عرفوا، طيلةَ حياتهم، بأنّ روحَ القدس إله... ولو جدّف واحدٌ منهم بذلك أمام الكهنة والفرّيسيّين الذين كانوا يؤمنون بالله الواحد، لهبّوا عليه هبّةَ رجلٍ واحد، وقتلوه.

٣. «حاشا للمسيح أن يُشرِكَ إلهاً آخَرَ مع الله. وها هي أقواله بتنزيه الخالق وتوحيده تملأ الأناجيل..

٤. «كون الكاتب اختصّ روحَ القدس بعدم مغفرة مَن يقول عليه كلمةً ، فإنّه قد فضحَ نفسَه، وكشفَ عن حشره روحَ القدس في الألوهيّة حشراً. إذ، لماذا اختصّ الأقنومَ الثالث، ولم يختصّ الأقنوم الثاني الذي هو قبله، أو حتّى الأب الذي هو الأقنوم الأوّل. إذ أنّ التجديفَ على الأب كان أولى من روح القدس بأن لا يغفر، لا في هذا العالم ولا في الآتي.

٥. «وممّا يُثبتُ قولنا هذا أنّ قساوسة الشاؤوليّين الكنسيّين ذوي المؤهلات الرفيعة لم يعترفوا بروح القدس كإله إلاّ سنة ٣٨١، في المجمع القسطنطيني الأوّل الذي عُقد خصيصاً لتأليه روح القدس.. والطريف في هؤلاء القساوسة.. أنّهم خرجوا على ما كان غيرهم من قساوسة قد قرّروه في مجمع نيقية السابق سنة ٣٢٥ م بالزيادة التي أضافوها هنا...» (٥٢٢–٥٢٤).

***

أمّا الدكتور **مصطفى شاهين**[١٦]، فلا يبعد عن أقرانه في موقفه من الرّوح القدس. يقول:

" ألرّوح القدس يُراد به المَلَك الذي يرسله اللّهُ للأنبياء بالوحي. وهو جبريل عليه السّلام. وما يدّعيه النّصارى من كونه إلهاً، أي أحد الآلهة الثلاثة عندهم، باطل... " (ص ١١١–١١٤).

---

(١٦) النّصرانيّة. تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة.

الفصل التاسع

مريم أم عيسى

صورة مريم في **القرآن** صورة بهـيّة. لها فـيه ما تستحقّ من تكريم وتبجيل. فـهي المرأة الوحيدة التي يذكرها باسمـها (٣٤ مرّة). يقول عـنها بأنّ اللّه اختارها ومـيّزها وطهّـرها وأعلاها فـوق نساء العالمين... لكأنّه سـبق وأعلن عصمتـها من الخطيئة، وأعلن حـبلها من غير دنس. وللنّبي في قداستها حديث شـهير، يقول فيه: «ما من مولود يولد إلاّ والشّيـطان يمسّه حين يولد، فيـستهـل صارخًا مِن مـسّه، إلاّ مريم وابنها»[1].

ينسب القرآن مـريم إلى سلالة هارون، ومن ذرّيتـه، اصطفاها اللّه، كـمـا اصطفى آدم ونوحـاً وآل إبراهيم وآل عـمـران، وهي آية للعالمين[2]. حبلت بها أمّـها، بعد أن نذرتْها للّه، فـقَبِل اللّه نذرَها[3]. ولمّا ولدتْها سمّتْها مريم، فتقبّلها الله قبولاً حسناً وأنبتها نباتًا حسنًا[4].

---

(١) أنظر **تفسير البيضاوي** على سورة آل عمران ٣/٣٦.

(٢) سورة آل عمران ٣/٣٣.

(٣) سورة آل عمران ٣/٣٥.

(٤) سورة آل عمران ٣/٣٦–٣٧.

ولّما كبرت مريم دخلت الهيكل، واتّخذت لها فيه مكانًا بعيدًا عن الأنظار، وتكفّلها زكريّا، رئيس الكهنة آنذاك، ورزقها الله من ثمار الجنّة رزقًا عجائبيًّا. وهي استمرّت في خلوتها في الأصوام والصلوات والسجود والركوع(٥)، إلى أن حان وقت زواجها(٦).

وفيما هي غارقة في العبادة والصلاة، جاءها جبريل، وتمثّل لها رجلاً (١٩/١٧)، فارتعبتْ منه فاستعاذتْ بالله (١٩/١٩)، فطمأنَها وبشّرها بولد يولد منها لا من زرع بشر(٧)، يكون آية للعالمين. هو كلمة الله، وروح منه، ورحمة، وجيه في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقرّبين الصالحين(٨).

ولّما حان وقت ولادة ابنها «انتبذتْ به مكانًا قصيًّا»(٩)، أي في البريّة، عند نخلة. جلستْ مريمُ تحتَها تنتظر مولودها، وتندب تعاستها، لما ستتعرّض له من تهم ولوم، وربّما الرّجم بحسب شريعة اليهود. وتمنّت لو انّها ماتت قبل أن حصل لها ما حصل. فقالت: «يا ليتني متّ قبل هذا. وكنتُ نسيًا منسيًا»(١٠). ولكنّها تصبّرت وجاءت أهلها. فلمّا رأوها قابلوها بالعتاب وسوء الظنّ: فقالوا: «يا مريم! لقد جئتِ شيئًا فريًا. يا أختَ هارون! ما كان أبوك امرأ سوءٍ، وما كانت أمُّك بغيًا»(١١).

---

(٥) سورة آل عمران ٣/٤٣.
(٦) سورة مريم ١٩/١٦-١٧؛ سورة آل عمران ٣/٣٧ و٤٤.
(٧) سورة مريم ١٩/٢٠؛ سورة آل عمران ٣/٤٧.
(٨) سورة مريم ١٩/٢١؛ سورة آل عمران ٣/٤٥-٤٦.
(٩) سورة مريم ١٩/٢٢.
(١٠) سورة مريم ١٩/٢٣.
(١١) سورة مريم ١٩/٢٧-٢٨.

ولم يبقَ عند مريم حـيلة سوى الإشـارة إلى طفلها ليـرفع عنها التـهم؛ وإلاّ جرت عليـهـا أحكام شريعـة مـوسى في الزنى، من رجمٍ وقتلٍ ومـا يتبعهـما من عار وشنار. وللحال تـكلّم الطفل وأعلن نبوّته وعلاقتَه باللّه، وأعلن براءَة أمّه.

جاء في القـرآن: «فأشارتْ إليـه. قالوا: كيف نـكلّمُ مَن كانَ في المَهدِ صبـيًّا؟ قال: إنّي عبـدُ اللّه. آتاني الكتابَ. وجعلَني نبيًّـا. وجعلَني مـباركًـا أين مـا كنتُ. وأوصَـاني بالصـلاةِ والزّكـاةِ ما دمـتُ حيًّـا. و(جَعلني) بَرًّا بوالِدتي. ولم يجْـعلْني جبّارًا شقيًّـا. والسلامُ عليّ يومَ وُلِدتُ، ويومَ أموتُ، ويومَ أُبعَثُ حيًّا»[١٢].

والمسلمون ، بعـد القرآن، لا يزالون يكرّمون مريم ويعظّمـونها ويقدّسونها ويُعلون شأنها. ولكنّهم، يكفّرون المسيحيّين الذين اتّهمهم القرآن بتأليهها واعتبارها أحد الثالوث الإلهي.

***

كان **الجاحظ** أوّل مَن تعرّض لذكر مريم ومقامها عند النصـارى . فـذكر رفْـضَـهم لما جـاء في القرآن. فـ «قـالوا[١٣]: إنّ الدليل على أنّ كتابَنا (أي القرآن) باطل، وأمْرَنا فاسد، أنّنا ندّعي عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم، ولا يعرفونه من أسـلافهم، لأنّا نزعم أنّ اللّه قال في كتابه على لسان نبـيِّه محمّـد: " وإذْ قالَ اللّهُ: يا عيـسى ابنَ مريمَ! أأنتَ قلتَ للنّاسِ اتّخذوني وأمّي إلهَين من دون اللّه؟ "[١٤].

---

(١٢) سورة مريم ١٩/٢٩-٣٣.
(١٣) **المختار في الردّ على النصارى**، ص ٥٣-٥٨.
(١٤) سورة المائدة ٥/١١٦.

«وأنّهم زعموا أنّهم لم يدينوا قط بأنّ مريم إله في سرِّهم، ولا ادّعوا ذلك قط في علانيّتهم» (ص ٥٣–٥٨).

هذه التّهمة لاحقت المسيحيّين كلَّ حياتهم، بالرّغم من أنّ الجاحظ يعترف برفضهم لها، وببطلان قول القرآن فيهم. ولكنّ كلامَ اللّه، على ما يبدو، يعلو.

***

ويسأل **الباقلاني** النصارى عن إيمانهم في مريم[١٥]، كيف ولدت الإبنَ دون الأب وروح القدس، مع أنّ الجميع واحد غير منفصلين بعضهم عن بعض؛ وهل مريم هذه هي إنسانٌ كلّي أم إنسان جزئي؟. يقول:

«ثمّ يقال لهم: خبّرونا كيف ولدتْ مريمُ الابنَ دون الأب وروح القدس، وهو غير مبايِنٍ لهما، ولا منفصلٍ عنهما. فيكون المتَّحِد بالجسد حالاً في بطن مريم، والأب والرّوح والجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم. وهما مع ذلك غير متابينين ولا منفصلين ممّا هو حالّ في الجسد في بطن مريم؟! فما لا ينفصل ولا يتميّز بالذات، كيف يكون منه مولود ومنه غير مولود، ومنه متَّحد ومنه غير متّحد، لولا الجهل والعجز؟».

«ثم يقال لهم: خبّرونا عن مريم، أهي إنسان كليّ أم إنسان جزئي؟ فإنْ قالوا: إنّها كلّيّ، تجاهلوا... وإنْ قالوا: مريم إنسان جزئي، قيل لهم: فالإنسان الذي ولدتْه أليس هو الذي اتّحد الابنُ به بولادته،

(١٥) **كتاب التمهيد**، الباب الثامن.

وهو إنسـان كليّ، وأمُّـه التي هي مـريم إنسـانٌ جـزئي؟ وهذا طريف جدّاً... فكيف يكون الجزئي والداً للكلّي؟.. وإنْ جاز أن يكون الكليّ إبنَ الجـزئي، فلِمَ لا يجوز أن تكون مـريم ابنةَ عـيسى المولود منهـا، وأن يكون آدم ونوح إبنَي مـريم التي هي ابنة لهما؟ وهذا تجـاهل عظيم لا يبلغه صاحب تحصيل» (ص٩٥-٩٧).

***

وتسـاءل **ابن حزم** عن حـبل مريم بواسطة الروح القـدس[١٦]: لماذا الذي وُلد من أمّ يحـيى لم يكن إلهاً، فيـما الذي وُلد من مـريم كان إلهاً؟ علماً بأنّ الإثنَين وُلدا من الروح القدس. يقول:

«إنّ المسـيح احتـشى من روح القـدس.. وإنّ يحيى بن زكـريا احتشى من روح الـقدس أيضـاً، وإنّ أم يحيى احتـشت أيضاً من روح القدس. فما نرى للمسيح من روح القدس إلاّ كالذي ليحيى ولأم يحيى من روح القدس. ولا فرق. فأي فضل له عليهما؟!»

ويسـتنتج: « فأي دين أوسـخ وأضلّ وأفسـد من دينِ مَن هذه صفته. ولقد كان لهم كفاية في بطلان كلّ ما هم عليه» (٢/ ١٨).

***

مع الإمام العلاّمة **ابن قيّم الجوزية**[١٧] يختلف الأمر، فهو يأخذ على المسـيحـيّين إيمانهم بأمـومة مـريم للّه. ويسـتعـرض مقـولات

---

(١٦) **الفصل في الملل والأهواء والنحل.**

(١٧) **هداية الحيارى.**

النصارى في مريم بشيء من السخرية. ولا يتورّع من وصفهم بـ «الأوقاح والأرجاس». يقول :

«وأمّا قولهم في مريم، فإنهم يقولون إنّها أمّ المسيح ابنِ اللّه في الحقيقة، ووالدتُه في الحقيقة؛ لا أمّ لابن اللّه إلاّ هي؛ ولا والدة له غيرها، ولا أب لابنها إلاّ اللّه، ولا ولد له سواه؛ وإنّ اللّه اختارها لنفسه، ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلاّ عن وطء الرجال لها، ولكن اختصّت عن النساء بأنّها حبلت بابن اللّه، وولدت ابنه الذي لا إبن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وأنّها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه.

«والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحّة البدن، وطول العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده –الذي يعتقد عامّتهم أنّه زوجها ولا ينكرون ذلك عليهم– سورًا وسندًا وذخرًا وشفيعًا وركنًا. ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا. وهم يعظّمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيّين والمرسلين ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة...

«هذا، والأوقاح الأرجاس من هذه الأمّة تعتقد أنّ اللّه سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده، وتخطاها كما يتخطّى الرجل المرأة» (ص١٣٩).

***

ويقول **الشيخ العاملي** عن مريم العذراء[١٨] بأنّ المسيحيّين، في تكريمهم لها، كالوثنـيّين. ويذهبون في تعظيمها حـتّى العبادة التي لا تجوز إلاّ للّه وحده :

«وأمّا المسيحـيّون فإنّهم يعتقدون بالعذراء مـريم نفس اعتقاد الوثنيين، ويُنشدون لهـا الأناشيد، ويتضـرّعون إليها في أيّـام خاصّة يسـمّونهـا الأيام المريميّـة، ويلقـبّـونها ملكة الـسمـاء، ووالدة الإله، وصاحـبة المجد. وربّمـا تصوّر بعضــهم بأنّه يتقرّب بذلك من السـيّد المسيح الذي هو أسمى من أن يُتَّصل به مباشرة. وقد بالغ المسيحيّون في تكريم العذراء وتعظيمها حتى ساووها بولدها» (ص ٣٨٩).

ويقول أيضاً: «والـقرآن الكريم يكشف لنا حقيـقة أخرى، وهي أنّ النصـارى عبدوا مـريم كمـا عبـدوا المسيح. وهذا حـصل في زمن المسيح: " وإذ قال اللّه يا عيـسى ابن مريم! أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون اللّه؟ قال: سبحـانك! ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ "[١٩].

ويستشـهد الشيخ بما قال دْوَان في كتابه[٢٠]، فيقول: «كما تجد عند الوثنيين والدات للآلهـة يعظّمونهنّ ويلقّـبونهنّ بألقـاب التمجـيد والتفخيـم، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظّمونها ويلـقّبونها بالألقاب التي يلقّب الوثنيّون بها والدات آلهتهم» (ص٣٩٠).

***

---

(١٨) **الكتاب المقدّس في الميزان**، بيروت ١٩٣٣.

(١٩) سورة المائدة ٥/١١٦.

(٢٠) نقلاً عن كتاب **خرافات التوراة**، ص ٣٣٦-٣٣٨.

إلاّ أنّ السيّد **أحمد زكي**، في معالجة موضوع مريم العذراء، يرى أنّ الكنيسةَ قد عظّمت مريم، وكرّمتها، حتّى رفعتْها، في أحد مجامعها، إلى مرتبة الألوهة. وقرّرتْ لها، في مجمع أفسس، سنة ٤٣١، عندما لم تجد لها في الثالوث مكاناً، أن تكون "أمّ اللّه"[٢١].

* يقول :

«مريم العذراء! أين يضعوها في معتقدهم الثالوثي العجيب الذي فَبْرَكوه بأيديهم؟.. فكونها أنثى لم يستطيعوا أن يضعوها مع الأقانيم الثلاثة، ليجعلوها رابعة، وإلاّ ضحكَ الناسُ منهم. لذلك، كعادتهم، كلّما حزبهم أمرٌ، عقدوا مجمعاً آخَرَ في أفسس، سنة ٤٣١، ونادوا إليه القساوسة، من كلِّ حدب وصوب. وبعد أن اجتمعوا، وأغلقوا البابَ خلفهم، وتناولوا ما طاب لهم من خمر ولحم خنزير، بحثوا الأمرَ بينهم.. ولّما أعْيتْهم الحِيَل، ارتأوا أن يجعلوها أمَّ اللّه.. ماذا!!؟؟ إيْ واللّهِ! ارتأوا هم. فقرّروا هم. أنّها أمّ اللّه... وفاتهم أن الأمَّ يجبُ أن تكونَ موجودةً قبل الابن. كما فاتهم أنّ أمّ اللّه يجب أن تكون إلَهَةً أيضاً.. فكان المفروض أن يوسعوا لها أقنوماً آخرَ!!» (ص ١٠٥).

ويرفض السيّد زكي كلَّ كلامٍ على اعتبار مريم أمَّ اللّه. ويعمل فكرَه الفلسفي، وجهدَه كلّه، ليُبطلَ هذه المقولة الكفر. ويريد، للمحبّة التي تعمرُ قلبَه، أن يساعدَ الذين لا يستطيعون نزعَ «الخشبة التي غرستْها المجامع الكنسيّة في أعينهم، ولا زالوا يقولون إنّ مريمَ أمَّ اللّه.. حتّى يُبصروا جيّداً، فننقذ بذلك أرواحَهم من النار الأبديّة».

* ويسأل:

---

(٢١) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

«**السؤال الأوّل**: هل يَسَعُ رحِمُ مريم الشـمسَ، التي هي ليست اللّهَ، إنّما إحدى مخلـوقاته!؟ فإنْ قالوا: لا –وهذا حتماً مـا سيقولون– قلنا: كـيف جـعلتم رحمَـهـا يسَعُ اللّهَ خالـقَ الشمسِ وخـالقَ الأرض والقمـر والكواكب وهذا الكونِ الفـسيح ومـلايين الشمـوس الأخرى الأعظم من شمسنا هذه. واللّه أعظم من كلّ شيء خلقه!!؟

«**والسؤال الثاني**: أين كان الشـيطان خلال حَمْلهـا به؟ وكيف يفـوّتُ فرصـةً كهـذه؟! وإلهُهُ حـبـيسٌ في رحم مريم!؟ أليـست هذه فـرصـتـه ليـسـتـوليَ على الحكم، ويفـرضَ إرادتَـه على هذا الكون والبشريّة جمعاء!؟

ثمّ «هل هناك مسـبّةٌ على اللّه الخالق أكثر مـن حشْره في رحم أنثى هو خالقُها، ثم جعلِه يخرجُ من فرْجها!!!

«وهكذا... نسَـوا مرّةً أخـرى أنّه، إذا كـان هناك أمّاً (كـذا) للّه، يكون ذلك الإله قد انتهى كإله، وأصبح إلهاً أسطوريّا..

«... تلك التسمية (أمّ اللّه) غلط من أساسها. وتحمل في طيّاتها عواملَ هدْمهـا، إذ فات القساوسة الـعباقرة المجتـمعون ذوو المؤهلات العلمـيّة والدرجـات اللأهوتيّة العـالية، أن المخلوقَ لا يلدُ الخـالق، وأنّ العـبـد لا يلد المعـبـود، وأنّ الـناقص لا يلد الكامل، والمحـدودَ لا يلد اللاّمحدود، والمحدَثَ لا يلد الأزلي، والفاني لا يلد الأبدي...

«كمـا أنّهم، بدعواهم تلك، قـد ناقضوا أنفـسَهم بأنفـسهم، إذ، بزعمـهم أنّ للّه أمّاً، يترتّبُ عليـه أن تكونَ أمُّه موجـودةً قبلَه.. لأنّه، لا يُعـقل أبداً أن يأتي الابنُ قبلَ الأمّ، ولا فـي المنام. لذلك حسمَ القـرآن، كعـادته، هذا الجدل، فـقال: "كفـرَ الذين قالوا إنّ اللّهَ هو المـسيح ابن

مريم. قل فمن يملك من اللّه شيئاً إن أراد أن يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرض جميعاً»[٢٢] (ص١٠٥-١٠٦).

* على ما جاء عن خطبة مريم ليوسف (متى١/١٨)، يعلّق السيّد زكي، ويقول: «غريب قول المؤلّف (متّى) "أنّ مريم كانت مخطوبة ليوسف هذا"! لأنّ اللّهَ، جلّتْ قدرتُه، عندما اصطفى مريمَ على نساء العالمين لتكون الوعاء لهذا الحمل المعجز، إنّما أراد بذلك أن يظهرَ قدرتَه في الخلق بالكلمة أو المشيئة، ليوقظَ الروحَ والضميرَ اللّذين كانا قد ماتا وتحجّرا عند اليهود...

«لكن كاتب هذا الإنجيل... إرضاءً لقومه الذين رموا مريمَ بالزنا، اخترع لها خطّيباً سمّاه يوسف، ودسَّه في قائمة الأجداد السابقة.. وهنا جاء ليصوّرَ لنا مريمَ وكأنّها ارتكبت فضيحةً، جاعلاً من يوسف هذا رجلاً يتستّر عليها!.. وبهذه الطريقة يُرضي قومَه اليهود في اتّهام مريم بالزنى، ويتركُ المجالَ أمامهم مفتوحاً لاتّهام يوسف بأنّه قطف الثمرة قبل الأوان» (ص٢٤٦-٢٤٧).

* وعلى قول الملاك بأنّ مريم وُجدتْ "حبلى من الروح القدس" (متى١/٢٠)، يعلّق السيّد زكي قائلاً: هذا الكلام «هو أكبركلمة كفر وتجديف على إله النّصارى، لأنّ روحَ القدس لا يحبّل أحداً».. وهذا الكلام المبهم وضعه كاتب الإنجيل المزيّف «ليحملَ جهَلَتُهم الأمرَ على وجهٍ آخر، تقشعرُّ له الأبدان، ولا يتصوّرُه عقل، إذ أراد أن ينسبَ إلى إلهِهم عملاً لا يقوم به إلاّ البشر والحيوانات» (ص٢٤٩).

---

(٢٢) سورة المائدة ٥/١٧.

* وإذا كان متّى لم يخجل من مثل هذا القول، والسيّد زكي يأخذ عليه كفرَه ووقاحتَه، فالسيّد زكي نفسُه لم يخجل من إعطائنا روايةً طريفة، ولن نخجلَ نحن بدورنا من ذكرها، أمانَةً لفكْره النقدي، وإظهاراً لمستواه. يقول:

«في محاضرةٍ للمنصِّر الأمريكي، بِلّي غْرَاهَام، وهو يشرح جملةَ "الذي حُبل فيها من الروح القدس"، أمام ٤٠,٠٠٠ مستمع في جنوب أفريقيا، «أخرجَ سبابتَه، وهزّ يدَه التّي مدّها إلى آخرِها، من اليمين إلى اليسار، قائلاً: وجاء روحُ القدس ولقَّحَ مريمَ هكذا» (ص٢٥٠).

* وعلى ما جاء في متّى (١/٢٣): "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً"، يعلّق السيّد زكي ويقول: ليس لدينا ما يثبتُ بأنّ المولود من العذراء هو اللّه: «هذه نصوص مدسوسة، ليس لها أي علاقة بالمسيح، لا من قريب ولا من بعيد. ثمّ كلُّ مَن يلد يلد من جنسِه، أكان إنساناً أو حيواناً أو طيراً أو سمكةً أو حشرةً.. لذا يكون عند كلّ ذي عقل سليم أنّ مريم الإنسان ولدت عيسى الإنسان. ولا يمكن أن تكون ولدت اللّه، كما يجدّفون. ثمّ إن مريم الإنسان محدودة، واللّه غير محدود. وعليه، لا يمكن للمحدود أن يلد غير المحدود» (ص٢٥٢).

* وبالنتيجة، «مريم لا يمكن أن تكون والدةَ اللّه. وهو كفر. وقد اعترفت بنفسها أنّها "أمَةُ اللّه" (لو ١/٤٦)، لا أمّ اللّه.. فمن الذي خوّلهم (أي المسيحيّين) بالخروج من نصوص أناجيلهم!؟ وبأيّ حقّ يزعم القساوسةُ ويدجّلون على طوائفهم بأنّها أمّ اللّه، وأنّها ولدت اللّه؟! هل سمع أحدٌ بأنّ العبد يلد ربَّه؟!" (ص٢٥٤-٢٥٦).

* وعلى جـواب مريم على الملاك: "كـيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجـلاً؟" (لو ١ / ٣٤)، يعلّق السيّـد زكي، ويقول: «مـعنى ذلك أنّها لم تكن مـخطوبة ليوسف هذا، وإلاّ لَمَـا استغـربت.. إذ، ليس بعد الخطوبة إلاّ الزواج والحـمل والولادة! فـهل لوقا هو الصـادق في أنّ مريمَ كانت مخطوبة؟ أم أنّ مريمَ هي الصـادقة في أنّها لم تكن تعرف رجلاً؟.. ومـا يؤكّد أنّ مـريمَ لم تكن تعرف يوسف هذا، ولا غـيرَه من الرجال، هو كونها كانت متعبّدةً في الـهيكل، ومكرّسةً نفسـها لخدمته منذ نعومة أظافرها..

«والنّصـارى الشـاؤوليّين (كذا) أنفسـُهم يردّدون اسـمهـا، ويقولون: مريم العذراء البتول.. فكيـفَ يزوّجها الكاتبان (متّى ولوقا) ليوسف هذا، وبعدها يقولان عنها: العذراء البتول!؟..

«هذا بالإضافة إلى أنّه، في العادة، تلحقُ المرأةُ بزوجها، لتسكن مـعه في مـدينته، ولـيس الزوجُ هو الذي يلحق بزوجـته ليـسكن في مدينتها! فالأناجيل عجزتْ عن إعطائـنا سبباً واحداً معقولاً يقنعنا لماذا ترك هذا النّجّار المزعوم مدينةَ بيتَ لحم وسكن الناصرة..

«ثم، إذا كانت أليصابات، خـالةُ مريم، من بنات هارون، وكذلك زوجها زكـريّا، وكذلك أيضاً والدا مريم..تكون مـريم، إذاً، هارونيّة لا داوديّة.. "فـإذا كـانت مـريم هارونيّـةً، فكيف يزوّجـوها (كـذا) من يوسف النّجّـار الذي كان داوديّاً!!.. هذا ولقـد جاء القـرآن ليؤكّـد أنّ مريم من أحفاد هارون: "يا أختَ هارون.." (١٩/٢٨) (٢٦٢-٢٦٥).

* وعلى قـول المسـيح: "مَن هي أمّي؟" (مـتى١٢/٤٦-٥٠)، يعلّق السيّـد زكي قائلاً: «لا يمكن للمـرء إلاّ أن يتعجّـبَ من تخبّط هذا

الكاتب الذي ذكر لنا بعد إصحاحَين (١٥ / ٤) أنّ المسيح قال: "أكرمْ أباك وأمّك. ومَن يشتم أباً أو أمّاً فليمتْ موتاً" . فهل يُعقل للمسيح أن يحتقرَ أمّه أمام الناس بهذا الشكل الذي فيه يتنكّر لها ويُنزل من قيمتها!؟» (ص٥٣٨).

***

وسماحة **الشيخ حسن خالد**، كالقرآن، يُظهر رضاه على مريم أمّ عيسى وعقيدة المسيحيّين فيها. فهو لا يرى عندهم بالنسبة إليها شيئًا يؤخذون عليه. إنّه يتتبّع القرآن ليدلّ على «منبت مريم عليها السلام وأصلها ونشأتها وسلوكها وسبب حملها وكيفيّته ثم بولادتها المعجزة وظروفها» (ص٦٤٩)[٢٣] .

وفي رأيه أنّ القرآن جاء بالقول الفصل. إنّه «الموقف المنبثق عن العلم، والصادر عن الإيمان، والمؤيّد للحقيقة وواقع الأمر، بعيدًا عن مزالق الهوى، وتيّاراته الشاردة الضالة» (ص٦٥٥).

مريم المفتي خالد، كمريم القرآن، قد حظيت بنعم اللّه، و«فازت برعايته، وحفظه، وعنايته... وهيّأ لها الإحاطة والرعاية الفاضلة... وقد زادها اللّه من هذه الرعاية واللّطف... فأكرمها كلّ الإكرام، حيث أرسل إليها الملائكة، يتقدّمهم جبريل عليه السلام.

«وهذا في منتهى الحفاوة والإعزاز؛ لأنّه، باتّفاق العلماء، لم يتّفق أن وقع مثله لأنثى غيرها. وقد طهّرها وعصمها من الكفر والعصيان، وأغناها من مسيس الرجال، ونقّاها من الحيض والنفاس،

---

(٢٣) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

وخلأها من الأفعال الذميمة، والتصرّفات القبيحة، والعادات البشعة، وأكّد لها ولكل الناس، الذين كانوا يلقونها ويهتمّون بأخبارها، أنّها طاهرة، ومبرّأة ممّا ينسبه إليها اليهود» (٦٥٥-٦٥٦).

وهناك أيضاً، بحسب سماحة المفتي، «موقف آخر للإسلام بالنسبة إلى السيّدة مريم، يكشف به الحقيقة، ويزيل عنها كل لبس وغموض، ويؤكّد أنّ حملها كان ظاهرة خارقة للعادة، وهي التي سبق وأكرمها اللّه، ورعاها، واصطفاها، وطهّرها، وأحاط نشأتها بالخوارق لطبائع الأشياء والسلوك والعيش» (ص٦٥٨).

ويتابع سماحة الشيخ شرحه المستفيض عن قداسة مريم فيكرّر قوله: «والسيّدة مريم المبرّأة من كل عيب، والمطهّرة من كل دنس، والمصطفاة، شاء اللّه لها أن تحمل بعيسى حملاً من غير مسيس رجل ، وبكلمته التي لا مردّ لها، فأرسل إليها الروح الذي أرسله من قَبل إلى الأنبياء ومن بعد ونفذ أمره، وحمل لها كلمة التكوين، وبلّغها إيّاها، وكان ما شاء الله تعالى له أن يكون» (ص٦٦٠).

ويختم الشيخ مقاله المريمي قائلاً: إنّ اللّه، باختياره مريم، وتبرئته لها من افتراءات اليهود، «رفعها إلى المستوى البشري الذي لا تُرفع إلى مثله أنثى من العالمين» (ص٦٥٧).

الفصل العاشر

بولس الرسول

قد يكون بولس الرسول، بالنسبة إلى المسلمين وإلى اليهود، أزعج شخصيّة على الإطلاق. فهو، في رأيهم، قضى على شريعة موسى بالتمام، وأقام على أنقاضها مسيحيّة غريبة بمعتقداتها. فهو، في رأيهم، قال، وأوّلُ مَن قالَ بالثالوث، وبألوهيّة المسيح، وبنوّته لله. وأنشأ الكنيسة، واستحدث الأسرار، وعلّم تعاليمَ متحرّرة من كلّ ناموس، وبدّل إنجيل عيسى الحقيقي بأناجيل محرّفة؛ وتطاول على الوحي، فادّعى لنفسه النبوّة. وشرّ ما فيه أنّ كلّ ما في المسيحيّة يعود إليه.

***

عن بولس قال **القاضي عبد الجبّار**[1]: إنّه هو السبب في ابتعاد النصرانيّة عن اليهوديّة. بل هو، عند النصارى، «أجلّ من موسى وهارون وداود وجميع الأنبياء. وإذا قُرِئَتْ رسائله وكلامه في البيعة قاموا قياماً، إعظاماً وإجلالاً له ولكلامه» .

---

(١) **تثبيت دلائل النبوّة**. راجع ١/ ١٤٩-١٥٠؛ ١٦٧-١٥٨.

لقـد كان بولس «يهـوديّاً، خبـيثـاً، شرّيراً، ساعـياً في الـشرّ، ومُعيناً للأشرار، وثائراً في الفتن، طالباً للرئاسـة والدولة، محتالاً فيها بكلّ وجه».

***

ويقول **إبن حزم الأندلسي** بأنّ أحبار اليـهود هم الذين رَشَوا بولسَ وأمروه بإظهار دين عيسى، وذلك ليُضِلَّ المسـيحيّين؛ تماماً كما فـعلوا مع ابن سـبـإ اليـهودي الذي ادّعـى ألوهيّـة علي بن أبي طالب فأضلّ قسماً من المسلمين(٢):

«إنّ أحبار اليهود اتّفقـوا على أن رشَوا بولس البنياميني، لعنه اللّه، وأمـروه بإظهـار دين عيـسى، وأن يضلّ أتبـاعَـه، ويدخلهم إلى القول بإلاهيّته، وقالوا له: نحن نتحمّل إثمَك في هذا. ففعل... وهذا أمرٌ لا نبعده عنهم، لأنّهم قد راموا ذلك فـينا وفي ديننا. وذلك بإسلام عبد اللّه بن سبأ، المعروف بابن السوء اليهودي الحميري، لعنه اللّه، ليضلَّ مَن أمكنه من المسلمين. فنهج لطـائفة رذلة كانوا يتـشيّـعون في علي، رضي اللّه عنه، أن يقولوا بإلهيّة علي. ونهج بولس لأتباع المسيح، عيه السـلام، من أن يقولوا بإلهـيّتـه. وهم البـاطنيّة والغـالية إلى اليـوم، وأخفّـهم كفراً الإمامـيّة. على جمـيعهم لعـائن اللّه تترى» (١/ ٢٢١-٢٢٢).

***

(٢) **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل.**

وقال **الإمام أبو زهرة** [٣] في بولس أنّه إنسان يهوديّ محتال: «المسيحيّة تنسب إليه أكثر ممّا تنسب لأحد سواه... وهو يهودي.. وذُكر أيضاً أنّه روماني، عندما رأى أنّ جسمه سيُكوى بالسياط، فأعملَ الحيلةَ، عساه يجد مخرجاً. فادّعى أنّه روماني لينجو جلده. وقد تمّ له ما أراد بتلك الحيلة التي احتالها في انتسابه. وأصرّ عليها عندما رُوجع فيها» (ص٧٠-٧١).

«والعجب كلّ العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدينٍ إلى الرسالة في الدين الذي كَفر به، وناوأه وعاداه؛ فإنّ ذلك ليس له نظير، وليس له مشابه، ولم يُعهد ذلك في أنبياءَ ورسلٍ قطّ. وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التي يؤمن بها المسيحيّون.. ليذكروا لنا رسولاً بُعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعدادٌ لتلقّي الوحي وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام؟.. وأنّه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقّيها، لا يكون على الأقلّ قبلَها ما ينافيها ويناقضها. ولكن، بولس أبو العجب استطاع أن يتغلّب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسَه على المسيحيّين من بعده» (ص ٧٥).

***

يقول **عبدالله العلمي الغزّي الدمشقي** في تمهيد كتابه: لقد كان بولس السبب، ومن بعده مجمع نيقية، في رفض التوحيد والتثليث[٤]: «ألأصل في دين النّصارى هو التوحيد. ولكن بولس، الذي يُعتبر أفضل مقدّس عندهم بعد المسيح، نقض الناموسَ حجراً حجراً، ولبنة

---

(٣) **محاضرات في النّصرانيّة.**

(٤) **كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النّصرانيّة بين شيخ وقسّيس.**

لبنة، ومن بعده المجمع النيقاوي، رغم وجود نصوص واضحة نيِّرة في الكتاب المقدّس» (ص١٥).

***

ويقول **الدكتور شاهين**[٥]: كلّ ما في المسيحيّة يعود إلى القديس بولس: «ألقول بألوهيّة المسيح. ألقول بالتثليث. ألقول بالصلب والقيامة والحساب بواسطة عيسى بعد صعوده وجلوسه عن يمين أبيه. فصلُ المسيحيّة عن اليهوديّة: لقد ألغى حرمةَ السبت، أباحَ لحم الخنزير، تركَ الختان، وجعل المسيحيّة ديناً عالميّاً، وليس لبني إسرائيل فقط.

«أقتبس من الوثنيّات: عيد رأس السنة، عيد القيامة، عيد الغطاس. وأطلق عليها مسمّيات جديدة: فعيد الربيع أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر؛ وطقوس السرّ المقدّس أخذت مكان معبد التضحية عند اليهود. احتلّت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدّساً احتلّته قديماً صورتا حوروس وأوزيريس، ووُضعتا في كلّ الكنائس، وأقام المعابد ذات الأعمدة الكثيرة لتكون تذكاراً للغابات ذات الأشجار الكثيفة.

«أباح الزواج للأساقفة[٦]. ألرجل أفضل من المرأة. والمرأة تغطّي رأسها لأنها مجد الرجل. والرجل لا يغطّي رأسه لكونه صورة اللّه ومجده. ألرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل. يجب خضوع المرأة للرجل، ويجب على المرأة أن تصمت في الكنيسة» (ص ٢٠٧).

---

(٥) **النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة.**

(٦) مستشهدا برسالة تيموتاوس الأولى الفصل الثاني.

كلّ هذه التعاليم الفاسدة تعود إلى القديس بولس. فهو سبب كلّ التواءٍ فيها.

***

عن بولس يقول **داعي العصر أحمد ديدات**[٧]: لقد نصّبَ نفسَه حوريّاً جديداً، مكان يهوذا، وعلّم وكتبَ حتى تفوّق على عيسى نفسه :

«ألقديس بولس الجسور، الذي عيّن نفسه الحواري الثالث عشر للمسيح. فقد كان للمسيح إثنا عشر حوارياً، ولكنّ واحداً منهم (يهوذا) كان يسكنه الشيطان. ولذلك كان من الضروري ملء هذا المكان الشاغر، بما أنّ العروش التي في السماء، والتي كان يجب أن تُشغل بواسطة الحواريّين للقضاء بين بني إسرائيل عددها إثني عشر عرشاً.

«وقد كان بولس، قبل تنصّره، يهودياً مارقاً، يُدعى شاول جعل من تعاليم عيسى، فوضى هائلة، فاكتسب لنفسه المكانة الثانية التي يُحسد عليها... وقد تفوّق بولس حتى على عيسى، تفوّقاً عظيماً. إنّ فضل ابتداع المسيحيّة كان لا بدّ أن يُقتسَمَ بين بولس وعيسى.وقد رجحتْ كفّة بولس، لأنّه صنّف أسفاراً من الكتاب المقدّس أكثر من أيّ مؤلّف آخر بمفرده، في حين أنّ عيسى لم يكتب كلمة واحدة...» (ص ٨٩-٩١).

عن دور بولس في تأسيس المسيحيّة[٨]، يتبنّى ديدات قول البروفيسور هارت Hart، الذي «يقسّم فضل تأسيس المسيحيّة بين

---

(٧) المسيح في الإسلام.

(٨) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء.

كلٌّ من القـديس بولس وبين عـيسى. وهو يعـزو، كـما يقـول ديدات، الفضلَ الأكبر لبولس» (ص ٨).

ويقول إنّ التمـايز الحاصل بين المسلمين والمسيحـيّين بالنسبة إلى العـقـيدة والسلوك يمـكن إرجاعـه إلى بولس. فـالخـلاص مثـلاً يتحـقّق، عند المسيـح، بالحفاظ على الـوصـايا(٩)؛ فيـما هو عند بولس «يتمثّل في عـمليّة الصلب(١٠).. والمسيحيّة لا يمكن أن تـقدّم للبشر ما هو أفضل من دم وآلام سفك دم يسوع. ولـو لم يكن قد مات وقام من بين الموتى لما كان ثمّة خلاص للبشريّة في المسيحيّة» (ص٩-١٠).

***

ويقول **الشيخ محـمّد العاملي** عن بولس بأنّه أكبر مخادع في التاريخ. فهـو لم يكن يوماً مسيـحيّاً؛ بل عدوّاً. وبحيلـة ماكرة، تظاهر بمحبّته للمسيح، ليدخل في صفوف التلاميذ، ليهدمّهم من الداخل(١١) :

«... إنّ بولس، بتعريف نفسه، هو ذلك اليهودي المتعصّب الذي ارتاض رياضة فرّيسيّة -وهي من أعلى درجات التصوّف- حتى فاق أقرانه، وكان أشدّهم تعصّباً ليهـوديّته. وهذا التشدّد والتعصّب ظهرا عملياً في حياته، حيث إنّه قاد أكـبر الحملات ضدّ المسيح عليه السلام وأتباعه. فكان يضطهـدهم حتّى الموت، ويزجّهم في غيـاهب السجون رجالاً ونساءً لا تأخذه فيهم رحمة(١٢).

---

(٩) راجع متى ١٩/١٦-١٧.
(١٠) أنظر كولوسي ٢/ ١٤.
(١١)**الكتاب المقدّس في الميزان**، بيروت، ١٩٩٣.
(١٢) يستشهد بأعمال الرّسل ٢٢/ ٤.

«وقد قام بولس بأعمال عديدة مضادّة ليسوع الناصري... وهو أشدّ الأعداء الذين عُرفوا بعداوتهم للمسيحيّين. وهو ذلك القاتل الذي قتل الكثير منهم، وعذّب الكثير منهم مرّات في المجامع العامّة. ونفي الكثير منهم إلى خارج البلاد. هذا ما عرف به بولس بين اليهود، كما اعترف هو بذلك. فهو العدو الحاقد على المسيح والمسيحيّين، الذي عمل الكثير من أجل القضاء على تعاليم المسيح، كما صرّح بنفسه: "ارتأيت في نفسي أنّه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادّة لاسم يسوع النّاصري "(١٣).

«فهذا تاريخه مع المسيحيّين: قتلٌ وتشريدٌ وزجٌّ في السجون. وهذه العداوة المستحكمة فيه والتي تفرّد بها عن أبناء جنسه هي التي جعلت رؤساء الكهنة يعتمدون عليه كلّ الاعتماد...» (ص ٢٨٨-٢٨٩).

وما رواية تنصّر بولس إلا خدعة لا تنطلي على ذي عقل سليم. «ومن تعمّق في هذا الكلام (أي الكلام على ارتداده)، يتّضح له السرّ والمهمّة التي كان بولس يقوم بها من خلال إعلانه الإيمان برسالة يسوع، ودعواه إرسال يسوع له إلى الأمم والشعوب. لقد أراد بولس من هذا الانقلاب المفاجئ أن يدخل إلى صفوف التلاميذ وينقض تعاليم المسيح من الداخل باسم المسيح، كما هي عادة المنافقين» (ص٢٩٣).

«من هنا يحق لكل إنسان أن يتساءل حول بولس: كيف أصبح من قادة المسيحيّين وهو لم يكن في يوم من الأيام من تلاميذ المسيح

---

(١٣) يستشهد أيضاً بأعمال الرسل ٢٦/ ٩.

أو المحبّين له أو لأتباعه، وإنّما كان سفّاكاً، وأفعى تنفث عليهم الحقد والسموم، وترميهم بشتّى أنواع العذاب والحيل، وتطاردهم في كلّ مكان؟» (ص ٢٩٤).

ويقول الشيخ العاملي : «ومما يؤسف له أنّ الذين يدّعون أنّهم أتباع السيّد المسيح يخالفون تعاليم السيد المسيح في الختان، ويتبعون بولس. ومن هنا تعلم أنّ المسيحيّين الحقيقيّين الذين يطبقون تعاليم المسيح ويقدّسونها هم المسلمون لا غير. وأمّا اليهود، وإنْ كانوا يختتنون، إلاّ أنّهم لا يعترفون بالمسيح، وإنّما يفتخرون بقتله وصلبه» (ص ٣٠٤؛ حاشية ٥).

ومن مفاسد بولس، عند الشيخ العاملي، أنّه قال بعقيدة الفداء التي «لا تتماشى مع المنطق والعقل السليم».. وهي تقوم على أنّ «المسيح قدّم نفسَه ذبيحةً وفداءً عن ذنوب المذنبين». وبهذا «فتح بولس باب العصيان على مصراعيه بفتحه باب الغفران بالاعتراف عند رجال الدين، ممّا «شجّع على الاستهتار بالمحرّمات عند المسيحيّين». وبهذا «قام بولس بأعظم جناية على البشريّة» (ص ٣١٧-٣١٨).

***

ويعلّق **نبيل الفضل**[١٤] على اختلاف بطرس وبولس في شأن أمور يهوديّة، ويعجب من انتصار بولس على رئيس الكنيسة. يقول: «وهذا بولس يختلف معه (أي مع القديس بطرس) ويقاومه "مواجهة لأنّه كان ملوماً" (غل ٢/١١).. عجيب أن يختلف اثنان في داخلهما

---

(١٤) هل بشّر المسيح بمحمّد؟

قد سكن الروح القدس الذي أوحى لهما ما أوحى. والأعجب أن بولس الذي لم يكن تلميذاً للمسيح ينتصر على بطرس الصخرة التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم» (ص ١٢٩).

وعن شخصيّة بولس الفريدة، قال الفضل: «أدهى شيء أصاب المسيحيّة لم يكن الأخطاء والمغالطات التي وقع فيها الكتاب المقدّس الموجود تحت أيدينا الآن. فالأدهى هو ما أتى بعد وفاة المسيح فاستنّ طريقاً يخالف تعاليمه ويخالف سنّته. ولقد حدث هذا على يد الرسول بولس. تلك الشخصيّة الفريدة...

«كان يهوديّاً متعصباً متزمتاً. قاده تعصبه وتزمّته لمعاداة المسيح وأتباعه، ومطاردته لهم وملاحقتهم لاصطيادهم وسجنهم وتعذيبهم حتى وصل به الأمر إلى قتل العديد منهم» (ص ١٣٧)...

«بولس هو المسؤول الأكبر عن تحوّل المسيحيّة الأصليّة عن أهم جذورها التشريعيّة وقواعدها التي كان المسيح متقيداً بها.

«ثمّ إنّ بولس، وإنْ أصرّ على نشر المسيحيّة في الأمم غير اليهوديّة، لا يعني أنّه قد كان أقلّ تعصباً لليهوديّة ممّا كان عليه أيّام يهوديّته وتكهنه كفرّيسي... وهو يفضّل اليهود عن بقية العالم ويفضّلهم على أبناء عمومتهم (راجع غلاطية ٤/ ٢١-٣١)، حيث «هو ومن معه أولاد حرّة؛ والبقيّة أولاء جارية (ص ١٤٤).

ويتساءل الفضل: «ترى هل قرأ بولس ذلك الناموس الذي يحتج فيه؟ وإنْ فعل فهل فهم أو نقل الحقيقة الساطعة فيه لمن كان يكلمهم أو يراسلهم؟» (ص ١٤٥).

«أمّا ما قد فعل بولس بالمسيحيّة فهو ما يلي:

«١. لقد أحلّ أكل الخنزير الذي حرمه موسى، ولم يأكل منه يسوع طوال حياته» (ص ١٤٦).

«٢. وزاد شيئاً آخر جديداً في المسيحيّة. فهو اليهودي الذي قد "ختن في غرلته"، حسب التعاليم اليهوديّة، والذي آمن بالمسيح، والمسيح قد ختن في غرلته (لو ٢/ ٢١). وجميع تلاميذ المسيح قد ختنوا لأنّهم يهود ويتبعون الناموس (راجع تكوين ١٧/ ١٠-١١ و١٤)... هذا العهد الإلهي الذي طالب به اللّهُ إبراهيم ونسله، وحدّده. جاء الرسول بولس وألغاه إلغاءً تامّاً حتى لم يعد هناك مسيحيّ مختون» (ص ١٤٨).

ويستنتج: «وهكذا شريعة جديدة في المسيحيّة على يد بولس تخالف شريعة المسيح عليه السلام. والظنّ كلّ الظن أنّ بولس قد قام بما قام فيه محاولاً تسهيل دخول الأمم الأخرى الى المسيحيّة؛ لأنّ الأمم الأخرى لم تكن تختن ولم تكن تحرم أكل الخنزير.

«ومن قال إنّ مكيافلي هو أوّل من قال إنّ الغاية تبرّر الوسيلة؟! فإنّ بولس كان أوّل رسول مسيحي عمل بهذه الحيلة قبل قرون من انتشارها في العالم» (ص ١٤٨).

***

وعن دور بولس الرسول يقول **الدكتور محمّد أحمد الحاج**[١٥]: إنّه في أساس مسيحيّة اليوم. وقد مهّد لقسطنطين الذي شاء أن ينتصر الروم معهُ إلى الأبد، فاعتنق النصرانيّة ليكون له ما شاء :

---

(١٥) **النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث**، دمشق.

«بولس، هو الذي مهّد لهذا كلّه (أي للانقلاب الذي أحدثه قسطنطين الملك). ومن هنا قدّسه النصارى، ووثقوا به، وقبلوا منه كلّ تحريف، ووضع ذلك لأنّه رفع عنهم الاضطهاد الذي عاشوه طويلاً. ولم يعلم هؤلاء المساكين أنّ ذلك لم يكن انتصاراً للمسيحيّة، كما تصوّروا، بل كان هزيمة ساحقة لها أمام الوثنيّة الرومانيّة. وبولس لم تكن تهمّه تعاليم المسيح بقدر ما يهمّه رضى الرومان عنه. ومن هنا جاءت أحكامه الجديدة مخالفة لشريعة التوراة، ولما جاء به عيسى».

«وبناء على هذه التنازلات، وأمثالها كثيرة في تاريخ النصرانيّة مع الرومان، فقد قال القاضي عبد الجبار كلمة تُكتب بماء الذهب، تصف الواقع الذي حدث بتنصّر الدولة الرومانيّة. فيقول:

"إذا تبيّنتَ الأمرَ وجدتَ النصارى تروّموا ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصّروا»[١٦]. نعم إنّ الواقع قد أثبت أن الروم لم يتنصّروا، ولكن النصرانيّة قد تروّمت.. وقد قالها شارل جينيبير، بعد القاضي، بقرون: "إنّ الغربيّين لم يكونوا قط مسيحيّين في يوم من الأيّام"[١٧] (ص ١٢٩).

ويقول الدكتور أيضاً عن القديس بولس: «والحقيقة إنّنا ونحن نتحدّث عن شخصيّة بولس إنّما نتحدّث عن المؤسّس الحقيقي للمسيحيّة المعاصرة» (ص ١٤٢).

بولس هذا قد «افتعل تلك القصة الخرافيّة الخارقة (قصّة ظهور الرّب له واهتدائه إلى الإيمان به)، ليجعل منها وسيلة مناسبة

---

(١٦) نقلاً عن القاضي عبد الجبار الهمذاني، **تثبيت دلائل النبوّة**، ١/ ١٥٨.

(١٧) نقلاً عن جينيبير، **المسيحيّة**، ص ٢٠٩.

لتبوّئها مقصداً مناسباً له عند المسيحيّين» (ص ١٤٤).

***

عند **أحمد زكي**، «شاؤول ألدّ أعداء المسيح». شاؤول اليهودي الفرّيسي، المتشدّد في يهوديّته، والمجاهد الأكبر من أجل ناموس موسى، أصبح، بسحر ساحر، بولسَ رسولَ الأمم غير اليهوديّة. وحجّته في هذا التحوّل، نيّتُه الخبيثة في القضاء على المسيح قضاءً مبرماً. وقد كان له ذلك[١٨].

شاؤول هذا هو الذي أسّس الكنيسة، لا المسيح؛ ولا علاقة للمسيح بالكنيسة. بل لم يعرفها، ولم يستعمل حتى لفظها. ولقد أسّس الكنيسة ليقضي على المسيح وعلى المسيحيّة والإنجيل معاً. ويعود بعدئذٍ إلى صفاء اليهوديّة... وكان له ذلك عندما علّم معتقدات هي أقرب إلى الطلاسم والأوهام منه إلى الحقائق والمقدّسات.

شاؤول هو الذي حدّد المعتقدات المسيحيّة التي لا تخضع لأيّ منطق. وهو الذي قال بـ ثلاثة تساوي واحداً، وبـ واحد يساوي ثلاثة. وقال بالمعموديّة لمغفرة الخطايا، وبالصلْب، والقيامة، والكفّارة، والفداء، والخطيئة الأصليّة... وغيرها. فأبعد الأممَ عن اللّه الواحد، وعن القول بـ " لا إله إلاّ اللّه " الذي هو مفتاح الجنّة، التي منعهم عنها، ليتركها خالصةً لليهود وحدَهم.

وكلّ ما جاء في الكنيسة، عبرَ تاريخِها، من ضلال وتضليل، يتحمّل شاؤول، وحدَه، مسؤوليتَه. فتعاليمه هي التي انتصرت في

---

(١٨) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

"المجمّعات الكنسيّة" . ولا تزال هي هي حتى اليوم، تُخفي عن الأمم دينَ عيسى الحقيقي، وتعاليمَه الحقيقيّة، وكتابَه السماويّ المنزل.

وكان شاؤول أيضاً وراء الأناجيل المزيّفة كلّها، أي الأناجيل الأربعة، التي تأخذ بها الكنيسة اليوم، وقد أخفتْ بها الإنجيلَ الحقيقي، الذي لا تزال بعضُ مقاطع منه موجودةً فيها، سهواً من المزيِّفين، كدليلٍ على صحّة ما قام به شاؤول والكنيسة من تزييف. والصحيحُ الباقي قليل جدّاً. لكنّه يُنبئُ عن حقيقة صارخة، يُقدّمها السيّد أحمد زكي إلى العالم المسيحي ليتخلّى عن ضلاله.

فكتاب السيّد أحمد زكي، بحسب عنوانه "**إنزعوا قناعَ بولس عن وجه المسيح**"، هو، من جهة، عمليّة كشْفٍ شاملة عمّا جاء به شاؤول اليهودي، «ألدّ أعداء المسيح»، والمجمّعات الكنسيّة، والأساقفة، والقساوسة والشمامسة؛ ومن جهة ثانية، هو إظهار وجه المسيح الحقيقي، وإخراجه من بين ركام الدهور. فالقناع الأكثر سماكة على وجه المسيح هو قناع بولس.

والصورة المعبّرة، التي على غلاف الكتاب، مع ما كُتب حولها: «المسيح المخلّص يحتاج إليكَ لكي تخلِّصَهُ»، تشير إلى أنّ السيّد أحمد زكي، تولّى، هو نفسُه، "نزعَ القناع"، وتخليص المسيح من براثن شاؤول وجماعته اليهوديّة المتعصّبة، والمجمّعات الكنسيّة، والبابوات اليهود، والأساقفة المُضلّون، والقساوسة والشمامسة المخدوعون...

هذا هو الموضوع الأساسي لكتاب السيّد أحمد زكي. أمّا كيف يعالجه؟ وما هو أسلوبه؟ وبرنامجه الإصلاحي لدين المسيح؟ وكيف نزع القناعَ؟ وكشفَ عن وجه المسيح الحقيقي؟ وعن وجه شاؤول الفرّيسيّ السّيّء؟.. هذه سنتولّى إظهارَها بأمانةٍ لأفكار المؤلّف.

قال السيّد زكي : «وعدناكَ أن ننزعَ قناعَ بولس– ونعني به قناعَ بولس، وقناعَ المجامع الكنسيّة، وقناع الوثنيّة، وجميعَ أقنعة الدّجَل، الذي دسّوه في هذا الدين– حتّى يظهرَ لنا المسيح الحقيقي» (ص٢١٣).

هذا القناع الذي أحكمه شاؤول على وجه المسيح كان من رؤساء اليهود الذين «جنّدوا لهذه العمليّة... فرّيسيّاً من أشدّ الفرّيسيّين عداوة لدين المسيح، ولكن من أشدّهم ذكاءً وخبثاً. وكانت مهمّته أن يخترقَ صفوفَ التلاميذ الذين آمنوا بعيسى، لتشويه دينه من الداخل... ولطمس شهادة "لا إله إلاّ اللّه" التي أطلقَها المسيح..

«وكان اسمُه اليهودي شاؤول (تستّر تحت الإسم المسيحي بولس فيما بعد). فأرسلوه إلى أنطاكيا... وخاف الكهنةُ اليهودُ أن يعتنقوا (أي أهل أنطاكيا) التوحيدَ؛ وبذا يشاركونهم الجنّة. فتظاهر شاؤولُ هذا باعتناق دين المسيح، بينما هدفُه الرئيسي، الذي لم يفارقْ مخيّلتَه لحظةً واحدةً، والذي وضعه دائماً نصب عينَيه، كان تشويهَ دين المسيح، وهدْمَ معالِمه، وإبعادَ شهادة "لا إله إلاّ اللّه" عن الأمم. فبعد أن أعدّ للأمر عدّتَه تظاهر بالتبشير بدين المسيح، داساً فيه لفظَ "ابن اللّه". وكان هذا اللفظُ اللّبنةَ الأولى في جرف المسيحيّة الحقّة وتحويلها من مسارها إلى الوثنيّة

«وهكذا كان شاؤول اليهودي الفرّيسي، رسولُ عتاة الصهاينة الأوائل... أوّلَ مَن أدخلَ لفظَ "ابن اللّه" في دين المسيح. وهو الذي تسمّيه الكنائسُ اليومَ، عن غفلةٍ أو تضليل، ببولس الرسول، في الوقت الذي هو ماسخ دين المسيح، وسارق رسالته، بعد أن مهّد لعمله هذا بتمثيليّة هزيلة، وهو في طريقه إلى الشام... وكانت هذه التمثيليّة

العرجاء بمثابة جواز مرور لاختراق الصفوف... فانطلتْ حيلتُه على البسطاء والسذّج... ومن المضحك المبكي أنّ الكنائس لا زالت تصدّق تمثيليّتَه العرجاء هذه حتى اليوم»...

ويردّد السيّد زكي الهدف الحقيقي من كلّ ذلك. وهو «جرف أتباع المسيح إلى الجحيم حتى لا يشاركوا اليهودَ الجنّة» (٧٢-٧٣).

ثمّ يفسّر السيّد زكي خدعة شاؤول على طريق دمشق، فيقول:

«كلّ دينه قائم على ذلك الحلم، أو إن شئتَ قلْ تلك التمثيليّة الهزليّة التي ادّعاها في كتبهم حيث السيناريو مكتوب فيها بكلّ سذاجة لا يمكن أن يصدّقَه أيٌّ عاقل. لأنّ الوحي الحقيقي لا ينزل إلاّ على الأنبياء لا على الأدعياء الذين يدّعون المنامات وينقلبون فجأةً من عدوّ إلى رسول دون سابق مقدّمات» (ص٣٩١).

ويقول :

«أعزّائي القرّاء! دعونا نتصوّر، ولو للحظة، أنّ المسيح قد طلب ذلك (أي نقْضَ الناموس) من شاؤول... فإنّ المدقّق في أخبار شاؤول وأقواله وأفعاله... يجدها جاءت في ١٦٤ صفحة من أعمال الرسل... ولمّا كانت كلّ صفحة تحتوي بحدود ٢١ سطراً، وفي كلّ سطر بحدود ١٢ كلمة، يكون الناتج عندنا ١٦٤×٢١×١٢=١٨٣٢ كلمة. فهل هناك مَن يصدّق أنّ المسيح كان يتكلّم بسرعة ١٨٣٢ كلمة في الدقيقة، أو الدقيقتين، التي تمّت فيها تمثيليّة الإغماءة المصطنعة التّي سمع خلالها شاؤول صوتَه!! وهل هناك عاقل يصدّق أنّ شاؤول قد استوعبَ هذا العدد من الكلمات في دقيقة، أو دقيقتين!! إنّ مَن يؤمن بذلك فعلى عقله السلام» (ص٣٩٦).

ويتابع السيّد زكي إظهارَ خبث شاؤول في قوله: «قال عيسى: " ما جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياء " ... أمّا شاؤول فجاء ليقول: ما جئتُ إلاّ لأنسفَ الناموسَ والأنبياء» (ص٣٩٥).

ويقول أيضاً:

«جاء عيسى يقول لتلاميذه: "إلى طريق الأمم لا تمضوا" (متى١٠/ ٥). فيعلّق السيّد زكي: «هذا يفيد بأنّ رسالته (أي رسالة عيسى) ليست عالميّة؛ إنما محدودة ببني إسرائيل فقط... وليس كمحمّد الذي أرسله اللّهُ للناس كافّة... والذين يقولون إنّهم نصارى اليوم، ليس لهم في رسالته، للأسف، أيٌّ نصيب، لأنّهم ليسوا من بني إسرائيل. لكنّ شاؤول، ألدّ أعداء المسيح، هو الذي ضرب عرض الحائط بأوامر المسيح، فخرج إلى طريق الأمم، وفَبْرَكَ لهم ديناً على حساب المسيح. ومن بعده فرضت الكنائس الملأى باليهود دينَ شاؤول هذا على الأمم بحدّ السيف» (ص٤٦٩).

ثمّ يعلّق السيّد زكي على كلام المسيح في متّى (٧/ ١٥-١٩): " إحترزوا من الأنبياء الكذبة. فإنّهم يأتونكم بثياب حملان، ولكنّهم من الداخل ذئاب خاطفة.. "، فيأخذ هذا الكلامَ حجّةً للنيل من شاؤول، فيقول:

«للّه درّك أيها المسيح! لقد كنتَ تعرفُ بعين النبوّة أنّه سيأتي بعدك أنبياء كَذَبة، أمثال شاؤول وقساوسة المجمّعات، ألمندسّ فيها اليهودي والوثني، الذي (كذا) أخفوا دينَك الصحيح، وكمّموك، وأوثقوك، فأحكموا الوثاق، وانتهزوا فرصة غيابك، وجلسوا مكانك، وادّعوا أنّهم ورثتك، وزعموا أنّهم صلبوك، وجعلوا صلبكَ غفراناً لخطاياهم، فبدّلوا دينك، وجاءوا بدين من عندهم، أنتَ منه بريء...

ويضيف: «ألا ينطبق هذا المثل على شاؤول اليهودي الفرّيسي الطرطوسي (كذا)[١٩]، الذي تسلّل إلى دين المسيح بعد تمثيليّة الإغماءة، كأنّه حملٌ تائب، مدّعياً العمى. ثمّ ما لبث أن ظهر على حقيقته ذئب (كذا)، خاطف، كاسر، خطف دين المسيح من التلاميذ، والتَهَمَ معظمَه، ولاكَ الباقي في فمه، وهرب به إلى الأمم.." (ص٤٣٢-٤٣٣).

ثمّ يعلّق السيّد زكي على مثل الزؤان في متّى (١٣/ ٢٤-٢٩)، ويقول:

«ألا ينطبق هذا على بشارة عيسى التي جاء بها إلى قومه، فزرع فيهم الحنطة، ثم جاء عدوُّه شاؤول والمجمّعات الكنسيّة، وزرعوا الزوان، فحرّفوا دينَه من دين سماوي يؤمن باللّه الواحد إلى دين وضعي صنعوه بأيديهم وأضافوا فيه كلَّ يوم إله (كذا)!!؟. ثم ماذا قال المسيح عن هذا الزؤان؟ قال: "إجمعوه ليُحرق"، وأمّا الحنطة "فاجمعوها إلى مخزني". وعلى نصارى اليوم أن يحزموا أمرهم. هل هم من زؤان شاؤول الذي سيحرق، أم من حنطة المسيح التي سيجمعها في مخزنه!" (ص٥٤٥).

ثمّ يعلّق السيّد زكي على ما جاء في متّى (١٠/ ٢٤) على لسان يسوع: "ليس تلميذٌ أفضلَ من معلّمه، ولا عبدٌ من سيّده". يقول: هذا يعني «أنّ شاؤول لا يمكن أن يكون أعظم من المسيح. وعليه، يَطرح السؤالُ التالي نفسَه: إذاً، كيف يتركُ النصارى دينَ المسيح، ويتبعون دينَ شاؤول؟! ألا يتدبرون ذلك!؟» (ص٤٨١).

---

(١٩) والأصح الطرسوسي، من مدينة طرسوس التركيّة لا طرطوس السوريّة.

ثمّ يعلّق السيّد زكي على موضوع علاقة المرأة بالرجل، في رسالة بولس الأولى إلى تلميذه طيموتاوس (٢/١٢): "لستُ آذن للمرأة أن تعلّم، ولا تتسلّط على الرجل"، فيقول:

«لاحظ عزيزي القارىء قولَه "لستُ آذَن"!! إذ مَن هو حتّى يأذن، أو لا يأذن. إنّه ليس سوى يهودي فرّيسي من ألدّ أعداء المسيح باعترافه هو. وللأسف، نصارى اليوم تناديه "ببولس الرسول". وما كان يوماً رسولاً للمسيح، إنما رسول رئيس الكهنة ومجمع السنهدْرين.. نَسَوا (النصارى) تحذيرَ المسيح الذي قال لهم فيه: "كثيرون سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح. ويضلّون كثيرين» (ص٦٢٥).

إنّ موقف أحمد زكي من بولس يختصر موقف المسلمين كافّة. وهو، وهم، على حقّ في اعتبار بولس أحدَ أركان المسيحيّة. ولولاه لخسرت المسيحيّة الكثير من معرفتها لسرّ المسيح.

***

أمّا **شريف محمّد هاشم** فيقول[٢٠]: إنّ المسيحيّين تركوا المسيح ليلتحقوا ببولس وبتعاليمه دون وعي منهم. بل هم «كالمخدّرين» سكروا بدعوته وشخصيّته ورسائله،على حساب عيسى وتعاليمه وانجيله.

ففي موضوع الختان مثلاً، كانت المسيحيّة، في عهد عيسى، تمارسه وتحافظ عليه، «حتى جاء بولس، فرفضه رفضًا قاطعًا، دون

---

(٢٠) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان.**

أن يعلّل أسباب هذا الموقف، وإن كان معروفًا، أنّ وراء هذا الموقف المتشنّج من الختان، رغبة بولس برفض كلّ ما يذكّره بيهوديّته، وبتاريخه الشخصي الأسود، الملطّخ بدماء المسيحيّين.

«وموقف بولس هذا، وتقيّد المسيحيّين به، أظهرا في الحقيقة هامشية موقع المسيح في المسيحيّة أكثر فأكثر، وأكّدا، بالتالي، أنّ المسيحيّة في الواقع، ليست تعاليم المسيح، وإنّما مبادئ بولس.

«فرسائل بولس الشهيرة لم تُبقِ أمرًا واحدًا في تعاليم المسيح لم تعبث به، لتجعلها هباء منثورًا، وأفكاره المسيطرة في المسيحيّة لم تُبقِ للمسيح في ديانته إلاّ اسمه. فناهيك عن موضوع الختان، ماذا ترك بولس في المسيحيّة أمرًا لم يبدّله؟

«استبدل وحدانيّة الله، الذي آمن وقال بها عيسى، بنظريّة التثليث المعقّدة المشركة.

«واستبدل البساطة، التي كان المسيح يدعو إليها في تقرّبه وصلاته لربّه، بطقوس القربان، وأصنام الهيكل، وتماثيل الكنيسة الغريبة الشاذّة.

«واستورد للإيمان المسيحي من طقوس الديانات الأخرى، كلّ شاذ وغريب، حتى صارت الشعائر المسيحيّة فسيفساء يونانيّة، فينيقيّة، هنديّة، مصريّة، رومانيّة، يهوديّة، وثنيّة.

«والغريب العجيب، أنّ المسيحيّين، رغم معرفتهم هذه الحقائق، نراهم كالمخدّرين، قد هجروا المسيح إلى بولس.

«ثمّ هل سنّة الختان وحدَها، التي عارضتْ بها مسيحيّةُ بولس كلَّ الأديان، وسننَ الشعوب، وعاداتِ الأمم، النافع منها والضارّ؟

«ولا نستبعد أنّ بولس كان سيقول بالختان ويفرضه، لو وجد بين الأمم مَن كان يرفضه أو يحرمه» (ص٥٦٧–٥٦٨).

ثم يدلّ السيّد هاشم على أنّ بولس هو المسؤول عن انحراف المسيحيّة عن مسارها، بل هو سبب كلّ مرض فيها. «وأتعس» ما جاء به بولس أنّه استمرّ أثرُه، عبر كلّ العصور والأجيال، يعمل في المسيحيّة، وهي لا تستطيع الخلاص منه بأيّ نوع من الأنواع. يقول :

«رسائل بولس... كانت المسؤولَ الحقيقي عن هذا الدفع الخطير بالفكر المسيحي نحو الضياع والبلبلة والانحراف. وهي اليد التي سقتِ المسيحيّةَ الكأسَ المرّة، التي لا زالتْ تترنّح في دوخانها من آثاره. رسائل بولس، هي التي أوقعتِ الإيمانَ المسيحي في شباك الشرك من جديد.

«ولا يزال هذا الإيمان من يومها، يناضل ويكافح عبثًا للخروج من مأزقه دون جدوى، مما جعله مضطرًا ان يكيّف وضعه بشتى الوسائل والأساليب، على أساس بقائه حبيس هذا الوضع البائس الشاذّ، ليبدو، رغم تعاسته، وكأنّه في عيشته راضيًا مرضيًا» (٢٢١–٢٢٢).

«في تلك الرسائل يكمن سرّ المرض المسيحي العضال. وإليها تعود مشاكل المسيحيّة المستعصية المتراكمة على مدى عشرين قرن ونيف».

ثمّ حشر السيدُ هاشم بولسَ الرسولَ بسؤال عن أهميّة فداء المسيح في حين أنّ الخطيئة ما زالت مستحكمة برقاب البشر. يقول: «والسؤال نوجّههُ للقديس بولس بات مفروضًا : هل انتهى تورّط

الناس بالخطيئة، بعد مجيء المسيح؟ وهل تطهّر العالم من ذنوبه وخطاياه، بعد عمليّة الصلب المدروسة؟» (ص ٢٣٠).

ويبدو، أخيراً، أنّ أفكار بولس هي التي سيطرتْ وشاعتْ في نيقية، بل «إنّ اسم المسيحيّة والمسيحيّين قد شاع بعدما صارت أفكار بولس في نيقية أساس الديانة المسيحية» (ص ٣٤٠).

***

أمّا سماحة **الشيخ حسن خالد**، الذي نودّ دائماً أن يكون خاتمة كلّ بحث، بسبب مقامه وعلمه ورصانته، فهو أيضًا يعطي لبولس الدور الأهمّ في تغيير مسار المسيحيّة، وفي تطوّرها من ديانة خاصة ببني إسرائيل، كما جاء بها المسيح، الذي جعلها ديانةً مسكونيّةً شاملةً جميعَ البشر. بولس، في نظر سماحته، هو المسؤول عن هذا التغيير[٢١].

يقول الشيخ:

كان عيسى «يتوجّه في دعوته ورسالته إلى بني إسرائيل وحدَهم. ولم يُعْرَفْ عنه، فترةَ وجودِه وقيامِه بأعباء رسالته، أنّه توجّه إلى غير بني إسرائيل، وإن كان الأمر قد تغيّر في عهد بولس، فتطوّرت الديانة النصرانيّة تطوّرًا خطيرًا، واتّسع مدى توجّهها، ورحب أفقها رحابة ملفتة للنظر» (ص ٥٠٧).

ويوضح سماحة الشيخ مردِّدًا ومؤكّدًا، فيقول:

---

(٢١) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

«ألمسيح لم يدّعِ يومًا أنّه رســولُ الله إلى العالمين؛ بل الذي نُقِلَ عنه أنّه لم يُبـعثْ إلاّ ليرعى خـرافَ بني إســرائيل الضالّة (مـتى١٥/ ٢٤). وحين لفت البـعـضُ نظرَه إلى بعض المرضى الذين لـم تكن لهم صلةُ رحمٍ ونسَبٍ ببني إسرائيل ليعالجهم اعتذَر... وقد ثبت قطعًا بأنّ كلّ مخاطبـاته كانت موجّهة إلى بني إسرائيل... ولكنّهـا (النصرانيّة)، رغم هذه الحقـيقـة، تحوّلت، لأمـرٍ أرادَه بعضُ قادتِها وعـلى رأسـهم بولس، من رسالة خاصّة إلى بني إسرائيل، إلى رســالة عامّة موجّهة إلى جميع البشر» (ص٥٠٨).

* * *

فــالقـديـس بولس، إذًا، في رأي المسلمين، هـو أســاس فـصل النصرانيــة عن اليهودية، وأســاس شموليّة رســالة المسيح، فمـا كان عيسى، في أيامه وفي وعيه "رســولاً إلى بني اسرائيل"، كما يصرّح بذلك القرآن[٢٢]. واســتمـرّ تأثيـر بولس في النـصرانيّـة على مـدى تاريخهـا، في مجامعهـا كافّة، كمـا في تعاليم باباواتها. وكـان مجمع نيقيـة، في رأي المسلمين جميعـاً، أوّل مَن اعتمد هذا التـوجّه البولسي وفرضه على الكنائس كافّة.

---

(٢٢) سورة آل عمران ٣/ ٤٩.

وأظهر الاختلاف الجوهري بين تعاليم مسيحيّة عيسى وتعاليم مسيحيّة نيقية والمجامع اللاّحقة. وشدّد على ما أتى به رجالُ الدين المسيحيّون على حساب ما أتى به عيسى. وقال بتعدّد الفرق والمذاهب في المسيحيّة حتّى بات لكلِّ مسيحيٍّ معتقدٌ خاصّ به لا يشاركه به غيره(١).

يقول : «فالنصارى تضع لهم عقائدَهم وشرائعَهم أكابرُهم بعد المسيح، ما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر، الذين كانوا في زمن قسطنطين الملك، الأمانةَ، التي اتّفقوا عليها، ولعنوا مَن خالفها من الأريوسيّة وغيرهم. وفيها أمورٌ لم يُنزل اللّهُ بها كتاباً؛ بل تخالف ما أنزله اللّه من الكتب، مع مخالفتها للعقل الصريح(٢)..

ويقول أيضاً : «ووضعوا (أي أكابرُهم) لهم من القوانين والناموس ما لم يوجد في كتب الأنبياء، ولا تدلّ عليه، بل يوجد بعضه في كتب الأنبياء. وزاد أكابرُهم أشياء من عندهم، لا توجد في كتب الأنبياء. وغيّروا كثيراً ممّا شرّعه الأنبياء. فما عند النصارى من القوانين والنواميس التي هي شرائع دينهم، فبعضه منقول عن الأنبياء، وبعضه عن الحواريّين، وكثيرٌ منه من ابتداع أكابرهم مع مخالفته لشرع الأنبياء. فدينهم من جنس دين اليهود، قد لبسوا الحقّ بالباطل» (١/١١٨).

فالمسيحيّون، بالإضافة إلى ما شرّعوه وزادوه على دين المسيح، يذهبون في «تعظيمهم للصليب، واستحلالهم لحم الخنزير،

---

(١) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.**

(٢) ويذكر ابن تيميّة هنا قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني الذي أقرّ في مجمعَي نيقيا وقسطنطينيّة الأوّل، لا مجمع نيقيا كما يقول.

الفصل الحادي عشر

مجمع نيقية

هناك إجماع في الإسلام على القول بأنّ مسيحيّة عيسى تختلف جوهريًا عن مسيحيّة القديس بولس، وبأنّ مسيحيّة مجمع نيقية (٣٢٥ م) قرّرت وثبّتت ما جاء به بولس على حساب ما جاء به عيسى. بولس علّم وجاهد ووضع المبادئ لمسيحيّةٍ تثليثيّة، فدائيّة، تعتمد على الصليب كأداةٍ للخلاص والنجاة من الخطيئة؛ ومجمع نيقية ثبّت وأكّد ونشرتعاليمَ بولس في المسكونة كلّها.

***

هذا التوجّه واضح صريح في كلّ ما كتبه المسلمون، من شيخ الإسلام إبن تيميّة، أوّل القائلين بأنّ مجمع نيقية هو الذي حدّد العقيدة المسيحيّة، حتّى اليوم.

لقد كان **شيخ الإسلام ابن تيميّة** البادئ في رسم طريقٍ سلكه المسلمون. ولئن لم يكن أوّل مَن أشار إلى اختلافات النّصارى فيما بينهم حول طبيعة المسيح وبنوّته للّه، وانقسامهم إلى يعقوبيّة ونسطوريّة وملكيّة...، إلاّ أنّه كان أوّل مَن كشف لعْنَ النصارى بعضهم لبعض، وبيّن مخالفتهم في فروع دينهم لما جاء به عيسى،

وتعبّدهم بالرهبانيّة، وامتناعهم عن الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء، ولا يوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلاتهم، ولا عذرة ولا بولا ولا غير ذلك من الخبائث إلى غير ذلك. كلّها شرائع أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام، ودان بها أئمّتهم وجمهورهم، ولعنوا مَن خالفهم فيها، حتى صار المتمسّك فيهم بدين المسيح المحض مغلوبًا مقموعًا... وأكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجَد منصوصًا عن المسيح عليه السلام...» (١/ ١٢٦).

ويعدّد شيخ الإسلام ما به المسيحيّون يختلفون في دينهم عن دين عيسى. يقول:

«وأمّا النصارى فليست الصلوات التي يصلّونها منقولة عن المسيح، ولا الصوم الذي يصومونه منقولاً عن المسيح... وكذلك حجّهم لقمامة (أي كنيسة القيامة)، وبيت لحم، وكنيسة صيدنايا... وكذلك عامّة أعيادهم، مثل عيد القلندس[٣]، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس -وهو القدّاس-، وعيد الصليب، وعيد الخميس والجمعة والسبت التي في آخر صومهم... وغير ذلك من أعيادهم التي رتّبوها على أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم.. بل هم يبنون الكنائس على اسمِ بعضِ مَن يعظّمونه... أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» (١/ ١٢٨)[٤].

***

(٣) كالندار، أي رأس السنة.

(٤) أنظر أيضاً ٢/ ٩؛ ٢/ ٢٣٦-٢٣٧.

أمّا **ابن قيّم الجوزيّة** فكان موقفه أكثر شدّة من أستاذه. فالمسيحيّون، في رأيه وفي أيّامه، كما في كلّ زمان، في معالجتهم أمورَهم الدينيّة، استندوا «إلى أصحاب المجامع الذين كفّر بعضُهم بعضًا وتلقّيهم أصول دينهم عنهم»[٥]. والمسيحيّون، عبر مجامعهم كلّها، راحوا يلعنون بعضهم بعضًا: فبعد المجمع الثالث، «لعنوا فيه كثيرًا من أساقفتهم وأشياعهم» (ص١٧٨).

وفي المجمع الرابع «تقاتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شرٌّ فتفاقم أمرُهم» (ص١٧٨–١٧٩).

وافترقوا بعد المجمع الخامس «وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته» (ص١٨٠).

وكذلك جرى اللعن والطعن والتكفير والحرمات المتبادلة بعد المجمع السادس (ص١٨٠).

والمجمع السابع ««انفضّ هذا المجمع وقد تلاعنت فيه هذه الجموع» (ص١٨١).

وكذلك جرى اللّعن بعد المجمع الثامن (ص١٨٢)، والتاسع أيضًا (ص١٨٢–١٨٣)؛ وفي العاشر «لعنوا مَن لعنوا وانصرفوا» (ص١٨٣).

هذه المجامع العشرة المشهورة «اشتملت على زهاء أربعة عشر ألفًا من الأساقفة والبتاركة والرهبان. وكلّهم يكفّر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا. فدينهم إنّما قام على اللّعنة، بشهادة بعضهم على بعض، وكل منهم لاعن ملعون» (ص١٨٣).

---

(٥) **هداية الحيارى**، ص ١٦٧.

«فإذا كانت هذه حال المتقدِّمين، مع قرب زمنهم من أيام المسيح ... ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعنٍ وملعون، لا يثبتُ لهم قَدَم، ولا يتحصّل لهم قول في معرفة معبودهم، بل كل منهم قد اتّخذ إلهَه هواه، وباح باللّعن والبراءة ممّن اتّبع سواه، فما الظنّ بحثالة الماضين، ونفاية العابرين، وزبالة الحائرين، وذرّيّة الضالّين، وقد طال عليهم الأمد، وبعُد العهد، وصار دينهم ما يتلقّونه عن الرهبان!...» (ص١٨٤).

ويخلص الإمام العلاّمة إلى القول بأنّ النصارى، بعد مجامعهم هذه، بدّلوا وغيّروا في دين عيسى؛ واتّبعوا، في جميع فروع دينهم، ما سنّه لهم أساقفتهم ورهبانهم. لذلك فهم «مخالفون للمسيح في جميع فروع دينهم... فإنّ المسيح –مثلاً– كان يتديّن بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض؛ وطوائف النصارى عندهم أنّ ذلك كلّه غير واجب، وأنّ الإنسان يقوم من على بطن المرأة ويبوّل ويتغوّط، ولا يمسّ ماءً ولا يستجمر، والبولُ والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلّي كذلك، وصلاته صحيحة تامّة، ولو تغوّط وبال وهو يصلّي لم يضرّه فضلاً عن أن يفسو أو يضرط. ويقولون: إنّ الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة،...» (ص١٤١).

هذا قليل من كثير من مآخذ العلامة ابن قيّم الجوزية على النصارى الذين ابتدعوا ديناً لم يكن هو دين عيسى. وراح أساقفتهم ورهبانهم يفرضونه عليهم فرضًا بكل أساليب العنف والإرهاب. والمجمع الذي أولى رجالَ الدين هذه المهمّة هو مجمع نيقية. وراحت هذه المهمّة تكبر وتتوسّع في مختلف المجامع الكنسيّة اللاّحقة.

ويصرّ **أبو زهرة** من جهـتّه على «أنّ المجمع (النيـقاوي الأوّل سنة ٣٢٥) فرضَ نفسَه حكومةً وجماعةً كهنوتيّة تُلقي على النّاس أوامرَ الدين، وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرّر أنّ تعاليم الدين لا يتلقّونَها من كتب المسيحيّة رأساً، بل لا بدّ من تلقّيها من أفواه أولئك العلماء ورجال الكهنوت، وأنّ أقوالهم في ذاتها حجّة، سواء أخالفت النصوصَ أم وافقتْ، وسواء أكانت الصواب، أم جافت الحقّ.. وهو مخالف كلّ المخالفة لما جاء في تعاليم المسيح المنصوص عليها، حتّى كتبهم التي يقرأونها ويعترفون بها»[٦] (ص١٢٧)

كما يصرّ أبو زهرة على أنّ «الكثرة العظمى من المسيحيّين كانوا على التوحيد» (ص١٣٠-١٣١)... ثمّ انجذبوا، بسبب عامل السلطان والجاه، وفقدان إنجيل المسيح الحقيقي، وخضعوا للهيئات الكنسيّة، حتى «تمّ للحكّام والقسّيسين ما أرادوا. واختفى دينُ المسيح، عليه السلام. وقام دين البطارقة والقسّيسين» (ص ١٥٥).

وهكذا «اشتدّ ضغط الكنيسة الكاثوليكيّة على المسيحيّين، وبالغت في فرض آرائها عليهم مبالغة تجاوزت حدَّ الغلو... وسلكت سبيلَ العنف، وركبت متنَ الشدّة، فجعلتْ كلَّ رأيٍ في العلوم الكونيّة يخالف رأيها كفراً.. تكفّر لأوهى الأسباب، وتحرق أو تعذّب مَن تراه كافراً بلا رفق ولا هوادة» (ص ١٦٧).

«هذه هي الكنيسة في معاملتها للناس: عنفٌ وزجرٌ وقسوة. لا إرشاد وهداية وإصلاح. وهي تضرب كلَّ مَن يعترض طريقَها. لا تفرّق بين سائس ومسوس، وحاكم ومحكوم، وراعٍ ورعيّة» (ص

---

(٦) **محاضرات في النصرانيّة.**

١٦٩). هذا السلوك كان لهـا منذ مجمع نيقـية، الذي فيه اخـتفى دينُ عيسى وبان دينُ بولس وأكابر رجال الدين.

***

وبالنسبة إلى **عبدالله العلمي**، بالإضافة إلى دور بولس، مجمع نيقية هو السبب في رفض التوحيد وفرض الثالوث: « ألأصل في دين النّصارى هو التوحيد. ولكن بولس، الذي يُعـتبر أفضل مقدّس عندهم بعد المسيح، نقض الناموسَ حجراً حجراً، ولبنة لبنة، ومن بعده المجمع النيقـاوي، رغم وجود نصوص واضـحة نيّرة في الكتـاب المقدّس»(٧) (ص١٥).

***

هذا التـوجّه واضح صـريح في ما ذهب إليـه **شريـف محـمّد هاشم** في قـوله: «أيمكننا بعـد أن نعـتقـد أنّ المسـيحـيّـة الحاضـرة بتعـاليمهـا وأناجيلها، شـرائع من اللّه، وتعاليم من السـماء، وهي من صنع البشر؟

«وهل يمكن أن تكون سماويّة، إلهيّة، مقدّسة، معصومة، تلبس أثواب الكمـال المطلق، ديانة اتُّفق عـليهـا اتّفـاقًـا، واختـيـرت أفكارها اختيارًا، من بين مـجموعات عديدة من العقائد سواها، كـانت مرشّحة للفوز بالمنصب نفسه... لولا...

«نستطيع القـول بثقة، أنّ مـسيحـيّة اليوم بدأت فـعليًا، لا من المسيح، وما نسب إليه من أقوال ووصـايا، بل من مجمع نيقية بالذات.

---

(٧) كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النّصرانيّة بين شيخ وقسّيس.

«ولعمري، فـما هو دور المسيح الباقي، بالنسـبة لهذه الديانة؟ بعدما بدا بعد نيقية وكأنّه رئيس «فخري» لنادي المسيحيّين في العالم، الذي يحمل اسمه فقط»(٨).

أن تبتدئ المسـيحيّة الحديثة من مـجمع نيقية، فهـذا ما يجمع عليه أهل الإسلام. وأن يكون مجمعُ نيقية وقراراته نهائيّةً حاسمة في ترتيب العقيدة المسيحيّة المستـحدثة، فهذا، أيضًا، ما يؤكّده المسلمون. وأن تتعلّق المسيـحيّة، بكل ما فـيها من معتـقداتٍ وممارسات، بارادة البشر الّذين وضعوا الارادة الإلهية جانبًا، فهذا أيضًا وأيضًا ما يؤكّده المسلمون، قـديمًا وحديثًا. والسؤال: مـاذا يبقى من المسيحـيّة إذًا؟ هل هي اليوم دين له صلة بالسماء؟ أم مجمـوعة شرائع ووصايا وضعها أناس لا علاقة لهم بكتاب منزل؟ هذا هو، في الحـقيقة، منطق المسلمين الذين لهم عن المسيـحيّة فكرة سمـاوية ساميّة. فـإذا بهذه المسيـحيّة تفشّلهم.

لنسـتمع أيضًـا إلى السيـد هاشم الذي يعطي الدور الحـاسم لمجمع نيقية:

«لقد كان مجمع نيـقية مفصلاً رئيسيًـا في تاريخ المسيحيّة. لا بل هوُ المفـصل الأهم في تاريخهـا، إنْ لم نقل إنّ هذه الديانة بدأت به، ومنه يبتدئ تاريخها» (ص٢٥٥).

ويستنتج متسائلاً : «ألا تجعلنا قرارات مـجمع نيقية نعتقد أنّ الإيمان المسـيحي برمّـتـه ما هو إلاّ تدبيـر بشـري، لا علاقـة للإرادة الإلهيّة به، لا من بعيد أو قريب؟» (ص٢٥٥).

---

(٨) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، ص ٢٥٦.

ويختم قائلاً: «ما نستطيع قوله بثقة: إنّ ما انتهى إليه مجمع نيقية كان بحقّ بمثابة توقيع معاملات الطلاق النهائي بين المسيحيّة والإيمان بوحدانيّة اللّه» (ص٢٥٨).

***

لا يتحمّل السيّد هاشم هذه الأحكام المبرمة وحده، بل سماحة الشيخ **حسن خالد** هو الآخر، لا يختلف في أحكامه وصراحته عمّا توصّل إليه السيّد المذكور. قال :

«لمّا أعلن قسطنطين الملك اعتناقَ النصرانيّة، وعقد مجمع نيقية، سنة ٣٢٥م، وأعلن ٣١٨ من أصل ٢٠٤٨ من المجتمعين، ألوهيّةَ المسيح، مال بالمسيحيّة عن معناها وعن مسارها الحقيقيّين. فانعقدت من بعد ذلك مجامع اتّخذت من القرارات ما أضاف إلى النصرانيّة ما لم يكن منها، فأضاف إلى منصب الألوهيّة، منصب الروح القدس»[٩].

ويلجأ سماحة المفتي، ليدعم رأيه ويحمّل غيره مسؤوليّة ما يقول، إلى المؤرِّخين. يقول: «يقول المؤرّخ هـ.ج. ويلز: «إنّ الأصول التي تتكوّن منها العقيدة النصرانيّة لا تجد لها مسندًا حتى في الإنجيل نفسه. وهكذا أيضًا تقول دائرة المعارف البريطانيّة» (ص٥٢٦).

---

(٩) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ٥٢٦.

ألفصل الثاني عشر

عبادات وطقوس

نعني في "العبادات والطقوس"، لا العقائد الأساسيّة التي يقوم عليها الإيمان، كالثالوث، وألوهيّة المسيح، وبنوّته لله، وأقنوم الروح القدس، والصلب والفداء، والموت والقيامة والخلاص، وما إلى ذلك؛ ولا السلوك المسيحيّ الذي يؤدّيه المسيحيّون، أو الأخلاق التي يتحلّون بها... فالعبادات والطقوس هي بين هذه وتلك. إنّها المعتقدات المعاشة التي تساعد المسيحيّ على فهم متطلّبات إيمانه، وعيشه وتقويته.

ألعبادات، إذاً، هي الأعمال الدينيّة التقويّة، مثل **الصوم والصلاة والقربان والأسرار الكنسيّة، والمحرّمات الدينيّة** وما إلى ذلك... والطقوس هي **الأعياد وكيفيّة الاحتفال بها، وممارسة هذه العبادات**...

في هذا الفصل سنقف عند هذه العبادات والطقوس، ونترك الكلام على السلوك المسيحي والأخلاق المسيحيّة إلى الفصل التالي.

لقد عالج المسلمون، قديماً وحديثاً، موضوعات مسيحيّة كثيرة، غير تلك التي تعود إلى العقائد الأساسيّة. موضوعات تعبّديّة

وطقسيّة ومسلكيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة وما إلى ذلك. يأخذونها، من الإنجيل نفسه، أو من حياة المسيحيّين وسيرة رجال الدين، وينتقدونها الانتقاد العجيب. وهم، بذلك، يبرهنون، مرّة أخرى، على فساد المسيحيّة كلّها.

وسنحاول، كعادتنا، التركيز على تطوّر هذا النقد عند المؤلّفين المسلمين عَبر التاريخ. فهو بالأمس، على ما يبدو، غيره اليوم. فالأقدمون لم يهتمّوا كثيراً بغير تلك المعتقدات الأساسيّة التي رأينا. فيمّا المعاصرون فيكيلون في كلّ جانب.

***

يقدّم **القرآن** القاعدة والنموذج لمواقف الإسلام والمسلمين من مواقف المسيحيّين وعباداتهم الدينيّة. فهو ينعتهم بالضلال والكفر وحتّى الشرك. ويدعو المسلمين إلى عدم موالاتهم[1].

يتّهمهم بالغلوّ في الدين[2]، واتّخاذ بعضهم بعضاً[3] أرباباً، واتّباع الهوى[4]، وكتمان الشهادة والحق[5]، وتحريف الكتاب[6]، وإخفائه[7]، والكذب على اللّه[8]، والكفر بالآيات، ولبس الحق

---

(١) سورة المائدة ٥/ ٥١.
(٢) سورة النساء ٤/ ١٧١؛ المائدة ٥/ ٧٧.
(٣) آل عمران ٣/ ٦٤؛ وأيضاً : آل عمران ٣/ ٨٠؛ التوبة ٩/ ٣١.
(٤) سورة البقرة ٢/ ١٢٠؛ المائدة ٥/ ٧٧.
(٥) سورة آل عمران ٣/ ٧١.
(٦) سورة البقرة ٢/ ١٧٤.
(٧) سورة المائدة ٥/ ١٥.
(٨) سورة آل عمران ٣/ ٧٨.

بالباطل[٩]، وعـدم إقامـة التوراة والإنجـيل[١٠]، واتّخاذ الدين هزؤاً ولعباً[١١].

وبسبـب هذه المآخذ، راح القرآن يـحرّض على قتـال "الذينَ لا يَدينونَ دينَ الحقِّ منَ الذينَ أُوتـوا الكتابَ حـتّى يُعْطُوا الجِـزْيَةَ عن يَدٍ وهمْ صاغِرون" (سورة التوبة ٩/ ٢٩).

***

فها **القاضي عبـد الجبّار**[١٢] يختصر مـخالفة النصارى لدين موسى، في الوقت الذي جاء عـيسى لإحياء التوراة وإكـمال الناموس وما جاء به موسى. يقول :

«في الجملة إنّ المسيح جـاء لإحياء التوراة وإقامتـها.. وما زال أصحابـه بعده على ذلك.. ثمّ أخذوا في التغـيير والتبـديل والبدع في الدين، وطلبِ الـرئاسـة، والتـقـرّبِ إلى الناس بما يـهـوون، ومكايدة اليهود، وشفاء الغيظ منهم، وإنْ كان فيه ترك الدين.

«وهذا بيّنٌ في الأناجـيل التي مـعهم وإليـهـا يرجعـون، وفي كـتابهم المعـروف بكتاب "أفـراسكس"[١٣]، فـإنّ فيـه أنّ قومـاً من النصارى خرجـوا من بيت المقدس، وأتوا أنطاكية وغـيرها من الشام، فدعـوا الناسَ إلى سنّة التوراة وإلى تحريم ذبائـح مَن ليس مِن أهلها،

(٩) سورة آل عمران ٣/ ٧٠-٧١.
(١٠) سورة المائدة ٥/ ٦٨.
(١١) سورة المائدة ٥/ ٥٧.
(١٢) **تثبيت دلائل النبوّة**.
(١٣) "افراسكس"، أي الإبراكسيس، وهوسفر أعمال الرسل.

وإلى الختان، وإلى إقامة السبت، وإلى تحريم الخنزير، وإلى ما حرّمتْه التوراة. وأنّ ذلك شقّ على الأمم واستثقلوه. فاجتمع النصارى ببيت المقدس، وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليجيبوهم ويطيعوهم. فأوجب رأيُهم مداخلةَ الأمم، والترخصَ لهم، والانحطاط في أهوائهم، وترك مخالفتهم، والاختلاط بهم، والأكل من ذبائحهم، والتخلّق بأخلاقهم، وتصويبهم فيما هم عليه..» (ص ١٤٩-١٥٠).

ثمّ يستعرض عبد الجبّار العبادات والطقوس المسيحيّة بالتفصيل، ويبدي رأيه فيها؛ ولا يرضى عن أيّة واحدة منها.

١. يقول عن **القربان** :

وللنصارى «أيّامٌ ينظرون فيها، بعد صلاة العصر، يحتسون الخمر في البيعة -وهو القربان عندهم-، وقد قال بولس: إنّ دم هذا الشراب هو دم الرب، وهذا البرشان هو لحم الرب. فمن ارتاب في أنّ هذا لحم الربّ ودمه فلا يأخذه، ولا يذقه. وأنّ ذلك لا يحلّ له. والبرشان هي أقراص تُخبز وتُحمل إلى البيعة، وتُثرد في الخمر، وتؤكل تقرّباً» (ص١٦٤-١٦٥).

٢. ويقول عن **الطهارة** التي يخالفها المسيحيّون :

«كان المسيح يتديّن بالطهارة، وبغسل الجنابة، وبوجوب غسل الحائض. وهذه الطوائف لا تختلف بأنّ ذلك ليس بواجب». ويرون «أن للإنسان أن يصلّي، وهو غير مطهّر، وغير مستنجٍ، ويصلّي وهو جنب. ولا يختلفون في أنّ الجنابة والبول والغائط وغير ذلك لا يقطع الصلاة، وأنّ المصلّي له أن يصلّي وهو يبول ويتغوّط وهو يجامع - وإنْ كان الجماع في زنى-، فما هذا شيء يقطع الصلاة ولا يفسدها،

بل الأفضل عندهم أن يصلّي وهو جنب وهو يتغوّط ويبول ويضرط، لأن ذلك أبعد من صلاة المسلمين واليهود! وكلّ هذا خلاف صلاة المسيح» (ص ١٤٨).

٣. ويقول عن **الصلاة** بأنّها هي أيضاً تخالف صلاة المسيح :

«كان المسيح يقرأ في صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل قبلَه وفي زمانه يقرؤون من كلام اللّه ومن قول اللّه من التوراة ومن زبور داود.. أمّا طوائف النصارى فإنّها تقول في صلاتها كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدّمون ويصلّون بهم. فجرى مجرى النّوح والأغاني، فيقولون: هذا قدّاس فلان. ينسبونه إلى الذين وضعوه» (ص١٤٨-١٤٩).

٤. ويقول عن **القِبلة** التي خالفوا فيها قبلة عيسى :

«وإذا قيل لهم: لِمَ تصلّون إلى المشرق، وقد علمتم أنّ المسيح لم يزل يصلّي إلى بيت المقدس إلى أن خرج من الدنيا. وإنّما المشرق قبلة الرّوم؟ قالوا: لأنّ اللّه خاطب الأنبياء من قِبَل المشرق. وبعضهم يقول: إنّ المسيح، لمّا صُلب، أمال وجهه إلى المشرق. فلهذا صلّينا إلى المشرق. فقيل لهم: فمن أعلم بالمصالح، أنتم أم المسيح؟ وقد علمتم وتيقّنتم أنّه ما صلّى إلى المشرق. ولكنّكم صرتم إلى ديانات الرّوم، وفارقتم دين المسيح..» (ص ١٩٧)[١٤].

---

(١٤) جاء في تبرير المشرق ما قاله الجاثليق: «السجود الواجب هو سجود المصلّي للّه في ملك السماء. ومثال مُلْك السماء في الأرض هو الفردوس. والفردوس هو في المشرق... وأيضاً، فأوّل ما سجد الناس للّه كان بالمشرق، لأنّ آدم كان يسجد للّه في الفردوس، والفردوس في المشرق... وأيضاً، لمّا

٥. ويقول عبد الجبّار عن **تعظيم المسيحيّين للصليب** :

«وكانت الرّوم، مع عبادتها الكواكب، تعظّم الأصنام وتصوّرها في الهياكل. فبقيتْ على ذلك بعد إجابتها إلى تعظيم الصليب. وما كان منهم في ذلك قصور، والمسيح وأمّه وأصحابه، عِوَضاً من تلك الأصنام..» (ص١٦٧).

٦. ويقول عن **الصوم** واختلاف النصارى فيه عن صوم المسيح :

«وما صام هو وأصحابه إلى أن خرج من الدنيا إلاّ اليوم الذي صامه بنو إسرائيل. فأمّا هذه الخمسون يوماً، التي تصومها النصارى، وصوم نينوى، وصوم العذارى، فما صام شيئاً منها قطّ، ولا أكل في الصوم ما يأكلونه، ولا حرّم فيه ما يحرّمونه» (ص١٤٩).

ويقول في موضع آخر : «وكان للروم والصابئين أيّام يصومونها تجري مجرى التقرّب إلى الكواكب، يمسكون فيها عن أكل اللّحم. فلمّا صاروا إلى القول بإلهيّة المسيح أقاموها، ثم زادوا فيها من أشياء، ونقصوا. وهم اليوم يصومونها خمسين يوماً إلى زوال الشمس، ثم يفطرون في بعض الأيّام. هكذا يصومون ببلاد الروم.. وهم يختلفون في الصيام، فإنّ هؤلاء الذين بالعراق لا يصومون في كلّ يوم نصفه، كما تصوم الروم» (ص١٦٤).

ويقول أيضاً : «فما صام (عيسى) صومكم هذا، ولا أمركم به، ولا صام هو وأصحابه إلاّ صوم بني إسرائيل، فعطّلتم الصوم

خلّصنا من ظلمة الخطيئة أقبل بنا إلى جهة النّور، وهي المشرق» (**المحاورة بين الخليفة العباسي المهدي وطيموتاوس الجاثليق**، المسألة الحادية عشرة، ص ١٣٢-١٣٣).

الذي تعلمونه يقيناً، وصمتم صوماً ما صامه، ولا أمركم به» (ص١٦٥).

٧. وعن **أكل الخنزير وذبائح مَن ليس من أهل الكتاب**، وعن أنّ المسيحيّين يخالفون المسيح فيها، يقول :

«وحرّم (المسيح) ذبائح مَن ليس من أهل الكتاب.. وما أكل خنزيراً قط. بل حرّمه، ولعن أكلتَه، كما فعل الأنبياء من قبله. والنصارى تزعم أنّه رقَى مريمَ المجدلانيّة فأخرج منها سبعة شياطين، وأنّ الشياطين قالت: أين نأوي؟ فقال لها: إسلكي هذه الدابّة النّجسة، يعني الخنازير»(١٥).

ويقول أيضاً بأنّ النصارى في ذلك يتشبّهون بالروم :

«والروم تأكل الخنزير وجميع الحيوان وذبائح الناس كلهم، فتبعوا الرّوم في هذا، كما تبعوهم في غيره. فإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: إنّ شمعون الصفا رأى في المنام.. وسمع صوتاً يقول: قم يا شمعون! قم اذبحْ وكُلْ. فقال شمعون: حاشا لي يا ربّ. فإنّي منذ قطّ لم آكل شيئاً نجساً. فعاد الصوت المرّة الثانية يقول له: لا تنجّس ما طهّره اللّه.

وهذا، عندهم، رآه شمعون بعد موت المسيح ورفعه. قلنا: فقد شهد شمعون أنّ هذا ممّا حرّمه المسيح ونجّسه. فقد أكّد فضيحتكم، إذ هو ما جاء إلاّ بالتمام لا بالتغيير والنسخ. والعجب أنّ معهم في آشعيا النبيّ أنّ شرّ الأمم وأنجس الأمم وأخبث الأمم هذه الأمّة ذات

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٤٩. إشارة إلى لوقا ٨/٢.

القلفة الآكلة للخنازير وكلّ البهائم. وهذا هو صفتهم»[١٦].

٨. وعن **إقامة الحدود**، يقول عبد الجبّار في مخالفة النصارى لتصرّفات المسيح ما يلي:

«وسار (المسيح) في المناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الأنبياء قبله. وليس عند هؤلاء النصارى، على مَن زنى، أو لاط، أو افترى، أو سكر، حدٌّ البتّة، ولا عذاب في الدنيا ولا في الآخرة» (ص١٤٩).

٩. وعن **استعمال البخور في الكنائس**، يقول عبد الجبّار بأنّها عادة أخذها النصارى عن الصابئة والرّوم، لا عن المسيح :

كما كان للصابئين والروم «دخنٌ وبخورات في الهياكل للكواكب والأصنام. وهي قائمة عند النصارى، ما عطّلوها. وهي في البيع، يسمّونها: دخنة مريم، وبخور مريم. وما عرفتْه مريم ولا المسيح ساعةً قط، ولا أصحابه، ولا استعملوا ذلك..» (ص ١٤٩).

١٠. وعن **الختان**، جاء عند عبد الجبّار بأنّ النصارى خالفوا المسيح فيه وجميع الأنبياء. قال : لـ «قد اختتن المسيح، وأوجب الختان، كما أوجبه موسى وهارون والأنبياء» (ص١٤٩)[١٧].

١١. وعن **اعتراف المؤمنين للقسّ** والغفران وأخذ الجعالة منهم، وادّعائه منزلة فريدة بينهم، يقول عبد الجبّار:

---

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٩٤–١٩٥. وهو يشير إلى رؤيا القديس بطرس في سفر أعمال الرسل ١٠/ ٩–١٦.

(١٧) يلاحظ أنّ عبد الجبّار لا ينسب سنّة الختان هذه إلى إبراهيم، كما هو شائع.

«ومن عجيب ديانتهم أنّ المذنب منهم يقول للقسّ والراهب: إعمل لي مغفرة وتوبة، وتحمّلْ ذنوبي. ويجعل له على ذلك جعالة على مقداره في الغنى والفقر. فيبسط القسّ كساءه ويأخذ الجعالة. ثم يقول للمذنب: هاتِ الآن. واذكر لي ذنوبَكَ ذنباً ذنباً، حتّى أعرفها وأتحمّلها. فيبتدئ ذلك المذنب –رجلاً كان أو امرأةً، مَلِكاً أو سوقةً– فيذكر ما قد فعله شيئاً شيئاً، حتّى يقول: هذه هي كلّها. فيقول له القسّ: إنّها عظيمة. ولكن قد تحمّلتُها وغفرتُ لكَ. فأَبْشِرْ. وربّما جمع الكساءَ من أطرافه ووضعه على ظهره وقال: ما أثقل ما في هذا الكساء من الذنوب!

«ومن المأثور عنهم، والشائع عليهم، أنّ المرأة تقرّ عند القسّ بذنوبها. فتقول: أصابني رجلٌ في يوم كذا. فيستفهمها: كمْ مرّة؟ فتقول: كذا وكذا. فيقول لها: أخبريني، هذا الرجل نصراني أم مسلم؟ فربّما قالت: مسلم. فيستعظم هذا. ويستزيدها في الجعالة. فإنْ زادتْه كان. وإلاّ غضب وانطلق وهو يقول: قد زنى بها المسلمون وتريد أن أغفرَ لها! وإنّما أعطَتْني كذا وكذا. فتردّه وتزيده وترضيه.. وقد قيل لبعض قسوسهم: ما هذا من التوبة! فقال: وما وجه تركنا لهم؟ لا نسألهم عن ذنوبهم ونطمعهم في غفرانها. فإنّا لو لم نفعل ونأخذ المال منهم لافتقرتِ البيَع» (ص١٩٠–١٩١).

١٢. وعن **الخوارق والمعجزات**، التي يقوم بها بعض رؤساءالنصارى، يقول عبد الجبّار:

«ادّعوا أنّ هيلانة الحرّانيّة وقعتْ إليها الخشبةُ التي صُلب عليها المسيح مع خشب غيرها، فلم تعرفْها. وأُشكِلَتْ عليها. فامتحنتْ ذلك بجنازةٍ مرّتْ بها. فجعلتْ تضع عليها خشبةً بعد أخرى من خشب

المصلّين (؟) فلم يقمِ الميتُ إلاّ بآخر خشبة. قالوا: فعلمتْ أنّها هي الخشبة التي صُلب عليها المسيح» (ص٣٢٣؛ أنظر ص ١٢٥).

وفصّل ألقاضي عبد الجبّار كثيراً من الآيات والخوارق. وغايته في ذلك إظهار حيل الأساقفة والرهبان، وخداعاً لعامّة النّاس، واستغلالاً لأموالهم. وفي رأيه أنّ رؤساء النصارى يعتنقون الرّهبانيّة ليرتاحوا من العمل والكدّ، ويكسبوا حياتهم على أهون سبيل. يقول :

«والفطناء من النصارى يقولون: هذه الآيات والمعجزات إنّما هي من احتيالات الجثالقة والرهبان، ومَن يبغض العمل ويفرّ من الكدّ. ويسمّونهم بلغتهم السريانيّة "عازق معناثا". معناه: أنّه ترهّب ولزم الدين ليأكل من غير ماله ويستريح من الكدّ.. وربّما جاء الرّاهب إلى الجاثليق بمثل هذا لينفق عنده؛ فيقول له الجاثليق: عزمتَ على الهرب من العمل. أنت "عازق معناثا". فربّما بكى وقال له: أبونا! ما يحلّ لك أن تقول لي هذا. فيقول الجاثليق: يا أخي! ما ينبغي أن تعملَ معي هذا. فأنا أعرفُ الصنعةَ. هبنا خَدعنا غيرَنا. بعضُنا يعرف بعضاً. والصنعة واحدة. وأنا "عازق معناثا" مثلك. فلا تبكِ..

«ومثل هذا –رحمك اللّه– تجد كثيراً من القسّيسين والرهبان. إذا رأوا راهباً، أو جاثليقاً، أو قسّاً، أو مطراناً قد ادّعيتَ له المعجزات ونفق على النصارى، يقول بعضه لبعض: أنظروا بأي شيء نفق هذا على النصارى الجهّال، ونفذت حيلته فيه، واستوتْ له عليهم الرئاسة..» (ص ٢٧-٢٠٨).

***

وثمّة كـتابٌ آخـر، من أواخر القـرن التاسع، **مجـهول المؤلّف والعنوان**، يتناول بعض موضوعات العبادات والطقوس المسيحيّة...

١. يتعجّب هذا المؤلّف المجهول كيف أنّ النّصارى **لا يسجدون لله** نهار الأحد وأيّام الفصح، فيما المسيح أمرهم بذلك. يقول :

«وأنتم، لظلمكم وخطاياكم وجـهالتكم بأمر اللّه، لا تسـجدون للّه يومَ الأحد ولا بعد الفسح، (أي الفـصح) بعد أربعين ليلة. وقد أمر اللّه بالسجود. وسـجد له الملائكة وعيسى والأنبيـاء والصالحون من عباده»[١٨].

٢. وعن **الدفن في المساجد**، يقول المؤلّف المجهول: «وتقبرون مـوتاكم في مـسـاجـدكم التي أمـر اللّه أن تطهّـر، "ويُذكـر فـيـهـا اسمه"[١٩]. وقد قـال اللّه على لسان آشعـيا، كما زعـمتم: "إنّ الذين يتّخذون مـسـاجدهم قبـوراً ويتطهّرون بعظام الموتى.. يَصلْون ناراً لا تطفأ إلى يوم القيامة"[٢٠]. وقد علمتم أنّه لم تفعل ذلك أمّةٌ غيركم»[٢١].

٣. وعن **تعظيم الصليب والصـور**، يقـول المؤلّف المجـهـول : «وأنتم تعظّمون الصليب والصورة، وتقبّلونـها، وتسجدون لها، وهي ممّا صنع الناسُ بأيديهم. وليـستْ تسمع، ولا تبصـر، ولا تضرّ، ولا

---

(١٨) **الردّ المجهول المؤلّف والعنوان**، ص ٢٩. عن الشرفي، ص ٤٣٥.

(١٩) إشـارة إلى سورة النـور ٢٤/٣٦. غيـر أنّ هذه الآية تتكلّم على الـتطهيـر بالنسبة إلى الكعبة، أنظر: الحج ٢٢/٢٦؛ البقرة ٢/١٢٥.

(٢٠) إشارة إلى آشعيا ٤٥/٤ و٦٦/٢٤.

(٢١) **الردّ المجهـول المؤلّف والعنوان**، ص ٢٩. عن الشرفي، ص ٤٣٦. وفي ذلك حـديث نبويّ: "لعنة اللّه على الـيهـود والنصارى. اتّخـذوا قبـورَ أنبيـائهم مساجد"، أنظر صحيح البخاري، ٦/١٤.

تنفع. وأعظمها عندكم ما صُنع بالذهب والفضّة. وكذلك فعل قوم إبراهيم بصورهم وأوثانهم» (ص٢٩).

***

أمّا **ابن حزم الأندلسي** فيأخذ على المسيحيّين رفضهم للنبوّات، وإبطالَهم الشرائع جميعها؛ فيما المسيح جاء، لا ليغيّر فيها، بل ليكمّلها. لذلك، فإنّ شرائع النصارى غير مأخوذة عن نبيٍّ؛ بل هي معاصٍ. يقول :

إنّ النصارى «لا يخلون من أحد وجهين: إمّا أن يكونوا يقولون ببطلان النبوّة بعد عيسى، عليه السلام، وإمّا أن يقولوا بإمكانها بعده. فإنْ قالوا بإمكان النبوّة بعده لزمهم الإقرار بنبوّة محمد.. وإنْ قالوا ببطلان النبوّة بعد عيسى لزمهم تركُ جميعِ شرائعهم : من صلاتهم، وتعظيمهم الأحد، وصيامهم، وامتناعهم من اللّحم، ومناكحهم، وأعيادهم، واستباحتهم الخنزير والميتة والدم، وترك الختان، وتحريم النكاح على أهل المراكب في دينهم.

«إذ كلّ ما ذكرنا ليس منه في أناجيلهم الأربعة شيء البتة. بل أناجيلهم مبطِلة لكلّ ما هم عليه اليوم، إذ فيها، إنّه عليه السلام قال: لم آتِ لأغيّر شيئاً من شرائع التوراة... فشرائعهم التي هي دينهم غير مأخوذة عن نبيّ أصلاً. فهي معاصٍ مفترات على اللّه، بيقينٍ لا شكّ فيه»[٢٢] .

***

(٢٢) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ١/ ٦٣.

ويشمل **أبو عبيدة الخزرجي** بعض الأحكام الشرعيّة[٢٣]، ويأخذ على النّصارى فيها مآخذ كثيرة.

١. يقول، مثلاً، عن تأرجحهم **بين التوراة والإنجيل**؛ أيّة شريعة يتّبعها المسيحيّون: "السنّ بالسنّ" التوراتيّة، أمّا "محبّة الأعداء" الإنجيليّة! : «وأمّا قولك: إنّك ترى الأحكام الشرعيّة حكمين: حكما توراويّاً وهو: "من لطمك فالطمه"؛ وآخر إنجيليّاً وهو: "من لطم خدّك الأيمن فانصب له الأيسر". ولا ثالث لهما.

٢. وعن **خطيئة آدم وكفّارة المسيح عنها**، يقول الخزرجي: «أخبرني... كيف أجزتَ ذلك وأنتَ قد نسبتَ إلى الله أنّه أبى أن يغفر ذنب آدم حين عصاه بالأكل من الشجرة التي نهاه عنها؟ وقلت: إنّ الله لم يزل غاضباً عليه زماناً حتّى انتصف منه بصلب المسيح!

«فلو كان العفو بحكم شريعتك أفضل ما سبقَ الخالقُ إليه. فلتعلم ما جئت به من التناقض في تفضيلك حكماً نسبتَ ضدّه إلى الخالق سبحانه وتعالى. ولا جرم أنّ العفو أفضل. إنّما جادلتك بتناقض عقيدتك. (ص ٢١٩-٢١٢).

٣. «ومن أعجب الأشياء أنّكم **تؤمنون بنبوّة مريم وحنّة**، وهما امرأتان بلا كتاب ولا معجزة، ولا ذُكرتا في صحف الأنبياء. وتكفرون بسيّد المرسَلين محمّد، صلى الله عليه وسلّم، وله كتاب يعجز الإنس والجنّ، ومعجزات ليست لنبيّ قبل، وبشارات في كتب الأنبياء عليهم السلام» (ص٢٥٩).

***

(٢٣) **مقامع الصلبان**، أو "**بين الإسلام والمسيحيّة**".

يستفيض **شيخ الإسلام إبن تيميّة** في إظهار الخلاف الحاصل بين المسلمين والنصارى واليهود. فإذا الكلّ ينقض الكلّ نقضاً يصل حتّى التكفير. هذا التكفير واضح في كلّ شيء تقريباً. فلا أحد يرضى على أحد. ألكل بالنسبة إلى الآخر كافر هالك في نار الأبد.

١. يقول عن **كفر اليهود والنصارى** :

«أمّا كون اليهود ظالمين كافرين معتَدين مستحقّين لعذاب اللّه وعقابه، فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمّد، منقول بالتواتر. كما عُلم بالاضطرار والنقل المتواتر عنه، أنّ النصارى أيضاً ظالمون معتدون كافرون مستحقّون لعذاب اللّه وعقابه. وفي اليهود من الكفر ما ليس في النصارى؛ وفي النصارى ما ليس في اليهود. فإنّ اليهود بدّلوا شريعةَ التوراة، قبل أن يأتيهم المسيح بن مريم. فلمّا آتاهم كفروا به، وكذّبوه. فلمّا بُعث محمّد كذّبوه. فباءوا بغضب على غضب.. فغضب عليه أوّلاً بتكذيب المسيح، وثانياً بتكذيب محمّد»[٢٤] .

٢. وعن **تحريف اليهود والنصارى للقرآن** أيضاً، كتحريفهم لكتبهم، يقول ابن تيميّة :

«وتفاسير النصارى للكتب الإلهيّة فيها من التحريف لكلمات اللّه والإلحاد في أسماء اللّه وآياته ما يطول وصفه؛ ولا ينقضي التعجّب منه. لكنّ إقدامَهم على تفسير القرآن بالإلحاد والتحريف أعجب وأعجب، كقولهم: إنّ محمّداً ذكر أنّه لم يُرسل إليهم، وأنّه أثنى على الذي هم عليه بعد النسخ والتبديل.. وأنّ قوله " صراط الذين

---

(٢٤)**الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ٢/ ٤٥-٤٦.

أنعمتَ عليهم "[٢٥] أراد به النصارى، وقوله "لقدْ أرْسَلنا رُسُلَنا" [٢٦] أراد به الحواريّين، وقوله "وأنزَلْنا معهم الكتابَ بالحقّ ليحكُمَ بينَ الناس "[٢٧] أراد به الإنجيل. فإنّ في هذا من الكذب الظاهر والافتراء على محمّد بأنّه أراد هذه الأمور ما هو من جنس افترائهم على الأنبياء...» (٢/٤٨-٤٩).

٣. وعن **مساواة** اليهود والنصارى في التكفير، يقول :

«كلّ مَن عرف حال محمد وما جاء به من القرآن والدين يعلم علماً يقينيّاً ضروريّاً أنّ محمّداً لم يكن يجعل النصارى مؤمنين دون اليهود؛ بل كان يكفّر الطائفتَين، ويأمر بجهادهم، ويكفّر مَن لم يرَ جهادَهم واجباً عليه. وهذا ممّا اتّفقَ عليه المسلمون، وهو منقول عندهم عن نبيّهم نقلاً متواتراً. بل هذا يعلمه من حاله الموافق والمخالف، إلاّ مَن هو مفرط في الجهل بحاله، أو مَن هو معاند عناداً ظاهراً» (٢/ ٤٩).

٤. وفي **المقابلة بين المسلمين والنصارى واليهود**، يقول :

«وأمّا قولهم: نحن النصارى فلم نعمل شيئاً ممّا عملتْه اليهود، فيقال لهم: ألكفرُ والفسوق والعصيان لم ينحصر في ذنوب اليهود. فإنْ لمْ تعملوا مثلَ أعمالهم فلكم من الأقوال والأعمال ما بعضُه أصعب من كفر اليهود، وإنْ كنتمْ أنتمْ ألينَ من اليهود وأقربَ مودّةً، فأنتم أيضاً أجهل وأضلّ من اليهود» (٢/ ٥٠).

---

(٢٥) الفاتحة ١/٧.

(٢٦) الحديد ٥٧/ ٢٥.

(٢٧) سورة البقرة ٢/ ٢١٣.

«ومَن تدبّر حالَ اليـهود والنصارى مع المسلمين وجَد الـيهودَ والنصـارى مـتـقـابلين. هؤلاء فـي طرف ضـلال، وهؤلاء في طرف يقـابله، والمـسلمـون هم الوسط. وذلك في التـوحـيـد، والأنبـيـاء، والشرائع، والحلال، والحرام، والأخلاق، وغير ذلك (٢/ ٥٢).

«فاليهود يشبّهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصّة بالمخلوق التي يجب تنزيه الربّ سبحانه عنها، كقول من قال منهم: إنّه فقير، وإنّه بخيل، وإنّه تَعِبَ لّما خلقَ السموات والأرض.

«والنصـارى يشـبّهـون المخلوق بالخـالق في صـفات الكمـال المختـصّة بالخالق التي ليس لـه فيها مـثل، كقولهـم إنّ المسيح هو اللّه وابنُ اللّه... ويصفون اللاّهوت بصـفات النقص التي يجب تنزيه الربّ عنها، ويسبّون اللّهَ سبّاً ما سبّـه إيّاه أحدٌ من البشر، كما كان معاذ بن جبل يقول: "لا ترحموهم فإنّهم قد سبّوا اللّهَ مسبّة ما سبّه إيّاها أحد من البشر".

«واليـهود تزعم أنّ اللّـهَ يمتنع منه أن ينسخ مـا شرّعـه، كمـا يمتنع مـنه مـا لا يدخل فـي القـدرة، أو مـا يـنافي العلم والحكـمـة. والنّصـارى يجوّزون لأكـابرهم أن ينسـخوا شـرع اللّه الذي بَعَثَ به رسُلَه، فيحلّلوا ما حرّم، كمـا حلّلوا الخنزير وغيره من الخبائث؛ بل لم يحرّموا شـيئاً؛ ويحرّمون مـا حُلّل، كما يحرّمون في رهبـانيّتهم التي ابتدعـوها، وحرّمـوا فيـها من الطيّـبات مـا أحلّه اللّه، ويُسقطـون ما أوجب، كما أسقطوا الختانَ وغيره، وأنواعَ الطهارة من الغسل، وإزالة النجاسة وغيـر ذلك. ويُوجبون ما أسقط، كما أوجـبوا من القوانين ما لم يوجبه اللّه وأنبياؤه.

«والمسلمون وصـفوا الربّ بما يسـتحقـه من صفـات الكمال، ونزّهوه عن النقص، وأن يكون له مثل، فوصفوه بما وصف به نفسه، وبما وصفتْـه به رسلُه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غـير تكييف ولا تمثـيل، مع عِلمـهم أنّه لـيس كـمـثله شـيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.. وهو المعبود المطاع الذي لا يستحقّ العبادة إلاّ هو، ولا طاعة لأحد إلاّ طاعته. وهو ينسخ ما ينسخه من شرعه، وليس لغيره أن ينسخ شرعَه.

«واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات، وتحريم الطيّبات.

«والنصارى استحلّوا الخبائث وملابسة النجاسات.

«والمسلمون أحلّ اللّهُ لهم الطيّبات، خلافاً لليهود، وحرّم عليهم الخبائث، خلافاً للنصارى.

«واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم.

«والنصارى يدّعون أنّهم يطهّرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم.

«والمسلمون يطهّرون أبدانهم وقلوبهم جميعاً.

«والنصارى لهم عبادات وأخلاق بلا علم ومعرفة، ولا ذكاء.

«واليهود لهم علم ومعرفة بلا عبادات ولا أخلاق حسنة.

«والمسلمون جمعوا بـين العلم النافع والعمل الصالح بين الزكا والذكاء.

«أليهود يعرفون الحقّ ولا يعملون به.

«والنصـارى يعـملون ويعـبـدون ويزهدون.. قـتلوا النبـيّين. يأمرون بالـقسط بين النّاس. واتّخـذوا أحبارَهم ورهبـانَهم أرباباً من دون اللّه.

«والمسلمون اعتدلوا فآمنوا باللّه وملائكته وكتبه ورسله، ولم يفرّقوا بين أحد من رسله، وآمنوا بجميع النبيّين، وبكلّ كتاب أنزله اللّه. فلم يكذّبوا الأنبياء، ولا سبّوهم، ولا غلوا فيهم، ولا عبدوهم. وكذلك في أهل العلم والدين لا يبخسوهم حقَّهم، ولا غلوا فيهم.

«واليهود يغضبون لأنفسهم وينتقمون.

«والنصارى لا يغضبون لربّهم ولا ينتقمون.

«والمسلمون المعتدلون المتبعون لنبيّهم يغضبون لربّهم، ويعفون عن حظوظهم» (٢/ ٥٠–٥٥).

ويقول أيضاً : «في النصارى من الرّحمة والمودّة ما ليس في اليهود. والعداوة أصلها البغض. فاليهود كانوا يبغضون أنبياءَهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين؟

«وأمّا النصارى فليس في الذي يدينون به عداوة، و لا بغض لأعداء اللّه الذين حاربوا اللّهَ ورسولَه، وسعوا في الأرض فساداً، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهلِ ملّة إبراهيم المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟

«وليس في هذا مدحٌ للنصارى بالإيمان باللّه، ولا وعْد لهم بالنجاة من العذاب واستحقاق الثواب؛ وإنّما فيه أنّهم أقرب مودّة، "وذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً، وأنّهم لا يستكبرون"، أي بسبب هؤلاء. وسبب ترْك الاستكبار يصيّر فيهم من المودّة ما يصيّرهم بذلك خيراً من المشركين، وأقرب مودّة من اليهود والمشركين» (٢/ ٥٧).

«والنصارى لا يأمرون بتعظيم الأوثان المجسّدة، ولكن بتعظيم التماثيل المصوّرة، فليسوا على التوحيد المحض، وليسوا كالمشركين

الذين يعبدون الأوثان ويكذّبون الرسل. فلهذا جعلهم اللّه نوعاً غيرَ المشركين تارةً، وذمّهم على ما أحدثوه من الشرك تارة» (٢/ ٥٩).

«وأمّا كون النصارى فيهم شرك، كما ذكره اللّه، فهذا متّفق عليه بين المسلمين» (٢/ ٦٠).

«والنصارى الذين بدّلوا دينَ المسيح وكذّبوا محمّداً بريئون من دين المسيح، والمسيح بريء منهم كبراءة موسى ممّن بدّل وغيّر دينَه وكذّب المسيح.

«والمسلمون أشدّ تعظيماً للمسيح، واتّباعاً له بالحقّ ممّن بدّل دينَه وخالفَه من النصارى. فإنّ المسلمين يصدّقونه في كلّ ما أخبر به عن نفسه. ولا يحرّفون ما قاله عن مواضعه. ولا يفسّرون كلامَه بغير مراده، وكلامَ غيره من الأنبياء، كما فعلت النصارى» (٢/ ٦٨).

٥. ثمّ يجمل شيخ الإسلام إبن تيميّة في كلامه **ما استحدثه النصارى في دينهم**، وهو ما لم يقل به المسيح إطلاقاً. يقول :

« النصارى الذين ابتدعوا، بعد المسيح، بدعاً لم يشرّعها المسيح، ولا نطق بها شيء من الأناجيل، ولا كتب الأنبياء المتقدّمة. وزعموا أنّ ما شرّعه أكابرُهم من الدين، فإنّ المسيح يمضيه لهم. وهذا موضع تنازع فيه الملل الثلاث...

«فالنصارى تضع لهم عقائدَهم وشرائعَهم أكابرُهم بعد المسيح، ما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر، الذين كانوا في زمن قسطنطين الملك، الأمانة[٢٨]، التي اتّفقوا عليها، ولعنوا مَن خالفها من

(٢٨) أي قانون الإيمان المعروف بالقانون النيقاوي.

الأريوسيّة وغيرهم. وفيها أمورٌ لم يُنزل اللّهُ بها كتاباً؛ بل تخالف ما أنزله اللّه من الكتب، مع مخالفتها للعقل الصريح..[٢٩].

ويعلّق: «ووضعوا (أي أكابرُهم) لهم من القوانين والناموس ما لم يوجد في كتب الأنبياء، ولا تدلّ عليه، بل يوجد بعضه في كتب الأنبياء. وزاد أكابرُهم أشياء من عندهم، لا توجد في كتب الأنبياء. وغيّروا كثيراً ممّا شرّعه الأنبياء. فما عند النصارى من القوانين والنواميس التي هي شرائع دينهم، فبعضه منقول عن الأنبياء، وبعضه عن الحواريّين، وكثيرٌ منه من ابتداع أكابرهم مع مخالفته لشرع الأنبياء. فدينهم من جنس دين اليهود، قد لبسوا الحقّ بالباطل» (١/١١٨).

فالمسيحيّون، بالإضافة إلى ما شرّعوه وزادوه على دين المسيح، يذهبون في «**تعظيمهم للصليب، واستحلالهم لحم الخنزير، وتعبّدهم بالرهبانيّة، وامتناعهم عن الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبث**، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء، ولا يوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلاتهم، ولا عذرة ولا بولا ولا غير ذلك من الخبائث إلى غير ذلك. كلّها شرائع أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام، ودان بها أئمّتهم وجمهورهم، ولعنوا مَن خالفهم فيها، حتى صار المتمسّك فيهم بدين المسيح المحض مغلوبًا مقموعًا... وأكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجَد منصوصًا عن المسيح عليه السلام...» (١/١٢٦).

---

(٢٩) ويذكر ابن تيميّة هنا قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني الذي أقرّ في مجمعَي نيقيا وقسطنطينيّة الأوّل، لا مجمع نيقيا كما يقول.

٦. ويعدّد شيخ الإسلام ما به المسيحيّون يختلفون في دينهم عن دين عيسى. يقول:

«وأمّا النصارى فليست **الصلوات** التي يصلّونها منقولة عن المسيح، ولا **الصوم** الذي يصومونه منقولاً عن المسيح... وكذلك **حجّهم** لقمامة (أي كنيسة القيامة)، وبيت لحم، وكنيسة صيدنايا... وكذلك عامّة **أعيادهم**، مثل عيد القلندس[٣٠]، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس -وهو القدّاس-، وعيد الصليب، وعيد الخميس والجمعة والسبت التي في آخر صومهم... وغير ذلك من أعيادهم التي رتّبوها على أحوال المسيح، والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم.. بل هم يبنون الكنائس على اسمِ بعضِ مَن يعظّمونه... أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» (١/١٢٨).

ثمّ يردّد في كتابه الشيء نفسه مع بعض التفصيل والتوضيح: «إنّ المسيح لم يسنّ لكم **التثليث** والقول بالأقانيم، ولا القول بأنّه ربّ العالمين، ولا سنّ لكم استحلال **الخنزير** وغيره من المحرّمات، ولا ترك **الختان**، ولا **الصلاة إلى المشرق**، ولا اتّخاذ **أحبارهم ورهبانهم أرباباً** من دون اللّه، ولا الشرك واتّخاذ التماثيل **والصليب، ودعاء الموتى** والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وسؤالهم الحوائج، ولا **الرهبانيّة**، وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها، ولم يسنّها لكم المسيح، ولا ما أنتم عليه هي السنّة التي سلمتموها من رسل المسيح.

«بل عامّة ما أنتم عليه من السنن أمور محدثة مبتدعة بعد الحواريّين، كصومكم خمسين يوماً زمن الربيع، واتّخاذكم عيداً يوم

(٣٠) كالنداد، أي رأس السنة.

الخميس والجمعة والسبت. فإنّ هذا لم يسنّه المسيح، ولا أحد من الحواريّين. وكذلك عيد الحواريّين: الميلاد والغطاس، وغير ذلك من أعيادكم. بل عيد الصليب إنّما ابتدعتْه "هيلانة" أم قسطنطين.. وفي ذلك الزمان أحدثتم "الأمانة"(٣١) المخالفة لنصوص الأنبياء في غير موضع» (٢/٢٣٦-٢٣٧).

وبالعموم فإنّ النصارى «لا ينضبط لهم قولٌ مطرد، كما يقول مَن يقول من عقلاء الناس: إنّ النصارى ليس لهم قولٌ يعقلُه عاقلٌ. وليستْ أقوالُهم منصوصةً عن الأنبياء. فليس معهم لا سمْع ولا عقْل، كما قال اللّه تعالى عن أصحاب النار: "لو كنّا نسمَعُ أو نَعقِلُ ما كُنّا في أصحابِ السّعير" (سورة الملك ٦٧/ ١٠) (٢/ ٢٥٢).

***

في رأي **إبن قيّم الجوزيّة**، إنّ «المسيح حرّم الخنزير، ولعن آكله، وبالغ في ذمّه -والنصارى تقرّ بذلك- ولقى اللّه ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة؛ والنصارى تتقرّب إليه بأكله»(٣٢).

وبسبب **العداوة بين اليهود والنصارى**، على رأي ابن قيّم الجوزيّة، أصبح ما هو حلال في اليهوديّة حرامًا في النصرانيّة، والعكس كذلك. فالنصارى «رأوا اليهود يحرّمون الخنزير، فأباحوه وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يحرّمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كُلْ ما شئتَ، ودَعْ ما شئتَ، لا حرج...» (ص١٤٢).

---

(٣١) المقصود بـ "الأمانة" قانون الإيمان النيقاوي المعروف.

(٣٢) **هداية الحيارى**، ص ١٤١.

وله أيضاً من موضوع **الاعتراف بالذنوب**، مواقف ساخرة.، وقد تناوله بشيء من الخفّة، وراح يتّهم الكاهن بما توجبه الشريعة الإسلاميّة على المرأة المطلّقة التي لا تُعاد إلى زوجها إلاّ بعد زواج ثانٍ يعقده الشيخُ على نفسه بينه وبينها. يقول :

«وليس عند النصارى على منَ زنا، أو لاط، أو سكر، حدٌّ في الدنيا أبدًا، ولا عذاب في الآخرة؛ لأنّ القسّ والراهب يغفره لهم. فكلّما أذنب أحدُهم ذنبًا، أهدى للقسّ هديّةً، أو أعطاه درهمًا، أو غيره، ليغفر له به!! وإذا زنت امرأةُ أحدِهم بيّتها (زوجُها) عند القسّ ليطيّبها له؛ فإذا انصرفتْ من عنده، وأخبرتْ زوجَها أنّ القسّ طيّبها، قَبِلَ ذلك منها وتبرّك به!!!» (ص١٤٢)

***

أمّا **الترجمان الميورَقي** فله كلام في الأفخارستيا، والاعتراف، والختان[٣٣]. ويأخذ على النصارى بأنّهم اخترعوا هذه من عند أنفسهم. والمسيح منها براء.

١. يقول في **الإفخارستيا** : «والنّصارى، لعنهم اللّه، يعتقدون أنّ كلّ جزء من أجزاء فطيرة كلِّ قسّيس هو عيسى عليه السلام بجميع جسده في طوله وعرضه وعمقه. ولو بلغت أجزاء الفطيرة مائة ألف جزء لكان كلُّ جزء منها عيسى.

«فيقال لهم: جسد عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلاً، وعرضه شبران، وعمقه شبر، والفطيرة التي يقرأ عليها القسّيس لا

---

(٣٣) **تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب.**

يمكن أن تكون ثلث شـبـر، فكيف يكون جـسدٌ طوله عـشـرة أشبـار وعرضه شبران وعمقه شبر في شيء طوله ثلث شبر؟! هذا محال في كلّ عقل سليم» (ص١٦٣).

ويختم : «فهذه هي صلاتهم وقربانهم لعنهم اللّه، يتلاعب بهم الشيطان. فنعوذ باللّه من الخذلان» (ص ١٦٨).

٢. وله أيضاً كلام في **الإقرار بالذنوب للقسّيس**. يقول :

«إعلموا، رحمكم اللّه، أنّ النّصارى يعتقدون أنّه لا يمكن دخول الجنّة إلاّ بعـد الإقرار بالذنوب للقسّـيس، وأنّ كلّ مَن يُخفي عـنه ذنباً واحداً فلا ينفعه إقرارُه. فـهم، في كلّ سنة، عند صيامهم، يمشون إلى الكنيســة ويقرّون بجـميع ذنوبهم للقسّـيس الذي يقوم بكلّ كنيسة. وفي سائر أوقاتهم لا يقرّ أحـد بذنب إلاّ إذا مرض وخاف الموت، فإنّه يبعث إلى القـسّيس فـيصل إليه ويقـرّ له بجميع ذنـوبه فيغـفرها له. وهم، لعنهم اللّه، يعتقدون أنّ كلّ ذنب يغفره القسّيس مغفور عند اللّه.

«فـمن أجل ذلك، صــار البــابا الذي يكون بمدينة رومــة، وهو خليـفة عـيسـى في الأرض، بزعمــهم، يعطي لمن شــاء براءة بغفــران الذنوب والتسريح من النار ودخول الجنّة، ويأخذ على ذلك الأموال..

وكذا يفعل في كلّ مَن ينوب عنه في جميع أرض النّصارى من القسّيسـين، يعطون البراءات بالمغفرة وإيجاب الجنّة والنّجاة من النّار. ويأخذ النصارى هذه البراءات بعد أن يعطوا عليها لمن يكتبها لهم المال الجزيل فيخبّؤونها عندهم حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة معه في كفنه. واعتقادهم يقيناً أنّهم يدخلون الجنّة بتلك البراءات. وهذا من حيل القسّيسـين على أخذ الأموال من النصارى» (ص ١٦٩-١٧٣).

٣. وعن **الاختتان** يقول الميورقي :

«وممّا يعيبه النصارى على أهل الإسلام الاختتان. فيقال لهم: إنّ عندكم في الإنجيل أنّ عيسى عليه السلام كان مختوناً. ويوم ختانه هو عندكم من أكبر الأعياد. فكيف تنكرون على المسلمين ما أنتم تعظّمونه من أمر نبيِّكم؟ ثمّ إنّكم تعتقدون أنّ إبراهيم، عليه السلام، وجميع الأنبياء كانوا مختونين، وأنّ اللّه تعالى أمَرَكم بالختان كما هو في التوراة[٣٤]. «فالعيب عندكم، والملام عليكم لأنّكم تركتم سنّة نبيّكم في الختان وخالفتم فيه جميع الأنبياء. ثمّ تعيبونه. وكلّ مَن عاب أفعال الأنبياء فيما شرّع اللّه لهم فقد كفر باللّه وبأنبيائه» (٢٤٥-٦).

***

أمّا **رحمة اللّه الهندي** فيتوقّف مطوَّلاً عند رفضه لسرّ الإفخارستيا. ويقدّم الحجج العقليّة الصارمة لرفضه. يقول[٣٥] :

أوّلاً - «إذا استحال (الخبز) مسيحاً كاملاً حيّاً بلاهوته وناسوته الذي أخذه من مريم، فلا بدّ أن يُشاهد فيه عوارض جسم الإنسان، ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء. لكنّها لا توجد فيه. بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما كانت. فإذا نظره أحد، أو لمسه، أو ذاقه، لا يحسّ شيئاً غير الخبز؛ وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني. فلو ثبتت الاستحالة تكون استحالةُ المسيح خبزاً، لا استحالة الخبز مسيحاً»

---

(٣٤) يستشهد المحقق بسفر اللاويين ١٢/ ١-٣؛ (ص ٢٤٦، حاشية ٨).

(٣٥) **إظهار الحقّ**.

ثانياً – «إنّ حضور المسيح بلاهوته في أمكنة متعدّدة في آن واحد، وإنْ كان ممكناً..، لكنّه، باعتبار ناسوته، غيرُ ممكن... والعجب أنّه ما وُجد، قبل عروجه إلى السماء، بهذا الاعتبار، في مكانَين أيضاً... وكذا بعد عروجه إلى السماء. فكيف يوجد بعد القرون بعد اختراع هذا الاعتقاد الفاسد بالاعتبار المذكور في أمكنة غير محصورة في آن واحد؟».

ثالثاً – «إذا فرضنا أنّ مليونات من الكهنة في العالم قدّسوا في آن واحد، واستحالت تقدمةُ كلٍّ إلى المسيح الذي تولّد من العذراء، فلا يخلو إمّا أن يكون كلٌّ من هؤلاء المسيحيّين الحادثين عين الآخر، أو غيره؛ والثاني باطل، على زعمهم، والأوّل باطل في نفس الأمر، لأنّ مادّة كلّ واحد غير مادّة الآخر».

رابعاً – «إذا استحال الخبز مسيحاً كاملاً تحت يد الكاهن، فكسر هذا الكاهن هذا الخبزَ كسراتٍ كثيرة، أو أجزاء صغيرة، فلا يخلو إمّا أن يتقطّع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات والأجزاء، أو يستحيل كلّ كسرة وجزء مسيحاً كاملاً أيضاً. فعلى الأوّل لا يكون المتناولُ متناوِلَ مسيحٍ كامل، وعلى الثاني من أين جاءت هؤلاء المسحاء؟».

خامساً – «لو كان العشاء الربّاني الذي كان قبل صلبه بيسير نفس الذبيحة التي حصلت على الصليب، لزم أن يكون كافياً لخلاص العالم. فلا حاجة إلى أن يُصلب على الخشبة من أيدي اليهود مرّة أخرى. لأنّ المسيح ما جاء إلى العالم، في زعمهم، إلاّ ليخلِّصَ الناسَ بذبيحةٍ مرّة واحدة، وما أتى لكي يتألّم مراراً».

سادساً – «لو صحّ ما ادّعوه لزم أن يكون المسيحيّون أخبث من اليهود؛ لأنّ اليهود ما آلموه إلاّ مرّة واحدة فتركوا وما أكلوا لحمه؛ وهؤلاء يؤلمونه ويذبحونه كلّ يوم في أمكنة غير محصورة. فإن كان القاتل مرّة واحدة كافراً وملعوناً، فما بال الذين يذبحونه مرّات غير محصورة، ويأكلون لحمه ويشربون دمه؟».

سابعاً – قال المسيح في العشاء الربّاني: "إصنعوا هذا لذكري"، «فلو كان هذا العشاء هو نفس الذبيحة، لما صحّ أن يكون تذكرة، لأنّ الشيء لا يكون تذكرة لنفسه» (١/١٢٧–٣٣٩).

***

أمّا **الإمام محمّد عبدو** فله على النصرانيّة مآخذ[٣٦] :

«إنّني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المعروفة الآن في أيدي المسيحيّين، وجاءت في كلام أئمّتهم الأوّلين، ثم إيراد ما جرّ إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين.

«**الأصل الأوّل** للنصرانيّة : **الخوارق**. أوّل أصل قام عليه الدين المسيحيّ، وأقوى عماد له، هو خوارق العادات. تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلاّ ما كان يصنع من الخوارق. وعددها في الأناجيل يطول شرحه... (ص٢٩–٣١).

«**الأصل الثاني** للنصرانيّة : **سلطة الرؤساء**. وبعد هذا الأصل أصلٌ آخر وهو السلطة الدينيّة التي منحت للرؤساء على المرؤوسين في عقائدهم، وما تكنّه ضمائرهم... فإذا قال الرئيس الكهنوتي

---

(٣٦) **الإسلام والنّصرانيّة مع العلم والمدنيّة.**

لشخص إنّه ليس بمسيحي صار كذلك، وإذا قال إنّه مسيحي فاز بها. فليس المعتقِد حرّاً في اعتقاده، يتصرّف في معارفه كما يرشده عقلُه، بل عينا قلبِه مشدودتان بشفتَي رئيسه. فإذا اهتزّت نفسُه إلى بحثٍ أوقفها القابضُ على تلك السلطة» (ص٣١-٣٢).

«**الأصل الثالث** للنصرانيّة : **ترك الدنيا**.. والتجرّد.. والانقطاع إلى الآخرة. تجد هذا الأصل في الأناجيل وفي أعمال الرسل. وكلّما قرأت في الكتب الأولى عثرت به. وتجد الأوامر الصادرة بالانقطاع إلى الملكوت والهروب من عالم الملك صريحة... وحثّ على الرهبانيّة وترك الزواج وفي قطع النسل البشري... ثمّ إنّ ملكوت السموات قد نيط أمره بالإيمان المجرّد عن النظر في الأكوان... فإنّ عبادة الإنجيل ليست شيئاً سوى الإيمان والصلاة» (ص ٣٢-٣٣).

«**الأصل الرابع** للنصرانيّة : **الإيمان بغير المعقول**. وهو عند عامّة المسيحيّين أصل الأصول، لا يختلف فيه كاثوليك، ولا أرثوذكس، ولا بروتستانت، وهو أنّ الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأنّ من الدين ما هو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل، وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به... ثمّ الويل كل الويل لطالب الفهم إذا أدّى اجتهاده إلى شيء يخالف ما تعلّق به إيمانه، فكأن معنى الفهم أن يخلق المؤمن لنفسه ما يسلّي به نفسَه على إيمانه بغير المفهوم» (ص ٣٤).

«**الأصل الخامس** للنصرانيّة : **إنّ الكتب المقدّسة حاوية كلّ ما يحتاج إليه البشر** في المعاش والمعاد... (أي): إنّ الكتب المعروفة بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر إلى علمه، سواء كان متعلّقاً بالاعتقادات الدينيّة، والآداب النفسيّة، والأعمال البدنيّة،

ممّا يؤدّي إلى نيل السعادة في الملكوت الأعلى، أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل الإنساني أن يتمتع بها» (ص ٣٥-٣٦).

«**الأصل السادس** للنصرانيّة : **التفريق بين المسيحيّين** وغيرهم حتّى الأقربين. (وهو) الأصل الذي ورد في متّى: "لا تظنّوا أنّي جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإنّي جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمّها، والكنّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته" (متّى ١٠/ ٣٤-٣٦) (ص ٣٦-٣٧).

وكانت النتيجة، بالنسبة إلى الشيخ الإمام، أن «تقرّر في نفوس المسيحيّين أنّ السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم. وتقرّر عند القوم قاعدة: "**إنّ الجهالة أمّ التقوى**" ... فحصروا التعليم في الأديار، ومَنعتِ الكنيسةُ أن يُنشر التعليم بين العامّة... وبقي غير القسيسين في جهالة حتّى بأمور الدين وحقائقه وأسراره» (ص ٣٨-٣٩).

***

أمّا شيخ الأزهر **الإمام محمّد أبو زهرة**، فيقول عن تحليل المسيحيّين للمحرّمات، شاملاً بكلامه كلّ ما تعلّم المسيحيّة وتقول به من عبادات وطقوس[٣٧] :

١. «يتبيّن أن المشايخ والتلاميذ **يحلّلون للناس كلّ ما حرّمه الناموس**، أي التوراة .. وبذلك حلّ لهم كلّ شيء حرّمته التوراة: حلّ لهم الخمر والخنزير، وكلّ ما كانت التوراة وشرائع النبيّين قد حرّمته.

---

(٣٧) **محاضرات في النّصرانيّة.**

وبأي شيء أُعطي هؤلاء القدرة على التحليل والتحريم؟ قد قالوا أنّ ذلك بإلهام من روح القدس وتجلّيه» (ص ١١٨).

٢. وعن مسألة **إستحالة الخبز والخمر** إلى جسد المسيح ودمه، ودخول المسيح في جسد الإنسان، يقول الإمام أبو زهرة :

«ذلك أمرٌ غريبٌ في العقل. لا يستطيع أن يستسيغه أحدٌ بيسرٍ وسهولة. بل لا يستطيع أن يستسيغه قط.. بل مستحيل التصوّر والقبول في العقل. ولكن الكنيسة فرضتْ على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته، وإلاّ عرّضوا للطرد والحرمان» (ص ١٧٠-١٧١).

٣. وعن مسألة امتلاك الكنيسة **حقّ الغفران**، يقول أبو زهرة :

«لقد أتى حينٌ من الدهر من بعد أن أعطى رجالُ الدين أنفسهم ذلك الحقّ أنْ أفرطوا في إعطائه إفراطاً شديداً، وأنشأوا له صكوكاً تُباع وتُشترى. فباعوها كأنّها عرضٌ من أعراض الدنيا، ومتعةٌ من متعتها. وبذل العصاةُ في سبيلها المال. وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاصٍ، ما دام ذلك يُفتدى بمالٍ قلّ أو جلّ» (ص١٧٢).

***

وخلاصة السيّد **حفني ناصف** قوله: إنّ كلّ ما في المسيحيّة له جذوره في الوثنيّة. كلّ المعتقدات، والعبادات، والطقوس، والممارسات، والأخلاق مأخوذ عن الوثنيّة[٣٨]. يقول :

---

(٣٨) **المسيح في مفهوم معاصر**، الطليعة ١٩٧٩.

«نرى أنّ المسيحيّة تحوي في أضعافـها قدْراً كبيراً من الوثنيّة. وهي ما تزال إلى اليوم موسومة بميسمها.

١- فالمسيحي، فـي وقتنا هذا، يعبد الثالوث، كمـا كان أسلافُه من البدائيّين يعبدون الأوثان.

٢- وهو يدعو إلهـه أن يُديم عليه حيـاتَه، ويرعى أعمالَه، كـما كان البدائي يدعوه أن يحـرس قطيعه، ويهيِّء الأحوال التي تلائم نموّ زروعه.

٣- وهو يتـرنّم بالأناشيـد الدينيّـة، وكان أسـلافه يقـيمـون الاذكار، ويتلون الأدعيات، ويردّدون الابتهالات.

٤- وهو يهب الأمـوال للكنيسـة كمـا كان أسـلافه يسـوقون الكباش والثيران ويحملون الزيوت والخمور إلى الأوثان.

٥- ويصطنع المسـيحـيّون في تشـييـد كنائسـهم كـثيـراً من الأساليب التي كان السـحرة يصطنعونها، فلا يدعون أشـعة الشمس تنفذ إلـيهم إلاّ من خلال ألواح من الـزجاج متـعدّدة الألوان، مـوشّاة بالرصـاص، كيمـا يتآزر الغـبش المصطنع وصوت الأرغنّ الـذي يهز نياط القلوب والقدسيّـة المسبلة المكان، فيطغي كلّ أولئك على الحواس فيثير الانفعالات النفسيّة ويخمد صوت العقل.

٦- وما انفكّ الـكاثوليك إلى الآن يحتـفظون بأساليب العـبادة البدائيّـة إذ يحملون المداليات والأيقـونات منوطة بأعناقهم أو ناشـبة بثيابهم» (ص ١٥٣).

«وقد أسـفرت الموازنة بين المسـيحـيّة والوثنيّـة عن أنّ كلّ ما

تنطوي عليه المسيحـيّة من عقائد ونواميس ومناسك إنّما هو مـستمدّ من مذاهب الوثنيّين القدامى» (ص ١٥٣).

«وموجز القـول : إنّ الدين المسـيحي الحـالي إنْ هو إلاّ لبناتٍ وثنيّة أعيـد بناؤها... فالمسيحيّـة القائمة نتاجٌ بشـري يتّصف بالمثالب التي كان يتّـصف بها صانعوه. وقـد حال الزعم بأن المسيحـيّة منزلة من السماء دون تنقـيحها. فلم يزل سوسُ الفوضى العـقليّة والفساد الخلقي يفتّ في عظامـها حتّى تهـافتت وأوشكت أن تموت مـضروبة بالفالج» (ص ١٥٤).

***

د. مراد هوفـمان، سـفير ألمانيـا بالرباط[٣٩]، اعتنـق الإسلام، يقارن بين الحياة المسيـحيّة والحياة الإسلاميّة، فيـرى أفضليّة الثانيّة على الأولى. يقـول: هناك «سـتـة فروق رئيـسـة تفـصل بين المسلم والمسيحي :

١. يعيش المسلم في عالمه الذي **لا يوجد فيه نظـام القساوسة** الكاثوليك الإكليريكي، ولا نظام التدرّج الوظيفي في مراتب القساوسة الصارم، ولا يتخـذ وسيطاً أو شفيـعاً مهما عـلا قدره عند الصلاة أو الدّعاء؛ بينمـا يتوسّل المسيـحي بعيسى ومـريم، أو الرّوح القدس، أو غير ذلك من القـديسين، عندما يتضرّع، أو يبتـهل، أو يصلّي. فالمسلم في هذا حرّ مـتحرّر، لا يتوسل بغـير اللّه إلى اللّه، ولا تشوب عـبادتَه طقوسٌ أو شعائرُ غامضة...

---

(٣٩) **الإسلام كبديل**، ترجمة د.غريب محمّد غريب؛ مجلّة النّور الكويتيّة.

٢. يحرص الإسلام على السلامة العــامّة لكافّة أفراد المجتمع، وذلك **بتحريمه المطلق للحم الخنزير، والخمور والمسكرات، والمخدرات** أيّاً كان نوعها... كـذلك، فإنّ الانتظام في أداء الصلوات المفروضة، في مواقـيتهـا المشروعة، في خـشوع وتأمّل، يتيـح تخفيف حـدّة التوتّر والإجهـاد اليومي، فيـعود ذلك بالخيـر على الفرد والمجـتمع. وهذا لا يتأتّى بـأداء قدّاس الأحد، أو بابتـهال الصـباح القصـير، سـواء كان المبتهل وحده أو مع جماعة من المبتهلين المسيحيّين.

٣. يبيـح الإسلام **العـلاقة الجـنسيّـة** المشروعـة بين الرجل والمرأة، ويوصـي بهـا ليتـمتّع الإنسان، الـذكر والأنثى بممـارسة هذا الحق الطبيعي، وبدون تحفّظ، على العكس من التصوير "الشيطاني" للعـلاقة الجنسـيّة المشــروعة بـين الرجل والمرأة في كتـابات "بولس الرسول"...، والتي تشين الزواج افتراءً، وتمدح العـزوبية، داعيةً إلى الرهبانيّة، التي تسببت للكاثوليك في كـثير من الآلام والمعاناة، والعقد الجنسـيّة، والشـعور بالذنب، وغـيـر ذلك من المشكلات... هذا الحظر وتشـويه النظرة إلى الجنس تسـبـبتـا كـذلك في ردّ الفـعل الرافض لرسـالة بولس الرسـول بـشـأن الجنس، والذي يبـدو واضـحـاً في الانحلال الخلقي والإباحيّـة الجنسيّة التي لا ترعوي مكتسـحةً العالم الغربي.

٤. إنّ وصيّة المسـيحيّة **أن يحبّ الإنسانُ الغيرَ كـحبّه لنفسه عسيرٌ** التزامـها، بل إنّ المسيـحي العادي لا يستطيع أن يلتـزم بها. بل إنّها عبء ثقـيل عليه ينوء ضـميـره بحَمْلِه، تماماً كـالعبء الذي يرزح تحـته المسـيحي المؤمن الذي عليـه أن يلتـزم بنظرة بولس الرسـول للجنس... على العكس من هذا، نجد الإسـلام يتبع الصراط المسـتقيم،

الصـراط الوسط، الذي يؤدي فرائضـه في حـدود الإمكان البشـري المعتاد. فضلاً عن ذلك، لا يكتب الإسـلام على المسلم أنّ عليه أن يعتبر نفسه مذنباً يتحمّل الخطيئة الأصليّة، وأنّ عليه التماس الخلاص الذي ينجّيه.

٥. إنّ نظرة المسلمين **للوضع الاقتصادي**، وبالتالي لـلعمل، نظرةٌ اجتماعيّة سليمة، وليست في المقام الأوّل نظرةً نابعةً من الاقتصادية المستهدفة أعلى منفعيّة وأعلى ربحاً (كما هو الحال في المسيحيّة).

٦. أخيراً، يتعيّن، أو ينبغي، على المسلمين أن يكونوا قدوة حسنة في **التسامح في علاقاتهم مع غير المسلمين**، والحكم أو النظامِ غير الإسلامي القائم على الفصل بين الدين والدنيا، أو العلماني» (٤٥-٤٨).

***

و**للشيخ العاملي** مواقف واضحة من موضعات مسيحيّة عديدة، من العماد، والأعياد، وعبادة القدّيسين، وحرق البخور، ورشّ الماء المقدّس، وملابس القساوسة، وألقاب الأحبار، والتماثيل، وصكوك الغفران، والاعتراف للكهنة، والعشاء الربّاني، وما إلى ذلك... فهو ينتقدها كلّها. وهاكها بالتفصيل:

١. يقول عن **العمادة**: إنّها «من العبادات القديمة جدّاً في الأديان الوثنيّة. وهي اليوم من العبادات المهمّة عند النّصارى. وقد اعترف كثير من علماء النّصارى بأنّها عبادة وثنيّة»[٤٠].

(٤٠) **الكتاب المقدّس في الميزان**، ص ٣٨١؛ أنظر: ص ٣٧٧-٣٨٤.

٢. ويقول عن **الأعياد** : «وأمّا أعـياد الأديان الأخرى، (أي غـير الإسـلام، وبنوع خاصّ الأعـياد المسـيحـيّة)، فـقد انحـرفت عن خط الأنبيـاء، ودخلتْ فيها العـادات والتقاليد الوثنيّـة، فأصبحت الأعـياد فيها مـرتعاً للشيطان ومزلقاً للإنسـان، وهي من أيام البعد عن اللّه لما يقترف الناسُ فيها من المعاصي والفسق والفجور.

«والأعياد المسيحيّـة التي تقام اليوم في العالم لا تخرج عن هذا الإطار، وخاصّةً إذا رجعنا إلى توقيت هذه الأعياد فنجد أنّها هي أعياد الوثنيين بعينها... وهذه الحقيقة صرّح بها كبار المحققين من النصارى.

«فعيد الميلاد كان في بداية الأمر عيداً وثنيّاً... وعطلة يوم الأحد عطلة وثنيّة لأنّ الاسـم الوثني لا يزال يطلق عليها حـتى يومنا هذا في العالم الغربي sunday أي يوم الشمس» (ص ٣٨٥-٣٨٨).

٣. وبالإضـافة إلى مـا قـاله العامـلي عن عبـادة المسـيحـيّين للعذراء، يقول عن **عبادة القدّيسين** :

إنّ الكنيسـة «جعـلت للناس قـدّيسين بدلاً من آلهـة الوثنيّين، ومنحـتهم صـفاتهـم، وجعلت لهم أعـياداً هـي نفس أعيـاد الوثنيّين، وجعلت لهـؤلاء القديسين صوراً وتمـاثيل عبدها الناس. وقـد حاولت الكنيسـة محاربة التمـاثيل والصور بعد أن اشتـدّ خطرها، ولكنّها لم تفلح».

ويكمّل : «لقد طغت عبادة القديسين والتماثيل حتى خرجت عن الحدّ المعـقول. وفاق عدد الـقديسين عدد الآلهة عـند الوثنيين. وهذا ما أقلق بال الكنيسة وحملها على أن تتّـخذ إجراءات صـارمة للحدّ من هذا التضخّم في عدد القديسيين» (ص ٣٩٣-٣٩٤).

٤. وعن **بعض الطقوس** يقول الشيخ العاملي:

«لقد اتّخذت الكنيسة كثيراً من عادات الوثنيين، وجعلتها شعاراً لها. فعادةُ **حرق البخور** أمام المذبح أو رجال الدين تذكّرنا بعادة تقريب القرابين المحروقة عند الوثنيين. وأمّا عادة **رشّ الماء** المقدّس فهي صورة قديمة من التعاويذ. وأمّا **المواكب ومراسم التطهير** فهي امتداد لشعائر موغلة في القدم. و**ملابس القساوسة**، و**تلقيب البابا** بالحبر الأعظم Pontifex Maximus تراث من رومة الوثنيّة» (ص ٣٩٨)[٤١].

«وهذه المظاهر من عبادة القديسين و**التماثيل** نجدها اليوم بشكل كبير عند مسيحيّي الشرق، فلا نجد ساحة أو بيتاً أو تلاً أو منعطفاً أو جبلاً إلاّ وعليه تمثال قديس أو قديسة. ولا تزال هذه التماثيل تجني الكثير من الأموال لأصحاب الكنائس» (ص ٣٩٩).

٥. وعن **صكوك الغفران** يقول: أصل هذه المعتقد «القول بالوساطة في تحمّل العذاب. وخلاصته إنّ العقاب الذي يلقاه الميت في الجحيم قد ينتهي إذا كفّر الإنسان عن ذنبه قبل موته، أو كفّر عنه إنسان آخر من الناس. وهذا المذهب هو أصل نشأة فكرة صكوك الغفران، والتي كان عليها اليونان، ثم جاءت الكنيسة وتبنّتها وزادت عليها بأن كفّرت عن جميع المسيحيين بقتل وصلب المسيح ودخوله الجحيم من أجل خلاص البشريّة.

«وقد استغلّ هذه الفكرة الكثير من الوثنيّين، ومن بعدهم الكنيسة، من أجل الحصول على الأموال الطائلة. فكانت أكبر وسيلة لاستغفال الناس وابتزاز أموالهم... والله يعلم كم لهذه الفكرة السيّئة

---

(٤١) يستشهد بـ **قصّة الحضارة**، ١٦/ ٢٧.

من آثار سيّئة على المجتمع البشري. وهي، وإنْ ذكر لها بعض الحسنات، فإنّ مضارها أكثر بكثير من منافعها» (ص٤٠١-٤٠٢).

«إنّ لفكرة التكفير عن الذنوب والاعتراف للقساوسة العديد من المفاسد والمضار... والذي يعتقد أنّ رجل الدين يغفر له كلّ ما جناه لا يبالي بعد ذلك بالمحرّمات، ولا يرتدع عن معصية، ويرتكب أعظم الجرائم. هذا بالإضافة إلى أنّ هذه العقيدة قد جنت الأموال الطائلة للكنيسة...

«وقد زادت هذه الفكرة من تفشّي الفساد والفحشاء في المجتمع البشري، لأنّ المذنب وجد أنّ كلّ عمل يقوم به مهما كان يستطيع أن يكفره بالاعتراف عند القس ودفع مبلغ من المال» (ص٤٠٣).

٦. وعن **العشاء الرّباني** يقول الشيخ العاملي : «إنّ العشاء الربّاني هو من أهم الأسرار المقدسة عند المسيحيّين. وهو، بجوهره، عين العشاء المقدس عند الوثنيين، جملة وتفصيلاً. إلاّ أنّ المسيحيين أضافوا إليه القدّاس» (ص ٤١٠).

ويختم الشيخ العاملي نظريّته في العبادات المسيحيّة-الوثنيّة: «وهكذا أضحت المسيحيّة مجموعة متناقضة من العقائد الوثنيّة التي صبغت بصبغة مسيحيّة، زادتها في بعض الطقوس جمالاً، وفي البعض الآخر تعقيداً، وفي البعض الثالث سخافة. فإننا لا نجد إلهاً أُهِينَ بشتى أنواع الإهانات من اللّعن والسخريّة والتعذيب والقتل ودخول الجحيم، وبعد ذلك أكله أتباعه وأنصاره، كما فعل المسيحيّون بالمسيح حيث أكلوا إلههم..

«وصدق ول ديورانت حيث يقـول في تقييمـه للدين المسيحي: " وترجع قـوّة الدين المسـيـحي إلى أنّه يعـرض على الناس الإيمان لا المعرفة، والفن لا العلم، والجمال لا الحقيقة " » (ص ٤١٢)[٤٢].

***

يحاول **الدكتـور أيّوب**، كعـادته المقاربة بـين العشاء الـسرّي وتلاوة القرآن. فكلاهما يصير جزءاً من الإنسان الذي يتناولهما :

«إنّ قـارئ كتـاب اللّه في الإسلام هو كـالمشتـرك في العشـاء السرّيّ في الـعبادة المسـيحـيّة. ثمّة حـديث يعود إلى الإمـام جعـفر الصادق، إمام الشيعة، ولكنّه أيضاً إمـام محترم لدى جميع المسلمين، يقول : " من يتعلّم الـقرآن، ويتعوّد تلاوتَه من صغـره، يصبح القرآنُ جزءاً من لحـمه ودمه. وهذا مـا يتمّ في الإفخارسـتيا، عـندما يتناول الإنسانُ الخـبزَ والخمـرَ، فهو يشـترك بعمليّـة الفداء، كمـا يصوّرها الإنجيل والكتب الأخرى للعهد الجديد. إذاً، الذي يتلو القرآن هو كالذي يأخذه بطريقة الاستبطان interiorisation حتّى يغدو القرآن جزءاً من لحمه ودمه»[٤٣] (ص ٦٥).

***

ويقول **الدكـتور الحـاج**[٤٤] عن الكنيـسـة، وانفصـالهـا عن اليهوديّة، ودور رجال الدين :

---

(٤٢) نقلاً عن **قصة الحضارة**، ١٦/١٢.

(٤٣) "**الحـوار مع المسيـحيّين في منظور إسـلامي**" ضـمن كتـاب نحو الجـدال الأحسن.

(٤٤) **النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث.**

«ألمشكلة التي وقعت فيها النصرانيّة هي انفصالها عن اليهوديّة الأمّ، وتركها شريعة التوراة واستقلالها بديانة جديدة، عندها وجدت النصرانيّة نفسها بغير شريعة، فراح رجال الدين يشرّعون لهم ما لم يأذن به اللّه؛ " فلما وقع ذلك الأنفصال في الدين المسيحي عجزت المسيحيّة عن أن تكون نظاماً شاملاً للحياة البشريّة؛ واضطرّ أهلها إلى الفصل بين القيم الروحيّة والحياة العمليّة " (ص ٨٨).

«... كلّما درستُ شيئاً عن النّصرانيّة أجد نفسي أمام... هذه الخرافات والعقائد الفاسدة التي تؤمن بها اليوم» (ص ٦).

***

وقد يكون **الشيخ حسن خالد مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة** أحسن من يمثّل المسلمين في فهم العبادات والطقوس المسيحيّة. فهو يعرف المسيحيّة، ويعيش بين المسيحيّين، يحضر بعض جوانب احتفالاتهم الدينيّة، يقرأ كتبَهم، ويتحادث مع المسؤولين فيهم. وقد عرض بطريقة شيّقة ما فهمه منهم. ونتتبّع عرضه كما جاء في كتابه(٤٥):

١ – موقف الإسلام من الغطاس (أي المعمودية) : يعبّر سماحة المفتي عن موقف الإسلام في معموديّة المسيحيّين، فيقول بأنّ الإسلام «يرفض » أن تكون المعموديّة بابًا للإيمان المسيحي وللخلاص . يقول :

«يرى الإسلام أنّه من العجب أن يكون التغطيس في الماء، أو سكب شيء منه على الإنسان كفيلاً بدخول هذا الإنسان النصرانيّة.

(٤٥) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**

ذلك لأنّ النصرانيّة عقيدة... وسكب شيء من الماء... لا يعبّر عن شيء، مهما كان لذلك من تأويل لدى القائمين بذلك لتطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح...

«فإنّ الإسلام، وإن كان أبرز مطالبيه المسلكية الطهارة، طهارة الثوب والجسم والنفس، إلاّ أنّه يرفض أن تكون هذه الممارسة، في صورتها المتّبعة في النصرانيّة وفي غايتها، مدخلاً أساسيًا للإيمان بالله» (ص٧١٧).

٢ – **موقف الإسلام من الكهنوت:** موقف جذري، عبّر عنه سماحة المفتي بالمقارنة مع نظرة الإسلام. يقول: في الإسلام لا يمكن لأحد أن يشرّع غير الله. في المسيحيّة يمكن للكنيسة وللمسؤولين عنها أن يشرّعوا. وهذا ما يرفضه الإسلام في العمق، إذ إنّ التشريع للّه وحده. ورجال الكهنوت المسيحي، في رأي المفتي، اغتصبوا حقوق اللّه. يقول:

«إنّ التراتبيّة المسلكيّة الدينيّة، كما هي مقرّرة في النظام الكنسي، لا تأتلف مع النهج الديني الإسلامي ولا مع فلسفته الاجتماعيّة. وذلك لأنّها تمنح أصحاب الرتب حقوقًا دينيّة وامتيازاتٍ ربّانيّةً ما أنزَل اللّهُ بها من سلطان، إذ تخوّل بعضهم حقّ وضْع التشريعات الدينيّة، أو التصرّف بها، بالنسخ أو التعديل أو الإلغاء، كما تخوّلهم سلطاتٍ دينيّةً هي ملكٌ للّه وحدَه لا ينازعه ايّاها أحدٌ من خلقه... إنّهم بذلك يستجيزون لأنفسهم تعديل التكاليف الدينيّة وغفران الذنوب وإدخال جنّات اللّه...

«ومثلُ هذا خطيرٌ في نظر الإسلام الّذي لا يسمح لأحد من المؤمنين بأن يرتفع إلى مرتبة التشريع، مهما كان مقامُه وعلمه

وصلاحه... بل إنّ اللّه تعالى لَينكر في كتابه الكريم على النصارى وعلى أحبارهم ورهبانهم بالذات الجرأة في هذا المقام.. ألإسلام لا يعترف بوجود قدّيسين بين الناس يختصّون بأمورٍ دون الناس.

«وعلى أيّ حال، فإنّه لا سلطة كهنوتيّة في الإسلام تخوّل الإمامَ الحقَّ بأن يحوّر شرع اللّه تغييرًا أو إلغاءً أو زيادةً أو نقصانًا؛ أو تخوّله إباحة المحرّم، أو تحريم المباح. وليس في الإسلام أيضاً تراتبيّة دينيّة في صفوف العلماء تمنح بعضَهم، أو أحدَهم، سلطةً دينيّة على الآخر أو على الناس» (ص٧٢٩-٧٣٦).

٣ - **موقف الإسلام من القربان**: يرفض الإسلام، في رأي المفتي خالد، رفضًا قاطعًا كلَّ تعامل مع الخمرة؛ وهو، بالتالي يرفض القربان، ويرفض أن يتحوّل المسيح إلى خبزٍ وخمر، ويرفض أن يصنع هذا التحوّلَ إنسانٌ خاطئ عادي لا نبوّة فيه ولا رسالة من عند الله. يقول:

«إنّ الإسلام.. يحرّم الخمرة، ما قلّ منها أو كثر. وهو، منطقيًا، فضلاً عن أنّه ليس من نصٍّ ثابت عن سيدنا عيسى يُثبت هذا، لا يسلّم بأنّ الخبز أو الخمرة يتحوّل أيٌّ منهما إلى ما قيل أنّه يتحوّل إليه؛ أللّهم إلاّ إذا تمّ ذلك على يد رسولٍ أو نبيٍّ، من طريقٍ يفيد القطع واليقين.

«وفي التناول الذي يتكرّر كلَّ مناسبة عند النصارى، لا يكون ثمّة رسول أو نبيّ، ولا يمكن أن يوجد رسول أو نبيّ ليفعل المعجزة بعد أن ختم الله النبوّة بنبوّة محمد» (ص٧٢٠).

٤ - **موقف الإسلام من سرّ التّوبة** : سرّ التوبة أو الإعتراف،

هو الآخر، في رأي سماحة المفتي، مرفوض في الإسلام. ولا يمكن لأحد ، غير الله، أن يغفر ذنوبَ أحد. وهذا «المسْح للذنوب» خطيرٌ جدًا، في المفهوم الإسلامي. وخطورته تأتي من أن يبيح الناسُ جنّةَ الله بعضهم لبعض. يقول :

«أمّا الإعتراف، وهو سرّ التوبة في النصرانيّة، الذي يُشترط أن يكون أمام كاهن، وأن يكون كاملاً واضحاً، حتى يتحقّق منه الفوز بالغفران، فإنّه أيضًا غير مقبول في الإسلام. وذلك لأنّه لا يتّفق مع عقيدته ومنهجه الديني. ذلك لأنّ من عقيدة المسلم، أنّ اللّه وحده الذي يملك مغفرةَ الذنوب، وقبولَ توبة مرتكبيها، كما أنّه من عقيدته أنّ صلته باللّه لا يحجبها عنه حاجب، ولا يمنعها عنه كائن أيًا كان...

«والكاهن، أيّا كانت مرتبته، فهو في نظر الإسلام، إنسان. وإنّ أعلى ما يمكن أن ينتهي إليه من الترقّي المسلكي، في حال سلامة عقيدته، أن يكون صالحًا. وصلاحه هذا لا يملّكه مطلقًا القدرةَ على مسْحِ ذنوب نفسه وأخطائه الشخصيّة، فضلاً عن مسْح ذنوب الناس المذنبين وأخطاء المخطئين منهم، وبخاصةٍ إذا بلغ هذا الذنب أن يكون كبيرًا...» (٧١٧-٨).

* * *

أمّا **السيّد شريف محمّد هاشم**، فقد كان له مواقف واضحة من عبادات مسيحيّة عديدة. يبدؤها بوجوب تحريم لحم الخنزير. يقول[٤٦]:

---

(٤٦) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان.**

١. تبدو قصّة تحريم **لحم الخنزير** من الأمور المهمّة في الإسلام، كما هي في اليهوديّة من قبل. ومأخذ الإسلام على المسيحيّة، بسبب تحليل المسيحيّة أكل لحم الخنزير، كبير؛ بل ذنبها أكبر. ويخشى، في رأي المؤلّف، أن تتسع دائرة التحليلات في المسيحيّة فتحلّل لنفسها «كل فطيس وميت ومخنوق» و «دمَ الجيف» و «كل ما دبّ على الأرض من هوام وحشرات وزحّافات وسباع وحمير وخنازير»... هذه الحيوانات كان للإسلام منها موقف واضح، وقد نجّانا منها. لنسمعِ السيّد هاشم يقول :

«لندقّق بنتائج هذا الشريع المسيحيّ السموح (في إلغاء الفوارق بين الأطعمة)، الذي جعل الإنسان المسيحي، متّكأ على المباح له من ديانته، قادر أن يلتهم لحْم حيوان أو طائر أو سلحفاة، حتى ولو كانت جيفاً أمواتًا... ان لم يمجّها ذوقه، كما هو قادر أن يلعق دم جيفة، إذا ما فتحت شهيّته عليه. وليس من عوائق تمنعه من الضار من كل فطيس وميت ومخنوق.

«وهذا ما يدفعنا للتساؤل: أما ساوى هذا "القانون السماوي" (في تحليل الأطعمة) بين مسلك إنسان الكهوف الحجريّة... وبين المسيحيّ؟!

«ولا بدّ من أن نفتّش عن دافع لهذا الإفراط السخي الغريب اللاّمعقول، بتحليل كلّ النافع والضار من المأكولات والمشروبات في المسيحيّة. ولن يطول جهدنا بالتفتيش والبحث لأنّ شرح الأمر العجيب الذي وجدناه في رؤيا بطرس على ظهر سفينة وفّر علينا هذا العناء...

ويعلّق السيّد هاشم على هذه الرؤيا[٤٧] التي سمحت لبطرس تحليل مـا كان محـرّمًا على بني إسـرائيل من مأكل. ويقـول: «وبهذا صار كلّ مـا دبّ على الأرض من هوام وحشـرات وزحّافات وسـباع وحمـير وخنازير وغـيرها حـلالاً أكله للمسيـحي دونما اضطرار ولا مرض.

«ولا يقلّ جموح بولس في موضوع المحرّمات عن بطرس. وإنّ أكثر رسائله حـملت رغبة جامحة بتحلـيل كلّ المأكولات دون استثناء، وربما كان ذلك بسبب رغبته الموتورة بقطع كل الجسور الموصولة بين الديانة اليهودية والمسيحية» (٥٧٣-٥٧٨).

وحتـى تتوضّحَ الصـورةُ أكثـر بات علينا أن ننقل عن السـيّد هاشم نظرة الإسـلام إلى المحـرّمـات والمحلّلات بالعـمـوم، وإلى لحْم الخنزير بالخصوص. فهو يرى في التعـاليم الإسلاميّة خلاصة الطب والعلم الحديث، وقـد سبق القرآن مـا توصّلا إليه من أبحـاث ونتائج. والكلام للسيّد هاشم:

ألإسلام، في موضوع الخنزير، «لم يقدّس الأطعمة كما قدّست المسيـحيّة كلّ مـا صادفت في طريقـها من صور وأيقـونات وتماثيل وزخارف، خاضت حروباً وأزهقت أرواحًا لأجلها...

«ولا بدّ من أن ندقّق بالذي حـرّمـه الإسـلام على المسلمين في المأكولات لنرى ونتأكّد هل أصاب بتحريمه لها كبدَ الحقيقة أم أخفق؟

«وليكن الطبّ والعلم والإختبار روّاد بحثنا وتبصّرنا وتدقيقنا.

(٤٧) ألواردة في سفر أعمال الرسل ١٠/ ٩-١٥.

"حـرّم عليكم الميـتة والدم ولحْـم الخنزير وما أهلّ بـه لغيـر الله "[٤٨]. «فـالميتـة والدم، بحسب شـرح السـيّد هاشم، تأباهمـا أوّلاً النفس السليـمة، فضـلاً على ما أثبتـه الطبّ بعد ١٥ قـرنًا من تحريم الإسـلام لها، عن تجـمّع الميكروبات والمواد الضـارّة في الميتـة والدم. فمبدأ ذبح الحيوان قبل أكله أثبت الطبّ سلامته ونفعه...

وبالنسبـة إلى لحم الخنزير ، بالتحـديد، يقول السـيّد هاشم: «يكفي أن تكون الأبحـاث الطبيّـة المتقـدّمة في عـصرنا هذا قد أثـبتت مضارّ لحم هذا الحيوان على صحّة الإنسان، ونصَحَها بالامتناع عنه، ليصبح تحـريمه في الإسلام له ما يبرّره. فبـالإضافة إلى أنّ الخنزير بذاته منفّر للطبع النظيف القويم، فلقـد كشف الطبّ أنّ في لحمه ودمه وأمعائه دودةً شديدةَ الخطورة... وإذا كانت فوائد وضرورات تحريمه أثبتـها العلم والإختـبار فإنّنا لا ندري مـا هي فوائد تحليله؟» (٥٧٨-٥٨٠).

***

أمّا السيّد **أحمد زكي** فله[٤٩] من العبادات والطقوس المسـيحيّة جميعها موقف رافض واضح. كلّهـا تخالف ما جاء في التوراة؛ وكلّها ليـست من صنع عيـسى ولا من رغـبتـه. رجال الـكنيسـة هم الذين "فبركوا" لهذا الدين ما فبركوا من مبتدَعات ومستحدثات.

١. يسـأل السيّـد زكي أوّل ما يسـأل عن **الخطيئـة الأصليّة والكفّارة** عنها. يقول :

---

(٤٨) سورة البقرة ٢/١٧٣.

(٤٩) **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

«أبسبب خطيئة آدم المتسلسلة، التي زعمها شاؤول، ليضلَّ بها المسيحيّين الحقيقيّين المؤمنين بالله وبالمسيح!؟ وهي التي لم يَسمعْ بها المسيحُ ولا إبراهيم ولا موسى!!.. فهلاّ أشار علينا أصحابُ هذا المعتقد في أيٍّ كتاب سماويٍّ نزلت خطيئة آدم المتسلسلة في البشريّة كلّها؟

«ثمّ لماذا يُرسلُ اللّهُ للبشر المخطِئين خلاصاً وفداءً، ولا يرسلُ للملائكةِ المخطِئين مثلَ ذلك؟!

«هذا الاكتشاف، اكتشفه لهم شاؤول اليهودي ليزيد من خطاياهم، ويحرمهم من الجنّة ليُبقيها لليهود بنيَ قومه، ويُبقيهم هم محرومين منها، وعبيداً خاضعين للكنيسة التي تفتخرُ أنّه بيدها وحدَها رفْعُ خطيئةِ آدم عنهم بالعماد، على يد قسّيس، أو متقسّس من قساوستها الأبرار، وهي لا تملك لهم دليلاً واحداً على ذلك، ولا تبيّن لهم العلاقة بين العماد والخطيئة المزعومة» (ص ١١٤-١١٥).

٢. ويقول أيضاً في أمر **نزول عيسى إلى الجحيم** وتخليصه نفوسَ الأبرار والصدّيقين :

«يجب على كلّ ذي عقلٍ سليم أن يرفض هذا الزعمَ المشين للأنبياء. إذ كيف يُدخل اللّهُ إبراهيمَ في جهنّم، وهو الذي اختبره اللّه في محبّته له، أو لابنه الوحيد إسماعيل.. فاختار إبراهيمُ اللّه، وأخذ ابنَه الوحيدَ البكرَ فلذةَ كبده، الذي لم يكد يفرح به بعد سنين عجاف (٨٦ سنة)؛ ليذبحه حسب أمر اللّه، وهمَّ بأن يُجري السكّينَ على رقبته، لولا أن افتداه اللّهُ بكَبشٍ عظيم!!

«كما نرفض أن يُدخِلَ اللّهُ موسى في جهنّم، وهو النّبي الذي أرسله لإنقاذ بني إسرائيل من نير فرعون، فامتثل لأمر اللّه، ونجح

في مهـمّته، وأي نجـاح! فكيف يكافئـه اللّهُ على عمله المـمتاز هذا بنار جهنّم!! هل مِن عقلٍ سليم يَقبل بهذا!!

«ثمّ، باللّه، فليُخبرنا أصحابُ هذا المعتقد المستحيل، كيف دخل هؤلاء الأنبياء وغيـرُهم جهنّمَ في الوقت الـذي لا يتمّ دخولُها (من الكفّار) إلاّ يومَ الدينونة، بعد أن يبعثَ اللّهُ مَن في القبور، ليحكم بينهم، ويفصل أهلَ النار للنار، وأهلَ الجنّة للجنّة!! والدينونة لم تقمْ حتّى يومنا هذا، إذ أجساد إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما زالتْ مسجّاةً في مدينة "الخليل"، وأجسادُ الأنبياء الآخرين ما زالت في قبورها! أم تراهم توهّموا أنّ مَن يموت وهو يحمل خطيئة آدم المزعومة، يذهب من الآن إلى جهنّم!!.

«ثمّ، باللّه، فليخبرونا أيضاً مَن قال لهم إنّ مَن يدخلَ جهنّمَ يخرجُ منها! لا يا سادة!! صحّحوا معلوماتكم. إنّكم لا شكّ واهمون! إنّه مَن يدخل جهنّمَ يؤبّدُ فيها، ولا يخرج منها..

«وهناك شيء طريف غاب ذهنُ القوم (عنه)، نودّ أن نذكّرَهم به: لقد نسيَ الذين زعموا لنا هذه الرواية، أن يخبرونا كيف دخل المسيح جهنّمَ بدون أن يأخذَ مفاتيحَ السموات من بطرس، بعد أن أعطاها له، وهو على الأرض، لا سيّما وأنّ أناجيلهم لم تخبرنا أنّ المسيح وجدها مغلقةً، فقفلَ راجعاً واستعادها من بطرس.

٣. وعن **خطيئة آدم والتكفير عنها**، يقول السيّد هاشم :
«باختصار... إنّ خطيئة آدم، في زعم المسيحيّين، خطيئة متوارثة، لا يفلت منها أحد. حتّى الأنبياء أنفسهم توارثوها، وبسببها دخلوا جهنّمَ، لولا أن تداركهم عيسى. أمّا البشر الآخرون فلا يزيلها عنهم إلاّ العماد، داخلَ جدران الكنيسة، على يد قسّيس من قساوستها الأبرار،

الذين بيدهم مفاتيح السماء، والذي كلّ ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكلّ ما يحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السموات، ليحيطوا أنفسهم بهالة من القداسة الزائفة، ومن ناحية أخرى ليبقوا الناسَ أسارى الكنيسة، حتّى يؤمنوا أن لا خلاصَ لهم إلاّ على أيدي قساوستها الأبرار.

«هذا ما أرادوا أن يصلوا إليه باختصار. لهذا السبب، زعموا لطوائفهم أنّ كلّ البشريّة مصابة بفيروس خطير إسمه خطيئة آدم، وأنّه كان لا بدّ من دمٍ زكيٍّ، دم المسيح، غير مصاب بهذا الفيروس العجيب، ليفديهم، أو قسّيس يعمّدهم. هكذا، واللّهِ، خلقوا الأوهامَ لأنفسهم ولطوائفهم وعاشوها. ومن كثرة تكرارهم لها، صدّقوها تماماً...

ثم، «إذا كان عيسى دمُه زكيّ (كذا)، كما يزعمون، فهو لا زال مولوداً من امرأةٍ من سلالةِ آدم، وأنّه، وهو في رحمها، تغذّى على دمائها.. وكذلك، لمّا وُلدَ، رضع لبنَها، وتغذّى عليه في طفولته أيضاً. لذا، فإنّ دمَه الزكيّ تشرّبَ ذلك الفيروس اللعين –خطيئة آدم– على الأقلّ بنسبة ٥٠٪ من أمّه.

«أمّا إذا قالوا إنّ مريمَ لم تكن تحمل ذلك الفيروس اللّعين، قلنا لهم: كيف؟ أليستْ هي ابنة حَنّة ويواكيم عندكم؟! وأليستْ حنّة ويواكيم من أولاد آدم الذين يحملون هذا الفيروس، حسب زعمكم. فكيف توقّف الفيروس فيهما، ولم يتسلسل إلى مريم؟!..

«إنّ تلك الخطيئة،خطيئة آدم، لم تكن إلاّ سلوكاً فرديّاً، انحصر في آدم وانتهى معه. والسلوك، يا سادة، لا يتوارث.. فتلك الخطيئة كانت مقصورة عليه، ولم تتسرّبْ منه إلى نسله. والإنسان، عند

ولادته، يكون خالياً من الخطيئة. ثمّ، عندما يكبر، يخطئ، أو لا يخطئ. أمّا أنْ يولد، ومعه صحيفة سوابق، فهذا ما لا يقرّه عقل، ولا منطق، ولا شرع...

«... تلك الخطيئة المزعومة... فرضوها على العامّة بالقوّة والإكراه. لا تُظهرها سمّاعة الطبيب، ولا أشعّة إكْس، ولا تحليلات المختبر، ولا يستأصلها مبضع الجرّاح، إذ لم نسمع أحداً دخل المستشفى لإجراء عمليّة إزالة خطيئة آدم. لماذا!! لأنّها، لا تُستأصل هناك، إنّما يستأصلها القسّيس بعماده وبيده المباركة!!

لقد «فات هؤلاء الذين صلبوا عيسى من أجل خطيئة آدم في أبنائه، أنّه ستأتي، بعدهم، خطيئةٌ أكبر وأفظع، بل لا تقاس بخطيئة آدم، وهي إنكار وجود اللّه من قِبَل أبناء آدم، ومعها ملايين الخطايا الأخرى التي لا تُعدّ ولا تُحصى. فلماذا حكاية التجسّد لخطيئةٍ واحدةٍ تتركُ باقي خطايا البشريّة التي تُرتَكبُ يوميّاً!! ألا يرون أنّ أبناء آدم اليوم في حاجة إلى عيسى آخر، بل لمليون عيسى آخَر، يكون دمُهم زكيّاً، ليُصلَبوا فداءً عنهم من أجل محو خطاياهم!!

«ومن ناحية أخرى، لو فرضنا أنّ العالم كلَّه اليومَ مصابٌ بمرضٍ ظاهرٍ، كالإيدْز، أو خفيٍّ، كالاكتئاب؛ وأتينا بعيسى آخر، أو مليون عيسى آخر، وصلبناهم، فهل يُشفى العالمُ من أيٍّ من هذَين المرَضَين!! إنّ العقلَ لا يرى أيَّ علاقة بين المليون عيسى المصلوبِين ذوي الدم الزكيّ وبين البشريّة المصابة بأيٍّ من هذَين المرَضَين» (ص١١٥–١١٨).

وبالنتيجة، «ألعقلُ يرفض، والنقّادُ المسيحيّون يرفضون، والقرآن، الذي يتمشّى مع كلّ عقلٍ سليمٍ، ولا يتمشّى مع البدع أو

الأوهام والتـهيّـؤات، يرفض أن تنسحبَ خطيـئةُ آدم على ذرّيتـه من البشر، كما زعم شاؤول والمجمّعات الكنسيّة:

١- لأنّ ما قام به آدم انحصر فيه وتوقّف عنده،

٢-ولأنّه كان سلوكاً فرديّاً من آدم، والسلوك لا يتوارث.

٣- ولأنّ ما جاء في العـهد القديم يكذّب ما جـاءت به الكنيسة: ألأبناء لا يحـملون ذنبَ الآبـاء: "لا يُقـتلُ الآباء عن الأولاد، ولا يُقـتلُ الأولاد عن الآباء. وكلُّ إنسـان بخطيـئـتـه يُقـتل"(٥٠). وجاء أيـضاً: "ألنفسُ التي تخطئ هي تموت. ألإبن لا يحـمل من إثم الأب، والأب لا يحـمل من إثم الابن. برُّ البـارّ يكون عليـه، وشـرّ الشـرّير يكون عليه"(٥١). وجـاء أيضا: "في تلك الأيّام، لا يـقولون بعـدُ: ألآباء أكلوا حصرماً وأسنانُ الأبناء ضرستْ. بل كلُّ واحد يموتُ بذنبِه"(٥٢).

٤- ولأنّ ما جاء في القرآن أيضاً ينقضُ ذلك: "مَن يكسبُ إثماً فإنّمـا يكسبُـه على نفـسه"(٥٣). وأيضـاً: "مَن اهتدى فـإنّما يهـتدي لنفسه. ومَن ضلَّ فإنّمـا يضلّ عليها. ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى"(٥٤). وأيضـاً: "لا يُجـزَى والدٌ عن ولـده. ولا مـولودٌ هو جـازٍ عن والده شيئاً"(٥٥). وأيضاً: "وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى"(٥٦).

---

(٥٠) سفر تثنية الاشتراع ١٦/٢٤.

(٥١) سفر حزقيال ١٩/١٨.

(٥٢) سفر إرميا ٣١/٢٩-٣٠.

(٥٣) سورة النساء ١١١/٤.

(٥٤) سورة الإسراء ١٥/١٧.

(٥٥) سورة لقمان٣١/٣٣.

(٥٦) سورة النّجم ٥٣/٣٩.

٥- ولأنّ آدم قد نالَ عقابَه، عندما أخرجه اللّه من الجنّة، بسبب هذه الخطيئة، فانتهت خطيئتُه بهذا العقاب. وهذا عقابٌ كافٍ، ويتناسبُ تماماً مع الذنب الذي اقترفه.

٦- ولأنّ قتْلَ المسيح، بزعمهم، في حدّ ذاته، خطيئة. ونحن لم نسمع أبداً أنّ الخطيئة تمحو الخطيئة. إلاّ في هذا المذهب المعكوس الذي جعلوا فيه اللّهَ قاتلاً ومقتولاً.

٧- ولأنّ هذا السرّ اللاّهوتي -خطيئة آدم- وغضب اللّه على الجنس البشري بسببها، ظلّ مكتوماً عن كلّ الأنبياء السابقين. ولم تكشفْه إلاّ الكنيسة بعد حادثة الصلب» (ص١٢٤-١٢٥).

٤. يضاف إلى ذلك كلّه تعليم الشاؤوليّة بأنّ **المسيح صُلب من أجل خطايا العالم، كفّارةً عنها، وغفراناً لها**... مثل هذا مدعاة للسخريّة. إنّه برنامج عجيب يردّده الشاؤوليّون باستمرار، ويقولون: "إنّ المسيحَ جاء خصيصاً ليُصلب من أجل أن يحمل آثامَنا". يقول السيّد زكي: «أسطوانة برْمَجَتْهم عليها الكنيسة. ويردّدونها كالببغوات. وتجدهم يدافعون عن هذا المعتقد المزعوم... ولا يكلّف الواحد منهم نفسَه جهداً ليتعمّق في البحث» (ص١١٠).

* وثمّة قول للمسيح: "لا تدينوا لكي لا تُدانوا" (متّى ٧/١)، "ينسفُ قضيّةَ موتِه المزعوم على الصليب في أنّه كان كفّارةً عن جميع الذنوب. أي بالرغم من الموت على الصليب، الذي زعمتْه الكنيسةُ، فها هي خطايا أتباعه لم تسقط حسب قول المسيح نفسه، إذ هناكَ مَن سيدينُهم، وهو اللّه» (ص٤٢٩).

* وأيضاً هناك قول آخر للمسيح: "وحينئذٍ يجازي كلَّ واحدٍ حسبَ عملِه" (متّى ١٦/٢٧)، «ينسفُ (أيضاً) العقيدةَ الشاؤوليّة

الكنسيّـة من أساسهـا التي زعمت للناس بأنّ دم المسـيح فيه غـفران للخطايا» (ص٥٩٧).

* وعلى قول المسيح للأشلّ: "مغفورة لكَ خطاياك" (متى ٩/ ٢)، يعلّق السيّد زكي: «إعلم عزيزي القارئ، أنّه لا عيسى، ولا موسى، ولا إبراهيم، ولا أحـد يسـتطيع أن يغـفـرَ لك خطاياك... "مـغـفـورة خطاياك"، مبنيّةٌ للمجهول. مَن الذي غفرها؟ لا شكّ أنّه اللّه».

* وعلى قـول عيـسى: "لكي تعلموا أنّ لابن الإنسـان سلطان (كـذا) على الأرض أن يغـفـرَ الخطايا"، يعلّق السـيّـد زكي: «سلطانُ المسـيحِ في غفـران الخطايا على الأرض.. يدلُّ دلالةً قـاطعـة أنّه ليس للمسيح سلطان غفران خطايا في السماء.. (أي من قبل اللّه). ثم كيف يسـتقـيم هذا مع قول الشـاؤوليّين الكنسـيّين إنّ صلبَه كـان غفـراناً للخطايا!» (٤٥٥-٤٥٦).

٥. ويتبع الكلامَ على الصلْب، كوسيلة للتكفير عن خطيئة آدم، الكلامُ على سرَّي **المعموديّة والتوبة**. فهمـا أيضا وسيلاتان للتـكفير ولمغفرة الخطايا... على هذا، يسأل السيّد زكي: إذا كان المسيح كفّر عن خطيئة آدم، وعن خطايا البشر جميعها، فلِمَ العماد والتوبةُ إذاً!! وبنوع خاصّ، لِمَ عمـادُ الأطفال الذين أحبّهم المسيحُ، وقـرّبهم منه لبراءتهم، واعتـبر ملكوت السموات لمـثلهم، وملائكتَهم يعـاينون اللّهَ دائماً!!! من أين جاءتهم الخطيئة؟ وكيف؟

يقول الـسيّد زكي: «إنّ المسـيحَ رسول. ويحبّ الأطفـال، لأنّهم أبرياء. فها هو يحتضنهم ويضمّهم إلى صدره. ولا يهتمّ. ولا يسأل ما إذا كانوا قد تـعمّدوا أم لا. ممّا يُسقطُ قولَ الـكنيسة بضرورة تعـميد

الأطفال لخلاصهم من الخطيئة المزعومة. ذلك العماد الذي ابتدعوه ليسيطروا به على حياة الناس، ويضعوا أنفسَهم بين اللّه والأمم تماماً كما فعل كهنةُ اليهود» (ص٤٩١).

٦. وعن **سرِّ التوبة والاعتراف** إلى القسّيس، كوسيلة أخرى لغفران الخطايا، يعود بنا السيّد زكي إلى نشأة هذا السّر، فيقول: «قسطنطين، الذي قتل زوجتَه في مرجلٍ يغلي، وقتلَ ابنَه، اعتنقَ المسيحيّة لتكونَ غطاءً له، وحمايةً له ولدولته من الانهيار، فطوى القساوسةَ تحتَ إبْطِه.. وأسبغَ على المسيحيّة غلظةً وقسوةً.. وأعطى القساوسةَ هيمنةً وصَولةً، وقتلَ مخالفي الدين المسيحي الجديد – أي الدين الشاؤولي الكنسي–. من هنا، تشرّب أكثرُ النصارى بالقسوة البربريّة التي، بمقتضاياها، أباحوا قتلَ مخالفيهم في الدين...

«ومن قسوة الكنيسة، على حدّ قول السيّد زكي، أنّها راحت تبرّرُ تدخّلَها بين الناس، وتجعل الكَنَّةَ تشِي بحماتها، والابنَ يعترف عن أبيه، والابنةَ تخون أمَّها، لا سيّما في تلك العصور المظلمة التي انتشرت فيها محاكم التفتيش، يوم كانت الكنيسةُ تقومُ بدور المباحث والاستخبارات العامّة، وتتجسّس في كلّ مدينة وقرية وبيت، يومَ ابتدعت فكرةَ الاعترافِ للقسّيس، لتعرفَ كلَّ صغيرةٍ وكبيرة تدور في الخفاء من وراء ظهرها لكلّ مَن يناقض معتقداتها. يوم كان القسُّ أو الراهب هو الحاكم بأمره، يأمرُ وينهي ويعذّب للحصول على الاعترافات من الابن ضدَّ أبيه، ومن البنت ضد أمّها، ومن الكَنَّةِ ضدّ حماتها.. ومن ثمّ يأمر بالتعذيب أو بالإعدام أو بالحرمان أو الحرق على الخازوق. ومن المفارقات المضحكة أنّهم لا زالوا يعترفون للقسّيس بأفعالهم حتى اليوم» (ص٤٨٦).

وبالنتيجة، يقول السيّد زكي: إنّ الكنيسةَ تزعم «أنّ عيسى سيحمل خطايا العالم.. أليسَ في هذا الزعم تشجيعاً (كذا) لمزيد من الجرائم والخطايا، طالما هناك مَن هو مستعدٌّ لأن يحملَها عن البشر!!؟؟» (ص٣٣٩).

٧. وعن **محبّة الأعداء** (متى ٥/ ٢٩-٤٠)، يعلّق السيّد أحمد زكي على قول المسيح: "مَن لطَمكَ على خدّك الأيمن فحوّلْ له الآخر. ومَن أراد أن يخاصمَكَ ويأخذ ثوبَك، فاتركْ له الرداء أيضا"، فيقول:

«هذا المثل.. يدعو إلى الاستهجان والغرابة. ممّا يُستبعَد أن يكون من أقوال المسيح.. لأنّ هذا، إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على الذلّ والخنوع، بل وعلى جهلٍ تامٍّ بطبيعة الإنسان، إذ هو تمرّدٌ عليها، وليس مساير (كذا) لقوانينها. فيه مغالطة كبيرة، ومصادمة للطبيعة، ممّا يؤكّد أنّه لا يمكن للمسيح الناطق بوحي اللّه أن يكون جاهلاً بها.

«فهل يا تُرى كان قصد كتَبَةِ الأناجيل اليهود أن يجعلوا الأممَ التي تبعت شاؤول خاضعةً ذليلةً لهم!! أم الكنيسة، عندما كانت ضعيفة، أرادتْ أن تظهر للرومان أنّها مسالمة، لدرجة الخنوع، بعد أن انتشرتْ أخبارُ النّبيّ القادم الذي سيزيلُ مملكةَ الرومان!؟ (٤٠٤-٤٠٥).

«ولكنَّ السؤال الذي يطرحُ نفسَه هنا، إذا كانت شريعةُ الكنيسة قائمةً على الصفح، إلى هذا الحدّ، فلماذا تناقضُ نفسَها، وتأبى صفحَ اللّهِ عن آدم؟ ولماذا جعلتِ اللّهَ غاضباً حتى انتصفَ لنفسهِ بذبْحِ ابنه الوحيد؟! أو على الأقلّ، لماذا لم تصفحِ الكنيسةُ عمّن خالفوها الرأيَ، فذبحتِ الملايين منهم، وقتلتهم دون شفقة أو رحمة!!

«وهذا القول الـذي نسبوه إلى المســيح.. لا يقبله، أو يـعمل به، اليـومَ، أيُّ مـسـيــحي في العــالم. لذا، لا يمكـن أن يكون من أقـوال المســيح... هو تشريع غلط، لمـا فيـه من غبن وذلّ وخنوع.. للأسبـاب التالية :

١- «عيسى لم يكن مشرِّعاً، إنّما مطبّقاً للناموس. ولو أنّه شرّع ذلك حقّـاً لكان بهذا التـشريع قد خـرج عن شريعة مـوسى بالكامل. ويكون بذلك ناقض نفسَه.

٢- «هذا التشــريع يدلّ على جهل صاحبـه بالطبيعة البـشريّة. فعلم الميكانيكا يقول: كلّ فعْلٍ لهُ ردُّ فعْل، مساوٍ له في المقدار، ومضاد له في الاتّجاه.. هذا مع الجمـاد. فكيف مع الإنسان الذي هو لحم ودم وأعصاب تثور وتلتهب إذا ما لُطم صاحبُها على خدّه!!؟..

٣- «والمسيح نفسُه لم يحـوّل لمن ضربَه الخدَّ الآخر. بل احتجّ عليه، وقال له: "لماذا تضــربني" (يو١٨/٢٣) . وليس من المعقول أن يتنكّر المسيح لما نادى به.

٤- «وأخيراً... فأنتَ لا يمكن أن تجدَ مسيحيّاً واحداً، اليومَ، في تمام عقله، إذا لـطمتَه على خـدّه أدار لك الآخر. أنظر إلى أفـلامهم في التلفزيون.. تجدْها كلّها ذبح (كـذا) وقتل وبطش وجريمة. لا يُعيرون التسامح أي اهتمام...» (٤٠٥-٤٠٦).

* وتعليقاً على قول المسيح: "أقول لكم: أحبّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مـبغضكم. وصلّوا لأجل الذين يسيـئون إليكم" (متى ٥/٤٣-٤٥)، يقول السيّد زكي :

«هل لأطبّاء علم النفس أن يخبرونا كيف يمكن لنا أن نحبَّ أعدائنا (كذا)، ونبارك لاعنينا؟! إنّه مطلب ضدّ الطبيعة البشريّة. ولا يمكن تطبيقه، لأنّه يكلّف النفسَ ما ليسَ من طبعها وما لا تطيقه...

«نعم قد أستطيع أن أعفو عمّن ظلمني.. وأسامحه على ما فعله معي. لكنْ أنْ أحبَّهُ! فهذا فوق طاقة النّفس البشريّة... ولا يمكن تطبيقه، لأنّ النفسَ مجبولة على حبّ مَن يحبُّها، وبغضِ مَن يبغضُها. فضلاً عن أنّه مناقضٌ للتوراةِ التي قال المسيحُ إنّه لم يأتِ لينقضَها. لذا فلا يمكن أن تكون هذه النّصوص من أقوال المسيح...

«وما أحرانا أوّلاً أن نحبَّ اللّهَ، وننزّهَه عن أن يكون ثالثَ ثلاثة، أي ثلثَ إله، ونتبع أوامره ونواهيه، قبل أن نحبَّ أعداءنا...

«والذي دسّ هذه التشريعات يريد أن يقول للرومان إنّ النّبي القادم لن يحطّم ملكهم، وإنّ اليهود أناس مسالمون، حتّى لو ضربتموهم، فهم مستعدّون أن يديروا لكم خدَّهم، ومستعدّون أن يحبّوكم، ويباركوكم، بل ويصلّوا من أجلكم. أمّا أن تكون هذه المبادئ من مبادئ المسيح فأمر محال...

«وللأسف، بعد أن قامت الكنيسة بدسّ تلك الأقوال التي يُشتمّ منها رائحة الذبح والقتل في الأناجيل، نسبَتْها مرّة أخرى للمسيح، لتبرّرَ جرائمَها التي ارتكبتْها بحقّ الشعوب المغلوبة على أمرها» (٤٠٦–٤٠٨).

٨. وعن **الصلاة خفيةً** يعلّق السيّد أحمد زكي على قول المسيح: " ومتى صلّيتَ فلا تكنْ كالمرائين، فإنّهم يحبّوا (كذا) أن يُصلّوا قائمين في المجامع، وفي زوايا الشوارع، لكي يظهروا للناس.

ألحقّ أقـول لكم: إنّهم قد اسـتـوفوا أجـرَهم. وأمّـا أنتَ فمـتى صلّيتَ فـادخل إلى مـخدعكم، واغـلقْ بابَك. وصلّي (كـذا) إلى إلهك الذي في الخفاء، فـإلهك الذي يرى في الخفاء يجازيك عـلانية.. " (متّى ٦/ ٥-٩)، يقول :

«إنّ الكنيسة أقـحمتْ نفسَها حتّى في صـلاة الفرد، لتقف بينه وبين ربّه، تماماً كمـا فعل الكهنة والفرّيسيّـون. فلا هم دخلوا ملكوتَ اللّه، ولا تركـوا الدّاخلين يدخلون.. إذ، في الـوقت الذي فيـه الصـلاة صلة بين العبد وربّه، وقفتِ الكنيسة... بعـد قرع النواقيس الضخمة... لكي ينظرهم الـناس، أي عكس مـا طلب المسـيح تمامـاً، وهو الذي لم يسمع جرسَ كنيسة في حياته.

«ولربّما، ليس هناك مـانع عند بعضـهم أن يكون قد تناول في إفطاره، ذلك اليوم، شـريحةً من لحم الخنزير، أو قـدحاً من الويسكي، أو النّبيذ المعتّق الذي حرّمه اللّه قبل ذهابه إلى الكنيسة للصلاة...

«ثم هيهاتِ أن يستطيعوا التركيز في أذهانهم على الخشوع للّه الواحد وسط تلك الأناشيد والموسيـقى والصور والصلبان والتماثيل التي تشتّت الذهن.

ولست أدري كيف يركّـزون على اللّه الواحد، وهو في أذهانهم ثلاثة... فـهل يا تُرى، عندمـا يصلّون يركّـزون على الأب، الذي لا يعرفون صورتَه لأنّه دائماً في الخفاء؟ أم على عيسى في تماثيله التي تمتلئ بها الكنيـسة؟ أم يا تُرى على «جفْـري هنتر» الشاب الأمـيركي الوسـيم الذي لعب دورَ المسيح في فـيلم Super Star ملك الملوك ؟ أم على الروح القدس الذي صوّرتْه لهم الأناجيل على شكل حمامة هاوية

من السماء!! ثم كيف يتأكّدون أنّ صلاتهم قد توزّعتْ بالتساوي على الآلهة الثلاثة، وأنّ كلَّ إلهٍ أخذ نصيباً مساوياً للإله الآخر...

«وهل طلب منهم المسيح أن يصلّوا لغير اللّه الذي في الخفاء!؟ وهل طلب منهم المسيح أن يصلّوا على أنغام الموسيقى والأناشيد... فالمسيح، عندما يريد أن يصلّي كان يعتزل الناسَ وينشد مكاناً هادئاً، ويصلّي فيه... أي إنّ الصلاة لا تحتاج إلى كلّ هذا الصخب الذي ابتدعه شاؤول وكنائسُه، أجراس، وموسيقى، وتراتيل... كما أنّ الصلاة لا تحتاج إلى قساوسة أو مطارنة أو بخور...» (٤١٨-٤١٩).

٩. ويعتبر السيّد زكي أنّ **الوساطة بين الإنسان وربّه غير واردة** في تعاليم المسيح، ولا في المنطق الصحيح. يعلّق على قول المسيح: "إنّ ملكوت اللّه داخلكم" (لو ١٧/ ١٢)، فيقول : هذا يعني أنّك لستَ بـ «حاجة إلى أي كنيسة، أو قسّيس... وما تريده من اللّه تناله من غير سماسرة أديان يقفون حاجزاً بينك وبين اللّه، ومن غير بخور وتمتمات بلغة قد لا تفهمها... واللّه يستجيب صلاتك من غير موسيقى ولا تراتيل ولا أجراس» (٤٢٠).

١٠. وعن صلاة "**أبانا الذي في السموات**" (متّى ٦/ ٩-١٥)، يقول السيّد زكي : "ظاهرُها مستَبْشَع في العَرْف، محالٌ في العقل: أمّا استبشاعُه في العرف فإنّه يقبحُ بالعبد أن يخاطبَ سيّدَه بلفظ الأبوّة... أمّا محالتُه في العقل فإنّ ظاهرَ قولكم "في السماء" يُفهم منه أنّ السماء محيطة به. فإن جاز ذلك جاز أن يكون اللّهُ جسماً. وهو محال... ونحن لا نسلّم أنّ هذا ممّا علّمه المسيح... بل هو اختراعُ مَن لا يُحسِنُ ما يقول وليس له إلى المعارف أصول».

«ثمّ إنّه ليس من المعقول أن يعلّمهم المسيحُ الصلاةَ، ولا يأمرهم بالاغتسال قبل الصلاة، لأنّ الصلاة معناها الوقوف بين يدي اللّه. وليس من المعقول أن يقف المرء بين يدي اللّه وهو غير مغتسل وطاهر» (٤٢١).

١١. وتعليقاً على "**السّلامُ عليكِ يا مريم**.."، يقول السيّد زكي: «إنّ الذين فبركوا آلهتَهم بأيديهم وراء أبواب مغلقة، وكلّ يومٍ أضافوا لها إلهاً جديداً، ليس غريباً عليهم أن يفبركوا صلاةً يُضيفونها إلى صلاتهم... إنّه حقّاً لأمر يدعو إلى الشفقة والرّثاء... يصلّون لمريم العذراء!! أمِّ الإله!! وأيّ إله!! ألم نقل إنّ الشيطان لم يمت، وإنّ التخريب في هذا الدين مستمر!» (ص٤٢٤).

١٢. وعن **الصيام** يعلّق السيّد أحمد زكي على ما علّم المسيحُ في "ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنّهم يُغيّرون وجوهَهم، لكي يظهروا للناس صائمين... أمّا أنتَ فمتى صمتَ فادهن رأسَك، واغسل وجهَك، لكي لا تظهر للناس صائماً" متّى (٦/١٦-١٨)، يقول:

«إنّ الصيام معناه الإمساك لفترة معيّنة عن جميع أنواع الطعام والشراب والجماع والتدخين وشرب القهوة والشاي وأي شيء آخر يدخل الفمَ أو الفرْجَ... وكذلك الامتناع باللسان عن الفاحش من القول والغيبة والنميمة، التوجّه في الصيام بنيّة صافية إلى اللّه تعالى» (٤٢٤).

إلاّ أنّ الشاؤوليّين ابتدعوا صياماً يقوم «فقط على الامتناع عن تناول كلّ ذي روح... لأنّهم يأكلون ما عدا ذلك من خضار وفواكه. ويشربون القهوة والشاي، ويجامعون نساءهم، ويتناولون الخمر

ويدخّنون... إنّ مثلَ هذا الصيام لا يُعدُّ صياماً، بل يُعدُّ حِميةَ «رِجِيْمْ».. وهل كان المسيحُ يصوم، أم كان يعمل ريجيماً!!؟.. فلماذا لا تسألوا قساوسَتَكم أين ورد هذا الرِّجيم في أناجيلكم!؟..» (٤٢٥).

«والسؤال الذي يطرح نفسه مرّةً أخرى لجميع الشاؤوليّين الكنسيّين: إذا كان المسيحُ قد فداهم وخلّصهم بصلبه من جميع الخطايا، كما زعم لهم شاؤول، وكما تزعم لهم كنائسُهم وقساوستُهم، فلماذا الصيام، طالما أنّ المسيحَ قدّمَ نفسَه قرباناً عنهم!؟» (٤٢٦).

١٤. وعن **اللّه والمال،** يعلّق السيّد زكي على قول المسيح: "لا يقدر أحدٌ أن يخدمَ سيّدَين... لا تقدرون أن تخدموا اللّهَ والمال" (متّى ٦/ ٢٤-٣٤)، ويقول :

«هذا قولٌ غيرُ سديدٍ. ويُستبعد صدورُه عن المسيح، لأنّ المرء يستطيع أن يخدمَ سّيدين، بل أكثر في وقت واحد.. ثمّ يبدو أنّ كلمة المال هنا مدسوسة من الكنيسة التي كان همُّها وقتئذ منصبٌّ (كذا) على جَمْعِ المال، لتجعلَ الناسَ يزهدون فيه، ويقدّمونه لها، حتّى يتمتّع به البابوات، ويُنفقونَه على ملذّاتهم وعشيقاتهم، ألأمر الذي انتهى بهم إلى ابتداع صكوك الغفران، ليسلبوا الناسَ أموالَهم... والصواب هو «إنّك لا تستطيعُ أن تخدم اللّهَ وتخدمَ الشيطانَ في نفس الوقت» (٤٢٦-٤٢٧).

١٥. وعن **يوم الدين** وعمّن سيدين، يقول السيّد أحمد زكي :

مَن الذي يدين مَن؟ هل الابنُ سيدين العالم، كما جاء في يوحنّا (٥/ ١١)؟ أم أنّه لا يدين الابنُ أحداً لانّه بشرٌ كسائر البشر، لا يعرفُ

متّى يوم الدين، كما جاء في متّى (٢٤/٣٦)؟.. وفي هذه الحال كيف يدين؟! ولَمَن الدينونة إذاً؟!.. لقد عبّر السيّد زكي عن تساؤلاته هذه فقال:

«دسّتِ (الكنيسةُ) في إنجيل يوحنّا على لسان المسيح قولَها: " لأنّ الأبَ لا يدينُ أحداً، بل أعطى كلَّ الدينونة للابن " (٥/٢٢)، رغم تكذيب المسيح لها في إنجيل متّى، إذ يقول عن يوم الدينونة: " وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بها أحدٌ، ولا ملائكةُ السموات، إلاّ إلهي وحدَه " (٢٤/٣٦).

«فهل بعد هذا تكذيب! هل سمع أحدٌ بديّانٍ لا يعرفُ متى يوم الدينونة!؟

«من حقّنا أن نتساءل، عندما خلعتِ (الكنيسةُ) على المسيح صفةَ الدّيّان في إنجيل يوحنّا، ألمْ تكن قد قرأتْ ما جاء بخصوصها في إنجيل متّى؟.. من المؤكّد أنّها لم تقرأها. لأنّها، لو قرأتْها، لشطبَتْها. إنّهم (أي القساوسة) يدسّون في أناجيلهم ما يشاؤون، ووقتَ ما يشاؤون بدون أن يكونوا قد قرأوا ما جاء فيها» (ص١٠٥).

ثمّ هل الرسلُ الأثناعشر سيدينون أيضاً؟ كيف؟ هل يهوذا الخائن سيكون بينهم؟ ألم يخنْ؟ أم أنّ الخيانة خدعة؟ أم أنّ المسيح لم يعرف التمييز بين الـ١٢ والـ١١؟ أم أنّ شيئاً ما لا يُفهم؟.. على هذه التساؤلات يجيب السيد زكي:

«..هل سيدين يهوذا الخائن البشر؟! أم أنّ المسيحَ لم يعرفْ خيانةَ يهوذا، وبالتالي ليس إلهاً؟ أم أنّ متّى كاذبٌ؟ أم أنّ يهوذا لم يخن المسيح، وبالتالي لم يُشنَق؟!» (ص١٧١)... ثمّ

«هل المســـــيـح يدين أم لا يـدين!! وهـذا كلّه هـراء، من دسّ القساوسة» (٦٤٣-٦٤٤).

وبالجملة، «إنّ نصوصَ الأناجيل في مـسألة الدينونة هذه غيرُ صالحة، بحسب تعارضها الظاهر، لأنْ تكون عقيدةً لمعتقَد. مع أن هذه المسـألة من أرسخ وأبرز ركـائـز الإيمان.. لأنّ المؤمن الذي لا يعـرفُ أمام مَن سيقف، ولمن سيقدّم كشفَ حسابه، وممَّن يطلب الجزاء»، قد يضيعُ هو وإيمانه، ويوم قضائه (ص٦٤٤).

«والأكثر سخريّة أن تتطاول الكنيسةُ على الأناجيل التي كتبتْها هي، واعتـمدتْهـا هي، كأناجيـل قانونيّة، وتزعم أنّ المسـيح هو ديّان العالم يوم الدينونة، في الوقت الذي يكذّبها المسيح ويقول: "وأمّا ذلك اليـوم وتلك الساعـة فـلا يعلم بها أحـد، ولا مـلائكة السمـاء إلاّ إلهي وحدَه". فهل عـقل أحد هذه الخبصة؟ وهل سـمع أحد بديّان لا يعرف متى يوم الدينونة؟ بينما أصـغر قاضي صلح في محاكمنـا الوضعيّة يعرف تماماً يومَ الجلسـة التي سينظر فيها القضيّـة، لأنّه ببساطة هو الذي يحدّد ذلك اليوم وتلك الساعة» (٦٤٥، ٧٢٧-٧٢٨).

الفصل الثالث عشر

أخلاق المسيحيين وسلوكهم

لم تسلم أخلاقُ النّصارى وسلوكهم وحياتهم الاجتماعيّة وتصرّفاتهم الأدبيّة والحياة الرّهبانيّة من تهمٍ كالها عليهم مسلمون في كلّ زمان. فالنصارى، في معظمهم، في رأي معظم المسلمين، لم يسيروا بموجب ما علّمهم عيسى؛ بل استحدثوا لهم قواعدَ خلقيّة، ومبادئ مسلكيّة؛ وابتدعوا الحياة الرهبانيّة، ليُرضوا بها اللّهَ، وما أرضوه.

وكعادتنا، نتتبّع أقوال المؤلّفين المسلمين بحسب ترتيبهم الزمني، لا بحسب موضوعات بحثهم. وكانوا أكثر ما ركّزوا على سلوك الرهبان والأساقفة، وعفّة المسيحيّين وزواجهم بأكثر من واحدة، بالتسرّي واللواط واستباحة المحارم...

هذه الناحيّة الخلقيّة، وبالتحديد، الناحية الجنسيّة، بما في الإنسان من ضعف طبيعي حيالها، استغلّها مسلمون، وراحوا بعيداً...

***

عن سلوك الرهبان والشمامسة، يقول **الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني** الرسّي[١]:

«فرهبانهم -إلاّ القليل- وشمامستهم تعولُهم أبداً أقوياؤهم وضعَفَتُهم. وليس من الرّهبان ولا الشمامسة مَن تكلّف في مطعمه ولا مشربه ولا كسوته ولا مصلحته كلفةً. ومَن كفاهم ذلك من عوامهم وضعفتِهم فقد يرى ذلك قربةً له عند مَن يعبدون وزلفةً» (ص١٩-٢٠).

***

أمّا **أبو عثمان الجاحظ**، قبل الردّ على النصارى وتفصيل سلوكهم السيّء وأخلاقهم الفاسدة، فيذكر قربَ النّصارى من عوام المسلمين ومكانتهم عندهم. فالنّصارى، لعمق خبثهم، هم، بنظر هؤلاء العوام[٢]، أقرب إليهم من اليهود والمجوس. يقول :

* «فأنا مبتدئ في ذكر الأسباب التي صارت النصارى أحبّ إلى العوام من المجوس، وأسلم صدوراً، عندهم، من اليهود، وأقرب مودّة، وأقلّ غائلة، وأصغر كفراً، وأهون عذاباً. ولذلك أسباب كثيرة، ووجوه واضحة، يعرفها من ينظر، ويجهلها من لم ينظر :

١. «أوّل ذلك: أنّ اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في شدّة التمكّن، وثبات الحقد. وإنّما يعادي الإنسانُ مَن يعرف.. ويناقض مَن يشاكل. وتبدو

---

(١) كتاب الردّ على النصارى.
(٢) المختار في الردّ على النّصارى.

له عيوب مَن يخالط. وعلى قدر الحبّ والقرب يكون البغض والبعد. ولذلك كانت حروب الجيران وبني الأعمام من سائر الناس وسائر العرب أطول، وعداوتهم أشدّ» (ص ٥٨).

غير أنّ النصارى أحبّهم عوامُ المسلمين؛ وبنوع خاصّ، عندما هاجروا إلى الحبشة حيث لاقوا "أحسنَ جار في أحسن دار". «ومن شأنِ الناس حبّ مَن اصطنع إليهم خيراً» (ص ٥٩).

٢. وكانت آيةُ سورة المائدة من أمتن أسباب الودّ القائم بين المسلمين والنّصارى. آية «حفظتها النصارى، واحتجّت بها، واستمالت قلوبَ الرّعاع والسفلة، وهو قول اللّه تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَوَاةً لِلَّذينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أشْرَكُوا. وَلَتَجِدَنَّ أقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إنّا نصارَى.. وذَلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ" (٥/ ٨٢) (٥٩).

٣. وهناك سبب آخر، وهو «أنّ العرب كانت النّصرانيّة فيها فاشية، وعليها غالبة.. وغلبت النّصرانيّةُ على ملوك العرب وقبائلها: على لخم، وغسّان، والحارث بن كعب بنجران، وقضاعة، وطيء... في قبائل كثيرة، وأحياء معروفة. ثمّ ظهرتْ في ربيعة، فغلبتْ على تغلب، وعبد القيس، وأفناء بكر، ثمّ في آل ذي الجدين خاصّة. وجاء الإسلام وليست اليهوديّة بغالبة على قبيلة..» (ص ٦٠-٦١).

٤. ومن بين الأسباب التي عطفت قلوب عوام المسلمين على النّصارى أنّهم رأوا فيهم «مُلْكاً قائماً، وأنّ فيهم عرباً كثيرة، وأنّ بنات الروم وَلَدنَ لملوك الإسلام، وأنّ في النّصارى متكلّمين وأطبّاء ومنجّمين، فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء. ولم يروا ذلك في اليهود».

* ثمّ، بعد ذلك، يوضح الجاحظ خطرَ النّصارى على المسلمين، ويبيّن فساد أخلاقهم، حتّى إنّه لم يسلم من لسانه السليط لا بطرك ولا أسقف ولا راهب، ولا راهبة، ولا نصراني عادي. يقول :

١. «لو علمت العوام أنّ النّصارى والروم ليست لهم حكمة ولا بيان، ولا بُعْد رويّة، إلاّ حكمة الكفّ من الخرط والنّجر والتصوير وحياكة البزيَون (أي السندس)، لأخرجتْهم من حدود الأدباء، وَلَمَحَتْهُمْ من ديوان الفلاسفة والحكماء، لأنّ كتابَ المنطق والكون والفساد، وكتاب العلوي وغير ذلك لأرسطاطاليس، وليس برومي ولا نصراني؛ وكتاب المجسطي لبطليموس، وليس برومي ولا نصراني؛ وكتاب إقليدس لإقليدس، وليس برومي ولا نصراني، وكتاب الطب لجالينوس، ولم يكن روميّاً ولا نصرانيّاً، وكذلك كتب ديمقراط، وبقراط، وأفلاطون، وفلان وفلان.

وهؤلاء أناس من أمّة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم، وهم اليونانيّون، ودينهم غير دينهم، وأدبهم غير أدبهم. أولئك علماء وهؤلاء صنّاع، أخذوا كتبهم لقرب الجوار وتداني الدار...» (ص ٦٢).

٢. ثمّ إنّ دينَ النّصارى «يضاهي الزندقة، ويناسب، في بعض وجوهه، قول الدّهريّة. وهم من أسباب كلّ حيرة وشبهة..

والدليل على ذلك أنّنا لم نرَ أهلَ ملّة قط أكثرَ زندَقةً من النّصارى، ولا أكثر متحيّراً أو مترنّحاً منهم. ألا ترى أنّ أكثرَ مَن قُتل في الزندقة –ممّن كان ينتحل الإسلامَ ويُظهره– هم الّذين آباؤهم أو أمّهاتُهم نصارى؟.. على أنّك، لو عددتَ اليومَ أهلَ الظنّة ومواضعَ التهمة، لم تجد أكثرَهم إلاّ كذلك» (ص ٦٣).

٣. ويقول عن خطر النصارى المباشر على الأمّة الإسلاميّة : «إنّ هذه الأمّة لم تبتلِ باليهود ولا المجوس ولا الصابئين، كما ابتليت بالنّصارى، وذلك أنّهم يتبعون المتناقضَ من أحاديثنا ظاهراً، والضعيفَ بالإسناد من روايتِنا، والمتشابه من آي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا، ويسألون عنها عوامنا، مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين، وحتّى مع ذلك ربّما تجرّأوا على علمائنا وأهل الأقدار منّا، ويشغبون على القويّ، ويلبسون على الضعيف».

٤. ويرى الجاحظ أنّ النصارى كانوا سبباً لمفاسد عظيمة دخلت في الإسلام. ولولاهم لما كان منها شيء. قال: «لولا متكلّمو النصارى وأطبّاؤهم ومنجّموهم ما صار إلى أغبيائنا وظرفائنا ومجّاننا وأحداثنا شيء من كتب المثاليّة، والدَّيصانيّة، والمرقونيّة، والفلانيّة؛ ولما عرفوا غيرَ كتاب اللّه تعالى وسنّة نبيّه. ولكانت تلك الكتب مستورةً عند أهلها.. فكلّ سُخْنَةِ عَينٍ(٣) في أحداثنا وأغبيائنا فمن قِبَلِهم كان أوّلُها..» (ص ٦٦).

٥. وخطرهم أيضاً يأتي المسلمين من طريق زهدهم الذي يغشّ الجميع. قال : «وأنتَ، إذا سمعتَ كلامَهم في العفو والصفح، وذكْرَهم للسياحة، وزرايتهم على كلّ مَن أكل اللحمان، ورغبتهم في أكل الحبوب، وترْك الحيوان، وتزهيدهم في النكاح، وترْكهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل، وتعظيمهم الرؤساء، علمت أنّ بينَ دينهم وبين الزندقة نَسَباً، وأنّهم يحنّون إلى ذلك المذهب» (ص ٦٦-٦٧).

---

(٣) نقيض : قرّتها. (أنظر: لسان العرب).

٦. هؤلاء الأساقفة والقساوسة هم من العجب العجاب في حياتهم. يقول فيهم الجاحظ :

«والعجب أنّ كلّ جاثليق لا ينكح، ولا يطلب الولد. وكذلك كلّ مطران وأسقف. وكذلك كلّ أصحاب الصوامع.. وكلّ راهب في الأرض وراهبة –مع كثرة الرهبان والرواهب، ومع تشبّه أكثر القسّيسين بهم في ذلك، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة، وما يكون فيهم ممّا يكون في الناس: من المرأة العاقر، والرجل العقيم، على أنّ مَن تزوّج منهم امرأةً لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوّج أخرى معها، ولا على التسرّي عليها– وهم، مع هذا، قد طبّقوا الأرض وملأوا الآفاق، وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد. وذلك ممّا زاد في مصائبنا، وتعظمت به محنتنا. وممّا زاد فيهم، وأنمى عددهم أنّهم يأخذون من سائر الأمم ولا يعطونهم، لأنّ كلّ دين جاء بعد دين أخذ منه الكثير وأعطاه القليل» (٦٧).

٧. وفي خصاء النّصارى أنفسَهم وأولادَهم، يقول الجاحظ : «وممّا يدلّ على قلّة رحمتهم، وفساد قلوبهم، أنّهم أصحاب الخصاء من بين جميع الأمم. والخصاء أشدّ المثلة، وأعظم ما ركبه إنسان. ثمّ يفعلون ذلك بأطفال لا ذنبَ لهم ولا دفع عنهم. ولا نعرف قوماً يُعرفون بخصاء النّاس حيث ما كانوا إلاّ ببلاد الروم والحبشة.. ثمّ خصوا أبناءهم وأسلموهم في بيعهم.. فإنّ العابد ربّما خصى نفسه ولا يستحلّ خصاء ابنه. فلو تمّت إرادتهم في أولادهم في ترك النكاح.. لانقطع النسل، وذهب الدين، وفتن الخلق» (ص ٦٧).

وفي الخصاء يقول أيضاً : إنّ «كلّ خصاء في الدنيا فإنّما أصله من قِبل الروم. ومن العجب أنّهم نصارى وهم يدّعون من الرأفة

والرحمة ورقّة القلب والكبد ما لا يدّعيه أحد من جميع الأصناف. وحسبك بالخصاء مثلة. وحسبك بصنيع الخاصيّ قسوة..»[٤].

٨. وفي ممارسات النّصارى السيّئة، يقول الجاحظ: «والنّصراني، وإنْ كان أنظفَ ثوباً، وأحسن صناعة، وأقل مساخة، فإنّ باطنه ألأم وأقذر وأسمج، لأنّه أقلف، ولا يغتسل من الجنابة، ويأكل لحم الخنزير. وامرأته جُنُبٌ لا تطهر من الحَيض، ولا من النفاس. ويغشاها في الطّمث، وهي، مع ذلك، غير مختونة» (ص٦٨).

٩. والنّصارى، في رأي الجاحظ، لا رادع عندهم ولا حدود، فـ «هم، مع شرار طبايعهم، وغلبة شهواتهم، ليس في دينهم مزاجر: كنارِ الأبد في الآخرة، وكالحدود والقيود والقصاص في الدنيا. فكيف يجانبُ ما يُفسدُه ويؤثر ما يُصلحه مَن كانت حاله كذلك؟ وهل يصلح الدنيا مَن هو كما قلنا؟وهل يهيج على الفساد إلاّ مَن وصفنا؟» (٧٠).

١٠. ويعتبر الجاحظ زهدَ الرهبان ضرباً من الزندقة، يقول: «وأنتَ، إذا سمعتَ كلامَهم في العفو والصفح، وذكْرَهم للسياحة، وزرايتهم على كلّ مَن أكل اللحمان، ورغبتهم في أكل الحبوب، وترْك الحيوان، وتزهيدهم في النكاح، وترْكهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل، وتعظيمهم الرؤساء، علمت أنّ بينَ دينهم وبين الزندقة نَسَباً» (ص٦٦-٧٦).

١١. وعن عفّة الرّهبان يخبر الجاحظ: إنّ «قوماً من بني ثعلب أرادوا قطعَ الطريق على مال السلطان، فأتتْهم المعاينةُ فأعلمتْهم أنّ

(٤) **الحيوان**، ١/ ١٢٤.

السلطان قد نذر بهم. فساروا، ثم أزمعوا على الاستخفاء في دير العذارى... فلمّا أمنوا، خلا كلٌّ واحدٍ منهم بجاريةٍ هي عنده عذراء. فإذا القسّ قد فرغ منهنّ»[٥].

وينقل الجاحظ قولَ شاعرٍعن سيرة بعض رهبان دير العذارى:

وأَلْوطُ مِن راهبٍ يَدّعي   بأنّ النساءَ عليهِ حرامُ
يُحرِّمُ بيضاءَ ممكورة   ويُغنيهِ في البضعِ عنها غُلامُ
إذا ما مشى غضَّ مِن طَرْفِهِ   وفي الديرِ باللّيلِ منهُ عرامُ
وديرُ العذارى فضوحٌ لهنَّ   وعند اللّصوصِ حديثٌ تمامُ[٦]

***

ويخبر **القفطي** عن نظرة النصارى إلى رؤسائهم فيقول: إنّ يوحنّا بن ماسويه[٧] قد عوتب على اتّخاذ الجواري. فأجاب بقوله: «إنّما أُمِرْنا في موضعٍ واحدٍ أنْ لا نتّخذَ امرأتَين ولا ثوبَين. فمَن جعل الجاثليقَ، العاضَّ بظْرَ أمّه، أولَى أنْ يتّخذ عشرينَ ثوباً من يوحنّا الشقي في اتّخاذ أربع جوارٍ؟! فقولوا لجاثليقكم أن يَلزمَ قوانينَ دينِهِ حتّى نلزمَ معه. فإنْ خالف خالفناه»[٨].

***

(٥) نقلاً عن الشابشتي، **الديارات**، ص ١٠٧.
(٦) أنظر الشابشتي، **الديارات**، ص ١٠٨.
(٧) وهو طبيب ومترجم نصراني، عاش في أيّام الرّشيد.
(٨) **تاريخ الحكماء**، ص ٣٨٧.

عن تناقض أقوال الرهبان مع أفعالهم، يقول **القاضي عبد الجبّار**: «وإذا اختلطتَ بهم، وفتّشتَهم، ودخلتَ بينهم، ولابستَ الجثالقة والرهبان، وجدتَ هناكَ من **الكذب والجهل والحرص على الدنيا وطلب الرئاسة والجمع والمنع** أموراً كثيرة. فإنّ الواحد منهم يترهّب وما معه شيء، ويصير كَلاً على غيره. وما تمرّ الأيّام حتى صار ذا مالٍ كثير، حتى مات عن عشرات ألوف»[٩].

وعن **الزواج والطلاق**، يقول عبد الجبّار: «وهم كانوا يستبيحون الزنا، ولا يمتنعون منه. فبقوا على ذلك بعد تعظيم المسيح. فهو مبثوث بينهم. وفي مدنهم وأسواقهم منتشر. يقولون: المرأة، إذا لم يكن لها زوج، ولم تختر الزواج، وآثرت الزنا، فهي أملك بنفسها. ولها أن تفعل ذلك. والمِلك يسعّر ذلك، ويُقيم له الحكّام والولاة. فلكلّ إنزالةٍ تكون من الرجل فلسٌ واحد.. وللقحاب في بلدانهم أسواق كثيرة. ولهنّ دكاكين. تفتح حانوتها وتتزيّن وتجلس على بابه بارزة مكشوفة.

«وليس عندهم في كشف السوءة والعورة من الرجال والنساء تحريم ولا خطر. بل المرأة الحرّة منهم تُزفّ إلى زوجها راكبةً فتمرّ بالناس في الأسواق مكشوفةَ الوجه والرأس. وقد أرسلتْ ضفائرَها وتجدّلتْ بها، وأبدتْ محاسنها كلّها لينظر كلُّ أحدٍ إليها.

«ويُقال: إنّ الغالب على ذوات الأزواج العفاف. فأمّا مَن ليستْ بزوجٍ فحالُها كما وصفنا. وربّما كانت تزني في بيت أبويها. ومَن جاء من هؤلاء الزواني بوَلدٍ حملتْه إلى البيعة إنْ شاءتْ وسلّمتْه إلى

---

(٩) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٧٥.

البطرك والمطران والقسّ، وقالت: قد وهبتُ هذا للمسيح، ليكون خادماً له، وقيّمـاً في البيعة. فيُجـيزونها خيراً. ويقولون لهـا: قدّيسةٌ طاهرةٌ مباركـةٌ. هنيئاً لكِ رضى المسيح وثوابه. ويدعو الناسُ لهـا ويهنّئونها بالثواب» (ص١٦٧).

وعن سلوك الرّاهبـات يقول عـبد الجـبّار: «ومن سيـرتهم أنّ النساء الديرانيّات العابدات ومَن انقطـع إلى البِيَع والعبادة يطفنَ على العزاب والرّهبان، ويخرجنَ إلى الحصـون التي فيها الرجال والعزاب يُبِحْنَ لهم أنفسَـهنَّ ابتغاءَ وجه اللّه والدارِ الآخرة والرحـمة بالعزاب. ومَن فـعل هذا منهنَّ كـان عندهم مشكوراً مـحـموداً على هذا الفـعل، ويُدعَى له. ويقـالُ لهـا: لا ينسَى لكِ المسـيحُ هذه الرأفـة والرحـمـة» (ص١٧٠-١٧١).

***

أمّا **الإمـام الشـيخ شهـاب الدين المعـروف بالقـرافي** فقـد استفاض في وصف النصارى وأساقفتهم[١٠]، فقال :

«ألنصارى أمّة عمياء، وطائفة جـهلاء، وقد غلب عليهم التقليد، وتجنّبوا محجّة النظر السديد، حتّى لا يبحثوا عن صحّة ما يُلقيه إليهم أساقفـتهم.. ولولا ذلك لمْ يبقَ لدين النّصرانيّة وجود لظهـور فساده. وناهيك من قـوم يعـتـقدون أنّ إلــههم خـلق أمّه، وأنّ أمَّـه قـد ولدت خالقَها... فهم حينئذٍ متبعون لوساوس أساقفتهم، لا لرسالات ربّهم» (ص ٥).

---

(١٠) **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة.**

ويقول أيضاً: ألنصارى «يمشـون على ما هم عليه من الضلال بنوع من الشـعـبـذة.. ليس لهـم حظّ من النّظر القـويم، ولا العـقل المسـتقـيم. بل وجـدوا آبائهم (كـذا) على الضـلال. فـهم على آثارهم يُهرعون. قد غمرهم الجهل، وعمهم العمى» (ص ٨).

«... أنا لا أكلّف النصـارى إقـامة دليل على صـحّـة دينهم، بل أطالبهم كلهم بأن يصوّروا دينهم تصويراً يقـبله العقل. فإذا صوّروه اكتفيتُ منهم بذلك» (ص٨–٩).

ويقول أيـضـاً : «فحـديث النصارى كلّـه عجب، حتّـى لو وجد عندهم صواب كان عجباً» (ص٤٣).

«إنّ كان الـنصراني لا يدرك الفـرق بين هاتين الشريعـتَين ولا بين الهيئتين، فهو معذور، لأنّـه قد فسد مزاج دماغه بروائح العذرات، وعمي قلبُه بملامسة القاذورات في المطعومات والمشروبات حتّى إنّهم يقولون ليس ثمّ نجـاسة البتة. وبمثـل هذا، وأقلّ منه، تُعذَر الناسُ في فساد عقولهم» (ص٤٧).

أمّا الأساقفة فيصفهم القرافي بقوله عن النصارى أنّهم

«يتخيّلون أنّ الأسـاقفة قد صاروا في الأرض يتـصرّفون في العباد تصرّف ربّ الأرباب، وأنّ بيدهم السعادة والشقاء، مع أنّهم أقل من قليل، وأحـقر من ذليل، يبـيت الواحد من الأسـاقفة وعـذرته على فخـذَيه طول عمره، يأكل الرّشـا في الأحكام، ويتغـذّى بالحرام، وهو في الجهـالة أشدّ من الأنعام، لا يـفرق بين كوعـه وبوعه، ولا بين هرّه وبرّه، ألكن اللسان، وأغلف القلب، سيّء السـمع، مشكل الرأي، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل، ناءٍ عن رياضات العلوم..» (ص ٦).

ويقول **شيخ الإسلام إبن تيـميّة**، في تفسيـر آية ".. ورَهبانيّةً ابتَدَعـوها. ما كتـبناها عليهم إلاّ ابتغـاءَ رِضوانِ اللّه. فمـا رَعَوها حقَّ رِعايتِها. فـآتَينا الذين آمنوا منهم أجرَهم. وكثيرٌ منـهم فاسقون "[١١]: «وليس في ذلك مـدْحٌ للرهبـانيّـة، ولا لمن بدّل ديـنَ المسـيح.. وهذه الرّهبانيّة لم يشرّعْها اللّه، ولم يجعلها مشروعةً لهم»[١٢].

ثم ينقل ما «ثبت في الصـحيحين: أنّ نفراً من أصـحاب النّبي، صلّى اللّه عليـه وسلّم، قال أحـدهم: أمّا أنا فـأصوم ولا أفطـر. وقال الآخر: أمّا أنا فـأقوم ولا أنام. وقال الآخر: أمّا أنـا فلا أتزوّج النسـاء. وقال الآخر: أمّـا أنا فلا آكل اللّحم. فقـام النّبيّ، صلّى اللّه عليه وسلّم، خطيـباً فقـال: " ما بالُ رجـال يقول أحـدهم كذا وكذا؟! لكـنّي أصوم وأفطر، وأقـوم وأنـام، وأتزوّج النسـاء، وآكل اللّحمَ. فـمَن رغب عن سنّتي فليس منّي " » (١/٢٦٨-٢٦٩).

***

ويقول **شيخ الأزهر أبو زهرة** في خضوع المسيحيّين لرجالات الكنيسة[١٣]: لقـد انجذب عـامّة المسـيحـيّين، بسبب عـامل السلطان والجـاه، وعامل تقـديس المسيح، وفـقدان إنجـيل المسيح الحـقيـقي، خضوعهم للهيئات الكنسـيّة، حتى «تمّ للحكّام والقسّيسين ما أرادوا. واختفى دينُ المسـيح، عليه السلام. وقام دين البطارقة والقـسّيسين» (ص ١٥٥).

(١١) سورة الحديد ٥٧/ ٢٥-٢٧.
(١٢) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ١/ ٢٦٦.
(١٣) **محاضرات في النصرانيّة**.

ويقول عن شدّة الكنيسة على النّاس والعلماء واضطهادها لهم : «اشتدّ ضغط الكنيسة على المسيحيّين، وبالغت في فرض آرائها عليهم مبالغة تجاوزت حدَّ الغلو... وسلكت سبيلَ العنف، وركبت متنَ الشدّة، فجعلتْ كلَّ رأيٍ في العلوم الكونيّة يخالف رأيها كفراً.. تكفّر لأوهى الأسباب، وتحرق أو تعذّب مَن تراه كافراً بلا رفق ولا هوادة» (ص١٦٧)

«هذه هي الكنيسة في معاملتها للناس: عنفٌ وزجرٌ وقسوة. لا إرشاد وهداية وإصلاح» (ص ١٦٩).

وعن سلوك رجال الدين الشخصي، يقول الإمام أبو زهرة: «لقد كانت حال رجال الدين تحوطها الريب من كلّ جانب.. حرّموا على أنفسهم الزواج.. لينصرفوا لخدمة كنيسة الرّب.. ولكن، ما أن توردت عليهم الأموال، وكثرتْ أمامهم أسبابُ النعيم، حتّى فكِهوا فيها مترفين، وانغمسوا في الملاذ يستطيبون أطيبها، ويطلبون أشدَّها.. وخرجتْ حالُ بعضِ أولئك المنغمسين في الخطايا من السرّ إلى الجهر، ومن التستّر إلى التفحش، ومن الخفية إلى الإعلان. واتّصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح، بعد أن حرّموا على أنفسهم النكاح. ولم تتمنّع النساءُ المتّصلات بهم من أن يعلنَّ ذلك مفاخراتٍ به. وجاء من ذلك الاتّصال الآثم أولادٌ لا آباء لهم، ولكن لهم حظوة لأنّ بعض رجال الدين يعرفون آباءهم، كما يعرفون أبناءهم، فيمكّنون لهم بسلطانهم الديني سلطانا دنيوياً. ولقد كانت تلك الحياة اللاّهية العابثة الفاسقة ميزة اختص بها بعض رجال الطبقة العالية الدينيّة أنفسهم» (ص١٧٣-١٧٤).

***

وعن حياة التحرّر والإباحيّة عند المسيحيّين، يقول **الشيخ محمّد العاملي**[١٤]: «لا نجد محرّماً اليوم إلاّ الزّواج بامرأة ثانية، وحرمة ذلك لا تخفى على اللبيب. وأمّا الخيانة الزوجيّة والزنى بمئات النساء فهذا أمر مباح ومعمول به حتّى الزنا بالمحارم. وما أكثره اليوم! وحتّى اللّواط أصبح قانونياً تجيزه المحاكم المدنيّة، ويتعاطاه كبار رجال الدّولة من القضاة والنّوّاب والوزراء والمحامين» (ص٣٢٣).

***

وعن سلوك رجال الدين المسيحيّين، يقول **نبيل الفضل**[١٥]:

«وما كان يعاني منه الشعب اليهودي على يد كهّانه عانت منه المسيحيّة على يد رجال الدين المسيحيّين الذين ما فتئوا ينهبون أموال الفقراء ليكدّسوها في كنائسهم وأديرتهم، والذين أرهبوا الشعوب المسيحيّة بغضب الله والمسيح حتى حرم المسيحيون أبناءهم طيب الطعام ليذهب لقمة هنيئة في بطون رجال الدين.

«افتقر الشعب المسيحي ليزيدَ في غنى وثروة الكنيسة.

«وجاع أولاد المسيح ليُشبعوا بطون الأساقفة والكهّان بأطيب الطعام وأحلى الشراب وأفخر الخمور.

«تعرّى أولاد المسيح ليلبس رجالُ الدين في الأديرة والكنائس كلّ ما هو غاليَ الثمن.

---

(١٤) **الكتاب المقدّس في الميزان**، ١٩٩٣.
(١٥) **هل بشّر المسيح بمحمّد؟**

«نام أولاد المسيح في الأكـواخ وفي العراء ليـبني رجالُ الدين كتدرائيّات وكنائس وأديرة.

«فالكنيـسة المسيحـيّة هي أغنى مؤسّـسة على الأرض. ويزيد غناها يوماً بعد يوم. ولم يحظ المسيحـيّون بالرخاء إلاّ بعد أن ابتعدوا عن رجال الدين وعن المسيحيّة وتعاليمها» (ص ١٥١–١٥٢).

***

أمّا **الدكتور مـحمود أيّوب** فيـفسّر آية الحديد في الرّهبـانيّة عكسَ ما فسّرها شيخ الإسلام إبن تيميّـة، كما مرّ معنا. فالدكتور، في محـاضرةٍ "حـواريّة" حيث يـشدّ المسـيحـيّـة إلى الإسلام، يقـرّ بأنّ الإسـلام يعتـرف بالرّهبـانيّـة. يقول : «ألقـرآن لا ينتـقد الـرّهبانيّـة النصـرانيّـة، بل يشيد بها، لأنّه يقـول إنّ النّصـارى ابتدعوا الرهبـانيّة ابتغـاء مرضاة اللّه –وهذا شـيء كـثيراً مـا لا ينتبه إليـه المسلمون.– والنقد ليس للرهبانيّة كرهبانيّة، ولكن لعدم رعايتها حقّ رعايتها»[١٦].

***

أمّا **شريف محمّد هاشم** فقد قال عن الحياة الرّهبانيّة بأنّها، في نظر المسلمين عامّة، «مظهر من مظاهر فشلِ الـتشريع المسيحي حول الإنسان؛ ليس لكونها نظريّة ضد قوانين الطبيعـة ونواميسـها فحسب، مبنيّة على تعذيب الجسد وقهره، تكفيرًا عن آثام وخطايا لم يقترفها... وإنّما أيضًـا لأنّ فشلهـا أثبتتـه بصورة عمليّـة، بالحوادث الجنسـيّة

---

(١٦) **ألحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي**، في كتاب: نحو الجدال الأحسن، ص ١٤.

الفاضحة، التي لا تُعدّ ولا تُحصى، التي حدثت على مدى التاريخ كلّه، في أكثر من دير وأكثر من كنيسة، وفي أهمّ وأعلى مراكز الكنيسة المسيحيّة، حتى بين الباباوات أنفسهم. وليس من باب التجنّي والتجريح، إذا ما قلنا إنّ التاريخ قد تحدّث عن حوادث مخجلة، شارك فيها بعض الباباوات والكرادلة أنفسهم»(١٧).

وينقل السيد هاشم إلينا نصوصًا من كتاب «قصّة الحضارة» لديورانت الذي يَعتمد عليه كمرجع للعلوم الكنسيّة؛ هذه النصوص تدور حول ممارسات الباباوات الشاذّة، من رشوة، وقتْل، ورغبات في النساء واختيار للعشيقات، وحياة الدنس والفحش والمشاكل الأخلاقيّة، والتأرجح بين الزواج والتسرّي ورذائل القساوسة والشمامسة والرهبان.

ثم ينتقل بنا إلى القرن العشرين ليسأل: «هل توقّفت عمليّة هروب القساوسة ورجال الكنيسة من سجن نظريات كنيستهم الداعية إلى قتل طبائع أجسادهم، ليربحوا محبّةَ الله؟ أم أنّ الثغرة الخفيّة المفتوحة في جدار تلك النظريات منذ كانت، لا يزال هولاء يتسلّلون منها أفرادًا وجماعات إلى رحاب أجسادهم وحاجاتها؟ ليمارسوا بالخفاء حياتهم كبشر، فيُقبِلون بنهَمِ المحروم على إرضاء نَزواتهم المكبوتة، حتى ولو أُصيبوا بعدها بالمرض الجنسيّ القاتل "الإيدز"» (٤٨٥).

ثمّ ينقل السيّد هاشم أخبارًا من جرائد، «عن تفشيّ الشذوذ الجنسي بين رجال الكنيسة وإصابة ١٢ قسًّا في أميركا وحدَها بهذا

(١٧) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، ص ٤٨٣.

المرض، ليستنتج بأنّ مثل هذه الأخبار هي «خير دليل وبرهان على عقم نظريّات الكنيسة حول الإنسان من أساسها».

والدليل الأهمّ على فشل الحياة الرهبانيّة، عند السيّد هاشم، يراه في «تناقص عدد المتهافتين عليها، الرافضين للبس ثوبها، رغم كلِّ المغريات الموضوعة لأجلها... حتى صارت الرهبنة عمليًا من نصيب مَن في حياتهنّ مِن مآسي وخطايا وأوضاع خاصّة، فيلجأْنَ إلى الأديرة نشدانًا للعزلة والتوبة والسكينة والنسيان، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرهبان» (ص٤٨٦).

ثمّ يقوم السيّد هاشم بعمليّة مسْحٍ شاملة لما حرّمتْه الكنيسة. فـ «الإنسان في المسيحيّة محروم دائمًا، ومحروم أبدًا، محروم في الدنيا، ومحروم في الآخرة، يعيش الحرمان المرير بكلِّ ألوانه في دنياه.

«فهو محروم فيها من لذّة الجسد ولذّة البنين... مطلوبٌ منه خصي نفسه من أجل ملكوت السماوات في ديار الدنيا. فهو مخصيّ سلَفًا في الدار الآخرة، طالما أنّه محروم من الزواج هنا.

«ومحروم من لذّة التملّك، ولو كان نتيجة جهاده الشريف... ومحروم من لذّة الطعام والشراب والملبس... ومحروم من لذّة الشعور بالإستقرار الأسري والعائلي... ومحروم من حبّه الطبيعي المشروع للحياة نفسها...» (ص٤٩٠-٤٩٣).

وخلص السيّد هاشم إلى القول :

«وهكذا يصبح مطلوبًا من المسيحي بحكم ديانته أن يكون:

«مخصيًا بلا زوجة ولا ولد،

«فقيراً بلا مُلك،
«متخفّفًا إلاّ من البالي من الثياب،
«متقوّتًا بالنزر اليسير من الطعام،
«وأخيرًا مدعوًا للتخلّص من حياته برمّتها...

«كل ذلك من أجل ملكوت السموات... وكـأنّ ملكوت السموات لا يدخله الاّ : المخـصيّـون، والفقراء، والمـتبلتـون، والعراة، والجـياع، والعطاش، وأخيرًا الأموات» (ص٤٩٣).

«ولم تكتفِ المسـيـحـيّة بإغـداق كلِّ هذه النعم مـن الحرمـان المتلوّن على إنسانها في دنياه الفانية، بل ألحـقتْه به إلى حياته الثانية، داعيةً إيّاه أن يهيِّء نفسه كي يعيش في آخرته على شوكة نفسه الذي تقلّب عليـه في دنيـاه، واعـدة هذا المسكين بحـياة أخـرى لا تخـتلف بمرارتها وشقائها وحرمانها عن الحياة الأولى» (ص٤٩٣).

وهكذا فـ «إنّ وتيـرة الحيـاة الجافّـة الخشنة سـتسـتمـرّ في الآخرة كما كانت في الدنيا» (ص٤٩٤).

وممّا يستدعي العجب العظيم من المسيحيّـة وتعاليمها الغريبة، إنّها «من جـهة تأمر الإنسـان بالالتحاق بمملكة الرب... فـاتحة له كل أبواب أديرتهـا وصوامعـها وأمـاكن العزلة والانطواء والـهروب من مسؤوليّـات الحياة، كي يدفن جـسده فيها مـرّة واحدة، وإلى الأبد... ومن جهة أخرى توصيه خيرًا بالأطفال والزوجة.

«والسؤال هنا، عند السيّد هاشم، ملحاح :
«أين نجد الأطفال ونحن مخصيّون؟
«وأين نجد الزوجة وهنّ راهبات ونحن رهبانًا؟

«إنّ ما نراه أمامنا في المسـيحيّة، ليس تناقضًا فـحسب، وإنّما دعوة سـاذجة خيـاليّة إلى نظام شـاذّ غريب، سيُلـحق ولا شكّ بحال تعميمه خللاً رهيـبًا، في مسيرة الحياة برمّتهـا، وتقويضًا شاملاً في بنيان حياة البشريّة، حيث ستسير هذه بموجبه إلى الانقراض النهائي البطيء.

«إذ مـاذا يحدث للبـشريّة، لو نشـد كلُّ أبنائهـا مملكةَ السمـاء والتـحقـوا بالأديرة والصـوامع، وخَصَـوا أنفسَهـم، وتنازلوا عمّـا يملكون، وقـعـدوا ينـتظرون المأكل والمشـرب والملبس من أبيـهم السماوي!!!..

وخلاصة الكلام: «لـيس في المسيحيّة إلاّ الشـطط في الخيال، والإغـراق في التطرّف، والبـعـد عـن الواقـعـيّـة والمألوف، والغـرام المسيحي المعـروف بمعاكسة كلّ ما يتلاءم وفطرة الإنسـان، وهيامها بتعقيد كلّ أمر يتطلّب تبسيطًا» (ص٤٩٦).

***

وللشيخ **حـسن خالد** مـفتي الجـمهـورية اللبنانيّة، مـواقفـه الصريحة من الحياة الرهبانيّة. وهذه، بنظره، سلبية، لا نصوص فيها في الكتب المقدّسة، إنّها انحسار وانكماش وهروب، «يرفضها الإسلام رفضًا قاطعًا». يقول سماحة الشيخ:

«والإسـلام... تصدّى لظاهرة الرهبـنة... ووقف منها مـوقف المتبـرِّئ العائب، لأنّهـا بدعة لم يفـرضْهـا الله تعالى... إنّ الرهبـانيّة اعتزال للناس، واعتزال لمعـايشـهم ومظاهرهم وممارساتهم. والمسيح والرّسل من قـبله، وكذلك الرسـول محمّـد، لم يعتـزلوا النّاس، ولم

يعتزلوا معايشهم وممارساتهم الحياتيّة اليوميّة... بل كانوا على العكس يتردّدون على نواديهم ومجتمعاتهم الصالحة، ويمشون في أسواقهم ويختلطون بهم...

«وليس في كتب العهد القديم والجديد، مثال هذه الرهبنة الشائعة في رجال الكنيسة المعاصرة، بل إنّه ليس في نصوص هذه الكتب ما يشجّع عليها أو يأمر بها... والرهبانيّة سلبيّة، وانحسار عن الحياة ، وانكماش عن مجتمعاتها، وهروب من المسؤوليّات فيها. وكل هذا لا يَرضى به الإسلام الذي جاء ليحرّك المجتمعات...»[١٨].

ويعتمد سماحة المفتي على آياتٍ قرآنيّة وأحاديثَ نبويّةٍ ليدلّ على رفض الإسلام لهذا النوع من الحياة. يقول القرآن: "ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم... " . ويقول الرسول: "ورهبانيّة أمّتي في المسجد" . ويقول: "إنّي أصوم وأفطر، وأقوم الليلَ، وأنام، وأتزوّج النساء. فمن رغب عن سنّتي فليس منّي" (٧٢٤-٧٢٥)

***

ولابن الخطيب أيضًا رأيه، رغم أنّ كتابه[١٩] لا يُفترَض فيه التعرّض لهذا الموضوع! ومع هذا يقول ساخرًا في ردّه على إنجيل متّى (فصل ١٩ بشأن الخصيان): «وهنا نجد أنّ ملكوت السموات قد قصّره اللّه تعالى على الّذين لا يضعون لقمةً في بطونهم، ولا شربة ماء في حلوقهم، ولا مزقة لباس على أبدانهم، ولا درهمًا في أيديهم. والذي زاد الطين بلّة، وجاء ضغثًا على إبالة، وجوب أن يَخصي كلٌّ

---

(١٨) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ص ٧٢٢-٧٢٤.
(١٩) **أين هو الحقّ!**

منّا نفسَه لأجل ملكوت ربّه! وأين يكون النّسل بعد الخصاء؟ وهل يوقف النسل على الأشرار والفجّار دون الأتقياء والصلحاء؟!»

***

أحمد زكي، خلال كتابه كلّه[٢٠]، يعتبر ثمار الدين المنسوب زوراً إلى المسيح، ثماراً مفسودة كلّها. يقول :

" ثمارهم في الحياة : فيكفي أن تقلّبَ صفحات أيٍّ جريدة يوميّة لترى الجرائم والفضائح التي تهزّ البلادَ التي تتبع دينَ شاؤول والكنيسة، من جرائم القتل، والمخدّرات، والسرقة، والزنا، والاغتصاب، والاجهاض، وكثرة الأطفال اللقطاء، وبيعهم، أو بيع أجزاء كقطع غيار...

" .. إضافةً إلى الشذوذ الجنسي، من لواط، وسحاق، بل وزواج الرّجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، زواجاً رسميّاً، بموافقة برلَمَاناتها وحكوماتها، بموجب قوانين وتشريعات أصدرتْها لهم، ممّا ساهم في انتشار الجريمة، ومرض الأيدز والمخدّرات.

" .. كلّ هذا، وسط صمت الكنيسة المطبق على ذلك، إنْ لم يكن بتشجيعٍ منها. وكلّ مَن شاهدوا برامج «دوناهيو» (ص ٢٢٥)،لا بدّ أنّهم شاهدوا منظرَ القسّيس، وهو يعقد قرانَ رجلٍ على رجل. وهناك الآباء الذين يعاشرون بناتهم معاشرة الزوجيّة.

" ويسمّون كلّ ذلك حريّة وديمقراطيّة. ومَن لا يسايرهم يسمّى رجعيّاً ومتخلّفاً. وما المانع، طالما الكنيسة أوهمتْهم بأنّ المسيح

---

(٢٠) **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

سيغفر لهم كلّ ذلك إنْ هم آمنوا بصلبه ودمِه المُراق على الصليب.. هذه هي ثمار شاؤول والمجمّعات الكنسيّة " (ص ٢٣٧).

ويردّد قولَه : «...وانتشر اللّواط، والسحاق؛ بل وأصبح للشواذ جمعيّات ونوادي ونقابات وحقوقٌ في دولهم.

" فليس من العجب إذاً أن يُقيم الرّومان كاثوليك والميثوديون – إحدى الطوائف الشاؤوليّة الكنسيّة– أعراساً بين اللّواطيّين في بيوت ربّهم، حتّى قام ٨٠٠٠ لوطيّ بمسيرةٍ استعراضيّة في حديقة هايد بارك في لندن سنة ١٩٧٩، مصاحِبين، بتشجيعِ وهتافاتِ وسائلِ الإعلام.

" وكذلك، ليس من العجب أن تُصوِّتَ بعضُ بَرْلمانات الدّول الكبرى، التي تزعم أنّها مسيحيّة، في صالح اللّواط والزنا والسحاق... وكلّ ما هو شذوذ جنسي، وسط صمتِ الكنيسة المطبق، إنْ لم يكن بتشجيع قساوستها، الأمرُ الذي بسببه أصبحوا الآن يشكون في الغرب من وطأة مرض الأيدز المنتشر فيهم...

" إنّ الحياة الحرّة، بلا قيود، التي يعيشها اليومَ الكثيرون من الجنسَين من الشاؤوليّين الكنسيّين الذين يزعمون أنّهم مسيحيّون في أوروبا وأمريكا ونواحي أخرى من العالم قد فاق خرافات ومغامرات آلهةِ اليونانيّين والوثنيّين.. " (ص٢٨٣).

ويردّد : «يجتمع القساوسة، فيأكلون لحمَ الخنزير، ويحتسون الخمرَ المعتّق، أياماً وليالي، يفبركون الدينَ لطوائفهم، خلفَ أبواب مغلقة وأسوارٍ عالية، ثمّ يطلّون برؤوسهم على الناس بإله جديد يفرضونه عليهم بالقوّة».

ويكمّل السيّد زكي وصفه في مكان آخر، فيقول : ".. هذا الهذيان! ليس سوى الشاؤوليّة التي أضافتْ لها الكنائس مزاعمَها وطقوسَها، ومزجتْها بالوثنيّة أكثر فأكثر فيما بعد، فأدخلتْ فيها التماثيل، والأصنامَ، والخمرَ، والخنزيرَ، والفطيرَ، والصيامَ الرِّجيْمْ، والصلاة على أنغام أدوات الطّرَب، ألبيانو، والأورغ، في بيوتٍ لا يُذكَرُ فيها اسمُ الله، إنّما يُذكَرُ فيها إلهُ الكنيسة المثلّث، بعد قرع الأجراس الضخمة، التي لم يسمعِ المسيحُ صوتَها يوماً من الأيّام" (ص٣٩٥).

ويردّد السيّد زكي ويستفيض في وصف ما هم عليه الشاؤوليّون اليوم من فساد وإفساد : "أكثر من بليون شاؤولي، اليومَ، يتوهّمون أنّهم مسيحيّون أتباع المسيح! قسمٌ كبيرٌ منهم يسكرون. ويقتلون. ويقامرون. ويزنون. ويتعاطون المخدّرات في كلّ مكان. وفي كلّ صحيفةٍ يوميّة، تطالعك أخبارُ القتْلِ، والاغتصابِ، والسطوِ المسلّحِ، وتهريبِ المخدّراتِ، وزواج الرّجلِ بالرّجل، والأنثى بالأنثى، ممّا نشرَ مرَضَ الإيدز..

"وحسب آخر إحصيائيّة نشرتْها الصحفُ عن أمريكا وحدَها أنّ هناك أكثر من ١٥ مليون سكّير، و٥٠ مليون مدمني خمر، و٣٦ مليون يتعاطَون المخدّرات، و٥٤ مليار دولار سنوياً تذهب إلى القمار، و٢٨ جريمة قتل في اليوم، وطفل واحد يُقتل بالرصاص كلّ ساعتَين. وماذا عليهم في ذلك طالما أنّ الكنيسة أوهمتْهم بأنّ المسيحَ الأسطورة، مسيحَ الكنيسة، سيغفر لهم كلَّ خطاياهم إنْ هم فقط آمنوا بصلبه ودمه!!

"لقد أصبحتِ الإباحيّةُ في كلّ شيء هي الحرّيّة والديمقراطيّة. فهذا الزنا بلا حساب. وأصبحتِ الولادةُ والإجهاضُ من قِبَلِ الأمّهات

الغازبات حقّاً من الحقوق تحميه الدولة. فتفسّختِ العائلات، وكثُرَ الأطفالُ المشرَّدون، فنشأوا في مستنقع الجريمة في المجتمع الغربي الذي أصبحت فيه البطولة لكلّ مَن يكون «رامبو» " (ص٤٣٣-٣٤).

ثمّ يحدّد زكي هجومه، فيقول : في الوقت الذي عقولُهم تأنفُ أن يكونَ للبابا زوجة وولداً (كذا)، نراهم، بعقولهم تلك، لا يأنفون أن يكون للّه ربِّهم وخالقِهم ورازقِهم زوجة وولداً (كذا) في الوقت الذي هو محال لانتفاء مجانستِه. أفليسَ غريباً أن ينسبوا إلى اللّه ما يأنفون أن ينسبوه لبابواتهم!؟ وهل بابواتُهم أسمى من اللّه! حاشا!

" .. وفي الوقت الذي يطيعون البابا وحدَه، رفضتْ عقولُهم إطاعةَ اللّه وحدَه.. فتركوا خلاصَ اللّهِ الحقيقي.. ورضوا بخلاص بابواتهم الذين استغفلوهم، وسلبوا أموالَهم، وباعوهم صكوكَ الغفران والخلاص...» (ص ٥١٦-٥١٧).

ثمّ يشير إلى الشباب الأوروبي والأميركي فيقول : «أمّا الشبابُ فلاهونَ في الزنى، والقتل، والاغتصاب، والمخدّرات، والسطو على المحلاّت والبنوك، وذلك بعكس المساجد الإسلاميّة التي تنادي بإله واحد، إذ يؤمّها الجيلُ القديم والجديد، شباباً وفتياتٍ، بل وأطفال في عمر الزهور على حدّ سواء " (ص٥٧٠).

ويقول أيضاً عن البابوات وسيرتهم الخاصّة : لقد «امتلأت خزائنُ البابوات بالأموال الطائلة التي كانوا يُنفقونها على عشيقاتهم في عبثِهم ومجونهم، مستغلّين سذاجة الناس... كلّ ذلك من أجل دريهمات معدودة ينفقونها على ملذّاتهم المحرّمة وخليلاتهم الفاسقات...

«هؤلاء البابوات، كانوا إمّا وثنيين، أو يهوداً مندسّين، لا يؤمنون، لا بالأب، ولا بالابن، ولا بروح القدس. ويعرفون أنّها آلهة وهميّة، يدجّلون بها على الشعوب المسكينة. كيف لا، وهم أصلاً الذين اخترعوها وروّجوها على النّصارى السذّج وقتها، وفرضوها عليهم بالقوّة، ليبعدوهم عن اللّه الحقيقي. وهم في حقيقة أنفسهم يعرفون أنّه لا الأب إله، ولا الابن إله، ولا روح القدس إله. وإلاّ لما تجرّأوا على الكذب والدجل باسم الإله المثلّث في صكوكهم. ذلك الإله الذي فرضوه هم على الناس وجعلوهم يؤمنون بحدّ السيف!" (ص٥٨٨–٥٨٩).

ثمّ يصف السيّد زكي القساوسة، ويطبّق عليهم ما قاله المسيح في الفرّيسيّين فيقول :

«للأسف الشديد، مع أنّ المسيحَ نهى عن كلّ ذلك، إلاّ أنّنا نجدُ بعضَ قساوسة الكنيسة.. يرتدي لباساً معيّناً، مليء بالصلبان والمسابح التي تخرخش، وهم يسيرون في الشوارع للفتِ الانتباه لهم، ليحترمهم الناسُ، وليوسعوا لهم الطريقَ، ويحيّوهم، ويُجلسوهم في المجالس الأولى في الولائم، ويحبّون أن يناديهم الناسُ "أبونا، أبونا" (ص٧٠٢).

هذه الكنيسة التي ينتمي إليها المسيحيّون لا يدرون، ويا للأسف، أنّها سرقت منهم أموالهم من أجل أغراضٍ خسيسة جداً (ص٧١٦–٧١٧).

الفصل الرابع عشر

المرأة والزواج والطلاق

هنا أيضًا، في موضوع المرأة والزواج والطلاق وما يتبع من مسائل، تقوم قيامةُ المسلمين عامّة، على المسيحيّة التي بدّلت وغيّرت في دين عيسى وخرجت عنه «خروجًا شمل الأساسيات والثانويات. وهذه، في رأي **شريف محمّد هاشم**، هي المشكلة الحقيقيّة التي يجب أن نتأمّل بها، ونقف عندها وندارسها»(١).

نرى لزامًا علينا أن نستعرض موقف الإسلام من المسيحيّة في موضوع دقيق حسّاس كموضوع مكانة المرأة وحرّيتها، وأحكام الزواج والطلاق، والأمانة الزّوجيّة، والعفّة والتبتّل، والحياة الرهبانيّة، وما إلى ذلك من موضوعات، للمسلم فيها رأي وموقف، ولا يغرب عن بالنا الهدف الداعي إلى هذا البحث، فهو، بحسب السيد هاشم، لكي «ندفع عن ديننا (الإسلام) التهمة والتجنّي. ولا نخرج بنفس الوقت عن جادّة الحقّ والإنصاف» (ص٤٧٢).

إنّ بنية العيلة المسيحيّة، في رأي السيّد هاشم، «انعدمت منذ زمن طويل، ترسمها وحدة المصالح ليس إلاّ. فلا وحدة دم، ولا وحدة

(١) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، ص ٥٨٨.

مصير، ولا القـربى ، ولا الحياة المشتركة، ولا العـواطف المتبادلة، ولا الأحاسيس... تكوّن رباطًا للعـيلة المسيحيّة. فالأهل تنتـهي واجباتهم نحو أولادهم عندمـا يبلغ هؤلاء الثامنة عـشرة من العمـر؛ والأبناء قد يهتـمّون بوالديهم، لا بدافع عـواطفهم...بل بدافعِ مـا تفرضـه عليهم القوانين الاجتماعية الوضعيّة...

«أمّا ما بين الزّوجة والزّوج، فـالصورة، في رأي السيّد هاشم، أكثـر بشاعـةً وسوادًا. فلا قـدسيّة، ولا احـترام، ولا حـرمة للروابط الزوجيّة بينهما، وكل شيء مباح أمـام شهواتهما الحيوانيّة. وبإمكان الزوجـة أن تخون زوجـها مع مَن تشـاء ومتى تشـاء، وعلى مسـمع ومرأى من الزّوج أحـيانًا، ولا حقّ له بالاعـتراض أو التـذّمر، طالما أنّ القوانين قد حفظتْ له نفسَ الحقوق، وعلى الزوجة نفس الواجبات.

«إنّها حياة الحيوانات في الغابة» (ص٤٧٤)..

«هذا إذا لم نتـحدّث عن التوافق الـغريب، على نوع من الحـياة الحسابية بين الزّوجَين، يعـيشونها بدقّة مستـهجنة، تبعث في النفس مشاعـر القرف والتقزّز، فـأحدهما يصبح مدينًـا للآخر، إذا دفع ليرةً واحـدة زيادة عن الآخـر في مـصروف البـيت، ومطالب كلّ سـاعـة بسدادها»

والمسلمـون، في رأيِ السـيّـد هـاشم، «يعـيـبـون في نظريّات الزواج المسـيحي غـربتهـا عن الواقـعيّـة، وبعدَها عن الموضـوعيّـة، وتجاهلهـا لدَور العواطف، والمشاعر والأحـاسيس ، المتقلّبة، المتـغيّرة أحيـانًا في حيـاة الإنسان. فبـدت لهم تلك القوانين الكنسـيّة جـامدة، متحـجّرة، وكأنّها وُضعتْ، ليس لمجـتمع إنسـانيّ متحـرّك، بل لمجتمع مومياءات، لا أحاسيس فيه ولا عواطف...

«والكارثة الكبرى ليست بتقليص دور الكنيسة في حياة الناس، ولا بفشل قانون الزواج الكنسي، بل الكارثة الكبرى بقانون الزواج المدني، الذي حلّ سعيدًا محلّ القانون الكنسي المطرود، وهو معروف فلا داعي لحديثنا عنه...» (ص٤٨٠).

«وهكذا يكون المسيحي، قد انتقل بردّة فعل صاخبة ضد قوانين كنيسته، من أقصى التشدّد والتزمّت إلى أقصى التفلّت والتحلّل، نقلة حادّة من أقصى التطرّف الإيجابي إلى أقصاه السلبي المدمّر، لولا ذاك ما كان هذا.

«ويمكننا القول هنا، إنّه تحت مجهر التجربة والممارسة، أثبت التشريع الإسلامي، أنّه الحلّ العقلاني الواقعي، وأنّه السبيل الصحيح لمعالجة مشاكل الإنسان، وتنظيم حياته الشخصيّة والأسريّة والاجتماعيّة» (ص٤٨١).

ويروح السيّد هاشم متأسّفًا باكيًا على وضع المسيحي المنكود. فالإنسان المسيحي «رأت فيه المسيحيّة نصفَه فقط، رأتْ فيه الجانب الروحي، وأنكرتْ فيه الجانب الجسدي». والنتيجة كانت في ردّة فعل فظيعة، حيث «أفلت فيها مارد الجنس من القمقم، فباتت (المجتمعات والدول المسيحيّة) تعيش في فوضى رهيبة من الفلتان الخلقي والانحطاط الغرائزي، والتحلّل من ضوابط الشرف والقيم، كالحيوانات في الغابة» (ص٤٨٢).

***

أمّا سماحة **الشيخ حسن خالد** فبأكثر رصانة يأخذ على المسيحيّة، في موضوع الزّواج والطلاق، بأنّها اخترعتْ قوانين لا

توجد في الكتاب. فهو يعلم «أنّ شريعة النصارى هذه قد حرّمت على الرجل الزواج بأكثر من زوجة واحدة، على الرّغم من أنّه ليس من نَصّ في الإنجيل يصرّح بهذا التحريم، اللّهمّ إلاّ ما ورد في إنجيل متى... وفي كلام بولس الرسول في ما يخصّ رجل الدين...»[٢].

ففي نظر سماحة الشيخ، إنّ الأناجيل «فيما يختصّ بمبدأ تعدّد الزوجات، لم تورد نصّاً صريحاً بالتحريم يمكن الاستناد اليه».. ويتابع سماحته اثبات نظريّته من وقائع التاريخ، فيقول : «لو ذهبنا نتابع وقائع التاريخ العائليّة لدى الأقدمين (من المسيحيّين) لرأينا أنّ التعدّدَ في الزّوجات بقي مباحًا في العالم المسيحي إلى القرن السادس عشر.. ويظهر.. أنّ تعدّد الزوجات لم يكن مجهولاً حتى بين رجال الدين أنفسهم» (ص٧٣٩).

فاستنادًا إلى تعدّد الزوجات في المسيحيّة، على رأي المفتي، وفي شعوب ما قبل الإسلام، واستنادًا إلى «حاجة الإنسان الجنسيّة»، وإلى «طاقة الرجال»، وصونًا للزوج أو للزوجة عن «الممارسات الشاذّة التي تفضي به أو بها أحيانًا إلى ما لا يُحمد من السلوك والموقف، وإلى الدخول في معاشرات تسيء إليه أو إليها أدبيًا وصحيًا، وتسيء إلى مجتمعهما» بالاستناد إلى كلّ هذه «كان تشريع إباحة تعدّد الزوجات في الإسلام، وكان موقفه الرافض لفرض شرعة الزوجة الواحدة الذي تفرضه الكنيسة النصرانية» (٧٤٣).

أمّا الطلاق فيعرف سماحة الشيخ بأنّه في المسيحيّة لا يجوز مطلقًا، ويعرف «أنّ الكنيسة ترى أنّ الأصل في الزواج الديمومة

---

(٢) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ص ٧٣٨.

والاستمرار، وأنّه رابطة مؤبّدة لا تزول إلاّ بالموت» (ص٧٤٥). أمّا في الإسلام، فـ«قد انعقد إجماع المسلمين على مشروعيّته» (ص٧٤٧). وسبب جواز الطلاق في الإسلام، كما يقول سماحته، «ما قد يجدّ في الحياة الزوجيّة، أو ينشأ من أمور لا تستقرّ معها، بل تنقلب إلى جحيم، كالخصام والشقاق، أو التباغض أو المرض، أو العقم الذي لا يستقيم معها دوام العشرة وتصبح الرابطة الزوجية عقدًا قائماً شكلاً وصورة لا موضوع لها ولا روح» (ص٧٤٧).

***

أمّا **أحمد زكي** فيعلّق، في ما يخصّ موضوع الزواج والطلاق، على ما جاء في كلام المسيح في إنجيل متّى: "مَن طلّق امرأتَه فليعطها كتاب طلاق؛ وأمّا أنا فأقول لكم: إنّ من طلّق امرأته إلاّ لعلّة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوّج مطلّقة فإنّه يزني" (٥/ ٣١-٣٢)، يقول:

«هنا أعزّائي القرّاء، يجب أن نتوقّف وقفةً طويلة. لماذا؟ لأنّ الكاتب، أو القسّيس الجاهل، لغرضٍ في نفسه، ابتدأ يهذي، ويدسُّ آراءه هو، ويخلطها في آراء المسيح... فالتشريع الذي دسّه الكاتب، أو القسّيس الجاهل، هنا، يقطر كذباً..

* وبعد أن يتكلّم على مضارّ الطلاق، يقول: إلاّ أنّ «فيه منافع كثيرة أيضاً، لا يمكن أن تكون قد غابت عن ذهن المسيح... لكن، من المؤكّد أنّها غابت عن ذهن القسّيس الذي دسّ هذا التشريع الغريب»[٣].

«والعاقل يرى أنّ الطلاق، لأيٍّ سبب، في التوراة، مباح. والتوراة كانت قبل المسيح. كذلك يرى أنّ الطلاق في القرآن مباح،

---

(٣) إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص ٣٩٩.

والقرآن نزل بعد المسيح. ولا يستطيع المرء إلاّ أن يستنتج أنّ الطلاق كان أيضا مباح (كذا) في دين المسيح الذي لم يناقض الناموس. ولكنّ التحريم جاء من قساوسة الكنيسة الشاؤوليّة لا من المسيح..» (ص٤٠٢).

* «كما أنّ الزواج بأكثر من واحدة، في التوراة، مباح.. وكذلك الزواج بأكثر من واحدة، في الإسلام، مباح. والتوراة كانت قبل المسيح. والقرآن جاء بعد المسيح. إذاً، لا بدّ من أن يكون الزواج بأكثر من واحدة مباح(كذا) في دين المسيح..

أمّا إذا كان الشاؤوليّون الكنسيّون لا يتزوّجون بأكثر من واحدة حتّى اليوم، فذلك لأنّ شاؤول وقساوسة الكنيسة منعوهم.. هذا، في الوقت الذي نرى فيه أنّ الكنيسة تغضّ الطرفَ عن تعدّد الزوجات بين المسيحيّين في أفريقيا. حتّى القسيس في الكنيسة الأفريقيّة يجوز له أن يتزوّج بأكثر من امرأة، بينما يُحرّم هذا على زميله القسّيس في أوروبّا. فأيّهما المسيحيّة!؟» (٤٠٢-٤٠٣).

* وعن سيرة النساء الشاؤوليّات، نتيجة هذه القوانين الشاؤوليّة الصارمة، غير العادلة، فإنّنا «نراهنّ في الأسواق والمجتمعات، وهنّ متبرّجات، يلبسنَ القصيرَ، ويَكشِفنَ عن صدورهنّ، ويُبرزنَ مفاتنهنّ، ويَرقصنَ في حفلات التّانغو والفوكس والرّوك والديسكو، ويَرتمِينَ في أحضان الشباب، متعانقات، لاهثات، تحت الأنوار الخافتة، والموسيقى الصاخبة، أو الهادئة، والتَفّتِ الساقُ بالساق، والصدر بالصدر، مع التأوّهات والزفرات، تحت تأثير الخمر والموسيقى، وقد ارتفعتْ درجةُ حرارتهنّ، وينتهي الأمر، إمّا في شقّته، أو شقّتها، لممارسة الزنا. أين هذا كلّه من قول المسيح: "فإنْ

كانت عينُك أو يدك تغرّكَ فاقطعْها. وكلّ مَن ينظر إلى امرأة ليشتهيَها فقد زنى بها في قلبه"! لا عجب. إنّهنّ لسنَ مسيحيّات، إنّما شاؤوليّات" (ص٣٩٩).

* وهناك، أخيراً، تعليقٌ ظريفٌ للسيّد زكي على كلام المسيح: "مَن تركَ بيتاً أو إخوةً.. أو امرأةً... يأخذ مئةَ ضعف.." (مر١٠/ ٢٨). يقول: «ماذا يعمل التلاميذُ بمئة زوجة في ذلك الزمان، بينما الكنيسة لم تسمحْ لهم إلاّ بزوجة واحدة!؟» (ص٦٤٣).

ألفصل الخامس عشر

ألبشارات بمحمد

ألتّوراةُ والإنجيلُ الحقيقيّان، في نظر المسلمين، تنبّأا عن النبيّ المنتظر، محمّد بن عبد اللّه. موسى وعيسى، وما بينهما، من أنبياء، تنبّأوا عن مجيئه. ولغايةٍ لا يجهلُها أحد، أخفى اليهود والمسيحيّون التوراةَ والإنجيلَ الحقيقيَّين، وبدّلوا آيات، وحرّفوا آيات، وألغوا آيات، وأخفوا آيات. حتّى لا يظهر اسمُ محمّد. ولكنَّ اللّهَ أعمى عيونهم عن آياتٍ، بقيت في كتبهم، تشهدُ على أنّ محمّداً هو النبيُّ المنتظر، والمسيحَ الحقيقيّ.

وكم قرأ المسلمون التوراةَ والإنجيل، بنيّة اقتناص ما تبقّى فيهما من إشارات إلى النبيّ محمّد!.. وكم فسّروا الآيات، واستلهموا منها الوحيَ، وفتّقوا ما فيها من معانٍ، ليجدوا فيها كلاماً على محمّد!! وهم لم يألُوا جهداً في تتبّع الآيات، واقتناص معانيها، وكشف أسرارها، وحلّ رموزها، وفكّ ألغازها، واستنباط طلاسمها، ليستخلصوا منها ضالّتهم المفقودة، ألا وهي معرفة ما تقوله عن النبيّ محمّد.

***

إنّ التبشير بمحمّد موضوع أساسي عند أصحاب الردود. يعتمدون فيه على آيتَين في **القرآن** صريحتَين، هما :

٠١ "الّذين يَتَّبِعونَ الرّسولَ النَّبيَّ الأُمّيَّ الّذي يَجِدُونَه مَكْتوباً عِندَهمْ في التَّوراةِ والإنجيلِ"(١).

٠٢ و "إذْ قالَ عِيسَى ابنُ مَريمَ: يا بَني إسْرائيلَ! إنّي رسولُ اللّهِ إليكُم مُصَدِّقاً لِما بينَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ، ومُبَشِّراً برَسولٍ يأتي مِنْ بَعْدي اسمُهُ أَحْمَد"(٢).

وثمّة آيات أخرى أيضاً تؤكّد معرفة أهل الكتاب بهذا النبيّ لما في كتبهم من إشارات إليه تدلّ عليه، مثل قوله: "أَلّذينَ آتَيناهم الكتابَ يَعرفُونَه كما يَعرفونَ أبناءَهم"(٣)؛ وقوله: "يقولُ الذينَ كَفَروا: لَستَ مُرْسَلاً. قُلْ: كَفى باللّهِ شَهيداً بَيني وبَينَكمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ"(٤).

فالقرآن، إذاً، في رأي المسلمين كافّة، واضحٌ في الإشارات إلى تنبّؤ التوراة والإنجيل بمجيء نبيٍّ «إسمه أحمد». ولقد قام جهدُ المسلمين في استنباط ما تقوله التوراة والإنجيل من "بشارات" بالنّبيّ المنتظر.

***

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧/٧.

(٢) سورة الصف ٦/٦١.

(٣) الأنعام ٢٠/٦. «وهناك اختلاف بين المفسّرين في مَن يعوود عليه الضمير في "يعرفونه"، أهو النّبيّ أم القرآن». الشرفي، ص ٤٨٠، حاشية (٤٧).

(٤) سورة الرّعد ٤٣/١٣.

أقدم نصّ في موضوع بشارة الإنجيل بمحمّد، نجده عند **ابن هشام**، الذي كان نقله عن ابن اسحق. قال :

«قال ابن اسحق: وقد كان، فيما بلغني عمّا كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من اللّه في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول اللّه (ص) ممّا أثبت يحنّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم في رسول اللّه (ص) إليهم، أنّه قال:

"مَن أبغضني فقد أبغض الربّ. ولولا أنّي صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة. ولكن، من الآنَ بطروا وظنّوا أنّهم يعزونني. ولكن، لا بدّ من أن تتمّ الكلمة التي في الناموس أنّهم أبغضوني مجّاناً(٥)، أي باطلاً. فلو قد جاء **المنحمنّا** هذا الذي يُرسله اللّه إليكم من عند الربّ، روح القدس هذا الذي من عند الربّ خرج، فهو شهيد عليّ. وأنتم أيضاً، لأنّكم قديماً كنتم معي. في هذا قلت لكم لكيما لا تشكّوا"(٦).

والمنحمنّا، بالسريانيّة، محمّد. وهو بالروميّة، البرقليطس، صلّى اللّه عليه وعلى آله وسلّم»(٧).

وعقد **ابن سَعْد** فصلاً في «ذكر صفة رسول اللّه (ص) في التوراة والإنجيل»(٨). ونقل عن **كعب الأحبار**، أليهودي، الذي بدوره نقلَ عن آشعيا، قوله: «محمّد عبدي المختار، لا فظّ، ولا غليظ، ولا

---

(٥) أنظر المزامير: ٣٥/١٩؛ ٦٩/٥.

(٦) يوحنّا ١٥/٢٣-١٦/١.

(٧) **سيرة ابن هشام**، ١/٢٥١.

(٨) **طبقات ابن سعد**، ١/٣٦٠-٣٦٣.

صخّاب في الأسواق، ولا يُجزي بالسيّئة السيّئة. ولكن يعفو ويغفر. مولدُه بمكّة، ومهاجره بالمدينة، وملكه بالشام»[٩].

***

أمّا **علي بن ربّن الطبري** فيستفيض في التدليل على تنبّؤ الأنبياء بمجيء محمّد، وبأنه هو المقصود في نبوّاتهم . ويقدّم البراهين والحجج من كتب التوراة والأنبياء جميعها، ومن أقوال المسيح والرسل. وهو أوّل مَن نبّه المسلمين إلى تحليل نصوص التوراة والإنجيل والعثور فيها على اسم محمّد أو صفاته.

وقد خصّص ابن ربّن كتاب «**الدين والدولة في إثبات نبوّة النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم**». وقد وجد خمسةً وستّين مرجعاً تبشّر بقدوم محمّد، بنبوّته، وبصفاته. نختصرها هنا، كما ننقلها كلّها، لأنّها أساس لَمن جاء بعده. فهو يبدأ من البداية.

١. تكوين ١٠: "إنّ الله قال لإبراهيم: قد أجبتُ دعاءك في إسماعيل، وباركتُ عليه، وكثّرته، وعظّمتُه جدّاً جدّاً" ✱ يقول الطبري: وهنا دليل على أمّة محمّد التي ستكون مباركة وكثيرة وعظيمة جدّاً جدّاً (ص ١٣١).

٢. تكوين ٩: قول الملاك لهاجر: "إرجعي إلى سيّدتكِ (سارة)، واخضعي لها. فإنّي سأكثر ذرّيتك وزرعَك حتى لا يُحصون كثرةً... وتلدين إسمعيل.. وهو يكون عَيْرَ الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه. ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته" ✱

---

(٩) المصدر نفسه، ١/ ٣٦٠.

يقول الطبري: «لم نر ذلك من نبوّة موسى تمّتْ وظهرتْ إلاّ بعد ظهور محمّد النبيّ صلعم» (ص ١٣٢).

٣. تكوين ١٣: قال اللّه لإبراهيم: "إنّي جاعل ابنَ أمَتِك أيضاً لأمّةٍ عظيمة لأنّه من زرعك" * يقول الطبري: «فهذه بشارة ثالثة في إسمعيل»

٤. تكوين ١٣: "فإنّ اللّه جاعله (لإسمعيل) لأمّة عظيمة" * يقول: وكان اللّه معها (أي مع هاجر) ومع الصبي حتّى تربّى. وكان مسكنه في برّيّة فاران. وأقبل على الرمي يتعلمه» (ص ١٣٢).

٥. تثنية ١١: "إنّ الربّ إلهكم يقيم نبيّاً **مثلي** من بينكم ومن إخوتكم فاسمعوا له"..* يقول : «ولم يقم اللّه نبيّاً من إخوة بني إسرائيل إلاّ محمّداً»(١٣٧).

٦. تث ٢٠: "إنّ الربّ جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه ربوات القدّيسين، فمنحهم العزّ، وحبّبهم إلى الشعوب، ودعا بجميع قدّيسيه بالبركة" * يقول : «وفاران هي مكّة التي سكنها إسمعيل وأولاده» (ص٢٣٨-١٣٩).

٧. مز ٤٥ : ... يقول الطبري: «ولا نعرف أحداً تجب له هذه المعاني، من تقليد السيف، وشحذ النّصول، وهيبة اليمين، ووقوع الأمم تحته، إلاّ النبيّ صلعم. فقد ركب كلمة الحقّ، وتواضع للّه بالديانة، وشاهد المشركين حتى ظهرَ الدِّين» (ص ١٣٩).

٨. مز ٤٨: "إنّ ربّنا عظيم محمود جداً، وفي قرية إلهنا، وفي جَبَله قدّوس ومحمّد. وعمّت الأرض كلّها فرحا". * يقول: فهذا.. هو

الإبانة والتصريح الذي لا تلابسه شكوك. فقد سمّى النبيَّ تسميةً (ص ١٣٩).

٩. مز ٥٠: "إنّ اللّه أظهر من صهيون إكليلاً محموداً. فاللّه لا يُهمل. وتُحرق النيران بين يديه، وتضطرم حواليه اضطراماً" * يقول: «أفما ترون أن لا يخلي داوود شيئاً من نبوّاته من ذكْر محمّد أو محمود، كما قد تقرأون. ومعنى قوله: إكليلاً محموداً، أي إنّه رأس، وإمام، محمّد محمود. ومعنى محمّد ومحمود وحميد شيء واحد في اللّغة» (ص١٤٠).

١٠. مز ٧٢...: يقول الطبري: «فهذه نبوّة شافية كافية ما فيها لبس ولا إظلام. فما نعلم أحداً ملك "ما بين البحر والبحر، وبين الأنهار... وخرّت الملوك بين يديه سجداً على الرُّكَب، ولحس أعداؤه التراب، وأتته ملوك اليمن بالقرابين"، إلاّ النبيّ صلعم وأمّته، وإلاّ مكّة... ولا نعلم أحداً "يصلّى ويبارَك عليه في كلّ وقت" غير محمّد صلعم... أيّة دلالة أشهَر، ونبوّة أظهر وأنور من هذه. ولقد ختم داود نبوّتَه هذه بأن قال: "فالأمم كلّها يتبرّكون به ويحمّدونه ويسمّونه محمّداً". ومعنى محمّد ومحمود واحد» (ص ١٤٠–١٤٢).

١١. مز ١١٠: يقول الطبري: «هذه أيضاً صفة كالعيان. فمن ذا الذي كان الربّ عن يمينه، والذي حكم بالحقّ، وضرب الرِّقاب، وأكثرَ القتلى والجِيَفَ غيرُه وغيرُ أمّته صلعم؟!» (ص١٤٢).

١٢. مز ١٤٩: يقول الطبري: «أما ترون، يهديكم اللّه، هذه الصفات خالصةً للنبيّ صلعم ولأمّته؟ فهو الذي معه "السيف ذو الشفرتَين"، وهو المنتقم بأمّته من جبابرة فارس وطغاة الرّوم وغيرهم"، وهو الذي قيَّدَت أمّتُه الملوكَ، وساقتْ جلّتَهم وأولادهم في

السلاسل والأغلال. وهم الذين يسبّحون اللّه على مضاجعهم ويُكبّرونه صباح مساء تكبيراً وفي كلّ وقت» (ص ١٤٢-١٤٣).

١٣. مز ١٥٢: يقول الطبري: وهو مزمور ينسب إلى آشعيا: فلِمَن "البوادي"، يا بني عَمّي يهديكم اللّه، إلاّ لهذه الأمّة؟ أو مَن "قيدار" إلاّ وُلدُ إسماعيل، وهم سكان الكهوف الذين يحمدون الربّ ويذيعون تسابيحه في الهواجر والأسحار؟ ومَن ذا الذي "زجر وتجبّر وقتل أعداءه" غير محمّد صلعم وأمته؟» (ص ١٤٣)

١٤. آشعيا ٢: يقول الطبري: «فوافق آشعيا داود في قوله: "إنّ بهاءك وحمدَك هو الحمد الغالب. فكأنّما خرجَا من مشكاة واحدة. فأمّا تأويل الجبال والشجر فإنّهم الأكابر والأصاغر والملوك».

١٥. آشعيا ٣: يقول الطبري: «فهذا قولُ اللّه عزّ وجلّ، وهؤلاء بنو إسماعيل وأمّة النبيّ صلعم، الذين "صفر اللّهُ لهم صفيراً، فجاؤوا من بلدانهم سراعاً، لا يملّونَ ولا يسأمون. وكانت سهامهم مسنونةً، وقُسيُّهم مُوتَرة، وحوافرُ خيولهم كالصّفا والجُلمود، وزئيرهم كزئير الليوث. وهم الذين افترسوا الفرائسَ شرقاً وغرباً، فما نجا من أيدهم ناجٍ. وصارت الجبابرة عندهم كالنعاج، وثار من زحوفهم العَجاج، وضاقت بهم المناهج والفجاج» (ص ١٤٥).

١٦. آشعيا ٥: يقول الطبري: «وذلك شبيه بما وصف اللّه عن النبيّ في القرآن، وقال: إنّه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فانظروا، يهديكم اللّه، وتبيّنوا من ذا الذي "فكّ النير عن ولد إبراهيم، وأبطل سلطان الأعداء، وبتر قضيب الأعزّة؟ وهل أشرق ذلك الضوءُ إلاّ على أهل تلك البادية الظلماء من عبّاد الأوثان من ولْد إسماعيل؟" (١٤٥-١٤٦).

١٧. آشـعيـا ٥: «وقـال في هذا الفـصل: "إنّه ولد لنا مـولود ووهب لنا ابنٌ سلطانُه على كتـفه" * ومعنى قـوله هذا إنّ نبوّته على كتفه. فهـذا في كتب السريانيّة. فأمّا في العبـرانيّة فإنه يقول: إنّ على كتفه علامة النبوّة. وهي التي يسمّـيها أهل الإسلام خاتم النبوّة. فهذا تصـريح بصفـة النّبي صلعم وإشارة إلى صـورته وشامـاته» (ص ١٤٦-١٤٧).

١٨. آشعيا ١٠: «فهذه أيضاً نبوّة مفـصّحة مصرّحة لا يدفعها إلاّ مَن غشَّ نفسه ونبـذ رشده. فكما أنّه ليس لقائل عاقلٍ أن يتـجاسر ويتجاهل فيـقول: إنّه قد كان في الدنيا راكب حمـار أولى بهذه النبوّة من المسيح، عليه السلام، فكذلك ليس لذي وَرَعٍ أو لبٍّ أن يقول: إنّه قد كـان في الدنيا راكب جـمل أولى بهـذه النبـوّة من النبيّ ومن أمّتـه» (ص١٥٠).

١٩. آشـعـيا ١١: "إنّا سـمـعنا من أطراف الأرض مـزمـوراً وترتيـلاً للبرّ والخـير" * فـأمّا في العـبراني الذي هو الأصل فـإنّه يقول: "إنّا سـمعنا من أطراف الأرض صوت محـمّد". ومكّة هي في أطراف الأرض وعلى ساحل البحر» (١٥٣).

٢٠. آشعيا ١٦: "لتفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهة البراري والفلوات..." * أما ترون، يهـديكم اللّه، ماذا كـشف لكم النبيّ، ونطق به الوحي من ذكـر البوادي والـقفـار، وما بشّـرها اللّه تعـالى به من الجدّة والنضـرة والكرامات المعـدّة لها أحمـد؟ فهل يختـلج شكٌّ بعد التسمية ووصف البادية العطشة؟» (ص١٥٣).

٢١. آشعيا ١٩: فـزاد إبانةً وإيضاحاً: "هتف هاتفٌ في البدو، وقال: خلّوا الطريق للربّ. وسهّلوا لإلهنا السبيل في القـفر. فستمتلئ

الأودية..." * فـهل تعرفـون، يهـديكم اللّه، أمّةً دعـاها اللّه من البـدو والقـفار، وسـهّل لها الـوعورةَ، وأخـصب الجناب، وأمرع الجـدوب، وأترع لعطاشـهم الأودية إتراعاً، وأذلّ لهـا الجبابرة والأمـلاك الذين شـبّهـهـمم بالروابي والجـبال، إلاّ هذه الأمّـة التي صـارت دجلة بين أيديهم كالشراك المذلل. فإنّهم، لمّا انتهوا إليها، قالوا بأجمعهم: إنّ الذي حـفظنا في البر هو الـذي يحفظنا في البـحـر. ثم خاضـوها خوضـاً ووراءها كسرى ومرازبتـه وأجناده فلم يحفلوا به ولا نكلوا عنه وهم عراة حفاة إنّما يوقون رؤوسهم بالانساع» (١٥٤).

٢٢. وقـال في الفصل: إنّ الرب الإله سـيظهـر بالعز وذراعـه بالحـول والقـوّة. أجـره معـه، وعـمله أمـامـه. كـالراعي الذي يرعى قطيعه..." * وإنّما عني به النبيّ صلعم، فـهوالذي كان أجـره معه..» ٠ص١٥٤–١٥٥).

٢٣. وقال فـي هذا الفصل: "مَن ذا الذي نبّـه البرّ من المشـرق ودعاه إلى مـوطئ قدمِه لـيُسلِم إليه الأمم ويُذهلَ منه المـلوك، ويجعل سيوفه في عـدد الثرى والبرى، وقسيّه في عدد الحـزَم المنثورة. فهو يغلبهم ويـضرب وجوههم، ثم يحـدِثُ لِلماً، ولا يطأ برجله سـفراً" * وهذا شبيه بما قال اللّه عـزّ وجلّ في القرآن... "المدعو إلى موطئ قدم خليل الـلّه هو النبيّ صـلعم، وإليـه أسلم اللّه الأمم، وبـه وبّخ الملوك فذهلوا. وهو الذي لا تُعدّ رماته وسيّافوه. وبه ضـرب اللّهُ وجوهَ الأمم، وخذلهم، ثم أعقبهم الإيمان والإسلام والسلم».

٢٤. آشعيا ٢٠: "يا آلَ إبراهيم خليلي الذي قوّيتك، دعوتك من أقاصي الأرض ومن نجـودها وعواليها. ناديتك وقلت لك إنّـك عبدي. وأنا أجتبـيتك، ولم أستر ذلك. فلا تخف لأنّي مـعك. ولا ترهب فها أنا

إلهك. أيّـدتك ثم أعنـتك. ويضـــمـــحـلّ ويتـــلاشـى الذيـن يمارونك ويشاقـونك. ويبيد القـوم المنازعون لك. تطلبهـم فلا تحسّ منهم أثراً، لأنّهم يبطلون ويصيرون كالنسيء المنسيّ أمامك؛ لأنّي أنا الربّ قوّيت يمينك، قـلت لك لا تخف فـــإنّي أنا عـونـك ومـخلّصك. هـو قـدّوس إسرائيل. يقول اللّه الربّ. أنا جعلتك مثل الجرجر الحديد الذي يدقّ ما يأتي عليه دقّاً ويسحقه سحقاً. وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال وتدقّهـا وتجعل المدائن والـتلال هشيـماً تذروه العـواصف وتلوي به هوج الريّاح، وتبتهج أنت حينئذ وترتاح بالربّ وتكون محمّداً بقدوس إسرائيل" ✱ «فهذه نبوّة ناطقة وقولٌ فصيح...» (ص ١٥٥–١٥٦).

٢٥. آشعيا ٢٠: "إنّ المســاكين والضعفاء يستـسقون ماءً، ولا ماء لهم. " ✱فأين لكم، يا بني عمّي، المحيـد عن هذه النبوّة الواضـحة الناطقة. وما عساكم تقولون فيها. وقد سمّى البلاد، ووصف المعاطش والقفـار والبلاقع، ومـا فجّر فـيها من العـيون، وأجـرى من الأنهار، وغرس فيـها من أنواع الأشجار، وسـمّى العطاش والمساكين من أهل البوادي والحـجاز، وأخبـر أنّ يد اللّه عزّ وجلّ فـعلتْ ذلك؟ فليس لمن دفع هذه النبوّة وأنكرها من دينٍ ولا حياءٍ ولا خـلاقٍ. فقد سمّى النبيّ (صلعم) في النبوّة التي قـبلها. فمـاذا بقي أيها الشاكّون؟ ومـا العذر المقبول المنجي لمن تصامّ وتعامى عنها؟» (ص ١٥٦).

٢٦. آشعـيا ٢١: لتسبّـحني وتحمدني حيـوانات البرّ من بنات آوى حتى النعائم، لأنّي أظهرتُ الماءَ في البدو، وأجريتُ الأنهار في بلد أشـيمـون لتشـرب منهـا أمّتي المصطفـاة. فلتـشرب منه أمّـتي التي اصطفيتها" . فمن كان شاكّاً فيما تقدّم من النبوّات فلا عذر له إنْ جهل أو تجاهل أنّ النعائم لا تكون إلاّ بالبادية. وإنّمـا ذكر الثعالب والنعائم

مثلاً ضربه لسكان البوادي والفلوات. فمن محك فيه وحاول تلبيسه فقد هلك» (ص ١٥٧).

٢٧. آشعيا ٢٢: "أنا الرب ولا إله غيري... أتمّ مشيئتي كلّها، فأدعو من البدو طائراً ومن البلد البعيد الشاسع" * هو النّبيّ (صلعم)، وهو الذي ارتضاه اللّه لاجتهاده فيما أرضاه (ارتضاه) وأحبّه. وإنْ بحثوا وتشاغبوا، فليعلمونا أين هذا البدو والفلوات التي وصفها اللّه؟ ومن ذا الذي دعاه فعمل بمرضاته؟» (ص١٥٧).

٢٨. آشعيا ٢٣: "إنّ الربّ أهاب بي من بعيد. وذكر اسمي وأنا في الرّحم. وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن. ..وقال لي إنّك عبدي... وصرت محمّداً عند الرب. وبإلهي حَولي وقوّتي" * «فإنْ أنكر منكرٌ إسم **محمّد** في هذا الباب فليكن محموداً. فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوى سبيلاً. وهو الذي جعل اللّهُ لسانَه كالسيف. وهو العربي المبين الذي خبّأه في كنانته لسرّه وتدبيره الذي قد أظهره، وهو الذي يقول في أمّته صباح مساء: لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه» (ص١٥٧-١٥٨).

٢٩. آشعيا ٢٦: ".. قد زاد وُلدُ الفارغة المَجفيّة (أي: هاجر) على وُلد المشغولة الحَظيّة (أي: سارة). وقال لها (أي لهاجر)الربّ: أوسعي مواضعَ خيامِكِ ومُدّي ستورَ مضاربك.. طوّلي أطنابكِ، واستوثقي من أوتادك، من أجل أنّك تتبسّطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشِمالاً، وتَرِثُ ذرّيتُك الأممَ، ويسكنون القرى المعطّلةَ اليَباب" * فليتَ شعري ما عساهم يقولون في هذه، وقد.. وصفَ عليه السلام خيامَ وُلد هاجر؟ فإلى من تُضاف هذه؟ وبمن تليق إلاّ بوُلد هاجرَ وذرّيتِها؟ أو لمن الخيام والاطناب إلاّ لوُلدها؟..» (ص ١٥٨).

٣٠. آشـعـيا ٢٨: " .. إنّه تخـرّ لي كلُّ ركـبـة، ويقـسم بي كلّ لسان، ويقولون معـاً إنّ النعمة من عند الرب " ❋ فمَن هذه الأمّة التي تقـسم باسم اللّه؟ ومَن ذا الذي يخـرّ على الركب لاسم الفرد الواحـد، ويحدّث بنعم اللّه صباحاً ومسـاءً، ويفرّدُه بالدّعاء والابتهال غير هذه الأمّة؟..» (١٥٨-١٥٩).

٣١. آشـعيـا ٢٨ أيضاً: حـيث «خـاطب أيضاً هاجـر فقـال:... فتدبّروا، يهديكم اللّه، .. هل تعرفـون " المذلّلة المتغلغلة في الهموم " إلاّ هاجر؟ وهل تقع هذه المخاطبة إلاّ علـيها وعلى ولدها؟ فأيّ شيء أرفع وأعظم من شهـادة اللّه لهم أنّهم جميـعاً يعرفـونه ولا يجهلونه، وأنّه صـيّـر بلدهم وزراً وملجـأً للناس، أي حَـرمـاً وأَمْناً، وبُنـيت مكّة بالفـسيـفـساء ونفـائسس الأحـجار. وحُـمل إليـهـا تيجـان الملوك» (ص١٥٩).

٣٢. آشعيا. وفي هذا الفـصل أيضاً: " ونادى وهتف فقال: " يا معشر العطاش! توجّهوا إلى الماء والورود. ومَن ليس له فضّة فليذهب ويمتـار ويستـسقي ويأكل مـن الخمـر واللّبن بلا فضّـة ولا ثمن " ❋ «فهذا من نبـوّة آشعيا دالة على ما أنعم اللّـه به على ولد هاجر من أمّة النّبيّ (ص)، وعلى أنّهم صـائرون إلى مـا وعدهم اللّه به في الآخـرة من أنهار من خمرٍ وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمرة لذّة للشـاربين. فـانظروا في هذه المشـاكلة والموافـقـة التي بين النبـوّتَين جميعاً» (ص ١٦٠).

٣٣. آشـعيـا. وفي هذا الفـصل أيضـاً: «من تدبّر هذه النبـوّة، وكرّر النظر فيها، لم يحتج إلى غـيرها. فقد سمّى النبيّ (ص) باسمه، وقال: "إنّ اللّه جعلك محمّداً " . فـإنْ آثر المخالف أن يقول ليس بمحمّد

بل محمود، وافقناه فيه، لأنّ معناهما معنى واحد. " وقد أتته الأمم هرولةً وشدّاً. وجعله اللّه مدبّراً للأمم وداعياً إلى اللّه، كما قال آشعيا، وسراجاً منيراً " » (ص ١٦٠).

٣٤. آشعيا ٢٨ أيضاً: «لقد " استلأم النّبي (ص) البرّ كالدرع، ووضع على رأسه سنّور الإنقاذ والفلح. ولبس لباس الخلاص والانتقام من أعداء اللّه، وجازى أهل الجزائر، وأظهر اسم اللّه في مشارق الأرض ومغاربها، وخضع له أهلها " * فأين المحيد عنه؟ وكيف المدفع لهذه النبوّات التي قدد تظاهرت عليه؟ وأين المهرب من اللّه لمن عانده وتصام عن وحيه وندائه» (ص١٦٠-١٦١).

٣٥. آشعيا ٢٨ أيضاً: «فهذه أيضاً، يهديكم اللّه، نبوّة قد ظهرت، وآية قد برّت وصدقت، و" سارت الأمم إلى نور " الدين، ومالت إلى هذه الأمّة ذخائر البحر، وحجّت إلى مكّة أرسالُ الأمم، وعمر أهلها الإبل والقطرات عمّا يردها من الرواحل والجمالات، وحجّ إليها أهل اليمن وأهل سبأ، وأشهر من ذلك وألزم لأذان المخالفين، قيدار ونباوت، هما من أبناء إسماعيل، عليه السلام، وقد احتوشوها وصاروا سادتها وخدّامها، وجدد لبيت محمدته حمداً محمّد صلعم. فإن لم يكن ذلك كذلك، فليسمّوا لنا غير النبيّ صلعم وغير مكّة، وليعرضوا صفته على هذه الصفات، ويقيسوا أحواله إلى هذه النبوّات، لينتهك الستر ويبدو اليقين» (ص١٦١-١٦٢).

٣٦. آشعيا ٢٨ أيضا: «فافهموا، يا بني عمّي، النبوّة، وانظروا مَن ذا الذي " بنى الغرباءُ سورَه، وخدَمَه الأعزّةُ، وسيق إليه الملوكُ مصفّدين مأسورين " . ومَن ذا الذي " أباد وأهلكَ بالسيف كلَّ مملكة وملّة لم تخضع له " . وهل تعلمون لقَدَمِ خليلِ اللّهِ مستقرّاً مذكوراً

غير مكّة التي يحجّها خاشعين، ويرفُلون إلى بابها ساجدين، ويأتونها من أقاصي الدنيا مُلبِّين؟» (ص١٦٢-١٦٣).

٣٧. آشعيا ٢٤: «فلعمري ما ورِثَ الخَرابات، ولا فكّ الأسرى من الحبوس والقيد، ولا رعى في الطرقات بعد الحصار والجهد الذي كانت فيه العرب من قبل كسرى وقيصر، ولا صُيِّرَتِ الجبالُ طرقاً وفجاجاً إلاّ لهذا النّبيّ وأمّته التي ذكرها آشعيا النبي، عليه السلام. إنّها كانت "مسترذلةً مهانةً". فأمّا معنى قوله "قدّوس إسرائيل"، فإنّه لّما خاطب بني إسرائيل سمّى اللّهُ بالاسمِ الذي كان بنو إسرائيل يسمّونه به» (ص ١٦٣-١٦٤).

٣٨. آشعيا ٢٤ أيضاً: «قد أقسم اللّهُ بنفسه، وبرّ قسمه ولم يخلفْ وعدَه. إنّه يُصيِّر الأمم لباساً لهم كالحلّة وزينةً كالحلية. فهكذا العرب، وهكذا مكّة. وما تلبس في كلّ سنة من فاخر الديباج والتاج، ويُحملُ إليها من نفيس الجواهر والصدقات من دار الخلافة وآفاق المملكة، أو مَن صاحبُ القفار والخرابات الذي كان مضغوطاً فيها مضطرّاً إليها غيرُ هذه الأمّة البدويّة الحجازيّة؟ ومَن الفريدة الوحيدة الوالهة المسيَّبة المسترقة التي خاطبها اللّهُ غير هاجر؟ فهل مِن ناظر لنفسه ناصح؟ وهل من مراقب عليها مشفق؟» (ص ١٦٤-١٦٥).

٣٩. آشعيا ٢٤ أيضاً: «فهذه أيضاً نبوّة لم تبطل. فلقد أتت الأمم من أقاصي الشرق والغرب، والسند والهند، وآفاق البربر والبوادي، بنسل هاجر الذين توالدوا في بلدانهم إلى مكّة يزفّونهم زفاً ويعبقونهم تعبيقاً. ولقد أرضعتْ ملوكهم وعقائل نسائهم أبناءَ إسماعيل، وبناته. وخرّت لهم بمكّة على وجوهها سجّداً، ولحست الجبابرةُ مواقعَ قدم إبراهيم وأقدام النبيّ تذلّلاً وتبرّكاً وتخشّعاً».

٤٠. آشعيا ٢٤ أيضاً: "... إنّي جعلت اسمك محمّداً. فانظر من محالّك ومساكنك يا محمّد يا قدّوس، لأنّك أنت الربّ أبونا ومخلّصنا. واسمك موجود منذ الأبد"..* «وهذا هو التسمية وفيه الكفاية لمَن لم تغلب عليه شقوته ولم يمدَّ له في طغيانه» (ص ١٦٦-١٦٧).

٤١. آشعيا ٢٤ أيضاً: «هؤلاء "الشعب الطاهر الذي خلّصهم الرب، وتلك القرين المدالة من أعدائها المنتقم لها" هي مكّة وأهلها».

٤٢. هوشاع: "قال الربّ: أنا الربّ الإله الذي رعَيتك في البدو، وفي أرضٍ خرابٍ قفرٍ غير مأهولٍ ليس بها إنسٌ" * «فهذه من نبوّة هوشاع شبيهة بما تقدّم من نبوّات آشعيا، فلسنا نعرف أحداً رعاه اللّه في البدوِ وفي أرضٍ قفرٍ غير النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم».

٤٣. «وقال في هذا الفصل،.. يصف أمّته أنّها أمّة جليلة عزيزة لم يكن مثلها قطّ ولا يكون، وأنّ النار تحرقُ أمامَها وتتوقّد وخلفها الضرائر. فهذه الأمّة العزيزة التي لم يكن مثلها أمّة قط، ولا يكون، وهذا النبيّ الذي ربّاه اللّه ورعاه في القفر اليباب والبدو الخراب، وهذه نبوّة موجزة كافية لمن وفّقه اللّه لرشده. فإنّ مَن كان اللّه راعيه ومعظمُه والشاهد له بأن لم يكن في الدنيا أمّة أعز وأعظم منها، ولا يكون مثلها، فقد وجب على الناس تعظيمه والاعتراف بتقدّمه وفضله.» (ص ١٦٧-١٦٨).

٤٤. ميخا. قال: "إنّه يكون في آخر الأيّام جبلُ بيتِ الربّ مبنيّاً على تلال الجبال وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميعُ الأمم، وتسير إليه أممٌ كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الربّ" * «فهذه صفة مكّة صراحاً، فهي التي يحجّ إليها الأمم الكثيرة ويسعون لها ويسيرون إليها وهم يلبّون» (ص ١٦٨).

٤٥.حبقوق. «هذه النبوّة البـاهرة الجليلة التي لا شكّ فيها ولا مريـة، فقد نـطقت بالحقّ وباحت بالمكتوم، وكـشفت الأغطيـة وأزالت الشبهـات. وسمّى اللّهُ النبيَّ (صلعم) تسميةً مـرّتين، وأخبر أنّ المنايا تسير أمامه، وتصحب سـباعُ الطير راياتهِ، وأنّه يركب الخيل، ويظهر الخلاص، وترتوي السهام بأمره من الرماء. وهو الذي وقفت الشمس والقمر عن مـجاريهما له. وسارت الـعساكر في بريق سهـامه ولمعان نيـازكه. فـإن لم يكن هو الذي وصفنا فـمن إذاً؟ لعلّهم بنو إسـرائيل المأسورون المسبيون، أو النصارى الخاضـعون المستسلمون؟ وكيف يكون ذلك وقد سمّى فـيها النبيّ مرّتَين، ووصف عسـاكره وحروبَه، وأنّه يدوس الأممَ دوساً، ويدوّخهم غضباً ورجزاً؟» (ص ١٧٠).

٤٦. صـفنيـا. «وصفَ "الأمّـةَ التي تشـهـد" أن لا إله إلاّ اللّه وحـدَه لا شريك له، وتجـتـمع على عبـادته، "وتأتيـه بالذبائح" من سـواحل السودان ومـعابر الأنهـار. و"اللّغة المخـتارة" هي اللسـان العربي المبين.. التي قد شاعتْ في الأمم فنطقـوا بها وتجدّدوا بما جُدِّدَ لهم منها..» (ص ١٧١-١٧٢).

٤٧. زكـريّا، قـال: "إنّه يكون الربّ الإله يومـئـذٍ ملكَ الأرض كلّها، ويكون يومـئذٍ ربّاً واحداً" * قد صـدقت النبوّة، وصحّ الوحي، وصار الدينُ واحداً، والربّ واحداً، لا تثنية فـيه، ولا تثليث، ولا تكثير، ولا تعطيل. واسمه واحد لا تلبيس فيه ولا إشراك» (ص١٧٢-١٧٣).

٤٨. وقال زكريّا أيضاً: "يكون في ذلـك اليوم حتى على لجام الفرس قـدسُ الرب" * «ومعنى قـدس الرب هاهنا: إسم الربّ واسم نبـيّه عليـه السـلام. وذلك مـوجود يومنا هذا عـلى كلّ ملبس ومنزل وسلاح وغير ذلك» (ص ١٧٣).

٤٩. إرميا. قال في الفصل الأوّل: "من قَبْلِ أن أصوِّرَكَ في الرّحم عرفتُكَ. ومن قبل أن تخرج من البطن قدّستك وجعلتك نبيّاً للأمم، لأنّك بكلّ ما آمرك تصدع وإلى كلّ مَن أرسلك تتوجّه. فأنا معك لخلاصك. يقول الرب. وأفرغتُ كلامي في فمك إفراغاً. فتأمّلْ وانظرْ. فقد سلّطك اليوم على الأمم والممالك لتنسف وتهدم وتتبر وتسحق وتبني وتغرس من رأيتَ" ✱ «... لن يجدَ الراغبُ الراهبُ سبيلاً إلى أن ينسبَ هذه النبوّةَ إلى نصراني ولا يهودي ولا غيرهما» (ص١٧٤).

٥٠. زكريّا ٤: "إنّي مهيّجٌ عليكم، يا بني إسرائيل، من البُعد أمّةً عزيزةً، أمّةً قديمةً، أمّةً لا يُفهم لسانها. وكلّهم مِحْرَب جبّار" ✱ «فهذه هي الأمّة العزيزة التي لم تعرف بنو إسرائيل لسانها ولغتها. وكلهم محرب جبّار. وهم أصحاب اللّغة الجديدة التي ذكرها اللّه على لسان صفنيا النبيّ» (ص ١٧٤).

٥١. زكريا ١٩: "إنّي جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم وأكتبها على قلوبهم فأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً، ولا يحتاج الرجلُ أن يعلِّمَ أخاه وقريبه الدين والملّة، ولا إلى أن يقولَ له اعرف الربّ لأنّ جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم. وأنا أغفر لذلك ذنوبهم ولا أذكّرهم بعدها بخطاياهم" ✱ «وقد صدق وعدُ اللّه، وازدرع حبّه في قلوب هذه الأمّة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه وتحاميده. وكلٌّ عارفٌ باللّه مؤمنٌ به، فتيانهم وفتياتهم، عبيدهم وأرقاؤهم. فلا ترى زرّاعاً ولا ملاّحاً ولا سائساً ولا كنّاساً ولا صغيراً ولا كبيراً إلاّ وهو يقرأ شيئاً من القرآن طاهراً، ويحسنُ يصلّي صلاته وحدَه ويوحِّد اللّهَ ويكبّره تكبيراً. لذلك سمّاهم اللّهُ شعبه وارتضاهم لنفسه، فلن تجبَ هذه المعاني لأحد سواهم».

٥٢. زكريا ٣١: "يقـول الربّ: إنّي كاسر قـوسَ عيلم... وأبدّد أهلها... وأرسل علـيهم السيف حـتى أفنيهم. وأنصب كـرسيّاً بعيلم، وأبيـد مَن هناك من الملوك والسـلاطين" ❋ «وعـيلم من الأهواز ومـا والاها... ذكرها النبيّ زكـريا لأنّ اسمهـا جامع للمملكة كلّهـا...وذكر فيها هذه الدولـة العباسيّة، واستيطان الخلفـاء من وُلد العبّاس أرض العراق» (ص ١٧٥-١٧٦).

٥٣. زكـريا ٣٢: "أعـدّوا لي آلات الحـرب. فـإنّي أبدّد بك الشعـوبَ. وأبدّد بك الخيلَ وفـرسانهـا. وأبدّد بك المراكب وركبـانها. وأبدّد بك الأكّـارَ وفـدّانه. وأبدّد بك الطّغـاةَ والـولاة. وأجـازي بابل وجميع سكان بلاد الكلدانيّين"..❋ «لقد أنزل اللّه على بلاد الكلدانيّين وإقليم بابل ما أوعَـدهم وبدّدَ شملهم وذلّل عزمهم، وأبطلَ عـباداتهم، وانتقم منهم أيّما انتقام، واصطلمهم أيّما اصطلام» (ص ١٧٦).

٥٤. حزقـيال ٩: «قد أنبـأنا اللّه، تبارك اسـمه، أنّه مسـتأصل شـأفة اليهود، ومـبيرٌ خضراءَهم، ومزيلٌ عزَّهم وجمـالهم الذي شبّهه "بالكرمة وبالعصـا وبالقضبان". وأتبع ذلك قولاً باهراً بيّناً، فـأخبر تبـارك وتعالى أنّه "يـغرسُ في البـادية والأرض المهـملة العطشى"، غرسـاً جديداً، و"تخـرج أغصـانُه ناراً تحرق" تلك الأخـرى حتى لا يوجد فيـها "عصا قـوّية أو قضيب ينهض بالسلطان" والسـياسة ❋ وإنّمـا يعني بالعصـا والقضـيب السلطان، وقـد بطلَ سلطان اليهـود وعزُّها من أصل المعـمورة، وقامـت عصاً قـوّيّة، بل عصيّ وقضـبان عزيزة تنهض بسلطان عزيز وسياسة مؤيّدة. وتمّت بذلك تلك النبوّة»

٥٥. حزقيال قال في آخر كتابه: انّه أراه اللّه بيتاً تولّى مَلَكٌ من الملائكة تخطيطه وتحديده، ووصف أركانه وصحونه وأفنيتّه وأبوابَه.

وأمـره الملك أن يحفظ ذلك ويتـدبّره"..* «إنّ صـفة ذلك البـيت الذي خطّه اللّه وصوّره هو مكّة» (١٧٧).

٥٦. دانيال الفصل الأوّل:...جاء دانيال و«صحّح النبوّات كلها، وشهد بأنّها كلّها في محمّد، عليه السلام، لا في غيره. وأخبرَ بأنّ آخر الدّوَل والملوك هي الدولة التي يقـيمها إله السـماء، وأنّها تحـتوي على مملكات الأرض كلّهـا، وتقوم إلى دهر الداهرين، ولا تذرُ لغـيرها ملكاً ولا سلطاناً إلاّ دقّتْه وهشّمَتْه. ولذلك سُمِّي محمّد النبي (صلعم) خاتمَ الأنبياء، لأنّه إليه انتهت النبوّاتُ كلّها. وبه تمّت البشارات المتقدّمة. فلا يوجـد بعـده نبـوّة نبيٍّ، ولا نازل وحي. فـقـد أخـبـر أنّه لا دولة ولا سلطان بعد دولته وزمانه...» (ص١٧٩-١٨١).

٥٧. دانيال٤: تفسـير رؤيا أربعة حيوانات. «فـالحيوان الرابع الذي قال إنّه كان عظيماً رائعـاً هائلاً قويّاً عزيزاً هو تمثال هذه المملكة التي قال اللّه إنّها أعظم المملكات وأجلّها، وأنّها تغلب على الأرض كلّها، وتدوسها بأقدامها، وتأكلها رغداً، وهي آخر الدول، وهذه أيضاً تشـهد بأنّ النبيّ (صلعم آخـر الأنبياء وخـاتمهم، وأنّ النبوّات كلّـها تمّت به وتناهت عنده ولم تتـجاوزه. وعلى هذا دلّت الـنبوّات المتـقدّمة وإلـيه ساقت. فسـبحان من قدّر ذلك وأنبـأ به العبادَ على ألسنة أنبـيائه قبل كونه بدهر طويل...» (ص ١٨١-١٨٢).

٥٨. دانيـال: ثم «وجـدتُ في كتب دانـيال نبـوّةً أيضـاً باهرةً عجـيبةً. فـإنّه يقول: "طوبى لمن أمّل أن يُدرك الأيام الألف والثلثـمائة والخمـسة وثلاثين"..* هذا العـدد من السنين «إنّما ينتـهي إلى هذه الدولة (العباسيّـة)، لأنّ زمن دانيال إلى المسيح نحو من ٥٠٠ سنة...

ومن المسيح إلى سنتنا هذه ٨٦٧ سنة. ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسيّة منذ ثلاثون سنة أو يزيد شيئاً... وهذا العدد أيضاً يساوي لما يجتمع من عدد حروف "محمد خاتم الأنبياء مهدي ماجد"» (١٨٤).

٥٩. يوحنّا ١٥: "إنّ الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي يعلّمكم كلّ شيء" * «فالفارقليط الذي يرسله اللّهُ بعد المسيح مصدِّقاً لاسم المسيح، عليه السلام، هو الذي علّم الناسَ كلّ شيء، لم يكونوا علموه من قبلُ، ولم يكن في تلامذة المسيح إلى دهرنا هذا أحدٌ علّم الناس شيئاً غير الذي كان علمهم المسيح. فالفارقليط الذي علم الناس ما لم يكونوا يعلمونه هو النبيّ صلعم، والقرآن هو العلم الذي سمّاه المسيح كلّ شيء» (ص ١٨٤).

٦٠. يوحنا ١٦: "إنّ الفارقليط لن يجيئكم ما لم أذهب. فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة. ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً. لكنّه يسوسكم بالحقِّ كلّه. ويخبركم بالحوادث والغيوب" (ص ١٨٤).

٦١. وقال يوحنّا عنه: "إنّي سائلٌ أبي أن يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد" * «ووجدتُ للفارقليط سرّاً آخر عجيباً، وهو أنّي.. وجدتُ ما يجتمع من حروفه مساوياً لما يجتمع من حروف "محمّد بن عبداللّه النبيّ الهادي". فإنْ قال قائل إنّه ينقص عدداً واحداً لأنّ اللّفظة إنّما هي "فارقليطا".. على أنّ الذي لا يساويه من العدد حتى لا يزيد ولا ينقص: "محمّد رسول حبيب طيب"».

٦٢. يوحنا قال في أعمال الرسل: "لا تؤمنوا يا أحبّائي بكلّ روح. بل ميّزوا الأرواح التي من عند اللّه. واعلموا أنّ كلّ روحٍ يؤمن بأنّ يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهو من عند اللّه. وكلّ روح

لا يؤمن بأنّ المسيح كان جسدانياً فليس من عند اللّه " * «وقد آمن النبيّ (صلعم) بأنّ المسيح قد جاء، وأنّه جسداني، وأنّه روح اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم...» (ص ١٨٥).

٦٣. شمعون الصفا في أعمال الرسل أيضاً: "إنّه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداءً من بيت اللّه " * «وتفسير ذلك أنّ بيت اللّه الذي ذكره الحواريّ هو مكّة. وفيها كان ابتداءُ الحكم الجديد لا من غيرها. فإن قال قائل: إنّه عنى به حكم اليهود، فقد كان المسيح أخبرهم أنّه لا يترك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف... وإنْ قال قائل: إنّه أراد به دين المسيح، فكيف كان يقول لدينٍ وحكمٍ قد كان ابتدأ وظهرَ منذ حين أنّه قد حان أن يبتدأ. فهذا محال من الظنّ» (١٨٦).

٦٤.لوقا ١١: إن المسيح قال لتلامذته: "إني قد كنتُ أرسلتكم وليس معكم كيس ولا ترمال (يعني به المزود) ولا خِفّ، فهل ضرّكم ونقصكم ذلك شيئاً؟ قالوا: لا. قال: أمّا الآن فليشترِ من لم يكن له كيس كيساً، ومن لم يكن له ترمال مزوداً، ومن لم يكن له سيف فليبع ثيابه وليشتر به لنفسه سيفاً " * لقد «عرف أهلُ التمييز والفهم أنّه إنّما أشار بذلك إلى أمر آخر وحدث متجدّد بالنّبيّ صلى اللّه عليه وسلّم...» (ص ١٨٦-١٨٧).

٦٥. فولس في رسالته إلى أهل جالاطيا: "إنّه كان لإبراهيم ابنان: أحدهما من أمةٍ والآخر من حرّةٍ... وأما هاجر فإنّها تشبّه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا... " * «فقد ثبّتَ فولس في قوله هذا معاني جمّة. **أوّلها:** إنّ إسماعيل وهاجر قد كانا استوطنا بلاد العرب، وهي التي سمّاها "بلاد أرابيا". **والثاني** إنّ جبل سينا الذي بالشام يستطرد ويتّصل ببلاد البوادي بقوله: "إنّ هاجرَ تشبّه بطور سينا

الذي في بلاد أرابيا"... فشهد فولس بأنّ الربّ الذي قالت التوراة إنّه جاء من سينا هو النبيّ (صلعم)، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا... **والثالث** إن بيت المقدس هو نظير مكّة. **والرابع** إنّ هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية سماويّة لا شكّ فيها. فقد سمّاها باسم واحد، ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني...» (ص ١٨٧-١٨٨).

***

أبو الحسن محمّد بن يوسف **العامري**(١٠) يعالج موضوع «ألبشارة بالرسول في التوراة والإنجيل» في كتابه، فيقول:

«إنّ بشارة الكتب السالفة بالنبيّ الأمّي تكون برهاناً من براهينه.. إنّا وجدنا في السفر الخامس من التوراة، في الفصل الحادي عشر منه، قولَ اللّه تعالى لموسى: "إنّي أقيم لكم نبيّاً من أنفسكم، ومن إخوتكم. وأيّما رجل لم يسمع لما يؤدّيه ذلك النبيُّ انتقمتُ منه" (تث ١٨/١٨-١٩)

ثمّ في هذا الفصل بعينه: "إنّ الربّ إلهك مقيمٌ من بَنِيك ومن نفس إخوتهم نبيّاً مثلك. فاسمعوا له وأطيعوا" (تث ١٨/ ١٥).

ثمّ في هذا السفر في الفصل العشرين منه: "إنّ الربّ جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبال فاران، وعن يمينه ربوات من القديسين، فمنحهم القوّة، ودعا بجميع قدّيسيه بالبركة" (تث ٢٣/ ٢).

ثمّ وجدنا في الإنجيل المنسوب إلى يوحنّا في الفصل الخامس

---

(١٠) **كتاب الإعلام بمناقب الإسلام.**

عـشـر منه: "إنّ فــارقليط روح الحقّ الذي يرسله أبـي باسـمي هو يعلّمكم كلَّ شيء "[١١].

فـهذه هي ألفـاظ البـشارة من هذين الكتـابين، وقـد نُقلت إلى اللّسـان العربي من اللّسـان السرياني، وليس يجـحدها أحـد من أهل المعـرفـة بالكتـابَين. ومن الواجب أن نوضح مـواقع الأدلّة منهـا على صحّة نبوّة محمّد، فنقول:

أمّا ألفاظ الـتوراة ففيهـا أربعة نعوت؛ متى جُـمع بينها وضح أنّها بشارة به دون غيره:

أوّلها : أنّ المُبَشَّرَ به من إخوة بني إسرائيل.

والثاني: أنّه مثل لموسى عليه السلام.

والثالث: أنّ مَن لم يؤمن به انْتُقِمَ منه.

والرابع: أنّه يُبْعث من جبل فاران.

فأمّا **النعت الأوّل** فلأنّ إخوة بني إسرائيل هم أولاد إسماعيل، ولم يبـعث منهم نبيّ سـواه. وفيـه تصـديق لما في السّفـر الأوّل في الفصل العاشـر منه أنّ اللّه تعالى قال لإبراهيم: "قـد أجبت دُعاكَ في إسماعيل أيضاً، وباركت عليه، وكبّرته، وعظّمته جدّاً جدّاً، وسيلد اثني عشر عظيما، وأجعله لأمّة عظيمة "[١٢] .

---

(١١) يوحنّا، ١٤/٢٦؛ ١٥/٢٦؛ وانظر أيضاً: ١٤/١٦. وأخـبر القرآن ببـشارة المسيح بمحمّد قا ئلاً: "وإذ قال عـيسى ابن مريم: يا بني إسرائيل إنّي رسول اللّه إليكم، مصـدِّقاً لما بين يديّ من التوراة، ومـبشّراً برسـول يأتي من بعدي إسمه أحمد" (الصف ٦).

(١٢) سفر التكوين ١٧/ ٢٠؛ وانظر أيضاً تكوين ٢/١٢-١٣.

ولولا مكان هذه النبوّة وهذا الملك لبطلت البشارة.

وأمّا **النعت الثاني** فلأنّ حالَ موسى في وُلـد إسحاق كـانت مضـاهيةً لحـال محـمّد في وُلد إسـماعـيل. فإنّ ولـدَ إسحاق كـانوا متبدِّدين في بلاد مـصر: عبيدَ ملوكها، وسُـخْرَةَ أربابها، لا يوجد لهم شمل منتظم، ولا شعب ملتئم، فأورث اللّهُ "الذين كـانوا يُسْتَضْعَفونَ مشـارقَ الأرضِ ومَغَـاربَها" [١٣]. وهكذا حـال العرب قبـل الإسلام، فآواهم اللّه بمحمّـد، وملّكهم شرقَ الأرض وغربَها. ثم لفَـرْط التشابه الموجود بين الدِّينَين قالت قريش عـند نظرهم إلى شرائع الإسلام: إنّها يهوديّة متجدِّدة.

وأمّا **النعت الثالث** فلأنّا لم نرَ أمّـةً بعد موسـى كذَّبت بنبيِّـها فنزل بها من جوائح العقوبات مثل مـا نزل بمُكَذِّبة محمّد؛ وخصوصاً مَن كان منهم مـصدِّقاً لموسى: مثـل بني قريظة، وأهل فدك، وخيـبر، وبني النضيـر. وهذا النوع من الانتقـام يصدِّق الصفـة الموجودة في الكتب المتقـدّمة، وهي ما قـيل فيهـا: إنّه يكون بأيديهم أسيـاف حِدَاد ذوات شَفْرَتَين، ينتقم اللّه بها من الأمم الكافرة.

وأمّا **النعت الرابع** فلأنّ فاران، وإنْ كان إسمـاً للجبل الممتد بين الشـام وبادية العـرب، فإنّ الحـجـاز هي المخـصوصـة بهـذا الإسم. والدليل عليه مـا وُجدَ في التـوراة في قصّة إسـماعيل أنّه كـان يتعلّم الرّمي في برّيّة فـاران[١٤]. وقـد علم أنّ منشـأه لم يكن قط إلاّ أرض الحجاز.

---

(١٣) سورة الأعراف ٧/ ١٣٧.

(١٤) أنظر سفر التكوين ٢١/ ٢٠-٢١.

فقد ظهر أنّ أسباب النبوّة قد طلعت لموسى من جبل طور سينين، ثم لعيسى من بلد ساعير وما دونها من أرض الشام، ثمّ لمحمّد من فاران.

وبمجموع هذه النعوت الأربعة قد اتّضح صدق ما وجد في التوراة من البشارة.

وفي الإنجيل نعتان يُستدلّ بهما على اتّجاه البشارة إلى محمّد:

أحدهما: قوله: "روح القدس الذي يرسله أبي باسمي".

والآخر: قوله: "يعلّمكم كلَّ شيء".

أمّا **الأوّل** منهما فلأنّ الأرواح التي هي منسوبة –لفضل شرفها– إلى اللّه تعالى صنفان:

أحدهما: ألنُّطقيّة التي بها يُتوصّل إلى العقل. ومتى تهذبت هذه الروح كانت طهارتها سبباً للعصمة من الشرور؛ كما قال –تعالى جَدُّه– في صفة الأبرار: "أولئك كتبَ في قلوبهم الإيمانَ وأيّدَهم بروحٍ منه"[١٥].

والآخر: القُدُسيّة التي خصّ بها الأنبياء فتوصّلوا بمكانها إلى إقامة...[١٦]، وإليه يتّجه قوله تعالى: "رفيعُ الدَّرَجاتِ ذو العرْشِ، يُلْقي الرّوحَ مِن أمرِه على مَن يشاء من عبادِه"[١٧].

---

(١٥) سورة المجادلة، ٢٢.

(١٦) كلمة غير واضحة في الأصل.

(١٧) سورة غافر، ١٥.

وكان عيسى من الخصوصيّة بهذه الرّوح، بحيث سُمِّي باسمها على الإطلاق؛ فقيل: روح اللّه وكلمته[١٨]. وقد قال تعالى: "وآتَينا عيسَى ابنَ مريمَ البيِّناتِ وأيَّدْناهُ بروح القُدُس"[١٩].

ثم لم ينل أحدٌ من مزيّة التأييد بها غير محمّد، وبه نطق القرآن: "وكذلك أوحَينا إليكَ روحاً من أمْرِنا؛ ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ؛ ولكن جعلناهُ نوراً نَهدي به مَن نشاء من عبادِنا" (٤٢/٥٢)؛ وبقوله: "قل نزَّله روحُ القُدُسِ من ربِّكَ بالحقِّ" (١٦/١٠٢). وبه شهد لنفسه بقوله: "إنّ روحَ القدسِ نفثَ في روعي أنّ نفْساً لن تموتَ حتّى تستَوفي رزْقَها. فاتَّقوا اللّهَ وأَجْمِلوا في الطَّلَب"[٢٠].

وإذ تحقّق هذا فقد ظهر أنّ قولَ المسيح: "إنّه مبعوث باسمي"، معناه أنّه يبعث والذي سُمِّيتُ به، وهو الروح القدس، أي، ومعه الروح القدس. فيكون هذا القول نظيراً لقولنا: بُعث بالهدى ودين الحقّ/ أي، ومعه الهدى ودين الحقّ.

وأمّا **الثاني** فلأنّ محمّداً ظهر في وقتٍ كان الكتابيّون مضطرّين إلى مَن يَقِفُهم على الحقّ وتوحيد اللّه وصفاته بالحجج والبراهين، وفتح الأحكام الجامعة لهم مصالح الدّارين، وتعريفهم الآدابَ الحسنة، والسياسة الفاضلة، ويؤكّد ذلك بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

---

(١٨) من قوله: "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" سورة النساء ٤/ ١٧١.

(١٩) سورة البقرة ٢/ ٨٧ و٢٥٣.

(٢٠) هو، بحسب السيوطي، حديث ضعيف. أنظر **الجامع الصغير** ١/ ٩٠.

فـهـذه هي الألفـاظ الدالّة على مـواقع البـشـارة من التـوراة والإنجيل بمحمّـد عليه السلام. ولولا أنّ استقـراء ما في الكتب أجمع من بشـاراته. أعني كتب أشـعيا وحـزقيـال وأرميا ودانيـال والزبور وغيرها؛ أمر يطول لأوجبت إيراد الشيء الكبير منها. وفي هذا القدر كـفاية لمن كـان الحقُّ يُعـينه، ولم يكن الإلْفُ والتـعـصب آفتـه» (ص ٢٠١-٢٠٨).

***

وجاء عند **أبي عبيدة الخزرجي** ما رأينا قسمـاً كبيراً منه عند الطبري. وقد آثرنا إثبات مـا نقله الخزرجي عن التوراة والإنجيل من التبشير بمحمّد، لإظهار أسلوبه ومنهجه[٢١]. قال :

١. «فمن ذلك في المصحف الخـامس من التوراة الذي بأيديكم الى اليـوم، قال الله لموسى بن عـمـران: "إنّي أُقيم لبني إسـرائيل من إخـوتهم نبيّـاً مثلـك. أجعل كـلامي على فيـه. فـمَن عصـاهُ انتقـمتُ منه "[٢٢].

«فـلا مـحـالـة، أنّ الذي بشّـرتْ به التـوراة لا يـكون من بني إسرائيل، لكن من إخوة بني إسرائـيل. ولا محالة أنّهم العرب والروم. فـأمّـا الروم فلـم يكن منهم نبيّ سـوى أيّوب. وكـان قـبل مـوسى بزمان[٢٣]. فلا يجوز أن يكون هو الذي بشّـرت به التوراة. فلم يبقَ إلاّ

---

(٢١) **مقامع الصلبان، أو "بين الإسلام والمسيحيّة"**.

(٢٢) أنظر: تثنية ١٨/١٨-١٩.

(٢٣) لم يكن أيّوب من الروم، بل من العرب، من أرض "عوص" شرقي فلسطين. غير أنّ الطبري ذكر، في رواية عن ابن منبه، أنّه كان من الروم. وهو خطأ.

العرب. فهو إذاً محمّد، صلى الله عليه وسلّم» (ص ٢٦٠-٢٦١).

٢. وفي التوراة أيضاً: "جاء الربّ من سيناء، وأشرقَ لهم من سَعِيْرَ، وتلألأ من جبَلِ فارانَ، ومعه جماعةٌ من الصّالحِين"(٢٤).

«فمجيئه من جبل سيناء أنّ اللّه أنزل فيه التوراة، وكلّم عليه موسى. وإشراقه من جبال سعير، أنّ دين عيسى إنّما أشرق منها، وهي جبال الروم من أدوم. واستعلاؤه من جبال فاران، أنّ اللّه بعث محمّداً منها، وأوحى إليه فيها. ولا اختلاف أنّ فاران هي مكّة. إذ قال: "إنّ اللّه أسكن هاجرَ وابنَها إسماعيل فارانَ"(٢٥).

٣. وفي التوراة أنّ اللّه قال لإسماعيل: "أجعله أمّة عظيمة"(٢٦). يريد أمّةَ محمّد، صلى الله عليه وسلم.

٤. وقال في التوراة أيضاً لهاجَر أمِّ إسماعيل حين دعته: "قد سمعتُ خشوعَك في إسماعيل، وستكون يديه فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع" (تكوين ١٦/٢١).

٥. وقال أيضاً فيها: "أقبلَ السيّدُ من سيناء. وتراءى لنا، وأقبلَ من جبال فاران، ومعه آلاف من الصالحين، ومعه كتاب ناري، وهو ختم الأجناس، وهو وجميع الصالحين في قبضته. ومَن تدانَى مِن قدمَيه يصيب من علمه"(٢٧). فاعتبر قولَه، واطرح الهوى تصب إنْ شاء اللّه» (ص ٢٦٠-٢٦٥).

---

(٢٤) قارن تثنية الاشتراع ٣٣/٢.

(٢٥) أنظر: تكوين ٢١/٢١.

(٢٦) تكوين ١٧/٢٠؛ أنظر أيضاً تكوين ٢١/١٨.

(٢٧) قارن تثنية ٣٣/٢-٣.

٦. وفي مزمور ١٤٩: "سبّحوا الربّ تسبيحاً حديثاً. سبّحوا الذي هيكله الصالحون. ليفرح إسرائيل بخالقه، وبنات صهيون، من أجل أنّ اللّه اصطفى لهم أمّة. وأعطاهم النّصر. وأيّد الصالحين منهم بالكرامة. يسبّحون اللّه على مضاجعهم. ويكبّرونه بأصوات مرتفعة. بأيديهم سيوف ذوات شفرتَين لينتقم اللّه بهم من الأمم الذين لا يعبدونه. يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال".

«أخبرني! مَن هذه الأمّة التي سيوفها ذوات شفرتَين، ينتقم اللّه بهم من الأمم الذين لا يعبدونه؟. ومَن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟ ومَن الذين يكبّرون اللّه بأصوات مرتفعة في الآذان؟»

٧. وفي المزمور ٧٢/٨-١٥ في صفة محمّد: "ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار. وأنّه يخرّ اهل الجزائر ين يديه على ركبهم، ويجلس أعداؤه بالتراب. ويأتيه ملوكٌ بالقرابين. وتسجد له. وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، لأنّه يخلّ المظلوم من الظالم، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، ويدوم أمره إلى آخر الزمان".

٨. وفي المزمور ١٣٢: "إنّ اللّه أظهر من صهيون إكليلاً محموداً"(٢٨). فالإكليل ضُرِبَ مثلٌ للرياسة؛ ومحمود هو محمّد، عليه السلام» (ص ٢٦٦).

٩. وفي المزمور ٤٥/٣-٥: "تقلّد أيّها الجبّار السيف. فإنّ ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرّون تحتك" (ص ٢٦٦).

---

(٢٨) أنظر مزمور ١٣٢/١٨ ومزمور ١٣٣/١-٣.

١٠. وكذلك قال المسيح في الإنجيل الذي بأيديكم ما قاله عن الفارقليط[٢٩] (ص٢٦٧-٢٦٨).

١١. وفي الإنجيل الذي بأيديكم، قال عيسى: "إنّه لا نبيّ بعد يحيى. ومن بعده يُبشَّر بملك اللّه، ويؤخذ عنوة "[٣٠]*

«فانظر قولَه: "ومن بعده يبشّر بملك اللّه، ويؤخذ عنوة"، فهو إفصاح عن محمّد. وملك اللّه هو ملك رسوله محمّد في الأرض. فهو الذي قهر الأجناس بالسيف، وقتل مَن قتل من اليهود وسائر الكفّار انتقاماً".

١٢. وفي متّى[٣١]، إنّ قول المسيح: "إنّ إيليا مزمع أن يأتي". إيليا هو اللّه تعالى مجازاً؛ لا الياس النبي الذي كان سابقاً في الزمان على عيسى. ومجيء اللّه هو مجيء رسوله محمّد بكتابه وأمره» (ص ٢٧١).

١٣. وفي إرميا: "قَبلما صوّرتُك في البطن عرَفتُك، وقبلما خرجتَ من الرّحم قدّستُك. جعلتُك نبيّاً للشعوب" [٣٢]* «فذلك القول الذي قيل لأرميا، فيما أوحى اللّه إليه، إنّما هو قول لما بعده. وأنّ المقصود به محمّد صلى الله عليه وسلم» (ص٢٧١-٢٧٢).

١٤. وفي الإنجيل عن المسيح: "أنّه ضرب مثلاً للدنيا، فهي كمثل رجل غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى

---

(٢٩) أنظر يوحنا ١٥/٢٦-٢٧؛ ١٦/٧-١٥؛ و١٥/٢٣-٢٧.

(٣٠) قارن متى ٣/٢؛ ٥/١٨؛ ٢١/٣٣-٤٦.

(٣١) متى ١١/٢-١٥.

(٣٢) إرميا ١/٥.

برجاً، وسلّمه إلى كرّامين، وسافر. ولمّا قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين "[٣٣].

١٥. «ثمّ ضرب المسيح مثلاً للأنبياء، ثم لنفسه في كلام كثير، ثمّ لمحمّد، صلى اللّه عليه وسلم، وجعله الموكّل آخراً بأمر الكرم؛ وأفصح عن أمّة محمّد (صلعم)، فقال: "إنّه سيزاح عنكم ملك اللّه، ويعطى الأمّة المطيعة العاملة".

١٦. «ثمّ ضرب مثلاً بصخرة، وقال: "من سقط على هذه الصخرة سينكسر، ومَن سقطت عليه يتهشّم" [٣٤]* «يريد بذلك محمّداً، صلى اللّه عليه وسلم، ومَن ناوأه وحاربه أظهره اللّه عليه» (ص ٢٧٣).

١٧. وفي آشعيا قال: "ستمتلئ البادية والمدائن من قصور آل قيدار، يسبّحون اللّه. ومن رؤوس الجبال ينادون هم الذين يجعلون للّه الكرامة، ويبثّون تسبيحه اللّه في البر والبحر" (٤٢/ ١١-١٣)،

١٨. وفي صحف حزقيال النبيّ يقول عن اللّه: "إنّي مؤيّد قيدار بالملائكة "[٣٥]* «وقيدار ولد إسماعيل. فأيّ بادية هذه البادية التي امتلأت من قصور آل قيدار؟ أليس هم الذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال ويجعلون للّه الكرامة بالصلاة والحج إلى بيت اللّه!» (ص ٢٧٤).

---

(٣٣) أنظر متى ٢١/ ٣٣-٣٤.

(٣٤) قارن متّى ٢١/ ٤٤.

(٣٥) يقول د.شامة: "لم أعثر على هذا النّص في الكتاب المقدّس"، ص ٢٧٤، حاشية (٢).

١٩. وقال آشعيا النبيّ عن اللّـه: "عبدي الذي سرّتْ به نفسي. أنزل عليه وحيي، فيظهر للأمم عدلي. ويوصي الأمم بالوصايا. لا ضحك. ولا يُسمع صوته في الأسواق. يفتح العيون العور. ويسمع الأذن الصمّ، ويحيي القلوب الغلف. وما أعطيه لا أعطيه أحداً غيره. أحمد يحمد اللّه حمداً حديثاً. يأتي من أقصى الأرض. تفرح البريّة وسكانها. يهللون للّه على كل شرف. ويكبّرونه على كلّ رابية. لا يضعف ولا يُغلب ولا يميل إلى الهوى، ولا يُسمع في الأسواق صوته. ولا يذلّ الصالحين الذين هم كالعصفة الضعيفة. بل يقوي الصدّيقين وهو ركن المتواضعين. وهو نور اللّه الذي لا يُطفأ، ولا يخضع حتى تثبت في الأرض حجّتي، وينقطع به العذر، وإلى توراته ينقاد الخلق" (أش ٤٢/ ١-٧)❋«أعتبر هذا التصريح لمحمّد وصفاته. ففيه الكفاية. فكم وكم من وجوه يمتنع عليكم أن تدعوا فيها لغير محمّد. فمن ذلك أنّه قال: "يوصي الأمم"» (ص٢٧٤-٥).

٢٠. وفي إنجيلكم أنّ المسيح قال: "إنّي لم أبعث إلى الأجناس. وإنّما بعثتُ إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل"[٣٦]❋ «فلا يجوز أن يكون إلى الأمم جميعاً غير محمّد» (ص ٢٧٥).

٢١. وقال المسيح للحواريّين: "لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس. ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل" (قارن متى ١٠/ ٥-٦).

٢٢. وقال آشعيا في كلامه المتقدِّم: "لا يَضعف ولا يُغلب". وأنتَ تقول: إنّ المسيح غُلب على نفسه، وحَمل خشبته، وسُمِّرت يداه

---

(٣٦) قارن متّى ١٥/ ٢١-٢٦.

فيـها، وقُتل عليهـا» (ص ٢٧٥). فهل في الضعف أكـثر من هذا؟. ولا جرم أنّ اللّـه تعالى فتح لمحـمّد فـتحـاً مبيـناً، ونصره نصـراً عزيزاً، وأظهـره على كلّ عـدوّ ومعـاند للّه تعـالى، حـتّى أعلى دينه وأفـشى توحيده» (ص ٢٧٦).

٢٣. وفي صـحف حبقـوق النبيّ التي بأيديكم: "جـاء اللّه من تيـمان، وتـقدّس من جـبـال فاران، وامـتـلأت الأرض من تحـميـده وتقديسه، وملك الأرض بهيبته" (حبقوق ٣/٣-٤).

٢٤. وقـال أيضاً: "عُـرِّيَتْ قوسُك تعـريةً. سُبـاعيّـاتُ سِهـامٍ كلمتُكَ "(٣٧) ❋ «اعتبر! فكل ذلك إفصاح لحبقوق باسم محمّد وصفته».

٢٥. وفي آشعيـا يقول: "قيل لي: قم ناظراً فانـظر! فما ترى؟ قلت: أرى راكبَين مُقبلَين، أحدهما عـلى حمار والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامُها النخرة"(٣٨).

«فصـاحب الجمل هو مـحمّد، وصـاحب الحمار -بـاتفاق منّا ومنكم- هو عيـسى. أوَ ليس محمّد بركـوب الجمل أشهر من عـيسى بركوب الحمـار؟وإنمّا سقطت عبادة الأصنام ببـابل، وهدمت أوثانها بالنّبي مـحمّـد لا بعيـسى ولا بغيـره. فمـا زالت ملوك بابل يعـبدون الأوثان من لدن إبراهيم إلى زمان محمّد وأمّته» (ص٢٧٦-٧٧).

٢٦. وفي آشـعـيـا أيضـاً: "لتـفـرح أرض البـادية العطشى. ولتبـتهج البـراري والفلوات"(٣٩)، لأنّهـا ستـعطي بأحمـد محـاسن

---

(٣٧) قارن: حبقوق ٣/٩.
(٣٨) أننظر آشعيا ٢١/٦-٩.
(٣٩) آشعيا ٣٥/١.

البستان، وستكون مثل الرياض حسنا وبهاء.* «إعتبر! هذا الإفصاح باسمه وصفة بلده بما لا ينكره إلاّ وقّاح مكابر بالناطل» (ص ٢٧٧).

٢٧. وفي صحف حزقيال يقول عن اللّه بعدما ذكر معاصي بني إسرائيل، وشبّههم بكرمة غرسها وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء، وقال: "لم تنبت تلك الكرمة، فاقتلعت وطرحت على الأرض، وأحرقت السماء ثمارها. فعند ذلك غرست في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانها الفاصلة ناراً أكلتْ تلك، حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب"[٤٠].

«إعتبر! هذا التصريح به، وبصفة بلده كلّها، في قوله: ألأرض المهملة، البدو، والعطشى، وتلك صفات مكّة، لأنّها صحراء، لأنها كانت مهملة من النبوّة من إسماعيل. وهي مركز البدو» (ص ٢٧٨).

٢٨. وقال دانيال النبيّ، وقد سأله الملك بختنصّر عن رؤية رآها، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها، ففسّرها دانيال، وقال: "أمّا الصنم فأمم مختلفة في أوّل الزمان، وفي وسطه وفي آخره. فالرأس الذي من ذهب هو أنتَ أيها الملك. والفضّة ابنك من بعدك. والنحاس الرّوم. والحديد الفرس. والفخّار أمّتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام. والحجر هو دين نبيٍّ وملك أبدي، يكون في آخر الزمان يغلب الأمم كلّها. ثمّ يعظم حتى يملأ الأرض كلّها، كما ملأها ذلك الحجر" (دا ٢/٣-٤٥).

«فأخبرني! هل كان نبيّ غير محمّد جمع الأجناس والأمم كلّها على اختلافها واختلاف لغاتها ودياناتها وممالكها وبلادها؟ فجعلها

---

(٤٠) حزقيال ١٩/١٠/١٤.

جنساً واحداً، ولغةً واحدة، ومملكة واحدة، وديناً واحداً!!» (ص ٢٧٩-٢٨٠).

***

كتب **أبو علي عمر السّكوني**(٤١) عن عيسى الذي تنبّأ عن مجيء محمّد فقال في المناظرة ١٥٤:

«ذُكر أن نصرانياً ورد قرطبة، وطلب المناظرة. فاتفق أن اجتمع به إبن الطلاع. فقال له النصراني: ما تقول في عيسى؟ فقال له ابن الطلاع: لعلّك تريد المبشِّر بمحمّد؟ فانقطع النصراني، لأنّه رأى إنْ أنكر له هذا الوصف كذّب إنجيلَه، وكفر بعيسى على الحقيقة لأنّه إنّما أقرّ بعيسى آخر؛ وإنْ أقرّ لزمه الدخول في الإسلام».

***

ويفرد **شهاب الدين القرافي** الباب الرابع «في إبداء ما في كتبهم ممّا يدلّ على صحّة ديننا وإثبات نبوّة نبيِّنا عليه السلام» (٤٢). يقول: «قد نصّت الأنبياء، من إبراهيم إلى المسيح، على نبوّة محمّد ورسالته، وأنّه أفضل النّبيّين والمرسَلين، ونصّوا على اسمه، ونعته، وحليته، وأرضه، وبلده، وجميل سيرته، وصلاح أمّته، وسعادة ملّته، وأنّه من ولد إسماعيل، وأنّ دعوته تدوم إلى قيام الساعة (ص ٤).

«فمن لم يعتقد وقوعَ هذا كلّه لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلّهم أجمعين. فلا جرم نحن المؤمنون حقّاً بجميعهم، الشاكرون

---

(٤١) **عيون المناظرات.**

(٤٢) **الأجوبة الفاخرة**، الباب الرابع، ص ١٦٣-١٨٣.

لصنيعهم، وغيرنا هم الكافرون بجملتهم، والمكذِّبون لإخباراتهم.

«وأنا أذكر من البشائر الدالّة على ذلك خمسين بشارة» (ص١٦٣).

ثمّ يعدّد البشارات واحدة فواحدة، من أسفار التوراة والمزامير والأنبياء والأناجيل. وهي، تقريباً نفسها التي رأيناها عند علي بن ربّن الطبري وأبي عبيدة الخزرجي وسواهما.

***

يعيّن **شيخ الإسلام ابن تيميّة** فصلين كاملين من الجزء الثاني[٤٣] لإظهار التحريف والتبديل في الإنجيل، هما: فصل فيما حدث في الإنجيل من تبديل (٢/ ٢٠-٢٥)، وفصل في كيفية التغيير الذي حدث في الإنجيل (٢/ ٢٦-٢٧)...

فيهما يؤكّد بأنّ «التبديل أمر لا ريب فيه... فإنّا نعلم قطعًا أنّ ذِكرَ محمّد كان موجودًا في زمنه في التوراة والإنجيل، استنادًا إلى قوله تعالى: (الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوارة والإنجيل)[٤٤]...

* عن التبشير بمحمّد، قال ابن تيميّة:

«قال أشعيا: "إنّ غلاماً وُلد لنا. وإنّنا أُعطيناه الذي رئاسته على عاتقيه وبين منكبيه. ويدعى اسمه ملكاً عظيم المشية، مشيراً عجيباً، إلهاً قوياً، مسلّطاً، رئيس السلامة في كلّ الدهور. وسلطانه كامل ليس له فناء".

---

(٤٣) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.**

(٤٤) سورة الأعراف ٧/ ١٥٧.

«فيـقال: ليس في هذه البشـارة دلالة بيّنة أنّ المراد به المسيح. ولو كان المراد به المسـيح لم يدلّ على مطلوبهم، بل قد يقـال المراد بها محمّد ﷺ. فإنّه "الذي رئاسته على عاتقيه وبين منكبيه"، من جهتَين:

«من جهة أنّ خاتم النبوّة على بعض كتفيه.. ومن جهة أنّه بُعث بالسـيف الذي يتـقلّد به على عـاتقـه ويرفعـه. ويدلّ على ذلك قـوله: "مسلّط رئيـس قويٌّ السلامـة". وهذه صفة مـحمّد المـؤيد المنصور المسلّط رئيس السلامـة. فإنّ دينه الإسلام ومَن اتّبعـه سلِم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ومن استيلاء عدوّه عليه. والمسيح، عليه السلام، لم يُسلّط على أعدائه، كما سُلّط محـمّد، بل كان أعداؤه بحيث يقدرون على صلبه...» (٢/ ٢١٩-٢٢٠).

***

وعن ثبوت نبوّة مـحمّد، يعطي **أبو محمّـد عبدالله التـرجمان**، في كتابه[٤٥]، مراجع عديدة من التـوراة والإنجيل. ننقلها مع ما فـيها من ترداد. وذلك ليـتأكّـد لنا مرّة أخـرى همّ المسلمين في الكشف عن محمّد ونبوّته في التوراة والإنجيل. يقول :

«إعلموا رحـمكم اللّه أنّ نبوّة نبـيّنا محمّـد (ص) ثابتة في كلّ كتاب أنزله اللّه تعالى. وجميع الأنبياء قد بشّروا به.

١) «فمن ذلك ما جـاء في (تكوين ١٦/ ١٠-١٦). وذلك لما قال الملاك لهـاجر: "إنّ اللّه سـيكثّـر زرعك وذرّيتك. وعن قريب تحـملين وتلدين ولداً اسمه إسماعيل من أجـل أنّ اللّه تعالى قد سمع خشوعك.

---

(٤٥) **تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب.**

ويكون ولدك عين الناس. وتكون يده فوق الجميع. ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع. ويكون أمره في معظم الدنيا".

«ومعلوم أنّ إسماعيل وأولاد صلبه لم يكونوا منصرفين في معظم الدنيا وإنّما الإشارة بذلك لعظيم ذرّيته وهو نبيّنا محمّد (ص)، لأنّ دينه دين الإسلام علا على أهل الأرض، وأكثر معمورها، ونصرت أمّته في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا أمر يعلمه علماء اليهود وأحبارهم، ولكنّهم يكتمونه عن عوامّهم، لما أوجبه اللّه عليهم من اللّعنة والخذلان. نعوذ باللّه من حالهم» (ص٢٥٨–٢٦٠).

٢) «ومن ذلك ما في (تثنية الاشتراع ١٨/١٨): "إنّ اللّه تعالى قال لموسى عليه السلام: قل لبني إسرائيل إنّي مقيم لهم آخر الزمان نبيّاً مثلك من بني إخوتهم. ومن لم يسمع كلمتي التي يؤدّيها عني أنتقم منه".

«وهذا النّص يدلّ على أنّ هذا النبي الذي يقيمه لبني إسرائيل في آخر الزمان ليس من نسلهم، ولكنّه من إخوتهم... أي نبيّنا محمّد (ص)، لأنّه من ولد إسماعيل... ولو كانت هذه البشارة لنبي من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لذكر هذه الأخوة معنى.. والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاصّ به، تتبعه الأمم بعده. وهذه صفة نبيّنا محمّد (ص)، لأنّه من إخوتهم العرب بني إسماعيل قد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع...» (ص٢٦٠– ٢٦٢).

٣) «ومن ذلك ما في (تثنية الإشتراع ٣٣/١–٣): "إنّ الربّ تعالى جاء من طور سيناء وطلع علينا من ساعير وظهر من جبال فاران. ومعه وعن يمينه رايات القديسين".

«وجبال فاران هي مكّة وأرض الحجاز. فإنّ فاران إسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض، فكان الحجاز وتخومه لفاران. فسمّي القطر كله باسمه...» (٢٦٥-٢٦٦).

٤) «ومن ذلك ما اتّفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل: "أنّ عيسى عليه السلام قال للحواريّين حين رُفع إلى السماء: إنّي أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. وأبشّركم بنبيّ يأتي من بعدي إسمه بارقليط». وهذا الإسم هو باللسان اليوناني. وتفسيره بالعربيّة: أحمد، كما قال اللّه تعالى في كتابه العزيز: "ومبشّراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد".

«وهذا الإسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي...

«والبارقليط هو نبيّنا محمّد (ص)، وهو الذي علّم الناس كلَّ شيء بما أوحى اللّه إليه من القرآن العظيم... ولم يظهر بعد المسيح نبيٌّ بهذه الصفة غير نبيّنا محمّد (ص). فهو المراد بهذه البشارة الجليلة، وإنْ رغمتْ بذلكَ أنوفُ خنازيرِ النّصارى لعنهم اللّه» (ص٢٦٦- ٢٦٩).

٥) «ومن ذلك ما قال يوحنا في (١٥/٢٦-٢٧) من إنجيله: إنّ المسيح قال: "البارقليط الذي يرسله أبي من بعدي لا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكن يناجيكم بالحقّ كلّه، ويخبركم بالحوادث والغيوب".

«وهذه صفة نبيّنا محمّد (ص) بالأخبار المتواترة، بحيث لا ينكرها إلاّ مخذول مطرود عن أبواب رحمة اللّه. فأمّا كونه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلاّ بوحيٍ يوحى(٥٣/٤)، فهذا شهد اللّه له به،

ولا خلاف فيه بين أمّته. وأمّا أخباره بالحوادث والغيوب فبابٌ واسع جمعت فيه كتب كثيرة. وهو بحر لا يحاط بساحله» (ص ٢٦٩).

٦) «ومن ذلك ما قال داود عليه السلام في الزبور الثاني والتسعين(٤٦): "إنّه يملك من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار الى مقطع التراب والأرض. وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا. وتسجد له الملوك. وتدين له بالطاعة والانقياد. ويصلّى عليه في كلّ وقت. ويُبارك عليه في كلّ يوم. وتنور أنواره من المدينة، مثل عشب الأرض. ويدوم ذكره إلى أبد الأبد. واسمه موجود قبل الشمس".

«وهذه كلّها صفات نبيّنا ومولانا محمّد (ص). والوجود يشهد له. وكلّ من دفع هذه الصفات عنه فلا يجد في العالم أحداً يستحقّها، وإنِ ادّعاها مدّعٍ لغيره من الأنبياء كان مجاهراً بالبهتان» (ص٢٧٥-٢٧٦).

٧) «ومن ذلك ما قال النّبي يعقوب في الفصل الثالث من كتابه: "في آخر الزمان يجيء الرّبّ من القبلة القدس من جبال فاران»(٤٧).

«ومجيء الربّ، تبارك وتعالى، هو مجيء وحيه. والقدس هو نبيّنا محمّد (ص)، ظهر من جبال فاران وهي مكّة وأرض الحجاز» (ص ٢٧٨).

٨) «ومن ذلك ما قال النّبي ميشا في (٤/ ١-٢): "في آخر الزمان تقوم أمّة مرحومة، وتختار الجبل المبارك ليعبدوا اللّه فيه،

---

(٤٦) الأصح كما يقول المحقّق: المزمور ٧٢/ ٨-١٥، حاشية ٢ ص ٢٧٦.

(٤٧) راجع تثنية الاشتراع ٣٣/ ١-٢، حاشية ١ للمحقّق، ص ٢٧٨.

ويجتمعون من كلّ الأقاليم فيه ليعبدوا اللّه الواحد، ولا يشركوا به شيئاً ".

«وهذا الجبل هو جبل عرفات بلا شكّ، والأمّة المرحومة هي أمّة محمّد (ص)، والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجّاج بعرفات، وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم» (ص ٢٧٨-٢٧٩).

٩) «ومن ذلك ما قال النّبي أشعيا في (٤٢/ ١-٤): "إنّ الرّبّ، سبحانه وتعالى، يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه. يبعث له الروح الأمين، يعلّمه دينه. وهو يعلّم الناس ما علّمه الروح الأمين. ويحكم بين الناس بالحق. ويمشي بينهم بالعدل. وما يقول للناس هو نور. يخرجهم من الظلمات التي كانوا فيها. وعليها رقود. وقد عرفتكم ما عرفني الربّ سبحانه قبل أن يكون ".

«وهذه -رحمكم اللّه- هي صفات نبيّنا محمّد (ص) واضحة مبيّنة، لأنّه هو الذي بعثه اللّه في آخر الزمان بعد أن اصطفاه لنفسه وجعله حبيبه وخليله من خلقه. وبعث إليه الرّوح الأمين جبريل عليه السلام، يعلّمه دينه، وهو وحي القرآن والسنّة وشرائع دين الإسلام. وقد بلّغ صلّى اللّه عليه وسلّم كلّ ما أمره اللّه بتبليغه... فإنّ كلّ ما أمر به ودعا إليه أو نهى عنه، أجمعَ أهلُ العقول على عدله وصوابه في المأمورات والمنهيات. وما أنكره وكفر به من كفر إلاّ عناداً ومكابرة للعيان وتخبّطاً في حبائل الشيطان، فهو محتوم الخذلان. والنّور الذي أخرج به الناس من ظلماتهم هو القرآن العظيم الذي أنزله اللّه عليه.

«وكلام هذا النّبي (آشعيا) من أبين الأدلّة وأوضح البراهين على ثبوت نبوّة محمّد (ص). ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء

المتقدّمين من ذلك لطال الكتاب» (ص٢٧٩- ٢٨٣).

***

و يقول **رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي** بـ ١٨ بشارة من التوراة والإنجيل[٤٨]. وقد تكون أكثر التفاسير توسّعاً، وتعمّقاً، لطابع الردّ على القسّ فندر صاحب كتاب "ميزان الحق". وهي هذه:

ألبشارة الأولى: تث ١٨/١٧-٢٢ «وهذه البشارة ليست بشارة يوشع، كما يزعم الآن أحبار اليهود؛ ولا بشارة عيسى، كما زعم علماء بروتستنت. بل هي بشارة محمّد لعشرة أوجه:

ألوجه الأول: إن اليهود المعاصرين لعيسى كانوا ينتظرون نبيّا آخر مُبَشَّراً به غير المسيح.

ألوجه الثاني: «إنّه وقع في هذه البشارة لفظ "**مثلك**"، ويوشع وعيسى لا يصحّ أن يكونا **مثل** موسى، لقول سفر تثنية الاشتراع: "لم يقم بعد ذلك في بني إسرائيل **مثل** موسى" (تث ٣٤/٥)».

ألوجه الثالث: «إنّه وقع في هذه البشارة لفظ "**من بين إخوته**"... ولم يقل "منهم"... ويوشع وعيسى كانا من بني إسرائيل، فلا تَصْدُقُ هذه البشارة عليهما».

ألوجه الرابع: «إنّه وقع في هذه البشارة لفظ "**سوف أقيم**". ويوشع كان حاضراً عند موسى، داخلاً في بني إسرائيل نبيّاً في هذا الوقت. فكيف يصدق عليه هذا اللّفظ؟».

---

(٤٨) **إظهار الحقّ**، ٢/٢٠٧-٢٤٤.

ألوجه الخامس: «إنّه وقع في هذه البشارة لفظ "**أجعل كلامي في فمه**". وهو إشارة إلى أنّ ذلك النبيّ ينزل عليه الكتاب، وإلى أنه يكون أمّيّاً حافظاً للكلام. وهذا لا يَصْدُقُ على يوشع لانتفاء كلام الأمين فيه».

ألوجه السادس: «إنّه وقع في هذه البشارة "**ومن لم يطع كلامه الذي يتكلّم به، فأنا أكون المنتقم من ذلك**"... هذا يعني أنّ هذا النبي يكون مأموراً من جانب اللّه بالانتقام من منكره. فلا يَصْدُقُ على عيسى، لأنّ شريعته خالية من أحكام الحدود والقصاص والتعزير والجهاد».

ألوجه السابع: في سفر أعمال الرسل [٤٩] دلالة على أنّ هذا النبيّ غير المسيح. وأنّ المسيح لا بدّ أن تقبله السماء إلى ظهور هذا النبيّ... ومَن تأمّل من المسيحيّين يكفّ عن الادّعاء بأنّ هذه البشارة هي في حقّ عيسى.

هذه الوجوه السبعة تصدق في حقّ محمّد لأنّه يماثل موسى في أمور كثيرة: (١) كونه عبد اللّه ورسوله. (٢) كونه ذا والدين. (٣) كونه ذا نكاح وأولاد. (٤) كون شريعته مشتملة على السياسات المدنيّة. (٥) كونه مأموراً بالجهاد. (٦) اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته. (٧) وجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء في شريعته. (٨) اشتراط طهارة الثوب من البول والبراز. (٩) حرمة غير المذبوح وقرابين الأوثان. (١٠) كون شريعته مشتملة على العبادات البدنيّة والرياضات الجسمانيّة. (١١) أمره بحدّ الزنا. (١٢) تعيين

(٤٩) أعمال الرسل ٣/ ١٩-٢٣.

الحدود والتعزيرات والقصاص. (١٣) كونه قادراً على إجرائها. (١٤) تحريم الربا. (١٥) أمره بإنكار مَن يدعو إلى غير اللّه. (١٦) أمره بالتوحيد الخالص. (١٧) أمره الأمّة بأن يقولوا له عبد اللّه ورسوله، لا ابن اللّه أو اللّه. العياذ باللّه. (١٨) موته على الفراش. (١٩) كونه مدفوناً كموسى. (٢٠) عدم كونه ملعوناً لأجل أمّته».

ألوجه الثامن: «إنّه صرّح في هذه البشارة بأنّ النّبيّ الذي يُنسب إلى اللّه ما لم يأمره يُقتل. فلو لم يكن محمّد نبيّاً حقّاً لكان يُقتل. وما قُتل، بل قال اللّه في حقّه: "واللّهُ يَعْصِمُكَ منَ النّاس"[٥٠]. وعيسى قُتل وصُلب، على زعم أهل الكتاب. فلو كانت هذه البشارة في حقّه لزم أن يكون نبيّاً كاذباً. والعياذ باللّه».

ألوجه التاسع: «إنّ اللّه بيّن علامة النبيّ الكاذب أن أخبره عن الغيب والمستقبل لا يخرج صادقا. ومحمّد أخبر عن الأمور المستقبلة، وظهر صدقه فيها. فيكون نبيّاً صادقاً لا كاذباً».

ألوجه العاشر: إنّ علماء اليهود سلّموا كونه مبشّراً به في التوراة. لكن بعضهم أسلم وبعضهم بقي في الكفر. كما أن قيافا عرف أن عيسى هو الموعود به ولم يؤمن».

ألبشارة الثانية: تث ٣٢/٢١: "... وبشعب جاهلٍ أغضبهم". «والمراد بشعب جاهل العرب، لأنّهم كانوا في غاية الجهل والضلال..» (٢/٢١١).

ألبشارة الثالثة: تث ٣٣/... "وقال جاء الرب من سينا، وأشرق من ساعير، استعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار في

---

(٥٠) سورة المائدة ٥/٦٧.

يمينه، ألسنة من نار". فمجيئه من **سيناء:** إعطاؤه التوراة لموسى. وإشرافه من **ساعير:** إعطاؤه الإنجيل لعيسى. واستعلانه من **جبل فاران:** إنزاله القرآن، لأنّ فاران جبلٌ من جبال مكّة» (٢/٢١٣).

البشارة الرابعة: تكوين ١٧/٢٠: "وعلى إسمعيل استجيب لك. هوذا أباركه، وأكبّره، وأكثّره جداً جداً. فسيلد اثني عشر رئيساً، وأجعله لشعب كبير". «وقوله: **أجعله لشعب كبير** يشير إلى محمّد لأنّه لم يكن في ولد اسمعيل مَن كان شعبٌ كبيرٌ غيره. يقول القرطبي في تعبير "**جدًا جدًا**"، معناه في العبرية "**بمادماد**"[٥١]، وقيمة حروفه، في حساب الجمّل، كقيمة حروف "محمد"؛ وكذلك تعبير "**لشعب كبير**"، معناه في العبرية "**لغوي غدول**"، وقيمة حروفه، أيضاً، كقيمة حروف "محمّد"، أي: ٩٢[٥٢].

البشارة الخامسة: تكوين ١٩/...: "لا يزول الحاكم من يهوذا ولا الراسم من بين رجليه حتى يجيء الذي له وإليه تجتمع الشعوب". «في هذه الآية دلالة على أن يجيء سيّدنا محمّد بعد تمام حكم موسى وعيسى؛ لأنّ المراد من "**الحاكم**" هو موسى، لأنّه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة إلى زمان موسى إلاّ موسى؛ والمراد من "**الراسم**" هو عيسى، لأنّه بعد موسى إلى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة إلاّ عيسى. وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلاّ

---

(٥١) أي: "بمادماد": ب: ٢؛ م: ٤٠؛ أ: ١؛ د: ٤؛ م: ٤٠؛ ا: ١؛ د: ٤ = ٩٢. وكذلك "محمّد": م: ٤٠؛ ح: ٨؛ م: ٤٠؛ د:٤٠=٩٢.

(٥٢) أي: "لغوي غدول": ل: ٣٠؛ غ: ٣، لأنّه عندهم في مقام الجيم إذ ليس في لغتهم جيم، ولا صاد؛ و: ٦؛ ي: ١٠؛ غ: ٣؛ د: ٤؛ و:٦؛ ل: ٣٠=٩٢ أيضاً. وكذلك محمّد=٩٢.

محمّـد...وأمّا قوله "**وإليه تجتـمع الشعوب**" فهي علامـة صريحة ودلالة واضحة على أنّ المراد منها هو سيّدنا مـحمّد، لأنّه ما الشعوب إلاّ إليه.

البشارة الـسادسة: مزمور ٤٥/١–١٨: يقـول الهندي تعليقاً على هذا المـزمـور: «إنّ داود يبـشّـر، في هذا المزمـور، بنـبيّ يكون ظهورره بعـد زمانه. ولم يظهـر إلى هذا الحين عند اليهـود نبيّ يكون موصـوفاً بالصـفات المذكـورة في هذا الزبور. من هذه الصـفات: **١.** كونه حـسناً؛ **٢.** كونه أفضـل البشر؛ **٣.** كون النعـمة منسكبـة على شفتيه؛ **٤.** كونه مباركاً إلى الدهر؛ **٥.** كونه متقلّدا بالسيف؛ **٦.** كونه قويّاً؛ **٧.** كونه ذا حقّ ودعة وصدق؛ **٨.** كونه هداية يمينه بالعجب؛ **٩.** كون نبله مسنونة؛ **١٠.** سقوط الشـعب تحته؛ **١١.** كونه محـبّاً للبرّ ومبغـضا للإثم؛ **١٢.** خدمة بنات الملوك إيّاه؛ **١٣.** إتيان الهـدايا إليه؛ **١٤.** إنقياد كلّ أغنـياء الشعب له؛ **١٥.** كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم؛ **١٦.** كون اسمه مذكورا جيلاً بعد جيل؛ **١٧.** مدح الشعوب إيّاه إلى دهر الداهرين. وهذه الأوصـاف كلّها توجد في مـحمّـد على أكمل وجه» ... ولا يصـدق هذا المزمور على عيـسى، لأنّ عيسى، كمـا يقول عنه آشعـيا (فـصل٥٣): "ليس له منظر.. آخر الرجـال، رجل أوجاع، مخـتبر بالأمـراض، مرذولاً. حسـبناه كأبرص، ومـضروباً من الله، ومخـضوعاً. إلخ". وأيضـاً: «وما كان له زوجـة ولا إبن. ولا يصدق دخول بنات الملوك في بيته، لا كون أبنائه بدل آبائه ورؤساء الأرض».

البشارة السابعة: مزمور ١٤٩/١–٩: «في هذا الزبور عبّر عن المبشَّر به بالمُلك، وعن مطيعه بالأبرار. وذكـر من أوصافهم إفتخارهم بالمجد، وترفيع الله في حلوقهم، وكون سيوف ذات فمّين في أياديهم،

وانتقامهم من الأمم، وتوبيخاتهم للشعوب، وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال من حديد. فأقول: المبشَّر به محمّد وأصحابه، وليس سليمان، لأنّه ما وسع مملكته على مملكة أبيه، ولأنّه صار مرتدّاً عابدَ الأصنام. وليس عيسى، لأنّه أُسِرَ ثمّ قُتل؛ وكذل أُسِر أكثرُ حوارييّه بالقيود والأغلال، ثمّ قُتلوا بأيدي الملوك والأشراف والكفّار» (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

البشارة الثامنة: آشعيا ٤٨/ ٩-١٧: «"ألتسبيحة الجديد" عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي في الشريعة المحمّديّة؛ وتعميمها على سكّان "أقاصي الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبراري" إشارة إلى عموم نبوّته صلّى اللّه عليه وسلّم. ولفظ "قيدار" أقوى إشارة إليه، لأنّ محمّداً في أولاد "**قيدار بن إسمعيل**". وقوله: "**من رؤوس الجبال يصيحون**" إشارة إلى العبادة التي تؤدَّى في أيّام الحجّ. وقوله: "**حمده يخبرون به في الجزائر**" إشارة إلى الآذان يخبر به ألوفٌ ألوفٌ في أقطار العالم. وقوله: "ألربّ كجبّار يخرج مثل **رجل مقاتل** يهوش الغيرة" يشير إلى مضمون الجهاد.. وقوله: "**لا أخذلهم**" إشارة إلى كون أمّته مرحومة. وقوله: "**والمتوكّلون على المنحوتة** القائلون للمسبوكة إنّكم آلهتنا ليخزون خزياً"، وَعْدٌ بأنّ عابدي الأصنام والأوثان كمشركي العرب وعابدي الصليب وصور القديسين يحصل لهم الخزي والهزيمة...» (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

البشارة التاسعة: آشعيا ٥٤/ ١-١٧: «المراد بـ "العاقر" مكّة المعظّمة؛ لأنّها لم يظهر منها نبيّ بعد إسمعيل، ولم ينزل فيها وحيٌ بخلاف أورشليم، لأنّه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون، وكثر فيها نزول

الوحي. و" بنو الوحشة " عبارة عن أولاد هاجَر، لأنّها أُخرجَت من البيت، وسكنت في البرّ. و" بنو ذات رجل " عبارة عن أولاد سارة. و" الصائغ الذي ينفخ في النار جمراً " هو محمّد الذي جاء لإهلاك المشركين. وقوله: " لا تخافي لأنّك لا تخزين ولا تخجلين لأنّك لا تستحين " هو تعظيم لمكّة إلى آخر الدهر إن شاء اللّه. وكذلك بقوله: " برحمات عظيمة أجمعك، وبالرحمة الأبديّة رحمتك "، وبقوله: " حلفت أن لا أغضب عليك، وأن لا أوبِّخك "، وبقوله: " رحمتي لا تزول عنكِ. وعهد سلامي لا يتحرّك. وملك زرعها شرقاً وغرباً. وورثوا الأمم، وعمروا المدن " في مدّة قليلة لا تتجاوز إثنين وعشرين سنة من الهجرة. وهذا مفاد قوله: " وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة ". ووفى بما وعد بقوله: " كلّ إناء مجبول بضدّك لا ينجح "، لأنّ كلّ شخص من المخالف قام بضدّها أذلّه اللّه، كما وقع بأصحاب الفيل» (٢/ ٢٢٥-٢٢٦).

البشارة العاشرة: آشعيا ٦٥/ ١-٦: «المراد بـ " الذين لم يسألوني والذين لم يطلبوني " العرب؛ لأنّم كانوا غير واقفين على ذات اللّه وصفاته وشرائعه. فما كانوا سائلين عن اللّه وطالبيه له. والموصوفون في الآية الثالثة " الشعب الذي يغضبني أمام وجهي دائماً " هم اليهود. و" الذين يأكلون لحم الخنزير "، في الآية الرابعة، هم النصارى» (٢/ ٢٢٦-٢٢٧).

البشارة الحادية عشر: دانيال٢/ ٣١-٤٥: «المراد بالممالك الأربع: سلطنة بختنصر، وسلطنة المادئين، وسلطنة الكيانيين، وسلطنة الإسكندر. هذا السلطان كان في القوّة بمنزلة " الحديد ". أمّا " في أيّام تلك الممالك يبعث إله السماء مملكة، وهي لن تنقضي قط. ملكها لا يُعطى لشعب آخر، وهي تسحق وتُفني جميع هذه الممالك

أجمـعين. وهي تثبت إلى الأبد"، هـي ممالك المسلمين. وأمّا "الحـجر الذي انقطع لابيـدين من جـبل، وسَـحَق الخزف والحـديدَ والنّحـاس والفضّـة والذهب، وصار جبـلاً عظيمـاً وملأ الأرض بأسرها" فـهو محمّد» (٢/ ٢٢٧-٢٢٩).

البشارة الثانية عشر: رسالة يهوذا: «المراد بـ"الرب" محمّد؛ وبـ"الربوات المقدّسة" الصـحابة؛ ويبكّت جميع المنافـقين على أعمال النفـاق"، أي بكّت المشـركين على عـبادتهم الأصنام، والـيهـود على تفريطهم في حقّ عيسى، وأهل التـثليث على إفراطهم في حقّ عيسى، وبكّت أكثرهم على عبادة الصليب والتماثيل وبعض عقائدهم الواهية» (٢/ ٢٢٩-٢٣٠).

البشارة الثـالثة عشر: متى٣/ ١-٢؛ ٤/ ١٢ و١٧ و٢٣؛ لو٩/ ١-٢؛ ١٠/ ٩-١إلخ. وكلّهـا في شأن "مـلكوت اللّه". «فظهر أنّ كـلاً من يحـيى وعيـسى والحواريّين والتـلامـيذ السـبعين بشّـر بملكوت السمـوات. وبشّر عيسى بالألفـاظ التي بشّر بها يحـيى؛ فعُلم أنّ هذا الملكوت، كما لم يظهر في عهد يحـيى، فكذلك لم يظهر في عهد عيسى، ولا في عهد الحـواريّين والسبعين. بل كلٌّ منهم مبشِّرٌ به، ومـخبرٌ عن فضله، ومترجٍّ لمجيئه. فلا يكون المراد بملكوت السموات طريقة النجاة التي ظهـرت بشـريعـة عـيسى؛ وإلاّ لمـا قاله عـيـسى والحـواريّون والسبـعون: "إنّ ملكوت السموات قـد اقترب". ولمّا علّم التلامـيذ أن يقولوا في الصلاة: "وليأتِ ملكوتك"، لأنّ هذه طريقـة قد ظهرت بعد ادّعاء عـيسى النبـوّة بشريعـته، فـهو عبـادة عن طريقة النجـاة التي ظهرت بشريعة محمّد. فهؤلاء كانوا يبشّرون بهذه الطريقة الجليلة.

«ولفظ "ملكوت السمـوات"، بحسب الظاهر، يدلّ على أنّ هذا

الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأنّ المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله، وأنّ مبنى قوانينه لا بدّ من أن يكون كتاباً سماوياً. وكلٌّ من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمّديّة.

ويؤكّد ذلك قول عيسى في متى ٢١: "لذلك أقول إنّ ملكوت اللّه يُنزع منكم ويُعطى لأمّة تعمل أثماره". فإنّ هذا القول يدلّ على أنّ المراد بملكوت السموات طريقة النجاة نفسها، لا شيوعها في جميع العالم وإحاطتها كلّ العالم. وإلاّ لا معنى لنوع الشيوع والإحاطة من قوم وإعطائهما لقوم آخرين. فالحقّ أنّ المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال في كتابه. فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم».

البشارة الرابعة عشر: متى ١٣/ ٣١: «لقد كانت شريعة محمّد في ابتداء الأمر بمنزلة "حبّة خردل أصغر" الشرائع، بحسب الظاهر. لكنّها، لعمومها، نمتْ في مدّة قليلة، "وصارت أكبرها"، وأحاطت شرقاً وغرباً حتّى أنّ الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبّثوا بذيل شريعته».

البشارة الخامسة عشر: متى ٢٠/ ١-١٦: مثّل عمّال الكرم، وقوله: "هكذا يكون الآخِرون أوّلين والأوّلون آخِرين". «فالآخِرون أمّة محمّد. فهم يقدَّمون في الأجر. وهم الآخِرون الأوّلون، كما قال النبيّ (ص): "نحن الآخِرون السابقون". وقال: "إنّ الجنّة حرمت على الأنبياء كلّهم حتّى أدخلها. وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمّتي"» (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

البشارة السادسة عشر: متى ٢١/٣٣-٤٥: في مثَل ربّ الكرم والعبيد وابنه. «أقول: إنّ "ربّ بيت" كناية عن اللّه؛ و"الكرم" كناية عن الشريعة؛ و"إحاطته بسياج، وحفر المعصرة فيه، وبناء البرج" كناية عن بيان المحرّمات والمباحات والأوامر والنواهي؛ وإنّ "الكرّامين الطاغين" كناية عن اليهود؛ و"العبيد المرسلين" كناية عن الأنبياء؛ و"الابن" كناية عن عيسى؛ و"الحجر الذي رفضه البنّاؤون" كناية عن محمّد؛ و"الأمّة التي تعمل أثماره" كناية عن أمّته صلّى اللّه عليه وسلّم. وهذا هو الحجر الذي كلُّ مَن سقط عليه يترضض وكلّ من سقط هو عليه سحقه. وما ادّعى علماء المسيحيّة أنّ "هذا الحجر" عبارة عن عيسى فغير صحيح؛ لأنّه عيسى لم يكن مرذولاً بسبب كونه "ابن داود"؛ وداود أعظم أنبيائهم وملوكهم. ولأنّ قول عيسى: "مَن سقط عليه هذا الحجر سحقه"، لا يصدق على عيسى، لأنّ عيسى قال في مكان آخر: "إنّي لم آت لأدين العالم، بل لأخلّص العالم". فالحجر الذي يسحق، إذاً، هو محمّد: فإن سقط عليه الأشرار ترضضوا، وإنْ سقط هو عليهم سحقهم» (٢/٢٣٣-٢٣٥).

البشرة السابعة عشر: رؤيا ٢/٢٦-٢٩: "مَن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم، فيرعاهم بقضيبٍ من حديد". هذا هو محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم، كما قال اللّه في حقّه: "وَيَنْصُرُكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً" (الفتح ٤٨/٣)» (٢/٢٣٥-٢٣٦).

البشارة الثامنة عشر: يوحنا ١٤/١٥-١٧ و٢٦ و٣٠؛ ١٥/٢٦-٢٧؛ ١٦/٧-١٥. وكلّها في شأن "الفارقليط" الذي هو النبيّ محمّد، لا، كما يزعم المسيحيّون، بأنّه الروح القدس. فهذا «الرّوح متّحد بالأب مطلقاً وبالابن، نظراً إلى لاهوته، اتّحاداً حقيقيّاً. فلا

يصدق في حقّـه "فارقليط آخَر"». ألآخَر لا يصـدق إلاّ على نبيٍّ آخر جاء بعد عيسى وهو محمّد.

وفي قول عيسى: "هو يذكّـركم كلّ ما قلته لكم"، «لم يثبت أنّ الحواريّين كـانوا قد نسوا مـا قاله عيســى»، فلا بدّ من أن يكون هناك فترةٌ زمنيّة طويلة لينسوا ما قاله لهم عيسى. والذي جاء ليذكّرهم هو النبيّ المنتظر، محمّد.

وفي قول عـيسى: "والآن قد قلت لكم قـبل أن يكون. حتّى إذا كان تـؤمنون". «وهذا يدلّ على أنّ المراد به ليس الروح»؛ إذ لا حـاجة إلى هذا القـول عندما الأمر "يكـون"؛ إنّما يحتـاج إليه عندمـا يُنتظر حدوثه، أي في زمن محمّد، النبيّ المنتظر.

وفي قول عيـسى: "هو يشهد لأجلي". «وهذا الروح مـا شـهد لأجله، لأنّ تلاميذه الذين نزل عليـهم ما كانوا محتـاجين إلى الشـهادة لأنّهم كانوا يعـرفون المسيـح حقّ المعرفة قـبل نزوله؛ بخلاف محـمّد فإنّه هو الذي شـهد لأجل المسيح، وبرّأه، وبرّأ أمّه».

وفي قـول عـيسى: "وإنتـم تشهـدون أيضـاً لأنّكم مـعي من الابتداء". «هذا القول يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ شـهادة الحواريّين غير شـهادة الرّوح.. بخلاف ما إذا كان المراد به النبيّ المنتظر، فإنّ شـهادته غير شهادة الحواريّين.

وفي قول عـيسى: "إنْ لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط. فـأمّا إذا انطلقت أرسلته إليكم". «فعلّق مجيئه بذهابه. وهذا الروح عندهم نزل على الحواريّين في حضوره. فنزوله ليس بمشروط بذهابه. ومَن كان مجيئه موقوفاً على ذهاب عـيسى هو محمّد، لأنّ وجود رسولَين ذوي شريعتين مستقلّتين في زمان واحد غير جائز».

وفي قول عـيسـى: "يوبّخ العالم"، «فهـذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمّد، لأنّه وبّخ العالم، سيّمـا اليهود، على عدم إيمانهم بعيسـى توبيخاً لا يشكّ فيه إلاّ معاند».

وفي قول عـيسـى: "أمّـا على الخطيّة فـلأنّهم لم يؤمنوا بي"، «وهذا يدلّ على أنّ فارقليط يـكون ظاهراً على منكري عيسـى، مـوبّخاً لهم على عـدم الإيمان به. "والروح النازل يوم الدار" مـا كـان ظاهراً على الناس موبِّخاً لهم».

وفي قول عيسى: "إنّ لي كلاماً كثيراً أقوله لكم. ولكنّكم لستم تطيـقون حمـله الآن". «وهذا ينافي إرادة "الروح النازل يوم الدار"، لأنّه ما زاد حكم على أحكام عيسى. فظهر أنّ المراد بفارقليط نبيّ تُزاد في شريعـته أحكام بالنسبـة للشريعة العيـسويّة ويثقل حـملها على المكلّفين الضعفاء، وهو محمّد».

وفي قـول عـيـسى: "ليـس ينطق من عنده بل يتـكلّم بكلّ مـا يسمع". «وهذا يدل على أنّ المقصود هو محمّد، لأنّه هو الذي كان في حقّه مظنة التكذيب؛ أمّـا "الروح النازل يوم الدار" فلا يُظنّ به الكذب إطلاقاً، لأنّه، بنظر المسيحيّين، هو اللّه نفسه.

وفي قول عيـسى: إنّه يأخذ ممّا هو لي". «وهذا لا يصدق على الروح؛ لأنّه، عند أهل التتثليث، قديم وغـير مخلوق وقادر مطلق، ليس له كمال مُنتظر.. فلا بدّ من أن يكون الموعود به من الجنس الذي يكون له كمال منتظر.. أي النبيّ المنتظر.

***

الشيخ جعفر السَبْحَاني،(٥٣)، يعالج في كتابه كلّه تنبّؤ المسيح على مجيء "نبيٍّ من بعده إسمه أحمد". وكتابه كلّهُ تفسير لسورة الصفّ (٦١)؛ وبنوع خاص للآية (٦): "وإذْ قال عيسى ابنُ مريمَ: يا بني إسرائيلَ! إنّي رسولُ اللّهِ إليكمْ، مُصدِّقاً لِما بين يديَّ من التوراةِ، وَمُبَشِّراً برسولٍ يأتي مِنْ بَعدي إسمُه أحمَد. فلمّا جاءهم بالبيِّناتِ قالوا: هذا سِحْرٌ مُبين".

يقول الشيخ السبحاني:

«إنّ القرآن الكريم أثبت بالدليل القاطع نبوّة المسيح (ع)، والذي صرّح بمجيء نبيٍّ من بعده اسمه "أحمد". ولكنّ بني إسرائيل، المعروفين بعنادهم، كذّبوا الرسول الذي أوصاهم به نبيّهم (ع)، والذي عرّفهم باسمه، لكنّهم، مع ذلك، وعلى الرغم من معرفتهم الحقّة بأنّه النّبيّ الموعود، وهو الذي جاءت علائمه في كتبهم، لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة، بل قالوا: إنّ هذا سحْرٌ مُبين. لكنّهم يخفون وراء ذلك شعورهم الباطني للحقيقة التي جحدوها واستيقنتْها أنفسُهم» (ص ٨٠).

* يعالج الشيخ السبحاني هذه الآية في ثلاثة موضوعات:

أوّلاً – أحمد هو محمّد:

لقد كان جدُّه عبد المطلب «يناديه أحياناً باسم محمّد، وأحيانا أخرى باسم أحمد. وهذا ما يؤكد لنا بأنّ الرسول (ص) معروفٌ في ذلك الزمان بهذين الإسمَين الشريفَين» (ص ٨١).

---

(٥٣) **أحمد موعود الإنجيل**، دار الهادي، بيروت ١٩٩٣، ١٣٢ صفحة.

«.. وهو إسم غير خافٍ على أحد في ذلك الوقت..

«ونزلت هذه الآية في نجران، مركز تجمّع المسيحيّين واليهود والسائرين على نهج وخطى الإنجيل.. ولم يصدرْ من أيٍّ مِن هؤلاء أيٌّ اعتراضٍ على ما ورد في القرآن من أنّ المسيح (ع) بشّر برسالةِ نبيٍّ يأتي من بعده إسمه أحمد، وأنّ نبيَّ الإسلام (ص) إسمه محمّد (ص).

وأخيراً، «إنّ الكثير من الأنبياء والرسل.. كانوا يحملون إسمَين» (٨٣).

ثانياً – كيف صدّق عيسى (ع) التوراة المحرّف؟

إنّ التعبير "بين يدي"، أو "بين يديه" الوارد مراراً في القرآن، تعني أنّ «المسيح مصدّقٌ للتوراة الأصلي والحقيقي. وليس التوراة المحرّف، أو المزيّف» (ص ٨٤).. وكذا بالنسبة لرسول اللّه (ص) محمّد.. إنّه «يصدِّق الكتب الحقيقيّة السليمة، وليس المزيّفة والمحرّفة والمزوّرة، والتي حُرِّفتْ عن حقيقتها الواقعيّة» (ص ٨٤). وأخيراً، إنّ «المقصود من التصديق هو التأييد الإجمالي للتوراة فقط..، وليس تصديق كلّ ما جاء في النُسَخ التوراتيّة في ذلك الزمان» (ص ٨٥).

ثالثاً – نُسَخُ الإنجيل وشهادتها على مجيء الرسول (ص)

«يقول القرآن الكريم، وبشكلٍ واضحٍ، أنّ اليهود والنصارى، ومن خلال مطالعتهم لكتابَيهما، سوف يجدون إسمَ الرسول (ص)، وصفاتِه، وخصوصيّاته، مكتوبةً لديهم، حيث قال: "يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.."(سورة الأعراف ٧/١٥٧).

«وكذلك الآيـة، مورد بحثنـا، فهي واضحـة جدّاً بما نقلـتْه عن عيسى، وصـريحةٌ بما جاء فيهـا..، والتي قرأها النبيّ (ص)، وقرأ من أمـثـالهـا من الآيات على الناس..، فلم نعلم أحـداً من علمـاء اليـهـود والنصارى يعترض على قولـه (ص). وهذا ما يؤكّد وجودَ هذا القول وثبوتَه للمسيح (ع) في كتبهم.

«إضافـةً لذلك، وزيادةً في التأكيـد، ما يخبـرنا به التاريخ عن التحاقِ بعض علمـائهم وقساوستهم بركْبِ الإسـلام، واعتناقهم إيّاه. وذلك لِما عرفوه وشاهدوه من التطابق الدقيق بين صفات النبيّ محمّد (ص) وخصوصيّاته، وما جاء في كتبهم السماويّة عنه» (ص ٨٦).

* يسـتنتج السبـحاني من عـرض **الأناجـيل أنّها ليـست هي الحقيقيّة**، فيقول:

«وبناءً علـى هذا، فـإنّه لا يمكن اعـتـبـار أيٍّ واحـدٍ من هذه الأناجيل هو الإنجيل الحقيقي الـذي جاء به السيّد المسيح (ع). وحتّى نسبـة هذه الكتب الإنجيليّـة الأربعة إلى مـؤلّفيهـا أمرٌ يعـتريه الشكّ والتردّد في القبول. ولكن، يمكن اعتبـار إنجيل متّى هو الكتاب الوحيد الذي يحتوي على مواضيعَ أُخِذَتْ من إنجيل المسيح (ع)[٥٤]...

«وفي هذه الحالة يجب أن لا نـنـتظر وجودَ بشـارةٍ نبـحثُ عنها في هذه الأناجيل. ولكنّ مشيئة الباري تعالى أرادتْ أن تبرهن للجميع على أنّ دليل نبـوّة الرسول مـحمّد (ص) واضـحة مـتلألئة عـلى مرّ الدهور، حـيث نرى بزوغ فـجـر هذه البـشـارة، بشكل واضح جـدّاً، ومشرق، في إنجيل يوحنّا..» (ص ٨٩).

---

(٥٤) هذا قول طريف لا يقول به مسلم غير الشيخ السبحاني.

* عن **البشــارة الواردة في إنجـيـل يوحنّا**، يقـول الـشـيخ السبحاني:

«ليس بعيداً أن يكون المسيح (ع) قد ذَكر بالحرف الواحد اسمَ الرسول الذي سيأتي من بعده، كـأن يكون قال: "أحمد". ولكنّ كاتب الإنجيل الرابع –والذي وردت فيه تلك الإشارة– ترجمَ كلمة "أحمد" وفقَ ذوقـه، وحـسب مزاجـه.. على الرّغم من أنّـه لا ينبغي تـرجمـة الأعلام وأسماء الأشخاص، بل يجب بقاء الإسم على حاله في ترجمة الموضوع» (ص ٩٠).

ثمّ «إنّ المسيح (ع) –على حدّ نقل إنجيل يوحنّا– يقول بمجيء شخصٍ باسم "فارقليط" بعده، وإنّ الكثـير من القرائن تشهد على أنّ المقصود هو نبيّ الإسلام محمّد (ص)» (ص ٩١).

ويقـول: «توجد قـرائن واضحـة لدينا تشيـر إلى أنّ المراد من "الفارقليط" هو الرسـول الذي سيأتي بعـد المسيح (ع)، وليس روح القدس. وهذه القرائن هي :

١. بعض التـواريخ استُـخدمتْ، قـبل الإسلام، بين مـفسّـري الإنجـيل، تشـيـر إلى أنّ "الفـارقليط" هو الرّسـول الموعـود، مـثل "منتس" الرياضـي الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، والذي ادّعى بأنّه الفارقليط.. وقد تبعه أناس..

٢. وفي التـواريخ الإسـلامـيّـة مـا ذُكـر عن انتـظار القـادة السيـاسيّن وعلماء الدين المـسيحي لأيّام الرسـول (ص) وأنّهم كانوا ينتظرون موعودَ الإنجـيل. مثل موقف ملك الحبشة بعـد أن قرأ كتاب النبيّ محمّد إليه وقـوله: "أنا أشـهد على أنّه الرّسول الذي وعد به أهل

الكتاب"، ومثل موقف قيـصر الروم الذي قال: "كنتُ أعلم أنّ رسـولاً سـوف يُرسَل"[٥٥].

٣. إنّ الامتـيازات والمميّزات التي ذكـرها المسيح (ع) بـصدد "الفارقليط"، والشرائط والنتائج المحسـوبة لمجيئه تقطع باليقين على أنّ المقصـود من "فارقليط" لا يتعـدّى أن يكون النبيّ الموعود (ص)، وإنّ هذه العـلائم تحول دون تفـسيـر "الفارقليط" على أنّـها "روح القدس" (٩٣-٩٤).

* ويستشـهد الشيخ السبحاني بأقوال المسيح، فيقول:

أ – بدأ المسيح (ع) حـديثه هكذا: "إنْ كنتمْ تحبّـوني إحفظوا أحكامي. وسأطلب لكم من الأب فارقليط آخر"[٥٦].

«**أوّلاً** – نفهم من الطريقة التي تحدّث بهـا المسيح، حيث جعل المحبّة أوّل كلامه، أنّ هناك احتمـالاً لعدم قبول البعض للشخص الذي سيـأتي من بعده والذي بشّر به. لـذا حاول المسيح تحـريك العواطف حتّى يدفع ذلك البـعض إلى القبول. فإذا كـان المقصود بهذا التـحريك هو "روح القـدس" -الذي تصوّر البـعض أنّ لفظ الفارقليط يعنـيه- ففي هذه الحالة لا مـوجب لتهيئة الأرضيّـة من أجل روح القدس بهذا الشكل العاطفي، لكونه لا يحتـاج إلى ذلك. ولكن، إذا كان المقصود هو النبيّ الموعود فإنّه يحتاج إلى مثل هذه الأرضيّة حاجة ملحّة».

«وإنّ المسيح لم يكتفِ بهذا المقدار من التـذكير، بل أصرّ قائلاً: "أمّـا الآن، وقـبل الوقـوع، أخبـرتكم لـكي يتـسنّى لكم الإيمان حين

---

(٥٥) رَ: ابن سعد، وبالسيرة الحلبيّة، والتاريخ الكامل (حواشي ص ٩٣-٩٤).

(٥٦) يوحنا ١٤/ ١٥.

الوقـوع "[٥٧].. في الوقت الذي لا يحتـاج الإيمان بروح القـدس إلى توصيـة. لكن الذي حدث هو إصـرار المسيح بالمقـدار الذي يدلّل على المقصود ليس روح القدس» (ص٩٥).

«**ثانياً** – لقـد جاء في حـديث المسـيح جـملة تقول: "سـوف يعطيكم فـارقليط آخر". فـإذا قلنا إنّ المقصـود من ذلك رسـولٌ آخر، أصبح كلامُنا معقولاً وصـحيحاً. ولكن، إذا قلنا بأنّ المقصود هو روح قدس آخـر، سوف لن يكون كـلامنا معـقولاً ولا صـحيـحاً لأنّ روح القدس واحدٌ وغير متعدّد» (٩٥)

ب – "كلّ شيء قلـتُـه لكم سـوف يذكّـركم به. وإنّ الروح الحقيقة من طرف الأب سوف تشهد لي بذلك"[٥٨].

«نحن نعلم أنّ روح القـدس نزل على الحواريّين بعـد خمسين يوماً من صلب المسيح، فهل يجـوز أن يكون هؤلاء المنتخبون الخُلّص قد نَسَوا جميعَ الأحكام التي علّمهـا لهم المسيح في هذه المدّة القصيرة حتّى يعلّمـهم روح القدس إيّاها مرّةً أخرى؟! وهل يحـتاج المسيح إلى شهادةِ أصـحابه؟ ولكنّ المقصود بهذه الشهـادة هو الرسول الموعود. وبهذا تصبح الشهادتان صحيحتَين» (ص ٩٥).

جـ – "إذا لم أذهب لن يأتي فارقليط"[٥٩].

«إنّ ذهابه مـشـروط بمجيء فـارقليط، ومـجـيء فـارقليط مشـروط بذهاب المسيح. فإذا كـان المقصود روح القـدس، فإنّ نزوله

---

(٥٧) يوحنا ١٤/ ٢٩.

(٥٨) يوحنا ١٤/ ٢٦.

(٥٩) يوحنا ١٥/ ٧.

على المسيح أو على الحواريّين ليس مشروطاً بذهاب المسيح، لأنّ روح القدس كان قد نزل، بعقيدة المسيحيّين، حينما أرسل المسيحُ حواريّيه من أجل نشر الدين[٦٠]. وبناءً على هذا فإنّ نزوله ليس مشروطاً بذهاب المسيح. ولكن، لو قلنا إنّ المقصود هو نبيٌّ وصاحبُ شريعة عالميّة، لأصبح الأمرُ منطقيّاً ومعقولاً، لأنّ مجيئه مشروطٌ بذهاب المسيح، لكونه سينسخ رسالته» (ص ٩٦).

د- «على أثر نزول "فارقليط" ستُعرَف ثلاثة أشياء لكلِّ العالم، وسيلزم الناس، إذا أخطأوا، أو أساؤوا "عندما سيأتي سيكون الناس ملزمين بالمعصية والصدق والإنصاف. بالمعصية لعدم إيمانهم بي"[٦١].

«نحن نعلم أن "روح القدس" نزل على الحواريّين بعد خمسين يوماً من صلب عيسى، ولم يلزمهم أبداً بالمعصية والصدق والإنصاف. إذاً إنّه لم ينزل على الحواريّين الذين لم يكذّبوا المسيح طرفة عين، بل إنّ نزوله على المنكرين والجاحدين لرسالة المسيح. ولكن، إذا قلنا إنّ المقصود من نزول "فارقليط" هو مجيء الرسول الذي وَعد به المسيح، والذي تجتمع فيه وفي وجوده المقدّس كلُّ هذه الصفات والميّزات لأصبح قولنا منطقيّاً جدّاً ومعقولاً»

هـ- "فارقليط سيشهد لي[٦٢]؛ "وسينبئكم بمستقبلكم علاوةً على تمجيده لي"[٦٣].

(٦٠) يستشهد الشيخ بـ متى ١٠/ ٢٩؛ ولوقا ١٠/ ١٧.
(٦١) يوحنا ١٥/ ٧.
(٦٢) يوحنّا ١٥/ ٢٦.
(٦٣) يوحنا ١٦/ ١٤.

«إنّ الشهادة للمسيح لا يمكن أن يقوم بها روح القدس، لأنّ الحواريّين لا يحتاجون إلى مَن يشهد للمسيح بأنّه نبيّ، لكونهم صدّقوه من قبل، وساروا على نهجه. وكذا التمجيد والثناء عليه. وهذا ما قام به رسول الإسلام محمّد ﷺ، حيث شهد له بالنبوّة، وأثنى عليه من خلال إكمال رسالةٍ جديدة».

* ويختم الشيخ السبحاني قائلاً:

«هناك دلائل وقرائن كثيرة وواضحة تشير إلى أنّ الفارقليط في آيات الإنجيل الذي بشّر به المسيح هو رسول العالم الموعود. ولا يمكن أبداً أن يكون "روح القدس" الذي جاء في تفسير الإنجيل، كما يدّعي بذلك مفسّروه».

وينقل عن فخر الإسلام كلاماً عن إستاذه قوله: «.. نفهم بأنّ الفارقليط هو صاحب شريعة، وأنّ اجتماع نبيَّين، لكلٍّ منهما شريعةٌ خاصّة، لا يكون ذلك صحيحاً في زمانٍ واحد» (ص ١٠٤).

***

داعي العصر أحمد ديدات، يعتبر محمّداً ﷺ خليفةً للمسيح عليه الصلاة والسلام لأسباب متعدّدة[٦٤]:

١. تاريخيّاً، ومن حيث الترتيب الزمني، تعتبر رسالته تتابعاً منطقيّاً للأحداث.

---

(٦٤) **محمّد. الخليفة الطبيعي للمسيح**، ترجمة رمضان الصفناوي، مراجعة محمود غنيم.

٢. لكونه مختاراً[٦٥] من قبل الله عزّ وجلّ.

٣. تعتبر رسالته إنجازاً لنبوءات أسلافه من الأنبياء.

٤. لأنّ رسالته تعتبر الهداية الإلهيّة الشاملة لكلّ نواحي الحياة تحقيقاً لقول المسيح : "سوف يهديكم إلى كلّ الحقيقة" (ص٩).

و«محمّد ﷺ هو الباركليت (المعزّي). يقول : «بالنسبة للباحثين المخلصين المحايدين، فإنّه من الواضح أنّ محمّداً ﷺ هو الباراكليت، أو المعزّي، أو المساعد، أو المدافع، أو الناصح الذي أشارت إليه نبوءات المسيح، عليه السلام، في إنجيل يوحنّا» (ص ٤١).

ويقول: «محمّد هو المعزّي **الآخر**، لأنّ المسيح قال: "وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزّياً **آخر** ليمكث معكم إلى الأبد" (يو ١٤/١٦).

ويعلّق: «إنّني أحبّ أن أؤكّد هنا على كلمة **آخر** من الآية، معناها: شخص بخلاف الأوّل، شخص إضافي، ولكن من نفس النّوع، وإنْ كان يختلف بوضوح عن الشخص الأوّل. مَن إذن هو المعزّي الأوّل؟ ألعالم المسيحي بالإجماع أنّه عيسى. إذن فإنّ **الآخر** الذي يتبعه لا بدّ أن يكون من نفس الطبيعة والنوعيّة والأحوال، يجوع ويعطش ويتعب ويأسف ويموت»(ص٥٢)

وليس الحواريّون هم المقصودون بكلام عيسى : "إنّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم. ولكن **لا تستطيعون أن تحتملوا الآن**" (يو ١٦/١٢). مثلها قوله: "هل أنتم أيضاً حتّى الآن غير فاهمين" (متى ١٥/١٦)، وقوله: "أيّها الجيل غير المؤمن والملتوي، إلى متى

---

(٦٥) أي "المصطفى" ، وهو لقب من ألقاب نبيّ الإسلام.

أكـون معكم وأحـتملكم" (لو ٩/ ٤١)، وقـوله: "إلى خاصـّته جـاء، وخاصّته لم تقبله" (يو ١/ ١١)...

هذه الأقـوال «حقـيقـة. فخـاصـّته سـخروا منه واحـتقـروه ورفضـوه». لقد « "كان حواريّوه دائمـاً يسيئون فـهمه وفهم أفـعاله. يسـألونه أن يُسقط ناراً من السـماء. يـريدونه أن ينصّب نفسـه ملكاً لليهـود. ويريدون أن يجلسوا عن يمينه وعن شـماله في هذه المملكة. يريدون منه أن يريهم الأب، أن يجعل اللّهَ منظوراً لأعينهم الجسديّة.

كانـوا يريدون منه أن يفعل وأن يفـعلوا هم أنفسـهم أي شيء وكلّ شيء مخالف لخطّته الكبرى. هكذا كـانوا يعاملونه حتّى النهاية. وعندما حانت هذه النهاية تركوه وفـرّوا" ». كانت ذروة سوء التوفيق بالنسبة لعيسى المسيح عليه السلام أنّه لم يكن أمـامه فرصة حقيقيّة لاختيار حواريّيه. لقد تركـوه حيث لم تفعل ذلك أبداً أيٌّ جماعة أخرى من المؤمنين التابعين لأيِّ نبيّ... لذلك، فقد أحال المهمّة لخليفته، والذي يسمّيه هنا روح الحق، أو بمعنى آخر نبيّ الحق، أو نبيّ الإصلاح».

«**ألرّوح القـدس**، الذي بشّـر به عـيسى، بأنّه "يرشـدكم إلى جمـيع الحقّ" (يو ١٦/ ١٣)، لم يقدّم حـلاً لأي شيء. و«من حقّك أن تطلب منهم حلولا للمـشاكل الآتية بواسطة الـرّوح القدس: ألمسكرات (الخمور)، القمار، العرافة (التنجـيم)، العنصريّة (التمييز العنصري)، مشكـلة النساء الزائدات عن الحـاجة في المجـتمـعات الغربـيّة... إلخ. (ص٧٠-٧١).

«إذا حاولتَ فهم النبوءة بطريقة محايدة مع تشديد النطق على الضمـائر الواردة في النبوءة فسوف توافـقني، بدون شكّ، أنّ المعزّي القادم يجب أن يكون رجلاً وليس روحا.

* (ثمّ يستشهد بيوحنا ١٦/١٣، بالإنكليزيّة، ويقول): «من فضلك، عدّد ضمائر he's في الآية السابقة، سوف تجدهم سبعة ضمائر. سبعة ضمائر مذكّرة في جملة واحدة. لا توجد أيّة آية أخرى في ٦٦ سفراً لإنجيل البروتستانت، أو ٧٣ سفراً لإنجيل الكاثوليك، بها سبعة ضمائر مذكّرة، أو سبعة ضمائر مؤنّثة، أو سبعة ضمائر محايدة. وسوف توافقني أنّ كلّ هذه الضمائر المذكّرة في آية واحدة لا يمكن أن تدلّ على Ghost (شبح، أو طيف، أو روح) سواء كان مقدّساً أم لا.

«عندما نوقشتْ هذه النقطة الخاصّة بالسبعة ضمائر المذكّرة في آية واحدة من الإنجيل، في مناظرة في الهند بين المسلمين والمبشرين المسيحيّين، غيّرت النسخة الأرديّة من الإنجيل إلى هي.. هي.. هي.. بدلاً من هو.. هو.. هو، حتّى لا يستطيع المسلمون الادّعاء بأنّ الآية تشير إلى محمّد ﷺ...

«آخر حيلة عثرتُ عليها في الإنجيل باللّغة الإفريقيّة في هذه الآية موضوع البحث، فقد غيّروا كلمة معزّي (مساعد Comforter) إلى كلمة وسيط (Mediator). وأقحموا فيها جملة الرّوح القدس، وهي التي لم يجرأ أي دارس إنجيلي في إقحامها إلى النسخ الإنجليزيّة المتعدّدة. لا ولا حتّى جماعة شهود يهوا. وهكذا يصنع المسيحيّون بكلمات اللّه» (ص٨٨–٩١).

* " متى جاء ذاك روح الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ، لأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأمور آتية " (يو ١٦/١٣)

«هذا هو روح الحقّ، نبيّ الحـق، الأمين، لا يتكلّم في الحـقـائق الروحيّة بدافع من نفسه... وبطريقة مماثلة فإنّ اللّه جلّت قدرته شهد بوحيه لرسـوله محمّد (ص): "ومـا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى. علمه شديد القوى "[٦٦].

«... إنّ من العبث غير المعقول أن نظنّ أنّ روح الحقّ هو الروح القدس، لأنّنا أُخـبرنا بأنّه "لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ مـا يسمع يتكلّم به". بالتأكيد ليس من نفسه» (ص ٩٢-٩٥).

* "ذاك روح الحقّ يمجّدني لأنّه يأخذ ممّـا لي ويخبركم" (يو ١٦/ ١٤). "ومتى جاء المعـزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (يو ١٥/ ١٦).

«هذا المعزّي الموعـود، أو روح الحق، الذي يتمثّل في شخـصه الحقّ، عندما يأتـي سوف يشهـد للمسيح وينصـفه وينتـصر له ممّا افترى به عليه أعداؤه.

«هذا هو محـمّد ﷺ الأمين، نبيّ الحقّ، صاحب النجـاح البارز في إبلاغ رسـالة اللّه، والذي جـعل مـلايين المسـلمين اليـوم يؤمنون بعيسى عليه السلام... (ص١٠٥-١٠٦).

«إنّ عيـسى، عليه السـلام، وأمّه مريم، رضي اللّـه عنها، وكلّ المسيحيّين في العالم لا يستطيـعون أن يوفوا محمّد ﷺ روح الحقّ ما يستحقّ من الشكر على ذلك» (ص ١٠٧).

***

---

(٦٦) سورة النجم ٥٣/ ٣-٥.

الشـيخ محـمّد علي برّو العـاملي[٦٧]، يقول : «والقـرآن الكريم ينسب الاختـلاف في عدم قبـول الدين الأخير إلـى أهل الكتاب الذين تمّت عليهم الحجّة وعرفوا الحق، ولكنّهم جحدوه: "يا أهل الكتاب! لمَ تلبسون الحقّ بالباطل، وتكتمون الحقّ وأنتم تعلمون "»[٧٤] (ص١٣).

«وإذا تجرّدنا عن التـعصّب، ونظرنا إلى حقيـقة الدين نجد أنّ الدين واحد، وهو الإسلام» (ص ١٥).

ثمّ يبرهن الشـيخ العاملي على أنّ عـيسى تنبّـأ في إنجيله عن مجيء الـنّبيّ المنتظر محـمّد. والقـرآن يشـهد عـلى نبوّة عيـسى هذه، ويُثبتـها بقوله: "وإذ قال عيسى بن مـريم يا بني إسرائيل إنّي رسـول اللّه إليكم مصـدّقاً لما بين يديّ من التـوراة ومبشـراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلمّا جاءهم بالبيّنات قالوا: هذا سـحر مبين "[٧٥].

«وظاهر هذه الآية المبـاركة أنّ رسـالـة المسيح (عليـه السـلام) كانت تدور حول ركـنين أساسيّين: ألأوّل: التصديق بالـتوراة والعمل بها. ألثاني: **ألبشارة برسول الإسـلام محمّد بن عبداللّه**» (ص ٢٣٠).

«والقرآن يـبيّن أنّ رسول اللّـه كان أمنيّـة إبراهيم وإسمـاعيل ودعـوتهـمـا : "ربّنا وابعثْ فـيـهم رسـولاً منهم يتـلو عليـهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة، ويزكّيهم. إنّك أنت العزيز الحكيم "[٧٦].

«ولو أمعنّا النظر في سبب هجرة اليـهود إلى الجزيزة العربيّة

---

(٦٧) **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة، بيروت، ١٩٩٣، ٤٥٨ ص.
(٧٤) سورة آل عمران ٣/ ٧١.
(٧٥) سورة فصّلت ٤١/ ٦.
(٧٦) سورة البقرة ٢/ ١٢٩.

نجد أنّ السبب في ذلك يعود إلى انتظارهم لخروج النّبيّ ومعرفتهم بمكان وزمان ولادته، ولذا هاجروا إلى الجزيرة وسكنوا في المدينة وحولها لعلمهم بأنّها دار هجرته... فلما بعث الله رسوله كذبوا به حسدا وبغيا. فقال تعالى في حقّهم: " ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به؛ فلعنة الله على الكافرين "[٧٧].

***

وعن تبشير المسيح بمحمّد، يقول **نبيل الفضل**[٧٨]:

«نعم لقد بشّر المسيح، عليه السلام، برسول بعده إسمه أحمد أو محمّد، لأنّ الإسمين هما لنفس الشخص... هذا التصريح في إنجيل برنابا..، الذي يدعو كلّ مسيحي مؤمن لأن يتبع دين محمّد» (ص١٦٠).

* «كان لليهود سبب في الشك بدعوى عيسى عليه السلام بأنّه المسيح المنتظر. فهناك نبيّ اسمه إيليا يأتي ليرد قلوب الآباء على الأبناء، وقلوب الأبناء على الآباء. ولكن، ترى، هل يوحنّا المعمدان كان هو النبيّ إيليا؟ يوحنّا المعمدان ليس المسيح، لأنّ المسيح كان عيسى؛ ويوحنا المعمدان لم يكن إيليّا؛ ويوحنا المعمدان لم يكن النبيّ.

«ترى، أي نبيّ يسأل اليهود عنه؟ إنّه النبيّ الذي ما بعده نبيّ. فإن كان إيليا يأتي قبل المسيح، وهو قد فعل. فإن المسيح يجب أن

(٧٧) سورة البقرة ٢/ ٨٩.
(٧٨) **هل بشّر المسيح بمحمّد؟** لندن ١٩٩٠.

يأتي قبل ذلك النبيّ. وذلك النبيّ يأتي بعد المسيح. وذلك النبيّ الذي ما بعده نبيّ مذكور في كتب اليهود. وفي العهد القديم من الكتاب المقدس للإخوة المسيحيين. إنّه مكتوب في الإنجيل.

* في تثنية الاشتراع (١٨/١٨): أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكل ما أوصيه به".

يقول الفضل: «ذلك هو النبي الذي كان اليهود يسألون عنه... إنّه لم يكن قد أتى حتى وقت المسيح. وإلاّ ما سأل اليهود يوحنا المعمدان إنْ كان هو ذلك النبيّ. فمن هو ذلك النبيّ؟ المسيحيّون يقولون إنّ المسيح نفسه يسوع ابن مريم»... ولكن هذا القول «مخالف لمعتقدهم بأن يسوع هو ابن اللّه» وليس نبيّاً. بقي أن يكون محمداً، لأنّه، كما يقول، "أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم"، لا من وسطهم. وإخوة اليهود أبناء إسحق هم العرب أبناء إسمعيل.

* وفي تكوين (٢١/١٧-٢١): "وسكن في بريّة فاران".

يقول الفضل: «وجبال الحجاز تسمى "فاران". ومن الحجاز قد خرجت "أمّة كبيرة" لا شك في ذلك. إنّها أمة العرب الذي كان إسماعيل أكبر أصولها ومن نسله كان "قيدار"، وكان "بنايوت" الذي جاء من نسله محمّد» (ص ١٦٩).

* وفي آشعيا (٤٢/٨-١٢): "... غنّوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض. أيّها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البريّة ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الربّ مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر".

يقـول الفضل: «إن كـانت تلك الديار قرب "فـاران" التي في سيناء. فـماذا يجعلهـا تمجّد اللّه وتهتف لـه؟ هل أتاها رسول أو نبيّ يمجّد اللّه؟ وإن كان فمن هو؟ لا أحد. (ص ١٦٩).

«وإنْ كانت "فاران" الحجازيّة. فماذا جعلها تمجّد اللّه وتهتف له؟ هل أتاها رسول أو نبيّ يمجّد اللّه؟ وإن كان فمن هو؟

«نعم أتاها رسول نبيّ مـجّد اللّه وسبّح باسـمه وهتف به. إنّه كان "محمّد"، ﷺ. ولقد كان تسبيحـه أغنية جديدة في تمجيد الرب. أغنية لم يسمع بها الناس قبلاً. وهي تصدح خمس مرات في كلّ يوم. ويتنغم بهـا مغنوها فـي خشـوع وتجلّ. إنّها تقـول: "أللّه أكبـر. أللّه أكبر... فـهل سمع العالم والبشـر قبل محمّد هذه الأغـنية؟ وهل سمع العـالم والبشـر أجمل من هذا الـهتـاف لمجد اللّه. إنّهـا أتت من "ديار قادار"، وتسمعـها البرّية والجبال. وتسمعـها سكّان الجزائر التي في البحار» (ص١٧).

* وفي مـزمـور (١١٠/١-٢): "قـال الرب لـربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيب عزّك من صهيون. تسلّط في وسط أعدائك".

يقـول الفضل: «ترى مَن هو ذاك الذي يدعـوه داود بـ"ربّي" والذي قال له الرب اجلس عن يميني؟...

ألجواب في قـول المسيح: ".. فإن كـان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة" (متى ٢٢/٤١-٤٦).

يعلّق الفضل: «أبعـد هذه الحجة حـجة؟ أم بعد المسـيح شاهد؟ وهل تحـتـاج هذه الحـجـة للمـداولة؟. «أنّ الذي ناداه وسـمّـاه داود

بـ" ربي " ليس من نسل داود. ولا هو من أجـداد داود؛ وإلاّ لعرف به الفـرّيسيّـون. إنّه شخص آخـر لا ينحدر من نسل داود وإسـحق. إنّه ينحدر من نسل إسماعيل عليه السلام» (ص١٧١-١٧٢).

* وفي قول سـفر التكوين (٤٩/ ١٠): "لا يزول قـضيب من يهوذا ومشـترع من بين رجليه حتى يأتي شـيلون وله يكون خضوع شعوب".

يعلّق الفضل: «... فمن هو "شيلون" ؟ والذي يعني "السلام" بالعربيّة؟ لا يمكن أن يكون "شـيلون" أو السلام هذا من نسل يهوذا؛ وإلاّ لما كان "أزال" القضيبَ والمشـترع من بين رجلي يهوذا ونسله... "شيلون" هذا هو نفس الذي سمّاه داود بـ" ربي". إنّه شخص واحد لا غيره. ولا يتكرر سواه. لأنّه الوحيد من خارج نسل يهوذا ومن غير نسل داود. وهو بنفسـه ذلك النبي الذي قال عنه اللّه إنّه مـثل موسى، ويخرج "من وسط" إخوة اليـهود. إنّه محمّد عليـه الصلاة والسلام. فهل هناك غـيره؟.. إنّه ما كـان قبل المسيح. ولا كـان هو المسيح. لأنّ المسـيح من سلالـة يهوذا... مَن ذاك الذي أتى بعـد المسـيح وفي يده تشريع قد زال من يهوذا ونسله؟ أهناك غير محمّد؟ (ص ١٧٣-٤).

* وعلى قول آشعيا (٢٩/١٢): "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة. ويقال له: إقرأ هذا. فيقول: لا أعرف الكتابة".

يعلّق الفضـل: «الترجمـة الحقيـقيّة لهـذا النّص هي: "ويعطى الكتاب إلى مَن هو أمّيّ. ويقـال له: إقرأ هذا. فيقول: مـا أنا بمتعلّم"... هذه التـرجـمة الأدق تـدقّ أجراسـاً في ذاكـرة كلّ مَن قـرأ عن نزول الوحي على محمّد... (ص١٧٤).

* وعلى تثنية الاشتراع (١٨/١٨): "أقـيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به".

يعلّق الفضل: «لو دقّقنا النظر في النص فـإننا نجد ما يثبت أن ذلك النبيّ هو محمّد... لأنّ محمدا كان لا يتكلّم إلاّ بما هو موضوع في فمـه من كلام... وهل كـان جبـريل يفعل شـيئاً سـوى وضع الكلام الرباني في فم مـحمّـد؟ وهل كان مـحمّـد يتكلّم بغيـر ما يسـمع من جبـريل؟.. ترى هل هناك نبيّ آخر من أنبيـاء إسرائيل يوجد له كـتاب يحوي ما وضع في فمه فقط؟ كلاّ...» (ص١٧٦).

* ويكمل سـفـر تثنيـة الاشـتـراع (١٨/١٩): "ويكون أنّ الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه".

يعلّق الفـضـل: « "كـلامي الذي يتكلّم به باسـمي"! يا لهـا من جملة إلهيّة!.. ألا تجد أنّ كلّ سورة فيـه (القرآن) تبدأ بجملة لا تتغيّر: "بسم اللّه الرحمـن الرحيم"... ترى أي سفـر، أو إصحاح في العـهد القديم أو العهـد الجديد يبدأ بتلك الجملة، أو ما شابهـها في معناها؟!.. فلا نجد سفراً واحداً في العهدين القديم والجديد يبدأ أو يشير إلى أنّه كلام اللّه. ولكنّنا نجد ذلك في قرآن محمّد» (ص ١٧٧).

* وعلى آشعيا (٢١/١٣-١٧): "وحيٌ مـن جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيـتين يا قوافل الددانيين. هـاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكّان أرض تيماء. وافوا الهـارب بخبره... فإنّه هكذا قال لي السيّد: في مدّة سنة يفنى كلّ مجد قيدار".

يعلق الفضل: «فـالوحي من جهـة بلاد العرب. تُرى أي وحي؟ وهل كان هناك وحي من جـهة بلاد العرب سـوى الوحي الذي قال به

محـمّد؟ وديدان! أليست هي أرض العـرب في الحجاز... وتيـماء! هل شاهدت رسـولاً غيـر محمّـد؟ ». و"التيـماء" هي الأرض الصـحراء القفر... أي مدينة "يثرب" لأنّها المدينة التي فـرّ إليها محمّد "هارباً" من أهل مكّة، أبناء عمـومته ونسل "قيدار". ولقـد "وافت" "تيماء" وسكانها ذلك "الهارب" بخبره كما أمـر اللّه في العهد القديم. فأعطته الأمـان والطعـام والملاذ الـذي انطلق منه مـجـده وتوسـع دينه وانتصاره» (ص ١٧٨)

* وعلى حبـقوق (٣/٣): "ألله جـاء من تيمـاء، والقدوس من جـبل فـاران. سـلاه. جلاله غطّـى السمـوات والأرض امـتـلأت من تسبيحه".

يعلّق الفـضل: «و"سلاه"! أليـستْ هي "شـيلون" التي تعني السلام بالعـربيّة؟ أوَليس "سـلاه" أو "شيلون" همـا ذلك الشـخص الذي تنبأ به يعقوب؟ أليس هو محمّد؟ (ص ١٧٨).

* وعلى قـول ملاخي: "هاءنذا أرسل مـلاكي فيـهيّء الطريق أمامي ويأتي بغتـة إلى هيكله السيّد الذي تطلبونه ومـلاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود" (ملا ٣/١).

يعلّق الفضل: «من هو ملاك الرب هذا؟ يسـوع الناصري يقول إنّه يوحنّا المعمدان الـذي "لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه" (متى ١١/٩-١١). كـلاً لقد كـان يوحنا المعمدان يهـيء الطريق أمام سيّد قـادم بعده، لا سيد مـعاصر له. وهذا السيد القـادم ليس المسيح ولكنّه محمّد» (ص ١٨٠-١٨١).

* و"ابن الإنسـان" الذي «يتكرّر في الأناجـيل ثلاثاً وثمـانين

مـرّة. فمـاذا كان اليـسوع يعني بابن الإنسـان؟... نقول إنّ تسـميـة المسـيح بابن الإنسـان لا تجوز إنْ كـانت لتطابق رؤيا النبي دانيـال. ولكنّها تجـوز إنْ كانت تعني أن المسيح هو من سلالة إنسـان. أمّا ابن الإنسـان، ذاك المذكــور في رؤيا دانيـال، فـهـو، لا شـكّ، مـحـمّـد» (ص١٨١-١٨٥).

* وعلى قول المسيح: "سيقوم أنبياء كذبة" (مر ١٣/ ٢٢).

يقول الفضل : «إذن، هناك أنبياء كـذبة وهناك أنبياء صادقون. ويعرف الفرق بينهـما بالنظر إلى ثمارهما لمعرفـة الجيّد من الرديء»، بحسب ما قال المسيح نفسـه: "من ثمارهم تعرفونهم" (مر ٧/ ١٥-١٧). فالمسيح، إذاً، «قد تنبّأ بظهور أنبياء من بعده» (ص ١٨٦).

* وعلى قول المسـيح: "إنّ لي أموراً كـثيرة أيضـاً لأقول لكم. ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو ١٦/ ١٢).

يعلّق الفضـل: «ألمنطق يفرض علينا أن نقـول: إنّ مَن يأتي بعد المسيـح، لا يأتي بعده مـباشرة. ولا حـتى ببضع سـنوات؛ لأنّ قدرة الاحتـمال والمعرفـة لدى التلاميـذ لن تتغيّـر بهذه السرعـة. وإلاّ كان المسـيح أولى بأن يخـبـرهم بما يعلـم. فالمنـطق يحـتم أن يكون ذلك الرسول قادماً بعد مضي وقت طويل على ذهاب المسيح» (ص ١٨٧).

* وعلى قـول المسيح: "ومتى جـاء المعزي الذي سـأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (يو ١٥/ ٢٥-٢٦).

يعلّق الفضل: «إذن، فالرسول هنا يسمّيه المسيح بالمعزّي، وهو روح الحق، منبثق من اللّه، وهو يشهد للمسيح. وهو محمّد (١٨٨).

* وفي قول المسيح: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو ١٤/١٦).

يعلّق الفضل: إنّ «المسيح قصد بذلك نبيّاً آخر يأتي من بعده؛ لأنّ المسيح نبيّ ذاهب. وأما النبيّ القادم فهو ماكث إلى الأبد حيث لا نبيّ بعده. فهل هناك نبيّ غير محمّد شهد للمسيح؟ وهل هناك نبيّ أتى بعد محمّد؟» (ص١٩٠).

* وعلى قول المسيح: "لكنّي أقول لكم الحقّ: إنّه خير لكم أن أنطلق لأنّه إنْ لمْ أنطلقْ لا يأتيكم المعزّي. ولكن إن ذهبتُ أرسله إليكم" (يو ١٦/٧).

يعلّق الفضل: «وهكذا، فالمسيح يقول بأنّ المعزّي لا يأتي بوجود المسيح. وإنّما يأتي بعد أن يذهب المسيح، وينطلق عن الدنيا. وهذا هو أكبر برهان على أنّ المعزّي ما هو إلاّ شخص نبيّ. لا الروح القدس» (ص١٩٠).

وهذا النّصّ، وغيره من النصوص «تبيّن لنا أنّ الروح القدس لا يشترط قدومه أن يذهب المسيح. ولكن المعزّي النبيّ يشترط قدومه أن يذهب المسيح؛ لأنْ ليس هناك حكمة من وجود الإثنين معاً في زمن واحد.

«ونحن نسأل: مَن هو ذلك النبي الذي جاء بعد المسيح بزمان، وبيده شرع جديد أزال به شرع يهوذا؟ مَن هو ذلك النبي الذي أتى من ديار "قيدار" ومن جبال "فاران" الحجازيّة من أرض "تيماء" العربيّة؟ من هو ذلك النبيّ الذي شهد للمسيح؟ أهناك نبيّ غير محمّد عليه صلاة اللّه وسلامه» (١٩١).

* وعلى قـول المسيح: "وأمّـا متى جـاء ذاك روح الحق فهـو يرشدكم إلى جميع الحق. ذاك يمجّدني، لأنّه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٦/١٣-١٥).

يعلّق الفضل: «أمّـا كون ذلك النبيّ المعزّي يمجّد المسـيح عليه السلام، فـليس هناك غيـر محمّـد الذي كان ممجـداً للمسـيح في كلّ حديث تطرّق فيه للمسيح وأمّه. وهو، فوق ذلك، قد جعل جميعَ أتباعه لا ينطقـون باسم عـيسى ابن مـريم، أو المسـيح، إلاّ وقـالوا بعـدها مـباشـرة: "عليـه السـلام". ويوجد اليـوم أكـثر من بلـيون مـسلم يمجّدون المسيح بقولهم: "عيسى عليه السلام". وهم، إذ يفعلون هذا بهدي محمّـد، إنّما هم يمجّدون المسيح أكثر مما يمجّـده أتباع المسيح أنفسهم» (ص ١٩١-١٩٢).

* وكلمة "المعزي" نفسها، في «لغتـها اليونانيّة، تعني حرفيّاً: الميـز، والممجد، والمحمـود كثيراً. تُرى أليس مـعنى محمّد هو نفسه المعنى والمعاني هذه؟ وأليس غـريباً أن يكون محمّـد هو أوّل من سُمّي بهذا الاسم الذي لم تسمـع به العرب قبله؟ ولا تستغـرب أيّها القارئ فإنّ هذا الاختلاط مـا بين "معزّي" و"محمّد" إنّما هو فـعل الترجمة وأخطاء المترجمين باللّغة الأصليّة» (ص١٩٣-١٩٤).

* ثمّ «هل كلمة الإنجيل تعني شيئاً غير التبشير؟

«وهل كان المسيح إلاّ مبشراً؟..

«فبماذا بشّر المسيح؟

«سيقول لنا الإخوة المسيحيّون بملكوت اللّه.

«فنسأل متعجّبين: أين ملكوت اللّه هذا؟

«ألستم تنتظرون منذ ألفَي سنة ولم تروا هذا الملكوت؟ (١٩٥)

«ألا تعتـقدون أنّ المسيح ما كـان مبشـراً بملكوت اللّه؟ بل كان مبشراً بنبيّ يأتي من بعده؟

«ولقد نطق المسيح باسمه "المنحمنا"، أي "محمّد" الذي غيّره أتباع المسيح إلى المعزي» (ص ١٩٦).

***

أمّا **السيّد أحمد زكي** الذي يقدّم الأدلّةَ العـديدة، من التوراة والإنجيل، على مجيء النّبيّ محمّد. هذه الأدلّة لم يكتشفْها المسيحيّون الشاؤوليّون الكنسيّون، ولم يغوصوا في حقيقة مدلولها، ولم يفهموا مقصودَها، ولم يُدركوا بُعدَها... لأنّ اللّه، لسوء نيّتهم، لم يَكشِفْ لهم.

ويسعنا القول بأنّ أكثر مـا أبدع السيّد زكي في كتابه(٧٩)، من تحليل وتفـسيـر وتأويل واجـتهـاد، كان في هذا المجـال. أي مجـال اكتشاف ما تنبّأ به موسى وعـيسى عن النبيّ القادم، الذي هو محمّد. وكم يستلزم هذا الاكـتشافُ من معاناة في البـحث والتنقيب عن آيات التوراة والإنجيل، ليجد فيها ما يبحث عنه!..

وها نحن نقـدّمُ اكتشـافات السـيّد زكي، كـما هي في كـتابه. وطريقتنا في ذلك نقلُ ما قـال، أو اختصار بعض ما قـال، وذلك بتتبّع الكتاب من بدايته. وليعذرنا القارئ، هنا أيضاً، من التكرار المملّ.

* قال السيّـد زكي في عموم قوله: «محـمّد، حفيدُ إسـماعيل، الذي ورد اسـمُه في أعـداد (أي آيات) كثـيـرة في التوراة والإنجـيل

---

(٧٩) **إنزعوا قناعَ بولس عن وجه المسيح.**

المنزلَين. لكنّهم (أي اليهود والمسيحيّون) أخفوا إسمَه. فقال اللّهُ فيهم: "الذين آتينَاهُمُ الكتابَ يعرفونَه كما يَعرفُونَ أبنَاءَهم، وإنّ فريقاً منهم لَيكتُمونَ الحقَّ وهم يَعلمُون"[٨٠] (ص ٥٨).

* «محـمّد.. النّبيّ العربيّ الأمّي، حـفيد إسمـاعيل بن إبراهيم الذي بشّر اللّه به مـوسى في التوراة، وطالب الناسَ كـافّةً أن يتبـعوا رسالتَه الخاتمة..

«محمّد الذي قال: "أنا أولى الناس بـعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة. فليس بيـني وبينه نبيٌّ. والأنبياء إخـوة لعائلات. أمّـهاتهم شتّى ودينهم واحد".

«محمّـد الذي تنبّأ به عيسى، وسـمّاه "روح الحقّ" (يو ١٦/ ١٣)، وشـهـد له بأنّه "لا يـتكلّم من نفسـه" (أي يتلـقّى الوحيَ من السماء)، وقال عنه "سيأتي بعدي" بالرسالة السماويّة الخاتمة التي يعلّم الناس فيـها كلَّ شيء، ويرشدهم إلى "جميـع الحقّ"، ثم يشـهد لي (أي عيسى)... إذ قال:

«١. "وأمّا المعـزّي.. فهـو يعلّمكم كلَّ شيء، ويذكّركم بـكلّ ما قلتُـه" (يو ١٤/٢٦). والمعـزّي ترجـمة خـاطئـة للكلمـة اليـونانيّـة "بيريكليتوس".. ومعناها: الأكثـر حمداً، أي "أحمَد"، وهو إسم آخر للنّبيّ محـمّد، تأكيداً لما جاء على لسـان عيسى في القرآن: "ومـبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي إسمُه أحمد"[٨١].

---

(٨٠) سورة البقرة ٢/١٤٦.

(٨١) سورة الصفّ ٤١/٦.

«٢. "وأمّا متى جاء ذاك روحُ الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ، لأنّه لا يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمع به يتكلّم ويخبركم بأمور آتية" (يو ١٦/١٣):

«– لقد جاء محمّد بالقرآن... فيه جميع الحقّ...

«– "ويخبركم بأمور آتية": والقرآن أخبر بكل ما هو آتٍ في هذه الدنيا حتى يوم القيامة. فهو الآية الخالدة إلى أن تقوم الساعة...

«– "ومتى جاء المعزّي فهو يشهد لي" (يو ١٥/٢٧)، "ذاك يمجّدني" (يو ١٦/ ١٤): ولقد شهد محمّد لعيسى بأنّه نبيّ اللّه ورسوله، ومجّده ونزّهه عن البصق والجلد والصلب، وردّ له اعتبارَه بعد أن جعله شاؤولُ لعنةً.. كما نزّه أمَّه عمّا رماها به اليهود، وجعلها أطهر نساء العالمين» (ص ٦٢–٦٣).

* لقد قامت قيامة اليهود على المسيح لأنّه قال لهم "بأنّ ملكوت اللّه يُنزعُ منهم، ويُعطى لأمم غيرهم". لقد «جنّ جنونهم، وتأجّج الحقد في صدورهم.. لأنّه يكشف أمام الناس.. ما أخفَوه قروناً طويلةً، وهو أنّ النّبيَّ القادم (أي محمّد) لن يكون منهم» (ص ٧٠).

«وجنّ جنون قساوسة اليهود المندسّين في الكنائس يوم ظهر محمّد نبيُّ العالم، ينفض الغبارَ عن دين أخيه عيسى.. ويعلن: "لا إله إلاّ اللّه". ويكفر بالثالوث. كما جاء ينزّه أخاه عيسى عن الصلب. وينزّه أمّه عمّا حاوله اليهود من تلويث شرفها» (ص ١١٨).

* وهناك تنبّؤات عديدة في أقوال الأنجيل وأمثاله، «لو فطنوا معانيها والمقصودَ منها، ربّما ما كتبوها إطلاقاً، لأنّها، في حقيقتها، ما

هي إلاّ بشـــارات عن قرب حلـول مملكة اللّه على الأرض التي أقـامهـا النبيّ المنتظر الذي كان ينتظره اليهود، والذي لم يكن سوى محمّد نبيّ الإسلام" (١٥٨). من هذه الأقوال والأمثال:

١. "إنّ ملكوت اللّه يُـنزع منكم ويُعطى لأمّـة تعـمل أثمـاره" (متّى ٢١/٤٣).

٢. "إنّ كثيـرين سيأتون من المشارق والمغـارب، ويتّكئون مع إبراهيم وإسـحق ويعـقوب في ملـكوت السمـوات. وأمّـا بنو الملكوت فيُطرحـون إلى الظلمة الخارجـيّة". أبناء الملكوت هم اليـهود، والذين سيأتون من الشمال والجنوب (لوقا ١٣/٢٨) ومن المشارق والمغارب (متّى) فهم كناية عن المسلمين، لا سيّما وقت الحجّ.

٣. "هوّذا آخِرون يكونون أوّلين، وأوّلون يكونون آخِرين" (لو ١٣/٢٨). فالمسلمـون هم آخِر مَن أتى حـسب الرسالات السـماويّة، ولكنّهم الأوّلون دخولاً إلى الجـنّة، بشهادة المسـيح. والمسيحُ لا يمكن أن يكذب، لأنّه معصوم عن الكذب» (ص١٢٣).

* ويعلّق السـيّد زكي عـلى سؤال يوحنّا المعـمـدان للمسـيح: "أأنتَ هو الآتي أم ننتظرُ آخر؟" (مـتّى ١١/٣)، ويقول: «نستنتج أنّ المعـمدان كـان ينظر إلى عيـسى كنبيّ، وليس كـإله.. ممّا ينسف زعمَ الكنيسة في تأليه عيسى. ويؤكّد أنّ هناك نبيّ (كذا) آخر قادم ينتظره الجـميع هو الـ"مَـسِيًّـا" (أي محـمّـد). ثمّ ألمْ يزعمْ هذا الكاتب، في العمـاد، أنّ المعمدان قال وقـتَها: "أنا مـحتاجٌ أنْ أعتـمدَ منك". والآن يسـأله: "مَن أنت؟". هل التـبسَ الأمرُ على يوحنّـا؟ مسـتحـيل. لأنّ عيسى ويحيى كلاهما إبنا خالة، وتربّيا معاً، وعاشا سويّاً في مدارس

الإسّينيّين... هذا ممّا يعني أنّ المقصودَ من السؤال كان: هل أنتَ الـ "مَسِيّا"، أي محمّد» (ص٤٩٣).

* ثمّ «إنّ عيسى، في نظر السيّد زكي، لم يكن أبداً هو النّبي المنتظر، حسب ما جاء في دانيال عن ابن الإنسان الذي يحطّم الوحوشَ الأربع (أي الممالك الأربع: الرومان واليونان وفارس وبابل)، إذ من المعروف أنّ عيسى كان مهادِناً للرومان، وقال: "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما للّه للّه" (متّى ٢٢/ ٢١). إنّما الذي حطّم الممالك الأربع، وأخذَ الجزية منهم ومن الرومان هو محمّد».

«والحجرُ الذي ضربَ التمثالَ في دانيال (٢/ ٣١-٣٥) فصار جبلاً كبيراً، وملأ الأرضَ كلّها، فهو كناية عن محمّد والدين الإسلامي الذي انتشر بسرعة مذهلة وملأ الإرضَ كلّها» (ص٢٠٣).

* ويخصّص السيّد زكي أربعين صفحة لتفسير ما جاء في سفر تثنية الاشتراع (١٨/ ١٨-٢٢): "أُقيمُ لهم نبيّاً من وسطِ إخوتهم **مثلك**. وأجعلُ كلامي في فمه، فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به. ويكون أنّ الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه. وأمّا النبيّ الذي يطغى فيتكلّم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلّمَ به، أو الذي يتكلّم باسم آلهةٍ أخرى، فيموت ذلك النبيّ. وإنْ قلتَ في قلبكَ كيف نعرف الكلامَ الذي يتكلّمُ به الرّب، فما تكلّم به النبيُّ باسم الرّبّ، ولم يحدثْ، ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلّم به الرّب، بل بطغيان تكلّم به النبيّ. فلا تخفْ منه".

يقول السيّد زكي في تفسيره لهذا الكلام: «هذه بشارة من اللّه لنبيّه موسى في أنّه سيرسل نبيّاً **مثله** في مستقبل الأيّام، ويحمّله

رسالة جديدة، أي تنسخ التوراة، وأنّ على الجميع إطاعته. والذي لا يطيعه سيكون مسؤولاً أمام اللّه...

ويتوّقف، بنوع خاصّ، عند تعبير "**وسط إخوتهم**"، ويقول: هذا يعني: لا وسط اليهود أنفسهم. بل وسط إخوتهم الذين هم بنو إسماعيل. "ولولا ذلك، لما سكنوا (اليهود) يثرب في الجزيرة العربيّة، بلاد إخوتهم بني إسماعيل، منتظرين ظهورَه، حسب ما جاء في أشعيا: "وهي من جهة بلاد العرب".

ثمّ إنّ هذه البشارة "وسط إخوتهم" لا تطبّقُ على عيسى، لأنّ

١. «عيسى كان من بني إسرائيل، وليس من "إخوتهم"؛

٢. «عيسى لم يأتِ بشريعة جديدة.. رسالة محمّد (القرآن) هي الرسالة الجديدة التي نسختْ توراة موسى وإنجيل عيسى وجميعَ الكتب السماويّة الأخرى. فقد جاء في القرآن: "وأنْزَلْنا عَلَيكَ الكتابَ بالحقِّ، مصدِّقاً لِما بينَ يدَيه من الكتاب، **ومُهَيْمِناً عليه**"[٨٢]. وجاء إيضاً: "ومَن يبتَغِ غيرَ الإسلامِ دِيناً فلنْ يُقبلَ منه، وهو في الآخرةِ من الخاسرين"[٨٣]؛

٣. «عيسى لم يأتِ للعالم كلّه: "لم أرسَلْ إلاّ لخرافِ بيت إسرائيل الضالّة" (متّى ١٥/ ٢٤). أمّا محمّد فهو الذي أتى للعالم: "ومَا أرسَلْنَاكَ إلاّ كافّةً للناس"[٨٤]، "قل: يا أيُّها النّاس! إنّي رسولُ اللّهِ إليكم جميعاً" (سورة الأعراف ٧/ ١٥٨)؛

(٨٢) سورة المائدة ٥/ ٤٨.
(٨٣) سورة آل عمران ٣/ ٨٥.
(٨٤) سورة سبأ ٣٤/ ٢٨.

٤. «عيسى انتهرَ التلاميذَ عندما قالوا له: "أنتَ المسيح"، أي النبيّ القادم (مرقص ٨/٢٧-٣٠). أمّا الذي جاء لخلاص العالم من الأصنام والكفر هو محمّد؛

٥. «عيسى نفسُه بشّر بهذا النّبيّ (محمّد): "أقول لكم الحقّ: خيرٌ لي أن أنطلقَ، لأنّه، إنْ لم أنطلقْ، لا يأتيكم المعزّي"، أي "أحمد" (يوحنا ١٦/٧). وفي القرآن: "وإذ قال عيسى ابنُ مريمَ: يا بني إسرائيلَ! إنّي رسولُ اللّه إليكم مصدِّقاً لما بين يديَّ من التوراة، مبشّراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد" [٨٥]. وسيأتي بعدي النّبيُّ الخاتم الذي يقول لكم كلَّ شيء: "إنّ لي أموراً كثيرة أيضا لأقول لكم. ولكن لا تستطيعوا أن تحتملوا الآن... وأمّا متى جاء ذاك روحُ الحقّ فهو يُرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّم من نفسه" (يو ١٦/١٢-١٣).. ولم يأتِ بعد عيسى من الأنبياء إلاّ محمّد، ولم يمجّدْه ويدافع عنه إلاّ محمّد؛

٦. «عيسى نفسه أكّد أنّ النّبيَّ القادم لن يكون من اليهود: "ماذا تظنّون في المسيح؟ إبنُ مَن هو؟" (متّى ٢٢/٤١)... ولو كان المقصود من السؤال عيسى نفسه، لما كان للسؤال من معنىً. إنّما المقصود شخص من غير إسرائيل، هو محمّد؛

٧. «يعطي عيسى في إنجيل يوحنّا بعضَ صفات النبيّ المنتظر، فيقول: "إنْ كنتم تحبّوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من اللّه فيعطيكم معزّياً آخر، ليمكثَ معكم إلى الأبد.. روح الحقّ" (يو ١٤/١٥-١٧).. والنّبيُّ الآخر، أي من نوع آخر، ومن جنسيّة أخرى، هو

---

(٨٥) سورة الصفّ ٤١/٦.

محمّد. يمكثُ معكم إلى الأبد، بعيداً عن التغيير والتحريف.. تصديقاً لقوله تعالى: "إنّا نحن نزّلنا الذِّكرَ. وإنّا له لحافظون" »[٨٦] (٢١٢-٢١٦).

وبنتيجة هذه الأقوال: «لا يحقّ للشاؤوليّين الكنسيّين، ولا بحال، أن يزعموا أنّ عيسى هو النبيّ المنتظر. وذلك لسبب بسيط هو زعمهم أنّ عيسى هو اللّه» (ص ٢٣٧)

٨. «وجاء في رؤيا يوحنّا اللاّهوتي: "ثمّ رأيتُ السماء مفتوحةً، وإذا فرسٌ أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحدٌ يعرفه إلاّ هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم، ويُدعى اسمه كلمة اللّه، والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لابسين بزّا أبيض ونقيّاً. ومن فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعصيٍّ من حديد، وهو يدوس معصرةَ خمرِ سخط وغضب اللّه القادر على كلّ شيء، وعلى فخذه اسمٌ مكتوب ملك الملوك وربّ الأرباب" (رؤ ١٩/ ١١-٦)

يفسّر السيّد زكي هذا الكلام فيقول:

«محمّد، منذ طفولته كان معروفا بـ"الصادق الأمين". أمّا قوله: "من فمه يخرج سيفٌ ماضٍ" فهو كناية عن القرآن... به يحارب، وبهِ يحكم ويبسط العدل بين الناس. وأمّا "الأجناد الذين يتبعونه على خيل بيض" فهم صحابته الذين قاتلوا معه» (ص ٢٤٢).

---

(٨٦) سورة الحجر ١٥/ ٩.

* «وكلّ مَن يقرأ الأناجيل يرى فعلاً أنّ عيسى هو الذي أخذ الشعلةَ من يوحنّا، وبشّر بمقدم محمّد، كما بشّر بحلول مملكة الله على الأرض.. التي تحقّقت بعد أقلّ من ٦٠٠ سنة، على يد نبيّ الإسلام.. وعليه، يكون عيسى هو الذي هيّأ الطريق أمام محمّد. وهو الذي أمر تلاميذه بقوله: "وأيّ مدينة دخلتموها قولوا لهم اقترب منكم ملكوت اللّه" (أي محمّد) (لو ١٠/ ٩)... والإنجيلُ كلّه اسمه الخبر السارّ المفرح، أي محمّد» (ص ٣٢٧).

* «جميع رجالات الكنيسة، من البابا حتّى الشمّاسي.. غشّوا الأمّة المسيحيّة قاطبةً، طيلة العشرين قرناً الماضية، وجرّوها إلى الشاؤوليّة الكنسيّة الوثنيّة.. لهذا، فهم يبرمجون طوائفَهم منذ الصغر على عدم الإيمان بمحمّد، أو برسالته (القرآن)، لأنّه، لو اطّلعتْ طوائفُهم على دين محمّد، لنبذوا دينَ شاؤول، واتّبعوا محمّداً في الحال. ومن أجل هذا تلوذ الكنيسة بالصمت عن هويّة ذاك النّبيّ الذي سأل الكهنةُ واللاّويّون يوحنّا عنه، والذي كان الكلّ في انتظاره. والكنيسة، اليوم، لا تستطيع أن تزعم لطوائفها أنّ ذلك النّبيّ هو عيسى، لأنّها سبق أن زعمتْ لهم أنّ عيسى إله. والإله لا يكون نبيّاً. كما أنّ النّبيّ لا يكون إلهاً.. ألنّبيّ القادم ما كان إلاّ محمد. إذ لم يأتِ، بعد عيسى، إلاّ محمّد. وهو الذي جاء معه القرآن الذي فيه "جميع الحقّ" الذي ذكره عيسى» (٣٢٩-٣٣١).

* وتعليقاً على قول يوحنّا المعمدان: "يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي" (متّى ٣/ ١١)، يقول السيّد زكي: "يُستبعد أن يكون المقصود في كلام يوحنّا المعمدان هذا عيسى نفسه. لأنّ عيسى ويوحنّا ولدا في سنة واحدة، وعاصر أحدُهما الآخر.. وكلمة "بعدي" هذه تدلّ

على مستقبل غير معلوم. وبلغة النبوءة، تعبّر عن دورة أو أكثر من دورات الزمن.. وأنّ في كلّ دورة زمنيّة، تقدّر بنحو خمسة قرون أو ستّة، تظهر شخصيّةٌ لامعة.. والمعروف أنّ نبيَّ الإسلام وُلد بعد أكثر من ٥٠٠ سنة بقليل من ميلاد المسيح.. ومحمّد هو النّبيّ القويّ الذي أتى بعدهما (أي بعد يوحنّا وعيسى) ودخل مكّةَ قويّا منتصراً بعد تدميره الكامل لجميع الأصنام ومظاهر الشرك» (ص٣٣٣-٣٣٤).

* وتعليقاً على قول يوحنّا المعمدان: "مَن أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي!" (متّى ٣/٧)، يقول السيّد زكي: «محمّد هو الغضب الآتي الذي نزع الملكَ والنبوّة من اليهود، وسلّمها لقوم غيرهم.. وقد تحقّق ذلك بعد ستة قرون، عندما سوّى محمّد آخر معاقلهم بالأرض.. والذي أقام دينَ الإسلام كمملكة اللّه على الأرض» (ص٣٣٥).

ثمّ «لو أنّ يوحنّا عرف، ولو للحظة، أنّ عيسى هو النّبي القادم، لترك التعميدَ رأساً، والتحقَ به فوراً، لأنّه لا معنى لاستمراره في التعميد والتبشير بالنّبيّ القادم طالما أنّ النّبيّ القادم قد وصل.

ثمّ «لماذا لم يتوقّف (يوحنّا) ويسلّم العماد لعيسى ليبدأ (عيسى) فوراً التعميد بروح القدس والنار!

ثمّ «ما حاجة الإله إلى العماد؟ وهل يُعقل أن يعمَّد اللّهُ على يد إنسان هو خالقه وخالق النهر الذي تعمّد فيه؟ (ص٣٣٦-٣٣٧).

ثم «إنّ النبيّ القادم سيعمّد بروح القدس، أي أنّ التعميد ليس بالتثليث. فمن أين أتوا بعد ذلك باسم الأب والابن المدسوسَين في آخر إنجيل متّى؟!.. أليس غريباً أن يناقضَ أوّلُ الإنجيل آخرَه؟! (ص٣٣٩-٣٤٠).

ثمّ «إنّ متّى ولوقا ذكـرا أنّ النبيَّ القادم سيعـمّد بروح القدس ونار لا تطفأ، وينقّي بيدَرَه، ويجمع قمـحَه إلى مخزنه.. فهل يستطيع قـساوسـةُ اليوم أن يـدلّونا أين هي النار التي لا تطفـأ.. وما إذا كـان عيسى قد عمّد أحداً بها؟

ثمّ «متى حـمل عيسى رفشَـه، ونقّى بيدره، وجمع قمـحه إلى مخـزنه؟ وأين التّبن الذي أحرقـه بنار لا تطفأ!!! في الـوقت الذي كان فيه يـهوذا الخائن يعشـعش في بيدره. كما لم يمحّص أيّاً من أتـباعه الآخرين ليميّز منهم المنافقين من المؤمنين. بل أكثر من ذلك ضرب لهم مَثَلَ الزوان والحنطة، وتركهما ينموان سويّاً حتى الحصاد. أمّا محمّد فقد محّص اللّهُ له أتباعهَ، ودلّه على المنافقين، فأخرجهم من بينهم...

«من الواضح أنّ كلَّ ذلك لا ينطبق على عـيسى قيـدَ أنملة. إنّما ينطبق علـى نبيّ الإسـلام الذي أخـرج الناسَ من ظلمـات الكفـر إلى النور» (٣٤٠).«وكان اللّه قد أتمّ على يدي نبيّ الإسلام الشريعةَ التي أحـرقتْ بنارٍ لا تطفأ جـمـيعَ أصنام المشـركين والكفّار في الجـزيرة العربيّة» (٣٤١).

* وتعليقاً على ما جاء في متّى: "إنّه مكتوب أنّ اللّه يوصـي بك ملائكتَه، فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تُصدَم بحجرٍ رجلُك" (٤/٦)، يقول السيّد زكي: ليس المقصود هنا عيـسى، «لأنّ عيسى غير مذكور عنه شيء في التـوراة، أو في العهـد القديم. إنّمـا يشيـر (النّصُّ) إلى محـمّد نبيِّ الإسـلام. فمحـمّد هو الذي نجّاه اللّه مـن كلِّ أعدائه، رغم الحروب التي خاضـها، والمكائد والدسائس التي حيكتْ لقتله» (٣٧٢).

* وتعليقاً عـلى ما جاء في متّى من كلام يوحـنّا المعمدان ومن كلام المسيح أيضاً: "توبوا لأنّه اقترب ملكوت السموات" (٣/٢و٤/

١٧)، يقول السيّد زكي: «ما هو ملكوت السموات هذا الذي اقترب ودعا إليه الإثنان؟!

«إنّها النبوّة والرسالة الإلهيّة الختاميّة التي كانت تنتظرها البشريّة جمعاء، والتي اقترب ظهورُها على يدي النّبي الخاتم الذي كان الجميع في انتظاره، بعد أن امتلأتِ التوراة والأناجيل بالبشارات به، وبقرب إقامة مملكة اللّه على الأرض...

«أمّا النّبي الذي سيحمل (الرسالة) فهو الذي قال عنه يعقوب: "لا يزول قضيبٌ من يهوذا حتّى يأتي شايلون، وله يكون خضوع شعوب" (تك ٤٩/ ١٠)،

«وهو الذي بشّر اللّهُ موسى به في قوله: "سأرسل لهم نبيّاً من إخوتهم مثلك، وأجعلُ كلامي في فمه" (تثنية ١٨/ ١٨)،

«وهو الذي تحدّث عنه دانيال بأنّ سيحطّم الوحوشَ، أي الممالكَ الأربعَ (٢-٧)..ومَن غير محمّد سحقَ الممالكَ الأربع، الفرس، والرومان، وبابل، واليونان، وأقام مملكة اللّه على الأرض!!!

«وهو الذي تحدّث عنه داود وعيسى بقولهما: "ألحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار رأسَ الزاوية، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومَن سقط هو عليه يسحقه" (متّى ٢١/ ٤٤).. إلخ.

* ثم يسأل السيّد زكي: «محمّد الذي تحدّث عنه عيسى في ساعاته الأخيرة، قائلاً: "إنّه خيرٌ لكم أن أنطلق لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي. ومتى جاء ذاك يبكّتُ العالمَ.. إنّ لي أموراً كثيرة أقولها لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحمّلوا الآن، أما متى جاء ذاك روحُ الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ" (يو ١٦/ ٧-١٣).

«فمَن غـير محـمّد جـاء بعد عيـسى، وبكّتَ العالم على عـبادة الأصنام وحطّمها!

«ومَن غير محمّد جاء برسالة إلهيّة بعد عيسى، فيها كلّ العلوم والأسرار!؟

«ومَن غيـر محـمّد جاء بعـد عيسى بـالحقّ، وطهّر الأرضَ من الوثنيّة والشرك!

«ومَن غير المسلمين اليوم يعطون الأثمار في أوقـاتها!؟، تطبيقاً لقول المسيح: "إنّ ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمّة تعمل أثمارَه"» (متّى ٢١/٤٣) (ص ٣٨٣).

* وتعليقـاً على كلام المسيح: "لا يزول حـرفٌ واحدٌ، أو نقطةٌ واحدةٌ مـن الناموس حـتّى يكون الكلُّ" (متّى ٥/١٨)، يقـول السـيّد زكي: «"حـتّى يكـون الكلّ"، أي حـتّى ذلك اليـوم الـذي تأتي فـيـه "الشريعةُ الكّل"، ألناسـخة لكلِّ الشرائع التي سبـقتْها، والتي ستبقى إلى الأبد، حسب قول آشعيا: "أمّـا كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد" (٤٠/٨)، وهي التي نزلت على محـمّد فيما بعـد، وتثبت إلى يومنا هذا وإلى الأبد بدون تحريف"» (ص ٣٩٣).

* وتعليقاً على قول المسيح في متّى (٨/١٣): "وأقول لكم: إنّ كثيـراً سيأتون من المشارق والمغارب، ويتّكـئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب وبقيّة الأنبياء في ملكوت السموات"، يقول السيّد زكي: «هذا قولٌ حقّ. فـالمسلمـون سيأتون من المـشارق والمغارب... ونـرى لوقا أضـاف على مـتّى قـوله: "وها هوذا آخِـرون يكونون أوّلين وأوّلون يكونون آخِرين". فـالآخِرون الذين أتَوا بعد المسـيحيّـة هم المسلمون

الذين سيكونون أوّلين بين جميع الأمم في دخولهم الجنّة" (ص ٤٤٤؛ أنظر أيضاً: ٦٤٦-٦٤٧).

* وتعليقاً على لقب "ابن الإنسان" (متّى٨/١٨)، يقول السيّد زكي: «لم يترك (كتبَةُ الأناجيل) لقباً يخدم أغراضهم إلاّ وخلعوه (على عيسى). وجاؤوا هنا ليخلعوا عليه لقبَ "ابن الإنسان" الذي هو من ألقاب محمّد...

«كما أنّ لقبَ "ابن الإنسان" هذا يتناقض تناقضاً صارخاً مع لقب "ابن اللّه" الذي ألصقوه بعيسى. ومن حقِّ كلِّ مسيحيٍّ أن يسألَ قساوستَه عن هذا التناقض. هل عيسى إبنُ اللّه! أم إبنُ الإنسان!؟».

* وتعليقاً على قول متّى (٩/٣٥): "وكان يسوع.. يعلّم.. ويكرز ببشارة الملكوت.. ألحصاد كثير.."، يقول السيّد زكي: «أي بشارة قرب حلول مملكة اللّه على الأرض.. أي أنّه كان يبشّر بالنّبيِّ القادم والملكوت الذي سيقيمه ذلك النّبيّ، ويطبّق فيه تعاليم السماء، فتصبح مشيئة اللّه، كما هي في السماء كذلك على الأرض. وقد تحقّق كلّ ذلك لمحمّد فيما بعد.. ولهذا السبب سُمّي كتابه ألبشارة السارّة والخبر المفرح بالرسالة العالميّة القادمة، وبالملكوت الذي سيقام، إذ أنّ ذلك كان همّ عيسى الأوحد، أن يمهّد الطريقَ أمام محمّد النّبيّ القادم..

ثمّ «إنّ هذا النّصّ يؤكّد أنّ عيسى ليس آخرَ الأنبياء، كما يزعم النّصارى، إذ ها هو يطلب من تلاميذه أن يطلبوا من ربِّ الحصاد أن يرسلَ فعلةً إلى الحصاد، أي أنبياءَ آخرين إلى البشر» (٤٦٤).

* وعلى قول المسيح عن يوحنّا المعمدان: "ألحقّ أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنّا المعمدان. ولكنّ الأصغر

في ملكوت السموات أعظم منه" (متّى ١١/٧-١٣)، يعلّق السيّد زكي: «يشيد عيسى بيوحنّا المعمدان، بأنّه لم يقم بين المولودين من النساء مَن هو أعظم منه. وعليه، يكون المعمدان أعظم من عيسى بشهادة عيسى نفسه..

«وقول المسيح هنا: "ولكنّ الأصغر في ملكوت السموات يكون أعظم منه"، فالأصغر تعني آخر الأنبياء الذي هو محمّد -أعظم من يوحنّا- أي أنّ محمّد هو أعظم الأنبياء، وعليه، يكون سيّدَ وُلْدِ آدم، بشهادة المسيح نفسه» (٤٩٥).

* وعلى قول المسيح عن يوحنّا المعمدان أيضا: "وإنْ أردتمْ أن تقبلوا، فهذا إيلياء المزمع أن يأتي. مَن له أذنان للسمع فليسمعْ" (متّى ١١/١٤)؛ يعلّق السيّد زكي ويقول: «إنّ كهنةَ اليهود، عندما حرّفوا توراتهم، أخْفوا إسمَ المَسِيَّا، النّبيَّ القادم، أحمَد؛ ورمزوا إليه بصفاتٍ وأسماء عديدة، لا يعرفُها إلاّ هم، تتّفق، في مجموع أرقام حروفها، مع مجموع أرقام اسمه أو صفاته. وكان من تلك الأسماء إسم "إيلياء"، ألوارد هنا، والذي ذكرنا أنّ مجموع أرقام حروفه مساوياً لمجموع أرقام أحمد"، وهو ما يسمّى بحساب الجمَّل في اللّغة. أي: إيلياء: إ=١، ي=١٠، ل=٣٠، ي=١٠، ا=١، ء=١، ألمجموع=٥٣. ثمّ أحمد: أ=١، ح=٨، م=٤٠، د=٤، ألمجموع=٥٣» (ص ٤٩٧، أنظر أيضا: ص ٢٠٥ و ٢٠٧).

* وعلى استشهاد متّى بما قاله آشعيا عن "عبد يهوه": "لكي يتمّ ما قيل بأشعيا النّبيّ: هوذا فتاي الذي اخترتُه، حبيبي الذي سُرَّتْ به نفسي. أضعُ روحي عليه فيُخبر الأممَ بالحقّ.. إلخ" (١٢/١٧-٢١)، يعلّق السيّد زكي ويقول:

«١ ". لا ارتباط لنصوص آشعيا بما سبق من كلام.

«٢ ". هذه النصوص لا تنطبق على عيسى.. بل على محمّد.

«٣ ". هذا الكاتب المزوِّر أخذ ما يناسبه، وترك البقيّةَ، لأنّه يرتبط بمحمّد.

«٤ ". التحريف في كلمة "عبدي" إلى كلمة "فتاي"، ليخفّف من وقع كلمة "عبد" على النّصارى؛ لأنّ النّصارى لا يؤمنون بأنّ عيسى عبداً من عباد اللّه

«٥ ". أقوال آشعيا، كما هي عند الكاتب، محرّفة. وذلك حتّى تلائم غرَضَه.

* ويكمّلُ السيّدُ زكي الفصلَ من آشعيا ليجدَ أنّ الفصلَ كلّه، بكلّ ما فيه من أقوال ونبوءات، ينطبق على محمّد، لا على عيسى.. لذلك، لم يُثْبِتْه كاتبُ الإنجيل لكيلا يفضحَ تزويره.. وها هو، أي السيّد زكي، يُثبتُ بعضَ ما جاء فيه:

«١. "هوذا عبدي": معروف أنّ محمّدا هو عبد اللّه ورسوله. والشاؤوليّون الكنسيّون يرفضون أن يكون عيسى عبداً..

«٢. "لا يكلّ ولا ينكسر حتّى يضع الحقّ في الأرض": محمّد هو الذي لم يكلّ أو ينكسر، مع طول المدّة، رغم أعدائه المحيطين به في الداخل والخارج حتّى وضع الحقَّ، أي الدين والشريعة الجديدة.. بينما عيسى لم يأتِ بشريعة جديدة، بل جاء محافظاً على الشريعة القديمة..

«٣. "تنتظرُ الجزائرُ شريعتَه": أي تنتظرُ الأممُ المختلفة شريعتَه. لذلك سمّاه اليهود في التوراة "مشتهى الأمم" و "عليه

رجاء الأمم". بينما عيسى لم يأتِ إلاّ لخراف بيت إسرائيل الضالّة.. فالمعنيّ بالنبوءة إذاً محمدّ وليس سواه.

«٤. "أنا الرّبّ قد دعوتُك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك..". "المعروف أنّ محمد سمّي "نبيّ البر". "أمسك بيدك" أي أقوّيك وأدعمك. "أحفظك" أي من القتل. ولقد مرّ معنا أنّ اليهود والمشركين حاولوا قتلَ محمّد مرّات عدّة، ولم يُفلحوا.. لأنّ اللّه عصمه من القتل..

«٥. "أنا الرّبُّ. هذا اسمي. ومجدي لا أعطيه لآخر.." لقد حافظ محمّد على اسم الربّ، أي اللّه، بينما نصارى اليوم أعطوا اسمَ الربِّ لما سمّوه بالأب والابن وروح القدس. ووزّعوا مجدَه عليهم بالتساوي..

«٦. "غنّوا للربّ أغنيةً جديدة.." ألمعروف أنّ الحجَّ فُرِضَ على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. والهتافات الجديدة التي علّمها محمّد للمسلمين عند أداء فريضة الحجّ هي لَبَّيْكَ اللّهمَ لَبَّيْكَ... إلخ. كلّها هتافات جديدة لم يعرفْها اليهود ولا النّصارى

«٧. "لتترنّم سكان سالع من رؤوس الجبال".. ألمسلمون يترنّمون باسم الرّبّ من على رؤوس الجبال، ويمجّدون الرّبَّ من جبل عرفات والمزدلفة ومنى.. والتاريخ لم يذكر أنّه كان لليهود أو للمسيحيّين حجٌّ في هذه الديار..

«٨. "الرّبُّ كالجبّار يخرج، كرجل حروب ينهض غيرته، ويهتف، ويصرخ، ويقوى على أعدائه". هذه إشارة واضحة إلى قوّة المسلمين الذين يتبعون النّبيَّ محمّد الذي سيحارب باسم الرّبّ الجبّار.. والمعروف أنّ عيسى لم يحارب..

«٩. "قد ارتدّوا للوراء" .. أي أنّ الذين لم يؤمنوا بهذا النّبيّ قد ارتدّوا إلى الوراء، أي إلى عبادة الأصنام والتماثيل ويصلّون لها، ويرسمون إشارة الصليب على وجوههم وصدورهم..

«١٠. "الرّبُّ قد سُرّ من أجل برّه. يعظّم الشريعة ويكرّمها" .. هو اللّه الذي سمّى محمّدا "نبيَّ البرّ" . واشتهر محمّد بهذا الوصف طيلة حياته. وهو صاحب الشريعة السمحاء التي ليس فيها صورٌ ولا تماثيل ولا صلبان..

«١١. "ولكن شعب منهوب ومسلوب.." معناها أنّ الشعب الذي سيظهر فيه هذا النّبيّ شعب متخلّف، ومجتمعه قائم على السلب والنهب..

«هكذا ترى، عزيزي القارئ، أنّ النبوءة تنطبق على محمّد وأمّة محمّد، كانطباق القفّاز على اليد. ولا حظّ لعيسى فيها» (٥٠٦-٥١٤).

* وعلى قول المسيح في متّى "إنّ أنبياء كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، أن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (١٣/١٦)، يقول السيّد زكي: «ألمسيحُ، في هذا النّصِّ، يريد أن يقول: طوبى لعيونكم لأنّها تبصر، ولآذانكم لأنّها تسمع بتبشيري بقرب ظهور هذا النّبيّ العظيم، لأنّ جميع الأنبياء، وخصوصاً أنبياء بني إسرائيل، وعلمائها الأبرار، كانوا ينتظرون مجيء محمّد» (ص٥٤٣).

* وعلى مَثَل حبّة الخردل التي هي أصغر البذور، ولكن، متى نمت، تصبح شجرة (متّى ١٣/٣١-٣٢)، يعلّق السيّد زكي ويقول: «يشبِّهُ عيسى هنا ملكوتَ السموات القادم كيف سيبدأ صغيراً، ثم

يكبر، وينتشر انتشاراً واسعاً. وبالفعل هكذا بدأ على يدَي محمّد كأصغر البقول. ثم انضمّت إليه زوجتُه خديجة، ثم أبو بكر، وعلي، وعمر.. حتّى قوي شأنُهم، وصاروا مثل الشجرة العظيمة.. فكسروا الجبابرة، وحطّموا الأكاسرةَ، وبلغ دينُهم شرقاً وغرباً» (ص٥٤٦).

* وعلى مَثَل الخميرة: "يشبه ملكوت السموات خميرة.." (متّى ١٣/٣٣-٣٤)، يعلّق السيّد زكي ويقول: «يُعتبر هذا المثل، كمثل حبّة الخردل السابق. ولكنّ الخميرةَ تفعلُ فعلَها بسرعة أكثر. وهكذا انتشر الدين الإسلامي، وعمّ العالم بسرعة ممّا أذهل كلَّ المؤرخين والنّقاد» (ص٥٤٦).

* وعلى مَثَل الكنز المخفي في حقل (متّى ١٣/٤٤)، يعلّق السيّد زكي: «ألكنزُ المخفي كناية عن الشريعة العالميّة الجديدة، أي.. الإسلام المليء بالكنوز والنفائس، أي نعم اللّه التي لا تُحصى، والتي أنعم بها على المسلمين» (ص٥٤٧).

* وعلى مَثَل اللؤلؤة، حيث "تاجرٌ وجد لؤلؤةً ثمينة، فباع كلَّ ما له واشتراها" (متّى ١٣/٤٥-٤٦)، يعلّق السيّد زكي ويقول: «وجدَ هذا التاجرُ أنّ الشريعةَ العالميّة الجديدة تنسخ كلَّ ما سبقها من شرائع، فترك كلَّ ما كان يملك من شرائع قديمة، وابتغى الشريعة العالميّة الجديدة التي هي القرآن الذي نسخ جميع ما كان قبله» (ص٥٤٧).

* وعلى سؤال المسيح تلاميذَه: "مَن يقول الناس أنّي أنا ابن الإنسان" (متّى ١٦/١٢)؛ أو "مَن يقول الناس أنّي أنا" (مرقص ٨/٢٨)؛ يعلّق السيّد زكي ويقول: «ألصحيح: "مَن يكونُ ابنُ الإنسان،

حسب أقوال النـاس " .. والمعروف أنّ لفظ "ابـن الإنسان" هو أحـد ألقاب النّبيّ المنتظر.. والمقصود به محمّد.. ولكن كتبةُ الأناجيل الثلاثة، وخصوصاً متّى هذا، لم يتركوا صفـة من صفات محمّد إلاّ وألصقوها بعيسى ليجعلوا منه النّبيّ القادم..

" قـد يستـغـربُ القـارئ العادي من إجـابات القـوم: «يوحنّا المعمـدان - إيليّا - واحد من الأنبـياء - إرميـا..» لماذا لم يقل أحد من أولئك الناس: "أنتَ عيسى المسـيح ابن مريم"! ألسببُ في ذلك هو أن "عيـسى المسيح ابن مريم" لم يُذكـر عنه شيء في التوراة أو العـهد القديم.. والدليل هو إجابات القوم هذه التي تنقض جـميع الاقتباسات التي اقتبسـها كتبـة الأناجيل من التوراة والعهد القديم، وحشروها في أناجيلهم، وألصقوها بعـيسى على شكل نبوءات، في الوقت الذي هي لا تمتّ له بصلة، لا من قريب ولا من بعيد.. ليوهمـونا أنّ عيسى متنَبَّأً عنه في التوراة، وأنّ أناجيلَهم ليست إلاّ امتداداً للتوراة نفسـها..

«ومـا يلفت النظر هو "أنّ المسـيحَ انتـهرهم وأوصـاهم أن لا يقولوا لأحـد". لماذا انتهرهم المسـيح، وأوصاهم مشـدّداً أن لا يقولوا لأحد أنّه "المسـيح"، وهو المعروف أنّ اسمه المسـيح ابن مريم. أليسَ هذا غريباً!؟

«هنا خـيـطٌ رفـيعٌ، لا يلاحظه القـارئ الـعـادي. إذ أنّ إجـابة التلاميذ "أنت المسيح" قصدوا بـها "أنت الـ"مسيح"، أي الـ"مَسِيّا الـ منتظر"، صاحب الرسالة السماويّة العالميّة، التي ينتظرها الجميع. ولكن، لأنّ عيسى لم يكن هو ذلك الـ مسـيح الـ منتظر، فقد انتهرهم، وأوصاهم أن لا يقولوا ذلك لئلاّ تنتشر إشاعة مغلوطة بين الناس. ولو كان عـيسى هو «المسـيّا المنتظر» لما انتـهرهم، ولقال لـهم أنشروا هذا

الخبر بين الناس، لأنّه ليس من المعقول أن يأمر النّبيُّ المرسَلُ من اللّه، والذي كلُّ الناس في انتظاره، تلاميذَه بكتمانِ أمره. لكنّ عيسى فعل ذلك، وأوصاهم أن لا يقولوا لأحد أنّه المسيح، لأنّه لم يكن هو «المسِيّا القادم» (ص٥٨٤-٥٨٥).

* عودة إلى "ابن الإنسان" في قول متّى "إنّ ابنَ الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه" (١٦/٢٧)، يقول السيّد زكي: «لقد كذب علينا متّى في تسمية المسيح بابن الإنسان. فلو كان عيسى هو حقّاً المقصود بابن الإنسان، حسب قوله: "وإنّ هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ابنَ الإنسان آتياً في ملكوته" تكون نبوءةٌ لم تتحقّقْ.. إذ مضى القرنُ الأوّل، وفنيتْ أجيالُه، وتلتْهم أجيالٌ وأجيالٌ عَبرَ عشرين قرن من الزمان، فلا انتهى العالم، ولا قامت القيامة، ولا المسيح عاد في مجد أبيه.

«ولمّا كان المقصود بـ"ابن الإنسان" هو محمّد، ولمّا لم يأتِ بعد عيسى إلاّ محمّد، فقول المسيح هنا: "إنّ من القيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته"، إنّما هو كناية عن قرب مجيء محمّد في مجد اللّه.

«أمّا قوله: "وبعدها يجازي كلَّ واحد حسب عمله"، فهذا ما نادى به محمّد ابنُ الإنسان مصحّحاً معتقدات الشاؤوليّين الذين يؤمنون بدم عيسى الفادي المسكوب على الصليب، ونحن لم نسمع نبيّاً قال لقومه: آمنوا بصلبي، أو بدمي، أو برأسي، تُغفر خطاياكم» (ص٥٩٦-٥٩٧).

* وعلى مَثَل عمّال الكرم (متّى ٢٠/١-١٦)، حيث عمّال الساعة الحادية عشر نالوا أجرَهم كعمّال الساعة السادسة والتاسعة،

يعلّق السيّد زكي، ويقول: «أمّا المسلمون فهم الأمّة الأخيرة، أمّة محمد آخِر الرسل والأنبياء وخاتمتهم، فهم فعلة الساعة الحادية عشرة الأخيرة، الذين آمنوا بربّهم وبرسوله، وثبتوا على دينهم، كما نزل من بعده، لم يغيّروا فيه حرفاً واحداً، بل حفظوه عن ظهر قلب في قلوبهم وعقولهم حتّى اليوم.. ولو عرفت الكنيسةُ أنّ المسلمين هم المعنيّون بهذا المثل لحذفوه (كذا) من إنجيلهم، أو في أضعف الأحوال شوّهوه.

«فللّهِ درّكَ أيّها المسيح إذ كشفتَ بعين النبوّة وروحِ الوحي ما سيكون من بعدك، مشيراً إلى المسلمين، فعلة الساعة الحادية عشرة، من طرف خفيّ» (ص٦٥٠)

* وعلى ما جاء في مرقص يومَ دخول المسيح أورشليم بهتافات الناس: "مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرّبّ. أوصنّا في الأعالي" (١١/ ١٠)، يقول السيّد زكي: «إنّ الذي يعرف بيتَ المقدس جيّداً يعرف تماماً أنّ المسافة لا تزيد عن كيلومتر واحد.. فهل هذه هي مملكة أبينا داود الآتية باسم الرّبّ!؟ أم كان المقصود تلك المملكة الآتية فعلاً باسم الربّ فيما بعد على يد محمّد، وملك فيها معاقلَ الروم وفارس والممالك الأخرى

" مبارك الآتي باسم الربّ" : ".. لو بحثنا عن أصل هذا النّص الذي ألصقوه بعيسى اعتباطاً، سنجده منزوعا من المزمور ١١٨ الذي قاله داود مشيراً به إلى "النّبيّ القادم" الذي هو نبيّ الإسلام. ولقد أخذ كتبة الأناجيل ما وافق غرضهم منه، وتركوا بقيّة المزمور لأنّه يكشف كذبَهم. فتعالَ عزيزي القارئ لنأخذ المزمور سويّاً لتتعرفَ الحقيقةَ، وما إذا كان المقصود بـ" مبارك الآتي باسم الربّ" هو عيسى أم محمّد :

«١. "من الضيق دعوتُ ربّي فأجابني": ألشاؤوليّون يزعمون أنّ عيسى دعا ربّه في الجسمانيّة دعاءاً حاداً، ولكنّه لم يستجب له، بل سلّمه لأعدائه فصلبوه. أمّا محمّد فقد دعا ربّه فاستجاب له ونصره على أعدائه.

«٢. "كلّ الأمم أحاطوا بي": لم يحط أحدٌ من الأمم بعيسى لقتله، بينما محمّد أحاطتْ به الرّوم وفارس واليهود، وحاولوا قتله أكثر من مرّة. حتّى قومه حاصروه وأحاطوا به كالنّمل، ومنعوا عنه الطعام والشراب.

«٣. "باسم الربّ أبيدهم": عيسى لم يبد أحد (كذا)؛ لكنّ محمّد (كذا) باسم الرّبّ أباد كلّ أعدائه، وانتصر عليهم في معارك عديدة، ودخل مكّةَ منتصراً.

«٤. "لا أموت بل أحيا.. وإلى الموت لم يسلمني": ألموت هنا بمعنى القتل، ومحمّد لم يُقتل.. وكان يحرسُه الحرس، حتّى أنزل اللّه قولَه في القرآن: «واللّهُ يعصمُكَ من الناس» (ألمائدة ٥/ ٦٧)؛ بينما الشاؤوليّون يزعمون أن عيسى قُتلَ.

«٥. "تأديباً أدّبني الرّبّ": قال محمّد: "أدّبني ربّي فأحسن تأديبي". وقال اللّهُ عنه في القرآن: "وإنّك لعلى خلق عظيم" (سورة القلم ٦٨/ ٤).

«٦. "ألحجر الذي رفضه البنّاؤون قد صار حجرَ الزاوية من قِبَلِ الرّبّ": "ألبنّاؤون" كنايةٌ عن اليهود، و"الحجر المرفوض" كنايةٌ عن اسماعيل ابن هاجر.. الذي من نسله جاء محمّد خاتم الأنبياء.

«٧. "مـبارك الآتي باسم الرّبّ" : أي مـبـارك الذي سيـرسله الربّ باسمه، ومعه الرسالة الجامعة التي ينتظرها الناسُ كافّةً.

«٨. "أوثقـوا الذبيـحـةَ بربط إلى قـرون المذبح" : أي تمسّكوا بالشريعة قـبل فوات الأوان، فتهديد اللّه نافـذ في هلاك اليهود ونزع الملكوت والاختيار منهم.

«وممّا سبق، هل ترى عزيزي القـارئ أنّ هذا المزموريشير إلى عيسى أم إلى محمّد!؟» (٦٦٤-٦٦٦).

* وعلى قول المسيح في متّى: "ألحـجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صـار رأسَ الزاوية من قِبَلِ الربّ كـان هذا.. لذلك أقول لكم: إنّ ملكوتَ اللّه يُنزعُ منكم ويُعطى لأمّة تعـمل أثمارَه. ومَن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (متّى ٢١/ ٤٢-٤٤)، يعلّق السيّد زكي ويقول:

١. "ألحجر الذي رفضه البنّاؤون" : أي إسماعيل..

٢. "قـد صار رأسَ الزاويـة" : أي أصبح ملتـقى دين مـوسى وعيســى؛ أي العمود الذي يُسند البناء؛ أي محـمّد الذي هو تمام رأس الزاوية.

٣. "من قِبَـلِ الرّبّ" : هذا أكبر إثبـات لشاؤوليّي اليـوم الذين برمجتـهم الكنيسة على تكذيب محمّـد ودينه، إذ ها هو داود وعيسى يشهـدان أنّ محمّدا سـوف يأتي من قِبَلِ الرّبّ. وقد برمجتِ الكنـيسةُ طوائفَهـا على عدم الإيمان بمحـمّد، ولا برســالة محـمّد، لأنّ في ذلك خطراً أكيداً عليها..

٤. "كان هذا عجب في أعـيننا" : إذ تعجّبوا من انتـقال الملكوت لغيـرهم، لأنّهم اعتقدوا أنّهم شـعب اللّه المختار إلى الأبد من كـثرة ما أرسل اللّه لهم من أنبياء.

٥. "ومن سقـط على هذا الحجـر يترضض" : كمّ مـرّة حاول اليهـود قتلَ محـمّد فعـادوا مدحورين خـائبين. ولمّا استـتبّ له الأمرُ رضرضـهم وأخرجهم من صياصيهم، ونفاهم من البلاد.

٦. "ومَن سقط هو عليه يسحقه" : كُتُبُ التاريخ ملأى بالممالك الكافرة التي سـحقهـا محمّـد. وأوّلهم كسرى ملك فـارس، إذ عندما مزّق كتابَ محمّد، مزّق اللّهُ ملكَه" (٦٨٢-٦٨٤؛ أنظر ٥٩).

* وعلى ما جـاء في متّى عن المسـيح "إبن داود وربّه"، سـأل يسوع الفرّيسيّين قـائلاً: "ماذا تظنّون في المسيح. إبنُ مَن هو؟! قالوا له: إبن داود. قــال لهم: إنْ كــان داود يدعــوه ربّاً فكيـف يكون ابنه!؟.." (متّى ٢٢/٤١-٤٦)،

يعلقّ السيّد زكي: «هل كـان عيسى مغروراً، أو معـتوهاً، حتّى يسأل الفرّيسّين مـاذا يظنّون فيه، وابن مَن كان؟ حـاشاه! لأنّ المسيح هنا لم يكن يسـألهم عن نفسه، إنّمـا كان يسألـهم عن "المسيح"، أي "النّبيّ المنتظر"، ذي المنزلة الرفيـعة والمكانة العالية.. الـذي إسمه في التوراة "حمداً".. والذي كان اليهود في انتظاره، والذي لم يكن سوى محمّد.

«يستخلَص من ذلك:

«١. في سؤال عـيسى للفرّيسـيّين عن "المسيح المنتظر" أكـبر دليل أنّه ليس هو نفسه "المسيح المنتظر"؛

«٢. إنّ "المسيح المنتظر" لن يكون من أنسال داود البتّة، لأنّ داود نفسَه يدعوه بالروح سيّدي، ولا يمكن للابن أن يكون سيّد أبيه؛

«٣. إنّ "المسيح المنتظر" حتى زمان عيسى لم يكن قد ظهر. وبعد عيسى لم يظهر إلا محمّد، وهو سيّد داود» (٦٩٦-٦٩٨).

* وتعليقاً على قول المسيح: "أقول لكم: إنّكم لا ترونني من الآن حتّى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرّبّ" (متّى ٢٣/٢٩)، يقول السيّد زكي: «ولم يأتِ بعد عيسى مباركاً (كذا) باسم الرّبّ سوى محمّد. وها محمّد قد أتى منذ ١٤١٥ سنة».

* كلام المسيح "عن دمار القدس الوشيك (متّى٢٤/ ١-٢، مرقص ١٣/١، لوقا ٢١/٥)، وقرب انتهاء العمل بالشريعة اليهوديّة، بدء حلول مملكة اللّه على الأرض، وهي الفكرة الأساسيّة في دعوة عيسى. لكن، بتآمر كتبةِ الأناجيل، أو لسوء فهمهم لأقوال المسيح، تحوّلت الفكرةُ إلى أنّ عيسى هو "المسيح الموعود، إبنُ الإنسان"، فيما هو "النبيّ المنتظر، نبيّ الإسلام".

«ثمّ إنّ ما جاء في الأناجيل من تدمير الهيكل، وظهور أنبياء كذبة، ومجاعات وزلازل، وغيرها... كلّ هذه الأقوال إنّما هي كنايات عن سرعة مجيء "ابن الإنسان الحقيقي"، الذي لم يكن سوى محمّد، نبيّ الإسلام... وها قد مضى ٢٠٠٠ عام ولم يأتِ عيسى في مجيئه الثاني، والدينونة لم تقم، كما زعمت الأناجيل. فهل كذب عيسى أم كتبة الأناجيل هم الكاذبون!؟.. هؤلاء هم الكاذبون... ثمّ إنّ عيسى لم يأتِ في مجده، كما زعموا، لكنّنا نرى الذي أتى في مجده هو محمّد» (٧١٢-٧١٤).

* وعن قـول المسيح: "لا يُتـرَكُ حجـرٌ على حجـر لا يُنقض" (متّى ٢٤/ ٢)،

يقول السيّد زكي: «فهو القـول الصحيح والشيء الوحيد الذي اتّفق عليه الملهمون الثلاثة، كنايـة عن نهاية الشريعة القديمة، وتوقّفِ العمل بـها، لأنّ الوقت حان لمجيء الشـريعة الجـديدة على يد محـمّد، الذي سـمّـاه دانيـال بابن الإنســان» (٧١٥). وتحتَ هذا الجـوّ المليء بالخوف والترقّـب، عاشت كلٌّ تلك الأجيال، حسب المـزاعم الخاطئة.. ومرّت الأيّام، وتلتْـها السنون، فلم ينقضِ الدهرُ، ولم يأتِ عـيسى ابن الإنسان في مجيئه الثاني؛ إنّما الذي أتي هو "ابن الإنسان الحقيقي"، صاحب الرسالة العالمية، "ألمَسِيّا المنتظر"، وهو الذي كان يتحدّث عنه عيسى، أي محمّد» (٧١٦).

* وعـودة أخـرى إلى «ابن الإنســان» (مــتّى٢٤/ ٣٠) : "وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء"،

يقـول السيّـد زكي: «لو كـان المسـيح هو ابن الإنسـان حقّـاً، لاسـتعـمل صيـغةَ المـتكلِّم، ولقال: "تظهـر عـلاماتي، وآتي بنفـسي إليكم"؛ ولكن، من الواضح أنّ المقصود كان شـخص (كذا) آخَر غائباً في تلك اللحظة، وهو الشـخص الذي قال عنه المـعمدان "يأتـي بعدي مَن هو أقوى منّي" الذي هو محمّد» (ص٧٢٣).

* وعلى قول إنجيل مرقص "إنّ ابن الإنسان، مكتوب عنه، أنّه يسلَّم إلى الأمم.. ويقتلونه.. وفي اليوم الثالث يقوم" (٩/ ٣٠)،

يعلّق السـيّد زكي: «إنّ لفظة ابن الإنســان هنا مدسـوسة، لأنّ ابنَ الإنســان الذي هو محـمّد، لم يُذكـر في أي كتـاب أنّه سيُقـتَل، أو

يُصلب، ولا في اليوم الثالث يقوم. ونحنُ نتحدّى كلَّ علماءِ الشاؤوليّينَ قاطبةً، في كلِّ بقعةٍ منَ العالم، الذين يزعمون أنّهم يحملون أعلى الدرجات في اللاّهوت، الذي يسمّونه زوراً باللاّهوت المسيحي، أن يقدّموا لنا نصّاً واحداً في سفر دانيال، أو في أي سفر من أسفار الأنبياء الآخرين، يقول إنّ ابنَ الإنسان سوف يُستهزأُ به، ويُشتم، ويُتفل عليه، ويجلدونه، ويُصلب، وفي اليوم الثالث يقوم، سواء كان ابنُ الإنسان هو عيسى، كما يزعمون، أو محمّد، كما قلنا وأثبتنا» (٧٣٩).

* وعلى سؤال رئيس الكهنة للمسيح: "استحلفُكَ باللّه الحيّ أن تقول لنا: هل أنتَ المسيحُ ابنُ اللّه؟ قال له يسوع: أنتَ قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن: تبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القوّة، وآتياً على سحب السماء. فمزّق رئيس الكهنة ثيابه، قائلاً: قد جدّف. ما حاجتنا بعدُ إلى شهود" (متّى ٢٦/٦٣)،

يعلّق السيّد زكي: «حتّى الآن والمحاكمة تسيرُ بهدوء. بل قلْ بسخريّةٍ وبرودةِ أعصاب. ولكن، عندما قال لهم البديلُ الماثلُ أمامهم: "وسوف تُبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القوّة، وآتياً في سحاب السماء"، استشاط رئيسُ الكهنة ومَن معه غضباً، وقالوا: إنّه يُجدّف. عَجَباً! .. أين التجديف!؟ هل هناك شيء محذوف!؟.. لم يُجدِّفْ. فهل من قسّيس يستطيع أن يخبرنا أين هذا التجديف!؟

يجيب السيّد زكي: «ألسرُّ في استشاطة رئيس الكهنة غضباً، وشقِّ ثيابه، هو أنّ الماثلَ أمامهم استعمل لفظَ "ابن الإنسان"، وللمرّة الأولى في الأناجيل، بمعناه الصحيح، أي "النّبيّ المنتظر الذي هو محمد". وبعبارة أخرى، كان ردُّ الماثل أمامهم كالآتي: "تسألونني ما

إذا كنتُ أنا النبّي القادم أم لا، أي المَسِيّا. وجوابي على سؤالكم هو أنّني لم أقلْ ذلك. أنتم تقولون. أمّا "النّبيّ القادم" الذي تسألون عنه، حفيد إسماعيل، فسيأتي بشريعة جديدة.. هنا استشاط رئيس الكهنة غضباً، ومزّق ثيابه» (ص ٩٠٨-٨١٠).

***

سماحة المفتي الشيخ حسن خالد يؤكّد[٨٧] مع «علماء المسلمين أنّ وصف الرسول قد ورد في التوراة بصورة قاطعة لا تحتمل الشك».

ويستشهد بما سمعه أنصار النّبي من «جيرانهم أهل الكتاب الذين كانوا يخبرونهم بمبعث رسول اللّه الذي ينتظرون ظهوره، وأنّه موجود وصفه عندهم في التوراة» (ص ٦٣٢).

كما يستشهد بالقرآن الكريم الذي يخبر، هو أيضاً، عن أهل الكتاب فيقول: "ولمّا جَاءَهم كتابٌ مِن عِنْدِ اللّه مصدِّق لما معهم، وكانوا من قبل يَستفتحون على الذين كفروا، فلمّا جاءهم ما عَرفوا كفروا به..."[٨٨].

كما ينقل عن ابن اسحق الذي نقل عن ابن عبّاس: "إنّ يهود كانوا يَسْتَفتِحون على الأوس والخزرج برسول اللّه قبل مبعثه".

وعن أبي العاليه الذي أخبر أنّ "اليهود كانوا إذا استنصروا بمحمّد على مشركي العرب يقولون: "ألـلّهم ابعث هذا النّبي الذي

---

(٨٧) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

(٨٨) سورة البقرة ٢/ ٨٩-٩٠.

تجده مكتوباً عندنا حتّى يعذّب المشركين ويقتلهم". فلما بُعث من غيرهم، كفروا به حسداً"

وعن هرقل الذي قال: "إن يكن ما تقول فيه حقّاً. إنّه لنبيّ. وقد كنتُ أعلم أنّه خارج، ولم أكن أظنّه منكم. ولو أعلم أنّي أخلص إليه لأحببت لقاءه. ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدميه".

كما نقل عن ورقة بن نوفل الذي قال لرسول له: "هذا الناموس الذي أنزل اللّه على موسى... لم يأتِ أحدٌ بمثل ما جئت به إلاّ عُودي".

وتأكّد سماحةُ مفتي الجمهوريّة أنّ الرسول ذُكر أكثر من مرّة أنّ وصفه وارد في كتب أهل الكتاب... ومنها هذه البشارات :

١. **تث ١٨/١٨**. يعلّق : "إنّ النّص واضح هنا بأنّ النّبي الذي سيبعث هو من إخوة بني إسرائيل. وإخوة بني إسرائيل لا يكونون قطعاً أولاد إسرائيل، بل يكونون أولاد إسماعيل. ومحمّد هو من ذرّيّة إسماعيل. ولم يظهر من ذرّيّة إسماعيل مَن كانت له الأوصاف الواردة في النّص إلاّ محمّد..." (ص ٦٣٤).

٢. **تث ٣٣/١-٣**: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل اللّه بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الربّ من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاراتن وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم".

يعلّق: ... "سيناء" إشارة إلى ظهور موسى على الطور... و"سعير"، قرية معروفة .. رمز إلى ظهور عيسى. أمّا "فاران" فهو

كناية عن البشارة بنبوّة محـمّد.. لأنّ فاران هو البريّة الممتدّة من طور سيناء حتّى مكّة.

ويؤكّد صحّـة هذه البشارة أنّ القرآن قـد أورد قَسَمَ اللّه بهذه الأمـاكن فـي قـوله: " والتّينِ والزّيتـونِ وطورِ سـينين، وهـذا البلد الأمين.. "

٣. مـتّى ٣/ ٤١؛ ٤/ ١٢ و١٧؛ ٦/ ٩-١١؛ ١٠/ ٧؛. عن ملكوت اللّه. يعلّق الشيخ المفتي:

" والعجيب أنّ التفسير النّصراني لهذه النصوص كلّها هو أنّها جاءت لتؤكّـد طريقة النّجاة التي أظهـرتها شريعة عيـسى. وهو ما لا يتّفق مع مفـهومنا منها الذي هو التبـشير بظهور رسالة مـحمّد الذي يؤكّده ويرجّح صـحّته قول عيـسى والحواريّين والسبـعين معه: "إنّ ملكوت السماوات قد اقترب" .

وتعليم عـيـسى لأتبـاعه بأن يقـولوا في صـلاتهم: "وليـأت ملكوتك" . وهم لا يزالون يقـولونه حـتّى هذا اليوم . الأمـر الذي يدلّ بصـراحة وجزم عـلى أنّ المدعو به كـان مطلوباً في أيّام عيـسى رغم وجود عيسى وقيام دعوته به.

" وبالفـعل، لقد جـاء ملكوت اللّه، بعد عـيسى بظهـور محـمّد ودعـوته وسلطانه الذي حكم به الأرض.. ويسـتـحـيل أن يكون هذا الملكوت بصـورة الضـعف والمسكنة والخـذلان، بـل يكون بصـورة السلطنة والعلاء. وقد تحقق ذلك على أيدي شريعة محمّد ورسالته..

" ويزيد في إثبات هذا المفهوم مـا جاء على لسان عيسى : "إنّ ملكوت اللّه ينزع منكم ويُعطَى لأمّة تعمل أثمارَه" .

" وهكذا فقد أخبر عيسى حوارييه باقتراب مجيء الملكوت، وعلّمهم الدعاء إلى اللّه لكي يرسل ملكوته، وزاد ذلك بأنّه جزم لهم بأنّ هذا الملكوت لن يكون في أيديهم، بل سينزع منهم ويُعطى إلى أمّة أخرى... (ص ٦٣٧).

٤. **متى ٢٠/١-٦: مَثَل عمّال الكرم الذين نالوا أجرهم بالتساوي** بالرغم من تفاوت عملهم. ثم قوله: " هكذا يكون الآخِرون أوّلين، والأوّلون آخِرين " . وفي القرآن نظير هذا التعبير: «والسابقون السابقون أولئك المقرّبون في جنّات النعيم ثُلَّة من الأوّلين وقليل من الآخِرين "[٨٩].

يقول الشيخ المفتي: " في صحيح البخاري ومسلم قال صلّى اللّه عليه وسلّم: " مثلكم ومثل أهل الكتابَين كمثل رجل استأجر أجَرَاء، فقال: مَن يعمل لي من غدوةٍ إلى نصف النّهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النّهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى. ثمّ قال: مَن يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطَين قيراطين؟ فأنتم هم. فغضب اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملاء وأقل عطاءً؟! قال: هل نقصتكم من حقّكم؟ " . وفي رواية: " هل ظلمتكم من حقّكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه مَن أشاء " .

" وورد عنه ما يؤكّد أيضاً كلام الإنجيل بشكل واضح: " نحن الآخِرون السابقون " . وقال: " إنّ الجنّة حُرّمتْ على الأنبياء كلّهم حتّى أدخلها. وحرِّمتْ على الأمم حتّى تدخلها أمّتي " (ص ٦٣٨-٦٣٩).

---

(٨٩) سورة الواقعة ٥٦/ ١٠-١٤.

٥. متّى ٢١/٣٣-٤٤: مثل فعلة الكرم الذين قتلوا إبن الكرّام.

يعلّق الشيخ المفتي نقلاً عن الإمام محمّد رشيد رضا وغيره من علماء المسلمين: إنّ **رب البيت** كناية عن اللّه، **والكرم** كناية عن الشريعة، **وإحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبناء البرج** كنايات عن المحرّمات والمباحات والأوامر والنواهي، **والكرّامون الطاغون** كناية عن اليهود، **والعبيد المرسلون** كناية عن الأنبياء، **والابن** كناية عن عيسى. ولا بأس بإطلاق هذا اللفظ عليه من الناحية المعنويّة، وقد قتله اليهود أيضاً، **والحجر الذي رفضه البنّاؤون** كناية عن محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم، **والأمّة التي تعمل أثمارَه** كناية عن أمّته. وهذا هو الحجر الذي كلّ مَن سقط عليه ترضض وكلّ من سقط هو عليه سحقه".

٦. يوحنّا ١٤/١٥؛ ١٥/٢٦؛ ١٦/٧ و١٢: "إنْ كنتم تحبّونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحقّ الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنّه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنّه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم. والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كلّ شيء وهو يذكّركم كلّ ما قلته لكم. والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتّى إذا كان تؤمنون".

١. «يكاد يلتقي أكابر العلماء على أنّ معنى كلمة **فارقليط** النّبيّ المبشر به، وهو محمّد وليس سواه. لأنّه إنْ كان القصد منه الروح النازل على تلاميذ عيسى يوم الدّار، فلماذا يطلب عيسى إلى تلاميذه أن يحفظوا وصاياه؟ ولماذا يعدهم بأن يطلب من الأب أن يعطيهم فارقليط آخر؟! وهم ما كانوا يستبعدون نزوله عليهم مرّة أخرى..

٢. «يضاف إلى ما تقدّم أنّ الروح متّحد بالأب مطلقاً، وكذلك بالابن نظراً إلى لاهوته كما يقولون اتّحاداً حقيقيّاً، فلا يصدق في حقّه "فارقليط آخر" بخلاف النّبي المبشّر به. فإنّ هذا القول يصدق عليه بلا تكلّف...

٣. ثمّ إنّ عيسى قال: "هو يشهد لأجلي"، وتلاميذه الذين كانوا معه ما كانوا محتاجين إلى من يعرّفهم بعيسى ويشهد لهم عنده، لأنّهم كانوا يعرفونه حقّ المعرفة، بخلاف محمّد (ص) فقد شهد للمسيح ضدّ من شنّعوا عليه وكذّبوه وبهتوا أمّه، شهد لأجله وصدّقه وبرّأه ممّا قالوا فيه كما برّأ أمّه.

٤. «على أنّ قوله: "إنْ لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم" يشترط فيه لمجيء الفارقليط ذهابه هو. وقد ثبت أنّ الروح نزل على الحواريّين بحضور عيسى لمّا أرسلهم إلى البشارة. وقد نزل عليهم وعيسى فيهم، ممّا يجعلنا نؤكّد أنّ المراد شخص آخر يكون مجيئه موقوفاً على ذهاب عيسى. وهذا الشخص هو محمّد، لأنّه أتى بعد ذهاب عيسى

٥. «وممّا ورد في النّص أنّ الفارقليط الآتي "يوبّخ العالم"، ومحمّد وبّخ العالم، واليهود بالذات، لعدم إيمانهم بعيسى توبيخاً ظاهراً في القرآن الكريم. كما قال بأنّه "ليس ينطق من عنده، بل يتكلّم بكلّ ما سمع"، ولو كان يقصد منه الروح النازل يومَ الدار، فليس مظنّة التكذيب عندهم حتّى يسوق هذا الكلام الذي يراد منه تقرير صدقه، فإذاً، قطع بأنّه لم يكن المراد منه إلاّ محمّد الذي كانت دعواه مظنّة التكذيب من الكفّار والمشركين، مع أنّه كان في الحقيقة ونفس الأمر يتكلّم بما كان يوحي إليه اللّه به» (ص ٦٣٤-٦٤٣).

ألقسم الثاني

أهل الكتاب

في ردود المسلمين

الفصل الأوّل

موقف القرآن من "أهل الكتاب"

أهل الكتاب في القرآن هم حصراً، أليهود، والنصارى.

واختلف المفسّرون عمّا إذا كان الصابئون هم أيضاً من أهل الكتاب؛ باعتبار أنّ القرآن يذكرهم مع اليهود والنصارى، ثلاث مرّات، ويعترف بإيمانهم باللّه وباليوم الآخِر، ويقرّ بعملهم الصالح، ويبشّرهم بالسعادة في جنّات النعيم.

يذكرهم في سورة المائدة بعد اليهود على أنّهم، بحسب المفسِّرين، فرقة منهم. قال: «إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالذِينَ هَادُوا، والصَّابِئُونَ، والنَّصارَى، مَن آمنَ باللّهِ واليومِ الآخِر، وعَمِلَ صَالحاً، فَلا خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ» (٥/ ٦٩).

أمّا في سورة البقرة فيذكرهم بعد النصارى، على أنّهم فرقة من النصارى، ويضيف لهم أجراً من عند ربّهم. قال: «إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالذِينَ هَادُوا، والنَّصارَى، والصَّابئِينَ، مَن آمنَ باللّهِ واليومِ الآخِر، وعَمِلَ صَالحاً، فَلَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْدَ ربِّهِم، ولا خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ» (٢/ ٦٢).

وأمّا في سورة الحجّ فيذكر معهم «المجوس والذِينَ أَشْرَكُوا. واللّه يفصل بينهم يومَ القيامة»، بإدخال المؤمنين الجنّة، وإدخال غيرهم النار. قال: «إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالذِينَ هَادُوا، والصَّابِئِينَ، والنَّصارَى، والمَجُوسَ، والذِينَ أشْرَكُوا. إنّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَومَ القِيَامةِ» (٢٢/١٧)(١).

اليهود طائفتان:

١. طائفة تُقيم التوراة، من دون تحريف أو تبديل، تماماً كما نزلتْ على موسى، وكما أخَذ بها النبيّون، من بعده، كداود وسليمان وغيرهم. هؤلاء لم يكونوا في عهد محمّد، ولم يتعرّف إليهم. ولكأنّهم انقرضوا من التاريخ.

٢. وطائفة حرّفتْ وبدّلتْ في التوراة. وما آمنَتْ بعيسى ابن مريم نبيًّا. هم «شَرّ البَرِيَّة»(٢)، «سمّاعُونَ للكَذِبِ أكّالُونَ للسُّحْتِ (أي للحرام)»(٣)، «يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه»(٤). و نصيبهم، في نهاية الأمر، «فِي نارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فيها»(٥).

هؤلاء تعرّف إليهم محمّد، وحذّره اللّهُ منهم، منذ ولادته، عن طريق الوحي له ولآبائه والقسّ ورقة بن نوفل والراهب

---

(١) مرّة واحدة يرد اسم «المجوس» في القرآن.

(٢) سورة البيّنة ٩٨/٦.

(٣) سورة المائدة ٤٢/٤٢؛ ر: ٥/٤١.

(٤) سورة النساء ٤/٤٦؛ ٥/١٣ و٤١.

(٥) سورة البيّنة ٩٨/٦.

بحيرى، وغيرهم. ولمّا ابتدأ في رسالته وجهاده، كانوا من أوّلَ الذين حاربهم وقاتلهم، واستولى على أرزاقهم وأموالهم وسرْحهم، وأخذ منهم السبايا والمغانم.

و**النصارى** طائفتان أيضاً :

١. طائفة «الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. أولئكَ همْ خَيرُ البريّة»[٦]. آمنوا بعيسى ابن مريم على أنّه نبيّ جاء يكمّل ناموس موسى. وكانوا يُقيمونَ التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزِلَ إلَيهِمْ من ربِّهم[٧]. هم أمّة وسط[٨]، «أمّة مقتصدة»[٩] في عقيدتها، لا تظلم حقَّ عيسى كاليهود، فتعتبره إنساناً عاديًا؛ ولا هي تغلو فيه كالمسيحيّين، فتعتبره إلهاً أو ابناً للّه.

هؤلاء النصارى، «جَزَاؤُهم عِندَ ربِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحتِهَا الأنْهارُ. خَالِدينَ فِيها أبداً. رَضِيَ اللّهُ عَنهُمْ ورَضُوا عنْهُ»[١٠].

٢. أمّا الطائفة الثانية فهم «**المسيحيّون**» الذين تعرّف إليهم النّبيّ محمّد في السنة التاسعة للهجرة/ ٦٣١ م.، مع وفد نجران النسطوري. هؤلاء «غَلُوا» في إيمانهم بالمسيح، فاعتبروه ابناً للّه.

---

(٦) سورة البيّنة ٩٨/٧.

(٧) رَ: سورة المائدة ٥/٦٨.

(٨) سورة البقرة ٢/١٤٣.

(٩) سورة المائدة ٥/٦٦.

(١٠) سورة البيّنة ٩٨/٨.

حـــذّرهم القـــرآن في إنذاره لهـم: «يَا أهْلَ الكِتَـــابِ (أي الإنجـيل)! لا تَغْلُوا (أي تتــجاوزوا الحـدّ) فِي دِينِكُمْ. وَلا تَقُـولُوا عَلَى اللّهِ إلاّ الحَقَّ (من تنزيهــه عن الشريك والولد): إنّمَـا المَسِيحُ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ رسُولُ اللّهِ وكَلِـمَتُهُ ألْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ. فَآمِنُوا باللّــهِ ورُسُلِهِ. ولا تَقُولوا ثلاثةٌ انتَهُـوا خيراً لــكُمْ. إنّما اللّهُ إلهٌ واحدٌ. سُــبحانَهُ أنْ يَكُونَ له وَلَـدٌ. له ما في السّمَـوَاتِ ومَا في الأرضِ. وكَفَى باللّهِ وكيلاً. لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أن يكونَ عبداً للّهِ، ولا الملائكةُ المقرَّبُونَ»(١١).

أمّا **المسلمون** الذين اتّبعوا محمّـداً فهم النصارى أنفسـهم، لأنّ الإسـلام نفسَه، كما رأينا، هو دين النبـيّين السابقين جميعهم. والإسلامُ، بحسب تحديد القرآن له، والذي اخـتاره محمّدٌ ديناً له ولأتباعــه، هو نفسه النصرانيّــة. يدعو دعوتَهــا، ويؤمن إيمانَها، ويُقيم شــعائرَها، ويعلّم تعاليـمَها، وينهج نهـجَها، ويعظِّمُ نبيَّــها عيسَى المسيحَ ابنَ مريم، كلمة اللّه وروحه وآيته في العالَمين.

***

لقد كــان محمّـد راضيــاً على طائفةٍ من اليهــود، تلك التي كانت تُقيم التوراة، وتأخذ بتعاليمها؛ ورافضاً لأخرى، وهـي التي قامت بتحريف التوراة، وتبديل الكلم عن مــواضعها. وكان أيضاً راضياً على النصـــارى، أهل كلّ «مودّة» وإحسان؛ وكــان رافضاً

---

(١١) سورة النساء ٤/ ١٧١-١٧٢؛ ر: ٥/ ٧٧.

للمسيحيّين الذين غَلَوا في دينهم، فاعتبرهم كافرين مشركين، خالدين في النار.

***

ما في القرآن المكّي من أمور الدِّين والإيمان يتوافق مع تعاليم النصارى موافقة تامّة. وما في القرآن المدني ممّا لا يتوافق معهم يعود إلى وفد نجران الذي عرف فيه النبيّ غلوَّه في الدِّين.

وهذا الذي قيل عن المسيحيّين، وفدِ نجران النسطوري، لا يتعدّى مجموعُه صفحةً واحدة فقط من المصحف بمقابل ٦٠٤ صفحات بحسبِ طبعة «مصحف المدينة النبويّة».

هذه الصفحة تعبّر عن حادثة واحدة، هي حادثة النّبيّ مع وفد نجران، من السنة ما قبل الأخيرة من حياته. في هذه الحادثة الوحيدة والفريدة تعرّف النّبيّ إلى إيمان المسيحيّين، ووقف منهم الموقفَ العدائيّ المعروف.

هذه الحادثة «المسيحيّة» الفريدة نلمّ شتاتَها من بعضِ آياتٍ في آل عمران والنساء والمائدة. أمّا ما في سورة التوبة فهو من زمن فتوحات بلاد الشام. وفي غير هذه لا ذكر للمسيحيّين، ولا لإيمانهم ومعتقداتهم.

وما سوى أمور الدِّين من أمور تشريعيّة، أو تنظيميّة، في الشؤون الإنسانيّة والاجتماعيّة والمدنيّة، من تحليلٍ وتحريم، من أوامر ونواهٍ، من جهادٍ ضدَّ المشركين، وتهديدٍ ووعيد.. وغير

ذلك... ليس لنا أن نقفَ عنده اليوم، قابِلين أو رافضين. هكذا كان في زمن الدّعوة. وقد كان، في زمانه وبيئته، حكماً بالغَ الصلاح والحكمة لأهلهما.

***

وإذا ما شاء أهلُ الحوار المسيحي-الإسلامي أن يتقدّموا في مهمّتهم هذه، عليهم، أوّلاً، وقبل أيٍّ شيء، أن يميّزوا بين أهل الكتاب هؤلاء؛ وبين الأمور الدينيّة المحضة، الصالحة لكلِّ زمان، والشؤون المدنيّة التي كانت حكمة في ذلك الزمان. وإلاّ كان حوارُهم حوارَ طرشانٍ، يعطي نتيجةً غيرَ محمودة.

ولا يزال المسلمون، حتّى اليوم، يُطلقون، على فئتَي النصارى والمسيحيّين، اسماً واحداً، هو «النّصارى»، ويعنون به «المسيحيّين»؛ فيما المستشرقون يُطلقون اسم «المسيحيّين» les chrétiens على الفئتَين من دون تمييز.

وهذا ما أربكَ الباحثين والساعين إلى الحوار المسيحي–الإسلامي. ولن يصلَ أحدٌ إلى حيث يريد، أي إلى حوارٍ حقيقيّ، وانفتاحٍ واضح بعضهم على بعض، وقَبولٍ متبادل فيما بينهم، طالما معاني الأسماء لم تُحدّد تحديداً دقيقاً، والفرق بين «النصارى» و«المسيحيّين» لم يتنبّه إليه باحث.

وكم على المستنيرين من المسيحيّين والمسلمين، اليوم، أن يعملوا ليرفعوا الخلْط، ويتقيّدوا بالقاعدة الذهبيّة التي رسمها لهم القرآن الكريم حيث يقول: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلْمٍ، وَلا هُدًى، وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ»[١٢].

هذا يعني أنّ الكلام القائم، اليوم، بين المسيحيّة والإسلام، هو جدال لا حوار. جدالٌ في موضوعات تفوق قدرات العقل والعلم والهدى ومعطيات أيِّ كتابٍ حتّى ولو كان منزلاً من عند ربِّ العالَمين.

وكيف يكون حوارٌ والمسلمون لم يتركوا شاردةً أو واردةً في المسيحيّة إلاّ وردّوا عليها ردًا جريئاً وقاسياً؛

---

(١٢) سورة الحجّ ٢٢/٨؛ ر: ٣١/٢٠.

ألفصل الثاني

موقف المسلمين من "أهل الكتاب"

إذا كان في القرآن مواقف عديدة ومختلفة من "أهل الكتاب"؛ فإنْ للمسلمين، من بعد القرآن، موقفاً واحداً لا غير.

ألمسلمون، منذ زمن فتوح بلاد الشام حتّى اليوم، يرفضون اليهوديّةَ، والمسيحيّة، في طوائفهم كلّها. فهم لا يعرفون اليهوديّة التي كانت تقيم التوراةَ الحقيقيّة، ولا النصرانيّة التي كانت تعرف الإنجيلَ الحقيقي.

لم يتعرّف المسلمون، بعد الفتوحات، ألى النصارى الذين أخذ النبيُّ عنهم؛ بل تعرّفوا فقط إلى المسيحيّين في فئاتهم الدينيّة الثلاث: ألنسطوريّة واليعقوبيّة والملكانيّة. ولم يكونوا على اتّفاق مع أيٍّ واحدة منها.

لهذا كتبوا في ذمّ هؤلاء المسيحيّين والردّ عليهم ردوداً جريئة، مفصِّلين موضوعات عقيدتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وتعاليم كنائسهم، و«شريعة إيمانهم». ومرجعهم في معرفة النصرانيّة الحقيقيّة هو، طبعاً، القرآن الكريم، كتاب الله الذي لم يَشُبْهُ تغييرٌ ولا تحريف.

وحمّلوا "الكنيسةَ" المسؤوليّةَ كلَّها في تعقيد أمور الدين. فهي، في نظرهم، هي التي حرّفتْ وبدّلتْ وزادتْ وأنقصتْ في دين المسيح وإنجيله وتعاليمه الحقيقيّة.

وكيف يكون حوارٌ والمسيحيّون لا يعترفون بأمور الإسلام الأساسيّة، كنبوّة محمّد، وأزليّة القرآن ومصدره الإلهيّ، وتعاليمه في أمور الدين والدنيا وتنظيم حياة الإنسان!

نحن اليومَ، مسيحيّون ومسلمون، فاشلون في ما نقوم به من حوار دينيّ. ولكنّا لسنا فاشلين في ما نتّفق عليه من أمور وطنيّة، وسياسيّة، واجتماعيّة، وتنظيميّة، و«عيشٍ مشترك» بين الفئات الدينيّة جميعها.

لقد اتّفقنا، ونتّفق، حول أمورٍ عديدة من أمور الدنيا. وقد لا نتّفق في شيء على أمور الدين. فما العمل؟ واضح لدينا، مسيحيّين ومسلمين، أنّ الدِّينَ للّه، والوطن للجميع.

وواضح لدينَا أيضاً أنّ حقَّ العبد، إذا ما تناقض مع حقّ اللّه، كان حقُّ العبد أولى. هذا في الفقه الإسلامي. وفي المسيحيّة وتعاليم المسيح، إنّ الاهتمام بالإنسان أولى من الاهتمام بالسبت.

هذه قاعدة ذهبيّة ثانية، يَعتمد عليها كلٌّ من المسلمين والمسيحيّين في حوارِهم بعضهم من بعض، وفي بناء وطنٍ للإنسان الذي يحتاجُ، هو، إلى وطنٍ وأمْن وسلامٍ ومحبّة، لا اللّه الذي «نتجادل فيه «بِغَيرِ عِلْمٍ، وَلا هُدًى، وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ».

إذا شاء المسلمون والمسيحيّون القيامَ بحوارٍ فيما بينهم، عليهم أن يتقيّدوا بقاعدة ذهبيّة ثالثة، ألا وهي أن يكونوا أوفياء لدينَيهم؛ أي أن يدعوا العالَمَ إلى اعتناق الحقيقة التي بها يؤمنون، المسلمون إلى إسلامهم، والمسيحيّون إلى مسيحيّتهم.

هذه القاعدة تسمَّى في المسيحيّة «التبشير»، وفي الإسلام، «الجهاد». والجهاد أنواع، باللسان، والإقناع، كما بالسيف والقهر. ويحتكم بأيٍّ منها صاحبُ الولاية والأمر. فليس كلُّ الناس سواء في قبولهم الإسلام. لهذا كان لا بدّ، أحياناً، من السيف. و«آيات السيف» في كتاب اللّه واضحة.

غيرَ أنَّ «الجهاد» اليوم اختلطتْ مفاهيمه عند الكثيرين؛ ففيما هم يقومون به ضدّ الظالمين والمستعمرين، يدعون إليه على أنّه جهاد في سبيل اللّه. هذه هي دعوة المتطرّفين والأصوليّين والجماعات الإسلاميّة التي تقرأ في القرآن صفحات وتُهمل صفحات.

ولا تزال القرآءة القرآنيّة الصحيحة، على ما يبدو، في أوّلها. والمفسِّرون الجدد لم يُظهروا عن أنفسهم بعد.

ألفصل الثالث

ألكنيسة هي المسؤولة

أكثر ما تعرّض له المسلمون، في نظرتهم إلى المسيحيّة وتعاليمها، من نقضٍ وانتقاد، هو الكنيسة. لقد حمّلوها مسؤوليّة تحريف الدين المسيحي برمّته؛ بل هي التي طعنتْ في وحدانيّة اللّه، والوحي، ونبوّة عيسى وهويّته. وقالت بتحريف الكتب، وبالثالوث، وبألوهيّة المسيح، وبنوّته للّه، وصلبه وقيامته، وألوهيّة الرّوح القدس، وأمومة مريم للّه، بل بتأليهها. واعترفتْ بخطيئة أصليّة تنسحب على ذرّيّة آدم منذ البدء حتّى النهاية.

والكنيسة إيّاها، هي التي سنّتِ العماد، والقربان، والاعتراف للقسّيس، وقيّدت الزواج، وأقامتِ الصلوات على أنغام الموسيقى وقرع الأجراس، وتلاعبتْ في أوقات الصيام؛ وأباحت المحرّمات كشرب الخمرة، وأكلِ لحم الخنزير؛ وأجازتْ للإنسان التعدّي على حدود اللّه، وسنن الرسل والأنبياء، وتعاليم السماء.. ومنعتِ الختان والوضوء والغسل من الجنابة، وقواعد الطهارة كلّها.. إلى ما هنالك من أمور لاهوتيّة وأخلاقيّة...

ألكنيسة هي التي سنّت القوانين، وشرّعت الشرائع، وطالت الضمائر، وربطتْ ما ربطتْ، وحلّتْ ما حلّتْ. هي التي

حلّلتْ ما حلّلت، وحرّمتْ ما حرّمتْ، حتّى نصبتْ ذاتَها وصيّةً على العالم، وناطقة باسم اللّه. بل هي التي ميّزتْ بين الأناجيل، فتبنّتْ ما تبنّت، ورفضتْ ما رفضتْ. وعقدتْ مجامع علّمتْ فيها ما ليس من مهمّاتها. وأقامتْ على النّاس وسطاء بينهم وبين اللّه، حتّى إنّها شوّهت وجهَ المسيح، وقضتْ على دينه.

ألكنيسة ومَن وراءها، وعلى رأسهم شاؤول اليهوديّ الفرّيسيّ المتهوّر، ألدّ أعداء المسيح والبشريّة؛ ومَن اتّبع خطاه، والمجامع الكنسيّة المسكونيّة، وبخاصّة مجمعَي نيقية والقسطنطينيّة؛ والبابوات والأساقفة والقساوسة والشمامسة، رجالا الكهنوت كلّهم... هذه الكنيسة لا تمتّ إلى المسيح بصلة : لا هو أنشأها أو متّعها بأيٍّ سلطان. ولا هي تعلّم ما علّم أو تسير على خطاه.

هذا يعني أنّ المسلمين جميعهم يقفون من الكنيسة موقفاً رافضاً رفضاً قاطعاً، كاملاً وشاملاً : فهم يرفضون وجودَها وانتسابَها إلى المسيح وعلاقتها به. ويرفضون أهليّتَها في تعيين كتب الوحي، وفي تحديد العقائد. ويرفضون دورَها في سنّ القوانين والشرائع، وفي حقّها في إنشاء المؤسّسات والمنظّمات الدينيّة، وفي ابتداع الحياة الرهبانيّة والبتوليّة، وفي تنصيب قدّيسين وقدّيسات، وتوزيع أوسمةٍ على بعض البشر.

يرفض المسلمون، بنوع خاص، دورَ الكنيسة في خلاص العالم، وفي أنّ النِّعَمَ الإلهيّة يحصل عليها الإنسانُ بواسطة

مقدّسات، أي أسرار، كالمعـموديّة بالماء، والتثبيت بالرّوح القدس، والتوبة عن الخطايا، وسيامة الكـهنوت، وتحويل المسيح إلى خبزٍ وخمر في الإفخارستيّا، وتعقيد الزواج والطلاق، وشفاء المرضى بمسحهم بالزيت.. هذه كلّها أنشأتْها الكنيسة لتساهم في خلاص الإنسان، وتؤهّله لنيل ملكوت السماء، بغير حقّ.

ألكنيسـة، في رأي المسلمين، كانتْ ولا تزال، سبباً لفساد دين عـيسى، بما يظنّونه صنعتْ في اللّـه وفي الإنسـان. فـلا أرضتِ اللّهَ في وحدانيّته وعلوّه وجلاله، ولا سايرتِ الإنسانَ في ضعـفه ووضعِـه الرّاهن؛ بل ركّبتْ في اللّه الواحـد إلهَين آخرَين؛ وعـقّدتْ حـيـاةَ الإنسان تعـقـيداً يصـعب عليـه، بما صنعتْ به، الخلاصَ من عقَده النفسيّة والدينيّة والاجتماعيّة الكثيرة. فلكأنّها شاءتْ له أن يتعذّبَ في ضميره عذاباً يكاد يكون جهنّميًا.

هذا، وإنّ تعاليم المسيح عيسى بسيطة، سهلة، يقبلها العقل البشري، وتخضع للمنطق السليم. وكذلك كانت حياتُه ومعجزاته في غاية من البساطة ممّا يقبله كلّ إنسان. فعيسى إنسانٌ اختاره اللّهُ، كما اختـار غيرَه، قبلَه وبعدَه، من الأنبيـاء والرسل. فهو نبيٌّ ورسولٌ، مثله مـثل إبراهيم ويعقوب والأسـباط وموسى وداود، وأيّوب، وشعيب وهود وصالح...ومحمّد.

صـحـيح أنّ عـيـسى تميّـز عن النبـيّين بطريقـة ولادته، وبإتيانه المـعجزات، وبموته وبعـثته ورفـعه، ومجـيئـه قبل يوم الدين... ولكنّ رسـالتَـه لـم تكن خـاتمة الرسـالات السـمـاويّة،

وتعاليمه لن تبقى صالحةً لكلِّ عصرٍ ومجتمع. لهذا جاء اللّهُ بمحمّد خاتماً لكلِّ اتّصالٍ بين الأرض والسماء، ومكمِّلاً لجميع تعاليم النبيّين، وراسماً الصِّراط المستقيم للعالم أجمع.

لقد جاءَ عيسى بإنجيلٍ فيه تعاليم سماويّة إلهيّة تناسب إنسانَ عصره. إنّما هذا الإنجيل قد ضاع، أو ضُيِّعَ. وما يوجد بين أيدي المسيحيّين اليوم ليس إنجيل عيسى، بل هو روايات كتبها متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا، ورسائل كتبها أناسٌ ليسوا بأنبياء ليكون فيها وحيٌ سماويّ... وليس بوسع أحدٍ أن يعرف الإنجيلَ الأصل. إنّما أوحى اللّهُ إلى النبيّ محمّد، وفي القرآن نفسه، بحقيقة هويّة عيسى وتعاليمه. وبه نعرف الأصل.

فما يقوله القرآن عن عيسى هو الحقيقة. والنصرانيّة الحقّة هي التي يتكلّم عليها القرآن. ونأخذها منه لا من الأناجيل التي تتداولها الكنيسة، وتعتمد عليها في تعاليمها. هذه هي الحقيقة كلّها : ألقرآن وحده يُعلمنا العلم الحقَّ عن عيسى وحياته ومعجزاته وموته ورفعه وبعثه وتعاليمه. وما تقوله الكنيسة، وما يظنّه المسيحيّون اليومَ، ليس هو الحقيقة.

وبسبب ذلك، للمسلمين من مسيحيّي اليوم موقف واضح: ألمسيحيّون، بما يقولون في اللّه وعيسى وأمّه وروح القدس، مشركون حقًّا. واللّه لن يغفر لهم شرْكَهم هذا: «إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دونَ ذلكَ لِمَنْ يَشاءُ»[١٣]؛ ومصيرهم النار،

(١٣) سورة النساء ٤/٤٨؛ ٤/١١٦.

والعذاب الأبديّ: «لَقَد كَفَرَ الذينَ قَالُوا إنّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ. وَمَا منْ إله إلاّ إلهٌ وَاحدٌ. وإنْ لَمْ يَنتَهُوا عمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا منْهُمْ عذَابٌ أَليمٌ»(١٤).

***

قد يحترمُ بعضُ المسلمين الكنيسةَ كمؤسّسةٍ إنسانيّة، لها مكانتها في العالم والمجتمع البشري. أمّا أن تكون "مكاناً للخلاص"، كما يقول المسيحيّون، أو أن يكون لها طابعٌ إلهيٌّ مميَّز، أو أن يكون لها حقُّ التشريع وسنّ القوانين، وتحديد العقائد، أو أن تكون "سرّاً ظلَّ مكتوماً في اللّه مدى الأزل، وقد كُشف الآن عنه"(١٥)، كما يقول المسيحيّون. فهذه أمور يرفضها المسلمون رفضاً قاطعاً.

وفي كلِّ حال، هذه الكنيسةُ، كما يفهمها المسيحيّون، لا وجود لها في كتاب المسلمين. ولا حتّى اللفظةُ موجودة فيه. أللّهم إلاّ لفظة "بيعة"، مرّةً واحدة في صيغة الجمع "بِيَع"، في قوله: «وَلَولا دَفْعُ اللّهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِع (للرهبان)، وبِيَع (للنصارى)، وصلوات (لليهود)، ومساجد (للمسلمين)، يُذكَرُ فيها اسمُ اللّه كثيراً»(١٦).

---

(١٤) سورة المائدة ٥/٧٣؛ رَ: ٤/١٧٢؛ ٥/١٧و٧٥؛ ٩/٣١.
(١٥) روما ١٦/٢٥.
(١٦) سورة الحجّ ٢٢/٤٠.

ولكنّ هذه اللفظة القرآنيّة لا تعني مفهوماً لاهوتيّاً، كما هو معروفٌ عند المسيحيّين، بل تعني أمكنةَ عبادة، لا أكثر ولا أقلّ. فالكنيسة هي الغائب الأكبر في القرآن وكتب المسلمين وأبحاثهم؛ بينما هي الحاضر الأكبر في المسيحيّة. وحين يتكلّم المسلمون على الكنيسة ينالون منها ومن دورها.. وحين يتكلّم المسيحيّون عليها فكأنّهم يتكلّمون على المسيح نفسه، فيقدّسونها، ويعتبرونها امتداداً لعمل المسيح الخلاصي.

هذه الكنيسة أسّسها المسيح نفسُه. بل لم يؤسِّسْ المسيحُ إلاّ كنيسة. فهو لم يُنشئْ ديناً، إسمه المسيحيّة؛ ولم يُنزِّلْ كتاباً، إسمه الإنجيل؛ ولم يسنّ شريعةً أو نظاماً.. ألمسيح أسّسَ كنيسةً حيّةً مؤلّفةً من بشرٍ ضعفاء خطأة؛ كنيسة تواكبُ الإنسانَ في تطوّره، لا تشريعاً جامداً كنيسةً تشرّع لهذا العالم، لا ديناً تتحكّم شريعتُه بكلِّ العالم؛ كنيسةً ترسم للبشريّة نهجاً لخلاصها، لا ديناً يبرمج له ويصنّف النّاسَ ؛ كنيسةً تقرّر هويّةَ كتابِها، لا ديناً نزلَ عليه كتابٌ من الأعالي.

فهرس كتاب
المسيحيّة في ردود المسلمين

ألجزء الأوّل

ألقسم الأوّل

ردود المسلمين على المسيحيّة بحسب الموضوعات

ألجزء الثاني

القسم الثاني

أهل الكتاب في ردود المسلمين